١

طرزوس

الجزء الرابع من ابن عطيه

المجلد الثاني من تفسير ابن عطيه

عدد ٣٢

١٢٠

١١٢

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع ولي اكرمه الله تعالى بالرفق والحسنى حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سورة الأنفال

هي مدنية كلها كذا قال أكثر الناس وقال مقاتل هي مدنية غير آية واحدة وهي قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية فإنها وهذه نزلت في قصة وقعت بمكة ويمكن أن تنزل الآية في ذلك بالمدينة ولا خلاف أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه قوله تعالى يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين النفل والنافلة في كلام العرب الزيادة على الواجب وسميت الغنيمة نفلا لأنها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الحوزة والدعاء إلى الله عز وجل ومن ذلك قول لبيد

إن تقوى ربنا خير نفل .. أي خير غنيمة .. وقال عنترة

إنا إذا احمر الوغى نروي القنا .. ونعف عند مقاسم الأنفال ..

والسؤال في كلام العرب يجيء لاقتضاء معنى في نفس المسؤول عنه وقد يجيء لاقتضاء مال أو نحوه والأكثر في هذه الآية أن السؤال إنما هو عن حكم الأنفال فهو من الضرب الأول وقالت فرقة إنما سألوه الأنفال نفسها أن يعطيهم إياها واحتجوا في ذلك بقراءة سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وعلي بن الحسين وأبي جعفر محمد بن علي وزيد بن علي وجعفر بن محمد وطلحة بن مصرف وعكرمة والضحاك وعطاء يسئلونك الأنفال وقالوا في قراءة من قرأ عن أنها بمعنى من وهذا المذهب [illegible] قال واختلف الناس في المراد بالأنفال في هذه الآية فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وعطاء وابن زيد هي الغنائم مجملة قالوا وذلك أن سبب الآية ما جرى يوم بدر وهو أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا ثلاث فرق ففرقة أقامت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش الذي صنع له وحمته وآنسته وفرقة أحاطت بعسكر العدو وأسلابهم لما انكشفوا وفرقة اتبعوا العدو وقتلوا وأسروا وقال ابن عباس في كتاب الطبري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرض الناس قبل ذلك وقال من قتل قتيلا أو أسر أسيرا فله كذا وله كذا

فسارع

فسارع الشبان وبقي الشيوخ عند الرايات فلما انجلت الحرب وجمع الناس رأت كل فرقة الفضل لنفسها وقالت نحن أولى بالمغنم [illegible] فهم في ذلك فنزلت الآية بأن الغنائم لله والرسول فكفوا فقسمه حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على السواء وأسند الطبري وغيره عن أبي أمامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال فينا أهل بدر نزلت حين اختلفنا فيه وساءت أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء قال القاضي أبو محمد يريد عن سواء فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين ومما جرى أيضا يوم بدر فقيل إنه سبب ما أسنده الطبري عن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاصي وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا السيف قد شفى الله به من المشركين فأعطنيه فقال ليس هذا لي ولا لك فاطرحه في القبض فطرحته ورجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي قال فما جاوزت إلا قريبا حتى نزلت عليه سورة الأنفال فقال اذهب فخذ سيفك فإنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي وهو لك قال القاضي أبو محمد وفي بعض طرق هذا الحديث قال سعد فقلت لما قال لي ضعه في القبض إني أخاف أن تعطيه من لم يبل بلائي قال فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفي قال فقلت أخاف أن يكون نزل في شيء فقال إن السيف قد صار لي فأعطانيه ونزلت يسئلونك عن الأنفال وأسند الطبري أيضا عن أبي أسيد مالك بن ربيعة قال أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر وكان يسمى المرزبان فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما في أيديهم من النفل أقبلت به فألقيته في النفل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا يسأله فرآه الأرقم المخزومي فسأله رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه اياه قال القاضي ابو محمد فيجيء من هذه
الاثار ان نفوس اهل بدر تنافرت ووقع فيها ما يقع في نفوس البشر من ارادة الاثرة
لا سيما من ابلى فانزل الله الاية فرضي المسلمون وسلموا فاصلح الله ذات بينهم ورد
عليهم غنائمهم وقال بعض اهل هذا التاويل عكرمة ومجاهد كان هذا الحكم من الله
لرفع الشغب ثم نسخ بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء الاية وقال ابن زيد لم يقع في الاية
نسخ وانما اخبر ان الغنائم لله من حيث هي ملكه ورزقه وللرسول من حيث هو مبين
حكم الله والصادع فيها ليقع التسليم فيها من الناس وحكم القسمة نازل خلال ذلك
ولا شك في ان الغنائم وغيرها والدنيا باسرها هي لله وللرسول قال القاضي ابو
محمد وقال ابن عباس ايضا الانفال في الاية ما يعطيه الامام لمن رآه من سيف
او فرس او نحوه قال القاضي ابو محمد وهذا ايضا حسن مع الاية ومع ما ذكرناه
من اثار يوم بدر وقال علي بن صالح ابن حيي في الحسن فيما حكى المهدوي الانفال في الاية
ما يجيء به السرايا خاصة قال القاضي ابو محمد وهذا القول بعيد عن الاية غير
ملتئم مع الاسباب المذكورة لمجيء ما جاء عن يوم بدر وقال مجاهد الانفال
في الاية الخمس قال المهاجرون لم تخرج منا هذا الخمس فقال الله تعالى هو لله وللرسول
وهذا ايضا قول قليل التناسب مع الاية وقال ابن عباس وعطا ايضا الانفال
في الاية ما شذ من اموال المشركين الى المسلمين كالفرس العاير والعبد الآبق وهو
للنبي عليه السلام يصنع فيه ما شاء وقال ابن عباس ايضا الانفال في الاية ما
اصيب من اموال المشركين بعد قسمة الغنيمة هو لله ولرسوله قال القاضي
ابو محمد وهذان القولان لا تخرج بهما الاية عن الاسباب التي رويت في يوم بدر
ولا تختص الاية بيوم بدر على هذا وكان هذا بين المتاولين انما نابه الجيش دون
قتال وبعد تمام الحرب وارتفاع الخوف واولى هذه الاقوال واوضحها القول
الاول الذي تظاهرت الروايات بما سببه وناسبه الوقت الذي نزلت الاية فيه
وحكى النقاش عن الشعبي انه قال الانفال الاسارى قال القاضي ابو محمد وهذا

مع

انما

انما هو على جهة المثال فيعم كل ما يغنم وحسن في تفسير هذه الاية ان
نذكر شيئا من اختلاف العلماء في تنفيل الامام لمن رآه من اهل النجدة والغناء
وما يجوز من ذلك وما يمتنع وما هو في السبب من الاختلاف فقالت فرقة
لا نفل بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقال الجمهور النفل باق الى يوم القيامة ينفل امير
الجيش ما رآه لمن رآه لكن بحسب الاجتهاد وبالمصلحة للمسلمين ليحض الناس على
النجدة وينشطهم الى مكافحة العدو والاجتهاد في الحرب واختلفوا فقال
ابن القسم عن مالك في المدونة انما ينفل الامام من الخمس لا من جملة الغنيمة ويتقل
في اول مغنم وفي اخره بحسب اجتهاده وقالت فرقة انما ينفل الامام قبل
القتال واذا اجتمعت الغنائم فلا نفل قال القاضي ابو محمد وهذا انما يكون
على هذا القول بان يقول الامير من قتل قتيلا فله كذا او يقول لسرية ان وصلتم
الى موضع كذا فلكم كذا وقال الشافعي وابن حنبل لا نفل الا بعد الغنيمة قبل التخميس
وقال ابراهيم النخعي ينفل الامام من شاء قبل التخميس وبعده وقال انس بن مالك
ورجاء بن حيوة ومكحول والقاسم وجماعة منهم الاوزاعي واحمد واسحق وعدي
ابن عدي لا نفل الا بعد اخراج الخمس ثم ينفل الامام من اربعة الاخماس ثم يقسم
الباقي بين الناس وقال ابن المسيب انما ينفل الامام من خمس الخمس وقال مالك
رحمه الله لا يجوز ان يقول الامير من هدم كذا من الحصن فله كذا ومن بلغ الى
موضع كذا فله كذا ولا احب لاحد ان يسفك دمه على مثل هذا قال
سحنون فان نزل ذلك لزمه فانفذ ما بلغه وقال مالك رحمه الله لا يجوز ان
يقول الامام لسرية ما اخذتم فلكم ثلثه قال سحنون يريد ابتدا فان نزل امضي
ولهم انصباؤهم في الباقي وقال سحنون اذا قال الامام لسرية ما اخذتم
فلا خمس عليكم فيه فهذا لا يجوز فان نزل رددته لان هذا حكم شاذ لا
يجوز ولا يمضي ويستحب على مذهب مالك ان ينفل الامام ما يظهر
كالعمامة والفرس والسيف وقد منع بعض العلما ان ينفل الامام ذهبا او فضة

او لؤلؤ او نحو هذا وقال بعضهم النفل جائز من كل شيء واما السلب فقال مالك
رحمه الله الاسلاب من المغنم تقسم على جميع الجيش الا ان يشرط الامام وقاله غيره
وقال الليث والاوزاعي والشافعي واحمد وابو ثور وابو عبيد وابن المنذر السلب
حق للقاتل بحكم النبي صلى الله عليه وسلم قال الشافعي واحمد وابو عبيد وابن المنذر
قاله الامام او لم يقله وقال مالك رحمه الله اذا قال الامام من قتل قتيلا فله
سلبه فذلك لازم ولكنه على قدر اجتهاد الامام وبحسب الاحوال والضيقات
واستصراخ الجهاد وقال الشافعي وابن حنبل تخرج الاسلاب من الغنيمة
ثم تخمس بعد ذلك وتعطى الاسلاب للقتلة وقال اسحاق بن راهويه ان كان السلب
يسيرا فهو للقاتل وان كان كثيرا خمس وفعله عمر بن الخطاب مع البراء بن مالك
حين بارز المرزبان فقتله فكانت قيمة منطقته وسواريه ثلاثين الفا فخمس ذلك وروي
في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم هو حديث عوف بن مالك الاشجعي في
مصنف ابي داود وقال مكحول السلب مغنم وفيه الخمس وروي نحوه عن عمر بن
الخطاب **قال القاضي ابو محمد** يريد يخمس على القاتل وحده وقال جمهور الفقهاء لا
يعطى القاتل السلب الا ان يقيم البينة على قتله قال اكثرهم ويجزي شاهد واحد
بحكم حديث ابي قتادة وقال الاوزاعي يعطاه بمجرد دعواه **قال القاضي ابو محمد**
وهذا ضعيف وقال الشافعي لا يعطى القاتل الا اذا كان قتيله مقبلا مشيحا
مبارزا واما ان قتل منهزما فلا وقال ابو ثور وابن المنذر صاحب الاشراف
للقاتل السلب منهزما كان القتيل او غير منهزم **قال القاضي ابو محمد** وهذا اصح
لحديث سلمة بن الاكوع في اتباعه ربيئة الكفار في غزوة حنين واخذه بخطام
بعيره وقتله اياه وهو هارب فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه
وقال ابن حنبل لا يكون السلب للقاتل الا في المبارزة فقط واختلفوا في السلب
فاما السلاح وكل ما يحتاج للقتال فلا احفظ فيه خلافا انه من السلب وفرسه ان
قاتل عليه وصرع عنه وقال احمد بن حنبل في الفرس ليس من السلب فكذلك ان كان

في

في هميانه او منطقته دنانير او جوهر او نحو هذا مما يعده فلا احفظ خلافا
انه ليس من السلب واختلف فيما يتزين به للحرب ويتهول فيها به كالتاج والسوارين
والاقراط والمناطق المثقلة بالذهب والاحجار فقال الاوزاعي ذلك كله من
السلب وقالت فرقة ليس من السلب وهذا مروي عن سحنون رحمه الله الا
المنطقة فانها عنده من السلب قال ابن حبيب في الواضحة والسواران
من السلب ورجح الشافعي هل هذه كلها من السلب ام لا **قال القاضي ابو محمد**
واذا قال الامام من قتل قتيلا فله سلبه فقتل ذمي قتيلا فالمشهور ان لا شيء
له وعلى قول اشهب يرضخ لاهل الذمة من الغنيمة يلزم ان يعطى السلب وان قتل
الامام بيده قتيلا بعد هذه المقالة فله سلبه **قال القاضي ابو محمد** واما
الصفي فكان خاصا للنبي صلى الله عليه وسلم **وقوله تعالى** عز وجل فاتقوا الله معناها
في الكلام اجعلوا بينكم وبين المحذور وقاية **وقوله** واصلحوا ذات بينكم تصريح
بانه شجر بينهم اختلاف او مالت النفوس الى التشاح وذات في هذا الموضع
يراد بها نفس الشيء وحقيقته والذي يفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوصل
والالتحامات والمودات وذات ذلك هي المامور باصلاحها اي نفسه
وعينه فحض الله عز وجل على اصلاح تلك الاجزاء فاذا اصلحت تلك حصل في
صلاح ما يعمها وهو البين الذي لهم وقد تستعمل لفظة الذات على انها لازمة
ما يضاف اليه وان لم يكن عينه ونفسه وذلك في قوله عليم بذات الصدور
وذات الشوكة فانها هاهنا موسه وقولهم الذئب مغبوط بذي بطنه وقول
ابي بكر الصديق انما هو ذو بطن بنت خارجة ويحتمل ذات البين ان يراد هذه
وقد تقال الذات ايضا بمعنى اخر وان كان يقرب من هذا وهو قولهم فعلت كذا
ذات يوم **ومنه قول الشاعر** لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ذات العشاء ولا
ولا تسري افاعيها وذكر الطبري عن بعضهم انه قال ذات بينكم الحال
التي لبينكم كما ذات العشاء الساعة التي فيها العشاء **قال القاضي ابو محمد** ورحمه

الطبري وهو قول ابن الاسفاض وقال الزجاج البين هاهنا الوصل ومنه قوله
عز وجل لقد تقطع بينكم **قال القاضي ابو محمد** وفي هذا كله نظر **وقوله** واطيعوا
الله ورسوله لفظ عام وسببه الامر بالوقوف عندما ينفذه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الغنايم **وقوله** ان كنتم مومنين اي كاملي الايمان كما تقول للرجل ان كنت
رجلا فافعل كذا اي ان كنت كامل الرجولية وجواب الشرط في قوله المتقدم
في قوله المتقدم واطيعوا الله هذا عند سيبويه ومذهب ابي العباس ان الجواب
محذوف متاخر يدل عليه المتقدم تقديره ان كنتم مومنين اطيعوا ومذهبه
في هذا ان لا يتقدم الجواب الشرط **قوله تعالى** انما المومنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين
يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك لهم درجات عند ربهم ومغفرة
ورزق كريم انما لفظ لا تفارقه المبالغة والتاكيد حيث وقع ويصلح مع
ذلك للحصر فاذا دخل في قصة وساعد معناها على الانحصار صح ذلك وترتب
كقوله انما الهكم الله واحد وغير ذلك من الامثلة واذا كانت القصة لا
تاتي للانحصار بقيت انما للمبالغة والتاكيد فقط كقوله عليه السلام انما
الربا في النسيئة وكقولهم انما الشجاع عنترة واما من قال انما هي لبيان
الموصوف فهي عبارة فاترة اذ بيان الموصوف يكون في مجرد الاخبار دون انما
وقوله هاهنا انما المومنون ظاهرها انها للمبالغة والتاكيد فقط وجلت
معناه فزعت ورقت وخافت وهذه المعاني فسرت العلما وقرا ابن مسعود
فرقت وقال ابي بن كعب فزعت تقول وجل يوجل وياجل وييجل وهي شاذة
وييجل بكسر الياء الاولى ووجه هذه انهم لما ابدلوا الواو ياء لم يكن لها وجه فقاس
فكسروا الياء الاولى التي بدل الواو ياء لعلة حكى هذه اللغات الاربع سيبويه
رحمه الله وتليت معناه سردت وقريت والايات هنا القران المتلو هو
وزيادة الايمان على وجوه كلها خارج عن نفس التصديق منها ان المومن اذا كان

المومنون حقا

لم يسمع حكما من احكام الله في القران فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه
فامن به فزاد ايمانا الى ساير ما امن به اذ لكل حكم تصديق خاص وهذا يترتب
فيمن بلغه ما لم يكن عنده من الشرع الى يوم القيمة وتترتب زيادة الايمان بزيادة
الدلايل ولذلك قال مالك الايمان يزيد ولا ينقص ويترتب بزيادة الاعمال
البرة على قول من يرى لفظة الايمان واقعة على التصديق والطاعات وهاولاء يقولون
يزيد وينقص **وقوله** وعلى ربهم يتوكلون عبارة جامعة لمصالح الدنيا والاخرة
اذا اعتبرت وعمل بحسبها في ان يمتثل الانسان ما امر به ويبلغ في ذلك اقصى جهده
دون عجز وينتظر بعد ما تكفل له به من نصر او رزق وغيره وهذه اوصاف
جليلة وصف الله بها فضلا المومنين فجعلها غاية الامة يستبق اليها
الكملة الافاضل ثم اتبع ذلك وعدهم ووسمهم باقامة الصلاة ومدحهم بها
حضا على ذلك **وقوله** ومما رزقناهم ينفقون قال جماعة من المفسرين هي الزكاة
قال القاضي ابو محمد وانما حملهم على ذلك اقتران الكلام باقامة الصلاة والا فهو لفظ
عام في الزكاة ونوافل الخير وصلات المستحقين ولفظ ابن عباس في هذا المعنى يحتمل
وقوله اولئك هم المومنون يريد كمال المومنين وحقا مصدر موكد كذا نص عليه
سيبويه وهو المصدر غير المستعمل والعامل فيه احق ذلك حقا **وقوله**
درجات ظاهره وهو قول الجمهور ان المراد مراتب الجنة ومنازلها ودرجاتها
على قدر اعمالهم وحكى الطبري عن مجاهد انها درجات اعمال الدنيا **وقوله** ورزق
كريم يريد ماكل الجنة ومشاربها وكريم صفة تقتضي رفع المذام كقوله
ثوب كريم وحسب كريم **قوله تعالى** كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
وان فريقا من المومنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى
الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير
ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين
اختلف الناس في الشي الذي يتعلق به الكاف من قوله كما حسب ما تبين من الاقوال

الى أقوال اذكرها بعد بحول الله والذي يلتئم به المعنى ويحسن سرد الالفاظ قولان
وأنا ابدأ بهما قال الفرا التقدير امض لامرك في الغنائم ونفل من شئت
وان كرهوا كما اخرجك ربك هذا نص قوله في هداية مكي رحمه الله والعبارة
بقوله امض لامرك ونفل من شئت غير محررة وتحرير هذا المعنى عندي ان يقال
ان هذه الكاف شبهت هذه القصة التي هي اخراجه من بيته بالقصة المتقدمة
التي هي سؤالهم عن الانفال كانهم سألوا عن النفل وتشاحوا في هذه القصة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فاخرجه الله من بيته فكانت في ذلك الخيرة فسلخهم في النفل عما كراهتهم
هاهنا الخروج وحكم الله في النفل بانه لله والرسول دونهم هو بمثابة اخراجه
نبيه صلى الله عليه وسلم من بيته ثم كانت الخيرة في القضيتين فيما صنع الله وعلى هذا
التاويل يمكن ان يكون قوله يجادلونك كلاما مستأنفا يراد به الكفار اي يجادلونك
في شريعة الاسلام من بعد ما تبين الحق فيها كانما يساقون الى الموت في الدعا الى
الايمان قال القاضي ابو محمد وهذا الذي ذكرت من ان يجادلونك في الكفار منصوص
والقول الثاني قال مجاهد والكسائي وغيرهما المعنى في هذه الاية كما اخرجك
ربك من بيتك على كراهية من فريق منهم كذلك يجادلونك في قتال كفار
مكة ويودون غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم انك انما تفعل ما امرت
به لا ما يريدون هم قال القاضي ابو محمد فالتقدير على هذا التاويل يجادلونك
في الحق مجادلة ككراهتهم اخراج ربك اياك من بيتك فالمجادلة على هذا
التاويل بمثابة الكراهية وكذا وقع التشبيه في المعنى وقايل هذه المقالة
يقول ان المجادلين هم المشركون فهذان قولان مطردان يتم بهما المعنى ويحسن رصف
اللفظ وقال الاخفش الكاف نعت لحقا والتقدير هم المومنون حقا كما اخرجك
قال القاضي ابو محمد والمعنى على هذا التاويل كما تراه لا يتناسق وقيل الكاف في موضع
رفع والتقدير كما اخرجك ربك فاتقوا الله كانه ابتدا وخبر قال القاضي ابو محمد
وهذا المعنى وضعه هذا المفسر وليس من الفاظ الاية في ورد ولا صدر وقال

ابو عبيدة هو قسم اي لهم درجات ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك تقديره
والذي اخرجك فالكاف في معنى الواو وما بمعنى الذي وقال الزجاج الكاف
في موضع نصب والتقدير الانفال ثابتة لك ثباتا كما اخرجك ربك وقيل
الكاف في موضع رفع والتقدير لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم
هذا وعد حق كما اخرجك وقيل المعنى واصلحوا ذات بينكم ذلك خير لكم
كما اخرجك فالكاف نعت لخبر ابتداء محذوف وقيل التقدير قل الانفال لله
والرسول كما اخرجك وهذا نحو اول قول ذكرته وقال عكرمة التقدير
واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين كما اخرجك ربك في الطاعة خير لكم
كما اخراجك خيرا لكم وقوله من بيتك يريد من المدينة يثرب قاله جمهور
المفسرين وقال ابن بكير المعنى كما اخرجك من مكة وقت الهجرة وقرا عبد الله
ابن مسعود في الحق بعد ما بين بضم الباء من غير تاء والضمير في قوله يجادلونك
قيل هو للمومنين وقيل للمشركين فمن قال للمومنين جعل الحق قتال مشركي قريش
ومن قال للمشركين جعل الحق شريعة الاسلام وقوله الى الموت اي في سوقهم
الى القتال على ان المجادلين المومنون او في دعائهم الى الشرع على انهم المشركون
وقوله وهم ينظرون حال يريد في فزع السوق وتقتضي شدة حاله وقوله
تعالى وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم الاية في هذه الاية قصص
حسن انا اختصره اذ هو مستوعب في كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابن هشام واختصاره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه
وقيل اوحي اليه ان ابا سفين بن حرب قد اقبل من الشام بالعير التي فيها
تجارة قريش واموالها قال لاصحابه ان عير قريش قد عنت لكم فاخرجوا
اليها لعل الله ان ينفلكموها قال فانبعث معه من خف وثقل قوم وكرهوا
الخروج واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلوي على من تعذر ولا
ينتظر من غاب فسار في ثلثمائة وثلاثة عشر من اصحابه من مهاجري وانصاري

وقد ظن الناس باجمعهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلقى حربا فلم يكثر
استعدادهم وكان ابو سفين في خلال ذلك يستقصي ويحذر فلما بلغه خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث ضمضم بن عمرو الغفاري الى مكة يستنفر اهلها
ففعل ضمضم فخرج اهل مكة في الف رجل او نحو ذلك فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم خروجهم اليه اوحى الله اليه وحيا غير متلو يعده احدى الطائفتين
فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك فسروا وودوا ان تكون لهم
العير التي لا قتال معها فلما علم ابو سفين بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
منه اخذ طريق الساحل وابعد وفات ولم يبق الا لقاء اهل مكة واشار بعض
الكفار على بعض بالانصراف وقالوا هذه عيرنا قد نجت فلج ابو جهل ولج
حتى كان امر الوقعة وقال بعض المومنين نحن لم نخرج لقتال ولم نستعد له فجمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وهو بواد يسمى ذفران وقال اشيروا علي
ايها الناس فقام ابو بكر فتكلم فاحسن وحرض على لقاء العدو فاعاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاستشارة فقام عمر بمثل ذلك فاعاد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاستشارة فتكلم المقداد الكندي فقال لا نقول يا رسول
الله اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن نقول انا معكما
مقاتلون فوالله لو اردت بنا برك الغماد قال القاضي ابو محمد وهي مدينة
الحبشة لقاتلنا معك من دونها فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلامه
ودعا له بخير ثم قال اشيروا علي ايها الناس فكلمه سعد بن معاذ وقيل سعد
بن عبادة قال القاضي ابو محمد ويمكن انهما جميعا تكلما في ذلك اليوم فقال يا رسول
الله كانك تريدنا معشر الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل فقال
انا قد امنا بك واتبعناك فامض لامر الله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه
معك فقال عليه السلام امضوا على بركة الله فكاني انظر الى مصارع القوم
فالتقوا وكانت وقعة بدر وقرا مسلمة بن محارب واذ يعدكم بجزم الدال

قال

قال ابو الفتح ذلك لتوالي الحركات وقرا ابن محيصن واذ يعدكم الله احدى
الطايفتين بوصل الالف من احدى وصلة الهاء بالحاء والشوكة عبارة عن
السلاح والحدة ومنه قول العرفج ان العرفج قد ادلث وقرا ابو عمرو
فيما حكى ابو حاتم الشوكة تكون بادغام التاء في التاء ومعنى الاية وتودون العير
وتابون قتال الكفار وقوله ويريد الله الاية المعنى ويريد الله ان يظهر الا
سلام
ويعلي دعوة الشرع وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنهم بكلمته على
الافراد الذي يراد به الجمع والمعنى في قوله بكلماته اما ان يريد باوامره للملائكة
والنصر وجميع ما يظهر الاسلام ان يكون واما ان يريد بكلماته التي سبقت
في الازل والمعنى قريب والدابر الذي يدبر القوم اي ياتي في اخرهم واذا قطع
فقد اتى على اخرهم بشرط ان يبدا الاهلاك من اولهم وهي عبارة في كل من اتى
الهلاك عليه قوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون
اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما
جعله الله الا بشرى ولتطمئن قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم
ليحق الحق اي ليظهر ما يجب اظهاره وهو الاسلام ويبطل الباطل اي الكفر
ولو كره اي وكراهيتهم واقعة فهي جملة في موضع الحال وقوله تعالى اذ تستغيثون
الاية اذ متعلقة بفعل تقديره واذكر اذ وهو الفعل الاول الذي عمل في
قوله واذ يعدكم وقال الطبري هي متعلقة بيحق ويبطل قال القاضي ابو محمد
ويصح ان تعمل فيها يعدكم فان الوعد كان في وقت الاستغاثة وقرا ابو عمرو
بادغام الذال في التاء واستحسنها ابو حاتم وتستغيثون معناه تطلبون الغوث
وليس يبين من الفاظ هذه الاية ان المومنين علموا قبل القتال بكون الملائكة
معهم فان استجاب يمكن ان يقع في غيبه تعالى وقد روي انهم قد علموا ذلك قبل
القتال لمعنى التانيس وتقوية القلوب يقتضي ذلك وقرا جمهور الناس اني بفتح
الالف وقرا ابو عمرو في بعض ما روي عنه وعيسى بن عمر بخلاف اني بكسر الالف

اي قال اني ممدكم اي مكثركم ومقويكم من أمدّ يمدّ وقرا جمهور الناس بالف
وقرا عاصم الجحدري بالف بألُف على مثال فلس وأفلس فهي جمع الف والاشاره
بها الى الالف المذكوره في ال عمران وقرا عاصم الجحدري ايضا بالاف ومردفين
معناه متبعين ويحتمل ان يراد بالمردفين المومنين اي اردفوا بالملايكه فمردفين على
هذا حال من الضمير في قوله ممدكم ويحتمل ان يراد به الملايكه اي اردف بعضهم بعض
وهذه القراه بفتح الدال هي قراه نافع وجماعه من اهل المدينه وغيرهم وقرا سائر
السبعه غير نافع مردفين بكسر الدال وهي قراه الحسن ومجاهد والمعنى فيها تابع بعضهم
بعضا وروي عن ابن عباس خلف كل ملك ملك وهذا معنى التتابع يقال ردف واردف
اذا اتبع وجا بعد الشي ويحتمل ان يراد مردفين للمومنين ويحتمل ان يراد مردفين بعضهم
بعضا ومن قال مردفين بمعنى ان كل ملك اردف ملكا وراه فقول ضعيف لم
تات بمقتضاه روايه وقرا رجل من اهل مكه رواه عنه الخليل مُردّفين بفتح
الراء وكسر الدال وشدها وروي عن الخليل ايضا بضم الراء كالتي قبلها في غير ذلك
وقرا بعض الناس بكسر الرا مثلها في غير ذلك حكى ذلك ابو عمرو عن سيبويه وحكاه
ابو حاتم قال كانه قال مرتدفين فادغم واتبع الحركه وحسن مع هذه القراه
كسر الهمزه ولا احفظه قراه وانشد الطبري شاهدا على اردف بمعنى جا تابعا

اذا الجوزا اردفت الثريا ظننت بال فاطمه الظنونا

والثريا تطلع قبل الجوزا وروي في الاشهر ان الملايكه قاتلت يوم بدر
واختلف غيره من شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لم تقاتل
يوم بدر وانما وقفت وحضرت وهذا ضعيف وحكى الطبري عن علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه انه قال نزل جبريل في الف ملك على ميمنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيها ابو بكر ونزل ميكاييل في الف ملك في الميسره وانا فيها
وقال ابن عباس كانوا في خمس مايه وقال الزجاج قال بعضهم ان الملايكه خمسه
آلاف وقال بعضهم تسعه الاف وفي هذا المعنى احاديث غير مستوعبه في

كان

كتاب المسيره وقوله تعالى وما جعله الله الا بشرى الضمير في جعله عايد على
الوعد قال القاضي ابو محمد وهذا عندي امكن الاقوال من جهة المعنى وقال
الزجاج ان الضمير عايد على المدد ويحتمل ان يعود على الامداد وهذا احسن مع
قول من يقول ان الملايكه لم تقاتل وانما اثبتت حضورها مع المسلمين قال القاضي
ابو محمد وهذا عندي قول ضعيف ترده الاحاديث الوارده بقتال الملايكه
وما راى من ذلك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كابن مسعود وغيره ويحتمل ان
يعود على الارداف وهو قول الطبري وهذا ايضا يجري مجرى القول الذي قبله ويحتمل
ان يعود على الالف وهذا ايضا كذلك لان البشرى بالشي انما هي بما لم يقع بعد
والبشرى مصدر من بشر والطمانينه السكون والاستقرار وقوله وما النصر
الا من عند الله توقيف على ان الامر كله لله وان تكسب المرء لا يغني اذا لم يساعده
القدر وان كان مطلوبا بالجد كما ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
درعين وهذه القصه كلها من قتال الكفار وغلبة المومنين لهم تليق بها من
صفات الله عز وجل العزه والحكمه اذ انا مراد ذلك قوله تعالى اذ يغشيكم
النعاس امنه منه وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به ويذهب عنكم رجز
الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملايكه
اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق
الاعناق واضربوا منهم كل بنان العامل في اذ هو العامل الذي عمل في قوله واذ
يعدكم بتقدير تكراره لان الاشتراك في العامل الاول نفسه [illegible] الاحرف
عطف واما القصد ان تعدد نعمه الله على المومنين في يوم بدر واذكروا اذ
فعلنا بكم كذا اذ فعلنا كذا اذ فعلنا كذا وقال الطبري العامل في اذ قوله
ولتطمين قال القاضي ابو محمد وهذا مع احتماله فيه ضعف ولو جعل العامل
في اذ شيا قريبا مما قبلها لكان الاولى في ذلك ان يعمل في اذ حكيم لان القا
النعاس عليهم وجعله امنه حكمه من الله عز وجل وقرا نافع يغشيكم بضم اليا

وسكون الغين وهي قراءة الاعرج وابي جعفر وابن نصاح وقرا عاصم وحمزة وابن عامر
والكسائي يغشيكم بضم الياء وفتح الغين وشد الشين المكسورة وهو قراءة عروة بن الزبير
والحسن وابي رجاء وعكرمة وغيرهم وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بفتح الياء
والف بعد الشين وهي قراءة مجاهد واهل مكة النعاس بالرفع وحجة من قرا
يغشاكم اجماعهم في اية احد على تغشى طايفة منكم وحجة من قرا يغشيكم ان يجي
الكلام متسقا مع ينزل ومعنى يغشيكم يغطيكم به ويفرغه عليكم وهذه
استعارة والنعاس اخف النوم وهو الذي قد يصيب الانسان وهو واقف او
ماش وينص على ذلك قصص هذه الاية انهم انما كان بهم خفق بالرؤس وقول
النبي صلى الله عليه وسلم اذا نعس احدكم في صلاته الحديث وينص على ذلك
قول الشاعر وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنايم وقوله
امنة مصدر من امن الرجل يامن امنا وامنة وامانا والهاء فيها لتانيث المصدر
كما هي في المساءة والمشقة وقرا ابن محيصن امنة بسكون الميم وروي عن عبد الله
ابن مسعود انه قال النعاس عند حضور القتال علامة امن من العدو وهو من الله
وهو في الصلاة من الشيطان قال القاضي ابو محمد وهذا انما طريقه الوحي
فهو لا محالة يسنده وقوله وينزل عليكم من السماء ماء تعديد ايضا لهذه
النعمة في المطر فقال بعض المفسرين وحكاه الطبري عن ابن عباس وغيره وقاله الزجاج
ان الكفار يوم بدر سبقوا المومنين الى ماء بدر فنزلوا عليه وبقي المومنون لا
ماء لهم فوجست نفوسهم وعطشوا واجنبوا وصلوا كذلك فقال بعضهم
في نفوسهم بالقاء الشيطان اليهم نزعم انا اولياء الله وفينا رسوله وحالنا
هذه والمشركون على الماء فانزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشر من رمضان
حتى سالت الاودية فشرب الناس وتطهروا وسقوا الظهر وتدمثت السبخة
التي كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها اقدام المسلمين وقت القتال
وكانت قبل المطر تسوخ فيها الارجل فلما نزل الطش تلبدت قال فهذا معنى

قوله

قوله ليطهركم به اي من الجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان اي عذابه لكم
بوساوسه المتقدمة الذكر والرجز العذاب وقرا ابو العالية رجس الشيطان
بالسين اي وساوسه التي تمقت وتستقذر وقرا ابن محيصن رجز بضم الراء وقرا
عيسى ابن عمر ويذهب بجزم الباء وليربط على قلوبكم اي يشجعها ويزيل الكسل
عنها ويشجعها على العدو ومنه قولهم رابط الجاش اي ثابت النفس عند
جاشها في الحرب ويثبت به الاقدام اي في الرملة الدهسة التي كان المشي
فيها صعبا قال القاضي ابو محمد والصحيح من القول وهو الذي فسر ابن اسحق
وغيرها ان المومنين سبقوا الى الماء ببدر وفي هذا وقع كلام حباب بن المنذر
الانصاري حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اول ماء فقال له حباب
ابوحي يا رسول الله هذا المنزل فليس لنا ان نتقدمه ولا نتاخر عنه ام هو منزل
الراي والمكيدة الحديث المستوعب في السير قال القاضي ابو محمد
ولكن نزول المطر كان قبل وصولهم الى الماء وذلك ان القوم المومنين لحقتهم في
سفرهم الجنابات وعدموا الماء قريب بدر فصلوا كذلك فوقع في نفوسهم
من ذلك وسوس الشيطان لهم في ذلك مع تخويفه لهم من كثرة العدو وقلتهم
وهذا قبل التراءي بالاعين وايضا فكانت بينهم وبين ماء بدر مسافة طويلة
من رملة دهس لين تسوخ فيه الارجل وكانوا يتوقعون ان يسبقهم الكفار
الى ماء بدر ويحرصون ان يسبقوهم اليه فانزل الله تلك المطرة فسالت الاودية
فاغتسلوا وطهرهم الله واذهب رجز الشيطان وتدمثت الطريق وتلبدت
تلك الرملة فسهل المشي فيها وامكنهم الاسراع حتى سبقوا الى الماء ووقع في
السير ان ما اصاب المشركين من ذلك المطر بعينه صعب عليهم طريقهم
وتبينوا من فعل الله لهم ذلك قصد المعونة لهم فطابت نفوسهم واجتمعت
وتشجعت فذلك الربط على قلوبهم وتثبيت اقدامهم منهم على الرملة اللينة
فاملكهم لحاق الماء قبل المشركين قال القاضي ابو محمد وهذا احسن ما تحمله

قوله ويثبت به الاقدام والضمير في به على هذا الاحتمال عائد على الماء ويحتمل
ان يعود الضمير في به على ربط القلوب فيكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة
في موطن الحرب وبين ان الرابط الجاش يثبت قدمه عند مكافحة الهول
قال القاضي ابو محمد ونزول الماء كان في الزمن قبل تغشية النعاس ولم يترتب كذلك
في الاية اذ القصد منها تعديد النعم فقط وحكى ابو الفتح ان الشعبي قرا وينزل عليكم
من السما ما ليطهركم به قال وهي بمعنى الذي **قال القاضي ابو محمد** وهذا ضعيف
وقرا ابن المسيب ليطهركم به بسكون الطاء **وقوله تعالى** اذ يوحي ربك الى الملائكة
الاية العامل في اذ العامل الاول على ما تقدم فيما قبلها ولو قدرناه قريبا لكان
قوله ويثبت على تاويل عود الضمير على الربط واما على عوده على الماء فيقلق ان
تعمل ويثبت في اذ ووحي الله تعالى الى الملائكة اما بالهام او بارسال بعض الى
بعض وقرا عيسى ابن عمر بخلاف عنه اني معكم بكسر الالف على استيناف ايجاب القصة
وقرا جمهور الناس اني بفتح الالف على انها معمولة ليوحي ووجه الكسر ان الوحي في معنى
القول **وقوله** فثبتوا يحتمل ان يكون بالقتال معهم على ما روي ويحتمل بالحضور
في حربهم والتانيس لهم بذلك ويحتمل ان يريد بمكنتهم باقوال مونسة مقوية للقلب
وروي في ذلك ان بعض الملائكة كان في صورة الادميين وكان احدهم يقول
للذي يليه لقد بلغني ان الكفار قالوا لين حمل المسلمون علينا لننكشفن ويقول
اخر ما ارى الغلبة والظفر الا لنا ويقول اخر اقدم يا فلان ونحو هذا من الاقوال
المثبتة **قال القاضي ابو محمد** ويحتمل ايضا ان يكون التثبيت الذي امر به
ما يلقيه الملك في قلب الانسان بلمته من توهم الظفر واحتقار الكفار ويجري
عليه من خواطر تشجيعه ويقوي هذا التاويل مطابقته قوله تعالى سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب وان كان القا الرعب يطابق التثبيت على اي صورة كان
التثبيت ولكنه اشبه بهذا اذ هي من جنس واحد **قال القاضي ابو محمد**
وعلى هذا التاويل يجي قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب مخاطبة للملائكة ثم

يجي

يجي قوله فاضربوا فوق الاعناق لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر عن صورة
الحال كما تقول اذا وصفت حربا لمن تخاطبه لقينا القوم وهزمناهم فاضرب
بسيفك حيث شئت واقتل وخذ اسيرك اي هذه كانت صورة
الحال **قال القاضي ابو محمد** ويحتمل ان يكون سالقي الى اخر الاية خبرا يخاطب
به المومنين عما يفعله بالكفار في المستقبل كما فعله في الماضي ثم امرهم بضرب
الرقاب والبنان تشجيعا لهم وحضا على نصرة الدين وقرا الاعرج الرعب
بضم العين والناس على تسكينها واختلف الناس في قوله فوق الاعناق فقال الاخفش
فوق زايدة وحكاه الطبري عن عطية ان المعنى فاضربوا الاعناق وقال غيره
هي بمعنى على وقال عكرمة مولى ابن عباس هي على بابها واراد الروس اذ هي فوق
الاعناق وقال المبرد وفي هذا اباحة ضرب الكافر في الوجه **قال القاضي**
ابو محمد وهذا التاويل انبلها ويحتمل عندي ان يريد فوق الاعناق وصف
المضربات لعنق واحكمها وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ودون عظم الراس
في المفصل وينظر الى هذا المعنى قول دريد بن الصمة السلمي حين قال خذ سيفي
وارفع به عن العظم واخفض عن الدماغ فهكذا كنت اضرب اعناق الابطال
ومنه قول الشاعر جعلت السيف بين الجيد منه وبين اسيل خديه عذارا
فيجي على هذا فوق الاعناق متمكنا وقال ابن قتيبة في هذه الاية معنى دون
وهذا خطا بين وانما دخل عليه اللبس من قوله ما بعوضة فما فوقها اي فما دونها
قال القاضي ابو محمد وليست فوق هنا بمنزلة دون وانما المراد فما فوقها في القلة
والصغر فاشبه المعنى دون والبنان قالت فرقة البنان الاصابع وهذا هو
القول الصحيح فعلى هذا التاويل وان كان الضرب في كل موضع مباحا فانما قصد ابلغ
المواضع لان المقاتل اذا قطع بنانه استاسر ولم ينتفع بشي من اعضائه في مكافحة
وقتال **قال القاضي ابو محمد** ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله
ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار

يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم
يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فية فقد باء بغضب من الله وماواه
جهنم وبئس المصير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنون داخلون فيه
بالمعنى والضمير في انهم عائد على الذين كفروا او شاقوا معناه خالفوا ونابذوا وقطعوا
وهو ماخوذ من الشق وهو القطع والفصل بين شيئين وهذه مفاعلة فكان الله
تعالى لما شرع شرعا وامر باوامر وكذبوا هم وصدوا تباعد ما بينهم وانفصل
وانشق والشق ماخوذ من هذا الاية مع شقة الاخر باعدا او انفصالا وعبر
المفسرون عن قوله شاقوا اي صاروا في شق غير شقه قال القاضي ابو محمد وهذا
وان كان معناه صحيحا فتحرير الاشتقاق انما هو ما ذكرناه والمثال الاول انما هو الشق
بفتح الشين واجمعوا على الاظهار في شاقوا اتباعا لخط المصحف وقوله فان الله شديد
العقاب جواب للشرط تضمن وعيدا وتهديدا وقوله ذلكم فذوقوه المخاطبة للكفار
اي ذلكم الضرب والقتل وما اوقع الله بهم يوم بدر فكانه قال الامر ذلكم فذوقوه
وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلكم في موضع نصب كقوله زيدا فاضربه وقرا الجمهور
الناس وان بفتح الالف واما على تقدير وحتم ان فيقدر ابتدا محذوف ويكون ان
خبره وقال سيبويه التقدير الامر ذلكم واما على تقدير واعلموا ان فهي على
هذا في موضع نصب وروى سليمان عن الحسن ابن ابي الحسن وان على القطع والاستيناف
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الاية زحفا يراد به
متقابلي الصفوف والاشخاص اي يزحف بعضهم الى بعض واصل الزحف الاندفاع
على الالية وسمي كل ماش الى اخر في الحرب رويدا زاحفا اذ في مشيته من التمهل
والتباطو ما في مشي الزاحف ومن الزحف الذي هو الاندفاع قولهم لنار العرفج
وما جرى مجراه في سرعة الايقاد نار الزحفتين ومن التباطو في المشي قول الشاعر
كانهن بايدي القوم في كبد طير تكشف عن جون مزاحيف ومنه قول الفرزدق
على عمائمنا تلقى وارحلنا على مزاحيف تزجى مخها رير ومنه قول الاخر

من

لمن الضعاين يسير هن زحيف ه ومن التزحف بمعنى التدافع قول الهذلي في صفة
منهل كان مزاحيف الحيات فيه قبيل الصبح اثار السياط ه وامر
الله عز وجل في هذه الاية ان لا يولي المومنون امام الكفار وهذا الامر مقيد
بالشريطة المنصوصة في مثلي المومنين فاذا لقيت فية من المومنين فية هي
ضعف المومنة من المشركين فالفرض ان لا يفروا امامهم والفرار هنالك كبيرة
موبقة بظاهر القران والحديث واجماع الاكثر من الامة والذي يراعى العدد
حسب ما في كتاب الله وهذا قول جمهور الامة وقالت فرقة منهم ابن الماجشون
في الواضحة يراعى ايضا الضعف والقوة والعدة فيجوز على قولهم ان يفر مائة
فارس امام مائة فارس اذا علموا ان عند المشركين من العدة والنجدة والبسالة
ضعف ما عندهم واما امام اقل واكثر بحسب ذلك واما على قول الجمهور
فلا يحل فرار مائة الا امام ما زاد على مايتين والعبارة بالدبر في هذه الاية متمكنة
وقرا الحسن ابن ابي الحسن دبره بسكون الباء واختلف المتاولون في المشار اليه
بقوله يومئذ فقالت فرقة الاشارة الى يوم بدر وما وليه وفي ذلك اليوم
وقع الوعيد بالغضب على من فر وقد فر الناس يوم احد فعفا الله عنهم وقال
الله فيهم يوم حنين ثم وليتم مدبرين ولم يقع على ذلك تعنيف قال القاضي ابو محمد
وقال الجمهور من الامة الاشارة بيومئذ الى يوم اللقاء الذي يتضمنه قوله اذا
لقيتم وحكم الاية باق الى يوم القيامة بشرط الضعف الذي بينه الله تعالى في اية
اخرى وليس في الاية نسخ واما يوم احد فانما فر الناس من اكثر من ضعفيهم
ومع ذلك عنفوا لكون رسول الله فيهم وفرارهم عنه واما يوم حنين فكذلك
من فر انما انكشف امام الكثرة وحمل ان عفو الله عمن فر يوم احد كان عفوا
عن كبيرة ومتحرفا لقتال يراد به الذي يرى ان فعله ذلك انكى للعدو واعود
عليه بالشر ونصبه على الحال وكذلك نصب متحيزا واما الاستثناء فهو من المولين
الذين تضمنهم من وقال قوم الاستثناء هو من انواع التولي قال القاضي

ابو محمد ولو كان ذلك لوجب ان يكون المتحرف والمتحيز الى الفئه هاهنا الجماعه
من الناس الحاضره للحرب هذا على قول الجمهور في ان الفرار من الزحف كبيره
واما على القول الاخر فتكون الفئه المدينه والامام وجماعه المسلمين حيث
كانوا وروي هذا القول عن عمر رضي الله عنه انه قال اني فئتكم ايها المسلمون
قال القاضي ابو محمد وهذا منه على جهه الحيطه على المومنين اذ كانوا في ذلك الزمن
يثبتون لاضعافهم مرارا وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريره قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا السبع الموبقات وعدّ فيها الفرار
من الزحف وباء معناه نهض متحملا للثقل المذكور في الكلام غضبا كان او نحوه
والغضب من صفات الله عز وجل اذا اخذ بمعنى الاراده فهي صفه ذات واذا
اخذ بمعنى اظهار افعال الغاضب على العبد فهي صفه فعل وهذا المعنى اشبه
بهذه الايه والماوى الموضع الذي ياوي اليه الانسان قوله تعالى فلم
تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المومنين
منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين هذه
مخاطبه للمومنين اعلم الله بها ان القتله من المومنين ليس هم مستبدين بالقتل
لان القتل والاقتدار عليه والخلق والاختراع في جميع الاشياء انما هي لله تعالى
ليس للقاتل فيها شي وانما يشارك بتكسبه وقصده وهذه الفاظ ترد على من يقول
بان افعال العباد خلق لهم وسبب هذه الايه فيما روي ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل فقال فعلت
كذا وفعلت كذا فجا من ذلك تفاخر ونحو ذلك فنزلت الايه وقوله وما
رميت اذ رميت يراد به ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله
يوم بدر وذلك انه اخذ قبضات من حصى وتراب فرمى بها في وجوه القوم وتلقاهم
ثلاث مرات فانهزموا عند اخر رميه ويروى انه قال يوم بدر شاهت
الوجوه وهذه الفعله ايضا كانت يوم حنين بلا خلاف وروي ان التراب

الذي

الذي رمى به لم يبق كافر الا دخل في عينيه منه شي وروي انه رمى بثلاثه
احجار فكانت الهزيمه مع الحجر الثالث قال القاضي ابو محمد فيحتمل قوله تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ما قلناه في قوله فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وذلك منصوص في الطبري وغيره وهو خارج في كلام العرب على معنى
وما رميت الرمي الكافي اذ رميت ونحوه قول العباس بن مرداس فلم
اعط شيا ولم امنع ؛ اي لم اعط شيا مرضيا وهذا الكثير ويحتمل ان يريد وما
رميت الرعب في قلوبهم اذ رميت حصياتك ولكن الله رماه وهذا منصوص
ايضا في المهدوي وغيره ويحتمل ان يريد وما اغنيت اذ رميت حصياتك ولكن
الله رمى اي اعانك واظفرك والعرب تقول في الدعا رمى الله لك اي اعانك وصنع
لك وحكى هذا ابو عبيده في كتاب المجاز وقرات فرقه ولكن بتشديد النون
وفرقه ولكن الله بتخفيفها ورفع الله ه وليبلي اي ليصيبهم ببلا حسن فظاهر
وصفه بالحسن يقتضي انه اراد الغنيمه والظفر والعزه وقيل اراد الشهاده لمن
استشهد يوم بدر وهم اربعه عشر رجلا منهم عبيده بن الحارث بن عبد المطلب
ومهجع مولى عمر ومعاذ وعمرو ابنا عفرا وغيرهم ان الله سميع لاستغاثتكم
عليم بوجه الحكمه في جميع افعاله لا اله الا هو قال القاضي ابو محمد وحكى
الطبري ان المراد بقوله وما رميت اذ رميت رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحربه على ابي بن خلف يوم احد قال القاضي ابو محمد وهذا ضعيف
لان الايه نزلت عقب بدر وعلى هذا القول تجي اجنبيه مما قبلها وبعدها
وذلك بعيد وحكى ايضا ان المراد السهم الذي رمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حصن خيبر فسار في الهوا حتى اصاب ابن ابي الحقيق فقتله وهو على فراشه
قال القاضي ابو محمد وهذا فاسد وخيبر وفتحها ابعد من احد بكثير والصحيح
في صوره قتل ابن ابي الحقيق غير هذا فهذان القولان ضعيفان لما ذكرناه وقوله
ذلكم اشاره الى ما تقدم من قتل الله ورميه اياهم وموضع ذلكم من الاعراب

رفع قال سيبويه التقدير الامر ذلكم وقال بعض النحويين يجوز ان يكون في موضع نصب
بتقدير فعل ذا لكم وان معطوف على ذلكم ان يكون خبر ابتداء مقدر تقديره وحتم
ويحتمل
وسابق وثابت ونحو هذا وقرات فرقة وان بكسر الهمزة على القطع والاستيناف
وموهن معناه مضعف مبطل يقال وهن الشي يهن مثل وعد يعد ويقال وهن
يهن مثل ولي يلي وقرى فيما وصفوا الما اصابهم بكسر الهاء وقرا حمزة والكسائي
وابن عامر وابو بكر عن عاصم موهن كيد منونا من اوهن وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن
كيد من وهن وقرا حفص عن عاصم موهن كيد بكسر الدال على الاضافة وذكر
الزجاج ان فيها اربعة اوجه فذكر هذه القراات الثلاثة وزاد موهن كيد
بتشديد الهاء والاضافة الا انه لم ينص الها قراه **قوله تعالى** ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم
شيا ولو كثرت وان الله مع المومنين يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا
تولوا عنه وانتم تسمعون قال بعض المتاولين هذه الاية مخاطبة للمومنين
الحاضرين يوم بدر قال الله لهم ان تستفتحوا فقد جاءكم اي تطلبوا الفتح وهو الحكم
بينكم وبين الكفار فقد جاءكم وقد حكم الله لكم وان تنتهوا عما فعلتم من الكلام
في امر الغنايم وما شجر بينكم فيها وعن تفاخركم بافعالكم من قتل وغيره فهو خير لكم
وان تعودوا لهذه الافعال نعد لتوبيخكم ثم اعلمهم ان الفئة وهي الجماعة لا تغني وان
كثرت الا بنصر الله تعالى ومعونته ثم انسهم بقوله وايجابه انه مع المومنين
وقال اكثر المتاولين هذه الاية مخاطبة للكفار اهل مكة وذلك انه روي ان
ابا جهل كان يدعو ابدا في محافل قريش ويقول اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف
فاهلكه واجعله المغلوب يريد محمدا صلى الله عليه وسلم واياهم وروي ان
قريشا الملعونين عند الخروج الى حماية العير تعلقوا باستار الكعبة واستفتحوا وروي
ان ابا جهل قال صبيحة يوم بدر اللهم انصر احب الفئتين اليك واظهر خير الدينين
عندك اللهم اقطعنا للرحم فاحنه الغداة ونحو هذا فقال الله لهم ان تطلبوا

الفتح

الفتح فقد جاءكم اي كما تريدونه عليكم لا لكم **قال القاضي ابو محمد** وفي هذا توبيخ
ثم قال لهم وان تنتهوا عن كفركم وغيكم فهو خير لكم ثم اخبرهم انهم ان عادوا للاستفتاح
عاد بمثل الوقعة يوم بدر عليهم ثم اعلمهم ان فئتهم لا تغني شيا وان كثرت ثم اعلمهم
انه مع المومنين وقالت فرقة من المتاولين قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
هي مخاطبة للمومنين وسائر الاية مخاطبة للمشركين كانه قال وانتم ايها الكفار ان
تنتهوا فهو خير لكم وقرا ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر وابو عمرو وحمزة والكسائي
وان الله بكسر الهمزة على القطع وقرا نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص ان بفتح
الالف فاما ان تكون في موضع رفع على خبر ابتداء محذوف واما في موضع نصب
باضمار فعل وانما ذكر الطبري من ان التقدير ولكثرتها ولان الله مع المومنين
محتمل المعنى وفي قراءة عبد الله بن مسعود ولو كثرت والله مع المومنين
وهذا يقوي قراءة من كسر الالف من ان **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله الاية الخطاب للمومنين المصدقين حدد عليهم الامر بطاعة الله
والرسول ونهوا عن التولي عنه وهذا قول الجمهور ويكون هذا متناصرا مع قول
من يقول الخطاب بقوله وان تنتهوا هو للمومنين فيجي الكلام من نمط واحد
في معناه واما على قول من يقول ان المخاطبة بان تنتهوا هي للكفار فيرى
ان هذه الاية انما نزلت بسبب اختلافهم في النفل ومجادلتهم في الحق
وكراهيتهم خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفاخرهم بقتل
الكفار والنكاية فيهم وقالت فرقة الخطاب بهذه الاية انما هو للمنافقين
والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم فقط **قال القاضي ابو محمد** وهذا وان
كان محتملا على بعد فهو ضعيف جدا لاجل ان الله تعالى وصف من
خاطب في هذه الاية بالايمان والايمان التصديق والمنافقون لا يتصفون من التصديق
بشي وقيل ان الخطاب لبني اسرايل وهذا اجنبي من الاية وتولوا اصله تتولوا
لانه فعل دخلت عليه تا المخاطب بالفعل المستقبل فحذفت الواحدة والمحذوف

هي ما تفعل والباقيه هي ما العلامه لان الحاجه اليها هنا اشد لشبه الفعل
مستقبلا **وقوله** وانتم تسمعون يريد دعاءه لكم بالقران والمواعظ والايات **وقوله**
كالذين قالوا يريد الكفار فاما من قريش لقولهم سمعنا لو نشا لقلنا مثل هذا واما
الكفار على الاطلاق الذين يقولون سمعنا القران وعلمنا انه سحر او شعر او اساطير
بحسب اختلافهم ثم اخبر الله عنهم خبرا ابنى به انهم سمعوا اي فهموا ووعوا لانه
لا خلاف انهم كانوا يسمعون التلاوه باذانهم ولكن صدورهم مطبقه لم يشرحها الله
عز وجل لتلقي معاني القران والايمان به **قوله تعالى** ان شر الدواب عند الله
الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون المقصود بهذه الاية ان يبين ان
هذه الصنيفه العاتيه من الكفار هي شر الناس عند الله عز وجل وانها في اخس
المنازل لديه وعبر بالدواب ليتاكد ذمهم ولتفضل عليهم الكلاب العقور والخنزير
ونحوهما من السبعه الفواسق وغيرها والدواب كل ما دب فهو يجمع الحيوان كله
وقوله الصم البكم عبارة عما في قلوبهم وقلة انشراح صدورهم وادراك عقولهم
فلذلك وصفهم بالصم والبكم وسلب العقل وروي ان هذه الاية نزلت في طائفه
من بني عبد الدار وظاهرها العموم فيهم وفي غيرهم ممن اتصف بهذه الاوصاف
ثم اخبر تعالى بان عدم سمعهم وهداهم انما هو بما علمه الله منهم وسبق من قضايه
عليهم فخرج ذلك عباره بليغه في ذمهم بقوله ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم اسماع تفهيم وهدى ثم ابتدا عز وجل الخبر عنهم بما هم عليه من حتمه
عليهم بالكفر فقال ولو اسمعهم اي ولو فهمهم لتولوا بحكم القضا السابق فيهم
ولاعرضوا عما تبين لهم من الهدى وحكى الطبري عن فرقه انها قالت المعنى لاسمعهم
الايات المنفقون وضعفه الطبري وكذلك هو ضعيف **وقوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا استجيبوا لله وللرسول الايه هذا الخطاب للمومنين المصدقين ه

واستجيبوا

واستجيبوا بمعنى اجيبوا ولكن عرف الكلام ان يتعدى استجاب بلام ويتعدى
اجاب دون لام وقد يجي تعدي استجاب بغير لام والشاهد **قول الشاعر**
وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب **وقوله**
لما يحييكم قال مجاهد والجمهور المعنى للطاعه وما تضمنه القران من اوامر ونواهي
وهذا احيا مستعار لانه من موات الكفر والجهل وقيل للاسلام وهذا نحو
الاول ويضعف من جهة ان من امره تعالى له ادخل في الاسلام وقيل لما
يحييكم معناه للحرب وجهاد العدو وهو يحيي بالعزه والغلبه والظفر
فيسمي ذلك حياة كما تقول حييت حال فلان اذا ارتفعت ويحيي ايضا كما
يحيي الاسلام والطاعه وغير ذلك بانه يودي الى الحياه الدايمه في الاخره
وقال النقاش المراد اذا دعاكم للشهاده **قال القاضي ابو محمد** فهذه
صله حياة الدنيا بحياة الاخره **وقوله** واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
يحتمل وجوها منها انه لما امرهم بالاستجابه في الطاعه حضهم على المبادره
والاستعجال فقال واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه بالموت والقبض اي
فبادروا الطاعات ويليق مع هذا التاويل قوله وانه اليه تحشرون اي
فبادروا الطاعات وتزودوها ليوم الحشر ومنها ان يقصد بقوله واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه اعلامهم ان قدرة الله واحاطته وعلمه والجه
بين المرء وقلبه حاصلة هناك حايله بينه وبين قلبه **قال القاضي ابو محمد**
فكان هذا المعنى حض على المراقبه والخوف لله المطلع على الضماير ويشبه على
هذا التاويل هذا المعنى قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وحكي هذا التاويل
عن قتاده ويحتمل ان يريد تخويفهم ان لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا لله
وللرسول بما حل بالكفار الذين ارادهم بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون لان حتمه عليهم لانهم لو سمعوا وفهموا لم ينتفعوا يقتضي انه قد
كان حال بينهم وبين قلوبهم فكانه قال للمومنين في هذه الاخرى استجيبوا لله

والرسول ولا تامنوا ان لم تفعلوا اي يبدلكم ما نزل بالكفار من الحول بينكم وبين
قلوبكم فتنة على ما جرى على الكفار بابلغ عبارة واعلقها بالنفس ومنها ان يكون
المعنى ترجيتهم بان الله تعالى يبدل الخوف الذي في قلوبهم من كثرة العدو فيجعله
جراة وقوة وبضد ذلك للكفار اي فان الله هو مقلب القلوب كما كان قسم النبي صلى
الله عليه وسلم ومنه لا حول ولا قوة الا بالله اي لا حول عن معصيته ولا قوة على
طاعته الا بالله وقال المفسرون في ذلك اقوالا هي اجنبية من الفاظ الاية حكاها
الطبري منها ان الله يحول بين المومن والكفر وبين الكافر والايمان ونحو هذا وقرا
ابن ابي اسحق بين المرء بكسر الميم ذكره ابو حاتم قال ابو الفتح وقرا الحسن والزهري
بين المرّ بفتح الميم وشد الراء المكسورة ثم وتحشرون اي تبعثون يوم القيامة
وروي من طريق مالك بن انس والنسائي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا
ابي بن كعب وهو في الصلاة فلم يجب واسرع في بقية صلاته فلما فرغ
جاءه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما سمعت فيما اوحي الي يا ايها الذين
امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فقال ابي لا جرم يا رسول
الله لا تدعوني الا اجبتك الحديث بطوله واختلفت الفاظه وفي البخاري
ومسلم ان ذلك وقع مع ابي سعيد ابن المعلى وروي انه وقع نحوه مع حذيفة
بن اليمان في غزوة الخندق **قوله تعالى** واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل
مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره
ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون هذه الاية تحتمل تاويلات اسبقها
الى النفس ان يريد الله ان يحذر جميع المومنين من فتنة ان اصابت لم تخص
الظلمة فقط بل تصيب الكل من ظالم وبريء وهذا التاويل تاول فيها الزبير بن
العوام رضي الله عنه فانه قال يوم الجمل ما علمنا انا اردنا بهذه الاية الا
اليوم وما كنت اظنها الا فيمن خوطب بها ذلك الوقت وكذلك تاول الحسن

البصري

البصري فانه قال هذه الاية في علي وعمار وطلحة والزبير وكذلك تاول ابن
عباس فانه قال امر الله المومنين في هذه الاية الا يقروا المنكر بين اظهرهم
فيعمهم العذاب وبينه القتبي فيما ذكر مكي عنه بيانا شافيا **قال القاضي ابو
محمد** فيجي قوله لا تصيبن على هذا التاويل صفة للفتنة فكان الواجب اذا
قدرنا ذلك ان يكون اللفظ لا تصيب وتلطف لدخول النون الثقيلة في الخبر
عن الفتنة فقال الزجاج زعم بعض النحويين ان الكلام فيه طرف من النهي
قال ومثله قوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم فالمعنى ان تدخلوا لا يحطمنكم
فكذلك هذا ان تتقوا لا تصيبن وقال قوم هو خبر بمعنى الجزاء فلذلك امكن
دخول النون وقال المهدوي وقيل هو جواب قسم مقدر تقديره واتقوا فتنة
والله لا تصيبن وجعلت النون مع لا حملا على دخولها مع اللام فقط **قال القاضي
ابو محمد** وفي هذا القول تكره لان جواب القسم اذا دخلته لا او كان منفيا في
الجملة لم تدخل النون واذا كان موجبا دخلته اللام والنون الشديدة كقولك
والله ليقومن زيد هذا هو قانون الباب ولكن معنى هذه الاية يستقيم مع الكراهة
الذي ذكرناه والتاويل الاخر في الاية هو ان يكون قوله واتقوا فتنة خطابا
عاما لجميع المومنين مستقلا بنفسه تم الكلام عنده ثم ابتدا نهي الظلمة خاصة
عن التعرض للظلم فتصيبهم الفتنة خاصة واخرج النهي على جهة المخاطبة
للفتنة فهو نهي محول وللعرب تفعل مثل هذا كما قالوا لا ارينك هاهنا
يريدون اي لا تقم هنا فتقع مني رؤيتك ولم يريدوا نهي الانسان الرائي نفسه
فكذلك المراد في الاية لا تقع من ظلمتكم ظلم فيقع من الفتنة اصابتهم خاصة
اليه الزجاج وهو قول ابي العباس المبرد وحكاه النقاش عن الفراء ونهي
الظلمة هاهنا بلفظ مخاطبة الجمع كما تقول القوم لا يفعل سفهاؤكم كذا وكذا
وانت انما تريد نهي السفهاء فقط وخاصة نعت لمصدر محذوف تقديره
اصابة خاصة فهي نصب على الحال لما انحذف المصدر وهي من الضمير في تصيبن

جرى

وهذا الفعل هو العامل ويحتمل أن يكون خاصة حالا من المضمر في ظلموا ولا يحتاج إلى
تقدير مصدر محذوف والأول أمكن في المعنى وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت
وأبو جعفر محمد بن علي والربيع بن أنس وأبو العالية لتصيبن باللام على جواب
قسم والمعنى على هذا وعيد للظلمة فقط قال أبو الفتح يحتمل أن يراد بهذه القراءة
لا تصيبن فحذف الألف من لا تخفيفا واكتفاء بالحركة كما قالوا أم والله ويحتمل
أن يراد بقراءة الجماعة لا تصيبن لتصيبن فمطلت حركة اللام فحدث عنها ألف
قال القاضي أبو محمد وهذا تنطع في التحميل وحكى النقاش هذه القراءة عن الزبير بن
العوام وهذا خلاف لما حكى الطبري وغيره من تأول الزبير رضي الله عنه في الآية وحكى
النقاش عن ابن مسعود واتقوا فتنة أن تصيب **وقوله** واعلموا أن الله شديد
العقاب وعيد يلتئم مع تأول الزبير والحسن التئاما حسنا ويلتئم مع سائر التأويلات
بوجوه مختلفة وروي عن علي بن سليمان الأخفش أن قوله لا تصيبن نهي على معنى الدعاء
ذكره الزهراوي **وقوله تعالى** واذكروا إذ أنتم قليل الآية هذه آية تتضمن تعديد
نعم الله تعالى على المؤمنين وإذ ظرف لمعمول واذكروا تقديره واذكروا حالكم
الكائنة أو الثابتة إذ أنتم قليل ولا يجوز أن تكون إذ ظرفا للذكر وإنما يعمل الذكر
في إذ لو قدرناها مفعولة واختلف الناس في الحال المشار إليها بهذه الآية فقالت
فرقة هي الحال في حال مكة في أول الإسلام والناس الذين يخاف تخطفهم
كفار مكة والمأوى على هذا التأويل المدينة والأنصار والتأييد بالنصر وقعة
بدر وما انجر معها في وقتها والطيبات الغنائم وسائر ما فتح الله عليهم به
وقالت فرقة الحال المشار إليها هي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يخوف من بعضهم والمأوى على هذا والتأييد بالنصر هو الإمداد بالملائكة
والتغلب على العدو والطيبات الغنيمة **قال القاضي أبو محمد** وهذان التأويلان
يناسبان وقت نزول الآية لأنها نزلت عقب بدر وقال وهب بن منبه
وقتادة الحال المشار إليها حال العرب قاطبة فإنها كانت أعرى الناس أجساما

وأجوعهم

وأجوعهم بطونا وأقلهم حالا ونعما والناس الذين يخاف تخطفهم على هذا التأويل
فارس والروم والمأوى على هذا هو النبوة والشريعة والتأييد والنصر هو فتح
البلاد وغلبة الملوك والطيبات هي نعم المآكل والمشارب والملابس **قال
القاضي أبو محمد** وهذا التأويل يرده أن العرب كانت في وقت نزول هذه الآية
كافرة إلا القليل ولم تترتب الأحوال التي ذكرها هذا المتأول وإنما كان
يمكن أن يخاطب العرب بهذه الآية في آخر زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإن
تمثل أحد بهذه الآية لحالة العرب فتمثله صحيح وأما أن تكون حالة العرب هي
سبب الآية فبعيد لما ذكرناه **وقوله** لعلكم تشكرون ترج بحسب البشر متعلق
بقوله واذكروا **وقوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده
أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم
ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو
يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين هذا الخطاب
لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة وهو يجمع أنواع الخيانات قليلها وكثيرها قال الزهري
المعنى لا تخونوا بغلول الغنائم وقال الزهري وعبد الله بن قتادة سببها
أمر أبي لبابة وذلك أنه أشار لبني قريظة حين سفر إليهم إلى حلقه يريد بذلك
إعلامهم أنه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الذبح أي فلا تنزلوا ثم
ندم وربط نفسه بسارية من سواري المسجد حتى تاب الله عليه الحديث المشهور
وحكى الطبري أنه أقام سبعة أيام لا يذوق شيئا حتى تيب عليه وحكي أنه كان
لأبي لبابة عندهم مال وأولاد فلذلك نزلت واعلموا أنما أموالكم وأولادكم
فتنة وقال عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله سببها أن رجلا من المنافقين
كتب إلى أبي سفيان بن حرب يخبره من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
الآية فقوله يا أيها الذين آمنوا معناه أظهروا الإيمان ويحتمل أن يخاطب

المومنين حقا ان لا تفعلوا فعل ذلك المنافق وحكى الطبري عن المغيرة بن شعبة انه
قال نزلت هذه الاية في قتل عثمان رحمه الله قال القاضي ابو محمد يشبه
ان تمثل بالاية في قتل عثمان رضي الله عنه فقد كانت خيانة لله وللرسول وللامانات
والخيانة التنقص للشي باختفا وهي مستعملة في ان يفعل الانسان خلاف ما ينبغي من
حفظ امر ما مالا كان او سرا او غير ذلك والخيانة لله عز وجل هي في تنقص اوامره
في سر وخيانة الرسول تنقص ما استحفظ وخيانة الامانات هي تنقصها
واسقاطها والامانة كل الانسان يومن بها على ما استحفظ فقد ائتمن على دينه
وعباداته وحقوق الغير وقيل المعنى وتخونوا ذوي اماناتكم واظن الفارسي
ابا علي حكاه وقوله وانتم تعلمون يريد ان ذلك لا يضر منه الا ما كان على تعمد
وقوله فتنة يريد محنة واختبارا وابتلا ليرى كيف العمل في جميع ذلك وقوله
وان الله عنده اجر عظيم يريد فلا تدعوا حظكم منه للحيطة على اموالكم واولادكم
فان المرجو للاخرة اعظم قدرا من مكاسب الدنيا وقوله وتخونوا قال الطبري يحتمل
ان يكون داخلا في النهي كانه على هذا اجزم قال لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا
اماناتكم فمكانه على هذا اجزم ويحتمل ان يكون المعنى لا تخونوا الله والرسول فذلك خيانة
لاماناتكم فموضعه على هذا النصب على تقدير وان تخونوا اماناتكم كما قال الشاعر
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم ∴ وقرا مجاهد وابو عمرو
ابن العلا فيما روي عنه ايضا وتخونوا امانتكم على افراد الامانة وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله الاية وعد للمومنين بشرط الاتقا والطاعة له
ويجعل لكم فرقانا معناه فرقا بين حقكم وباطل من ينازعكم اي بالنصر والتاييد عليهم
والفرقان مصدر من فرق بين الشيئين اذا حال بينهما او خالف حكمهما ومنه قوله تعالى
يوم الفرقان وعبر قتادة وبعض المفسرين عن الفرقان هاهنا بالنجاة وقال السدي
ومجاهد معناه مخرجا ونحو هذا مما يعمه ما ذكرناه وقد يوجد للعرب استعمال
الفرقان كما ذكر المفسرون ومن ذلك قول مزرد بن ضرار ∴ بادر الافق ان يغيب

فلما

فلما اظلم الليل لم تجد فرقانا وقال الاخر ما لك من طول الاسى فرقان
بعد قطين رحلوا وبانوا وقال الاخر وكيف ارجي الخلد والموت طالبي وما لي
من كاس المنية فرقان وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية
يشبه ان يكون قوله واذ معطوفا على قوله اذ انتم قليل وهذا تذكير بحال مكة
وضيقها مع الكفرة وجميل صنع الله تعالى في جميعها ويحتمل ان يكون ابتدا كلام وهذا
كله على ان الاية مدنية كسائر السورة وهذا هو الصواب وحكى الطبري عن عكرمة
ومجاهد ان هذه الاية مكية وحكى عن ابن زيد انها نزلت عقب كفاية الله المستهزئين
بما احله بكل واحد منهم الحديث المشهور ويحتمل عندي قول عكرمة ومجاهد هذه
مكية ان اشار الى القصة لا الى الاية والمكر المخاتلة والتداهي تقول فلان
يمكر بفلان اذا كان يستدرجه ويسوقه الى هوة وهو يظهر جميلا او يستتر بما يريد
ويقال اصل المكر الفتل ذكره ابن فورك فكان الماكر بالانسان يفتله حتى
يوقعه ومن المكر الذي هو الفتل قولهم الجارية المعتدلة اللحم ممكورة ومكر
قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم كان تدبيرهم ما يسوءه وسعيهم في فساد حاله
واطفا نوره وتدبير قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الخصال
الثلاث لم يزل قديما من لدن ظهوره لكن اعلامهم لا يسمى مكرا وما استسروا
به هو المكر وقد ذكر الطبري بسنده ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
يا محمد ما دار به قومك قال يريدون ان يقتلوني او يسجنوني او يخرجوني قال
ابو طالب من اعلمك هذا قال ربي قال ان ربك لرب صدق فاستوص به خيرا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هو يا عم يستوصي بي خيرا قال القاضي ابو
محمد وهذا المكر الذي ذكره الله في هذه الاية هو باجماع من المفسرين
اشارة الى اجتماع قريش في دار الندوة وبحضر ابليس في صورة شيخ نجدي
على ما نص ابن اسحاق في سيرته الحديث بطوله وهو الذي كان خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة بسببه ولا خلاف ان ذلك كان بعد موت

ابي طالب ففي القصص ان ابا جهل قال الراي ان ناخذ من كل بطن في قريش فتى جلدا
فيجتمعون ثم ياخذ كل واحد منهم سيفا ويأتون محمدا في مضجعه فيضربونه ضربة رجل
واحد فلا تقدر بنو هاشم على قتال قريش باسرها فياخذون العقل ونستريح منه
فقال النجدي صدق الفتى هذا الراي لا ارى غيره فافترقوا على ذلك فاعلم الله بذلك
نبيه صلى الله عليه وسلم واذن له في الخروج الى المدينة فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ليلته وقال لعلي بن ابي طالب التف في بردي الحضرمي واضطجع
في مضجعي فانه لا يضرك شي ففعل علي وجا فتيان قريش فجعلوا يرصدون الشخص
وينتظرون قيامه فيثورون عليه فلما قام راوا عليا فقالوا له اين صاحبك
قال لا ادري وفي السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم في طريقه
فطمس الله عيونهم عنه وجعل على راس كل واحد منهم ترابا ومضى لوجهه
فجاءهم رجل فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال اني رايته الان جائيا من ناحيتكم
وهو لا محالة وضع التراب على رووسكم فمد كل واحد منهم يده الى راسه وجاووا
الى مضجع النبي صلى الله عليه وسلم فوجدوا عليا فركبوا وراءه حينئذ كل
صعب وذلول وهو بالغار ومعنى ليثبتوك اي ليسجنوك فيثبت قاله
السدي وعطا وابن ابي كثير وقال ابن عباس ومجاهد معناه ليوثقوك
وقال الطبري وقال اخرون المعنى ليسحروك وقرا يحيى بن وثاب فيما ذكر ابو
عمرو الداني ليثبتوك ولهذه ايضا تعديه بالتضعيف وحكى النقاش عن يحيى
ابن وثاب انه قرا ليبيتوك من البيات وهذا اخذ معنى القتل مصحف من
هذه الجهة وقال ابو حاتم معنى ليثبتوك اي بالجراحة كما تقال اثبتته الجراحة
وحكاه النقاش عن اهل اللغة ولم يسم احدا **وقوله** ويمكر الله معناه يفعل
افعالا منها تعذيبهم وعقوبتهم ومنها ما هو ابطال لمكرهم ورده ودفع في
صدره وحتى لا ينجع فسمي ذلك كله باسم الذنب الذي جا ذلك من اجله ولا حسن
في هذا المعنى الا هذا واما ان يضاف المكر الى الله على ما يفهم منه في اللغة فغير

جاير

جاير ان يقال وقد ذكر ابن فورك في هذا اما يقرب من هذا الذي صححناه
واما قولنا ويمكر الله كما تقول لمن رجل شتم الامير فقتله الامير هذا هو
الشتم فتسمى العقوبة باسم الذنب **وقوله** خير الماكرين اي اقدرهم واعزهم
جانبا **قال القاضي ابو محمد** وفي هذه الجهة اعني القدرة والعزة تقع التفضيل
لان مكرة الكفار ليس قدرة مما يقع المفضل لمشاركتهم لها واما من جهة
الصلاح الذي فيما يفعله الله تعالى ولا اشتراك بالكفار بصلاح فيتعذر التفضيل
على مذهب سيبويه والبصريين الا على ما قد بيناه في الفاظ العموم مثل خير واوجب
ونحوها اذ لا تخلو من اشتراك ولو على معتقد من فرقة او من واحد **وقوله تعالى**
واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشا لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير
الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ايتنا بعذاب اليم الضمير في عليهم عايد على الكفار والايات هنا ايات
القران خاصا بقرينه قوله تتلى وقد سمعنا يريد قد سمعنا هذا المتلو لو نشا لقلنا
مثله او قد سمعنا نظيره على ما روي ان النضر سمع احاديث اهل الحيرة من
العباد لو نشا لقلنا مثله من القصص والانبا ان هذه انما هي اساطير من
تقدم اي قصصهم المكتوبة المسطورة والاساطير جمع اسطورة ويحتمل ان
يكون جمع اسطار ولا يكون جمع اسطر كما قال الطبري لانه كان يجي اساطير
دون يا هذا هو قانون الباب وقد شذ منه شي كصيرف قالوا في جمعه
صياريف والذي تواترت الروايات عن ابن جريج والسدي وابن جبير انه قال
قايل هذه المقالة هو النضر بن الحارث وذلك انه كان كثير السفر الى فارس
والحيرة فكان قد سمع من قصص الرهبان والاناجيل وسمع من اخبار رستم
واسفنديار فلما سمع القران ورأى فيه اخبار الانبيا والامم قال لو شيت
لقلت مثل هذا وكان النضر من مردة قريش النايلين من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونزلت فيه ايات كثيرة من كتاب الله تعالى وقتله رسول الله

صلى الله عليه وسلم صبرا بالصفرا منصرفه من بدر في موضع يقال له الاثيل وكان
اسره المقداد فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه قال المقداد
اسيري يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في كتاب
الله تعالى ما قد علمتم ثم اعاد الامر بقتله فاعاد المقداد مقالته حتى قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذي
اردت فضربت عنق النضر وحكى الطبري عن سعيد ابن جبير ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قتل يوم بدر صبرا ثلاثة نفر المطعم بن عدي والنضر بن الحرث
وعقبة بن ابي معيط قال القاضي ابو محمد وهذا وهم عظيم في خبر المطعم
فقد كان مات قبل يوم بدر وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان
المطعم حيا وكلمني في هاولاء النتنى لتركتهم له يعني اسرى بدر قوله تعالى واذ
قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية روي عن مجاهد وابن جبير
وعطا والسدي ان قايل هذه المقالة هو النضر بن الحارث الذي تقدم ذكره
وفيه نزلت هذه الاية قال القاضي ابو محمد ويترتب ان يقول النضر مقالة
وينسبها القران الى جميعهم لان النضر كان فيهم موسوما بالنبل والفهم مسكونا
الى قوله فكان اذا قال امرا قاله منهم كثير واتبعوه عليه حسبما يفعله الناس
ابدا بعلمايهم وفقهايهم والمشار اليه بهذا هو القران وشرع محمد صلى الله
عليه وسلم والذي حملهم على هذه المقالة هو الحسد وذلك انهم استبعدوا ان
يكرم الله عليهم محمدا بهذه الكرامة وعميت بصايرهم عن الهدى وصمموا
على ان هذا ليس بحق فقالوا هذه المقالة كما يقول الانسان لاخر قد حقق بزعمه
انه لم يكن ان كان كذا وكذا فاصنع الشي وصنع وحكى ابن فورك ان هذه المقالة
خرجت مخرج العناد مع علمهم بانه حق وكذلك الزم بعض اهل اليمن معوية بن ابي سفين
القصة المشهورة في باب الاجوبة وحكاه الطبري عن محمد بن قيس ويزيد بن
رومان قال القاضي ابو محمد وهذا بعيد من التاويل ولا يقول هذا على جهة العناد

عاقل

عاقل ويجوز في العربية رفع الحق على انه خبر هو والجملة خبر كان قال الزجاج
ولا اعلم احدا قرا بهذا الجايز وقراه الناس انما هي بنصب الحق على ان يكون خبر كان
ويكون هو فصلا وهو حينيذ اسم وفيه معنى الاعلام بان الذي بعده خبر وليس
بصفة وامطر انما يستعمل في المكروه ومطر في الرحمة كما قال ابو عبيدة
قال القاضي ابو محمد ويعارض هذا قوله هذا عارض ممطرنا لانهم ظنوها
سحابة رحمة وقولهم من السما مبالغة واغراق وهذان النوعان اللذان
اقترحوهما السالفان في الامم عافانا الله وعفا عنا ولا اضلنا بمنه ويمنه
قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما
كانوا اولياه ان اولياوه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون قالت فرقة
نزلت هذه الاية كلها بمكة وقالت فرقة نزلت كلها بعد وقعة بدر حكاية
عما مضى وقال ابن ابزى نزل قوله وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم بمكة اثر قولهم او ايتنا بعذاب اليم ونزل قوله وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون عند خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة في طريقه
الى المدينة وقد بقي بمكة مومنون يستغفرون ونزل قوله وما لهم الى اخر الاية
بعد بدر عند ظهور العذاب عليهم قال القاضي ابو محمد واجمع المتاولون
على ان معنى قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ان الله عز وجل لم يعذب امة
ونبيها بين اظهرها اما كان ليعذب هذه وانت فيهم بل كرامتك لديه اعظم
كان اراه عن ابي زيد سمعت من العرب من يقول ما كان الله ليعذبهم بفتح اللام
وهي لغة غير معروفة ولا مستعملة في القران واختلفوا في معنى قوله وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون فقال ابن عباس وابن ابزى وابو مالك والضحاك ما
مقتضاه ان الضمير في قوله معذبهم يعود على كفار مكة والضمير في قوله وهم
عايد على المومنين الذين بقوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اي

وما كان الله ليعذب الكفار والمؤمنون بينهم قال القاضي ابو محمد ويدفع في صدر
هذا القول ان المؤمنين الذين ردّ الضمير عليهم لم يجر لهم ذكر وقال ابن عباس ايضا
ما مقتضاه ان يعاد الضمير ان عائد ان على الكفار وذلك انهم كانوا يقولون في دعائهم
غفرانك ويقولون لبيك لا شريك لك ونحو هذا مما هو دعاء واستغفار فجعله
تعالى امنة من عذاب الدنيا وعلى هذا تركب قول ابي موسى الاشعري وابن عباس ان
الله جعل من عذاب الدنيا امنتين كون الرسول عليه السلام مع الناس والاستغفار
فارتفعت الواحدة وبقي الاستغفار الى يوم القيمة وقال قتادة الضمير للكفار
وقوله وهم يستغفرون جملة في موضع الحال ان لو كانت فالمعنى وما كان الله
معذبهم وهم بحال توبة واستغفار من كفرهم ان لو وقع ولكن ذلك منهم والحالة
الطبري ثم حسن الزجر والتوقيف بعد هذا بقوله وما لهم ان لا يعذبهم وقال
الزجاج ما معناه ان الضمير في قوله وهم عائد على الكفار والمراد به من قد سبق له في علم
الله ان يسلم ويستغفر فالمعنى وما كان الله ليعذب الكفار وفيهم من يستغفر
ويؤمن في ثاني حال وحكاه الطبري عن ابن عباس وقال مجاهد في كتاب الزهراوي
المراد بقوله وهم يستغفرون ذرية المشركين يومئذ الذين سبق في علم الله انهم
مؤمنين فالمعنى وما كان الله ليعذبهم وذريتهم يستغفرون ويؤمنون فنسب
الاستغفار اليهم اذ ذريتهم منهم وذكره مكي ولم ينسبه وفي الطبري عن فرقة ان معنى
يستغفرون يصلون وعن اخرى يسلمون ونحو هذا من الاقوال التي تتقارب مع
قول قتادة وقوله عز وجل وما لهم الا يعذبهم الله توعد بعذاب الدنيا فيقتضيه
وما ملكهم او بدر بعده ونحو هذا من الافعال التي توجب ان يكون ان في موضع نصب
وقال الطبري تقديره وما يمنعهم من ان يعذبوا والظاهر في قوله وما لهم انها استفهام
على جهة التقرير والتوبيخ والسؤال وهذا افصح في القول واقطع لهم في الحجة ويصح
ان تكون ما نافية ويكون القول اخبارا اي وليس لهم ان لا يعذبوا وهم يصدون وقوله
وهم يصدون على التاويلين جملة في موضع الحال ويصدون في هذا الموضع معناه

يمنعون

يمنعون غيرهم وهو متعدٍ كما قال صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس
مجراها اليمينا ⁂ وقد يجي صدّ غير متعدٍ كما انشد ابو علي صددت خليدة
عنا ما كلمنا ⁂ والضمير في قوله اولياءه عائد على الله عز وجل من قوله يعذبهم الله
او على المسجد الحرام كل ذلك جيد وروى الاخضر عن الحسن والضمير الاخر تابع للاول
وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون انهم ليسوا باوليائه بل يظنون انهم اولياؤه وقوله
اكثرهم ونحن نجد كلهم بهذه الصفة لفظ خارج اما على ان يقول الله لفظ خصوص
اريد به العموم وهذا كثير في كلام العرب ومنه ما حكى سيبويه رحمه الله من قولهم قل من
يقول ذلك وهم يريدون لا يقوله احد واما ان يقول انه اراد بقوله اكثرهم ان يعلم
ويشعر ان بينهم وفي جملتهم قوم قد خرجوا الى الايمان ووقع لهم علم وان كان ظاهرهم
الكفر فاستثناهم من الجميع بقوله اكثرهم وكذلك كانت حال مكة واهلها فقد كان
فيهم العباس وام الفضل وغيرهما وحكى الطبري عن عكرمة قال الحسن ابن ابي الحسن
ان قوله وما لهم الا يعذبهم الله ناسخ لقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
قال القاضي ابو محمد وفي هذا نظر لانه خبر لا يدخله نسخ قوله تعالى وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قرا الجمهور
وما كان صلاتهم بالرفع عند البيت الا مكاء بالنصب وتصدية كذلك وروي
عن عاصم انه قرا صلاتهم بالنصب الا مكاء وتصدية بالرفع وروي عن سليمان الاعمش
بخلاف عنه فيما حكى ابو حاتم وذكره ابو علي عن الاعمش انه قال في قراءة عاصم ان
لحن عاصم تلحن انت قال ابو الفتح وقد روي الحرف كذلك عن ابان ابن تغلب
قال قوم وهذه القراءة خطا لانه جعل الاسم نكرة والخبر معرفة قال ابو حاتم
فان قيل ان المكاء والتصدية اسم جنس واسم الجنس معرفا ومنكرا واحد
في التعريف قيل ان استعماله هكذا لا يجوز الا في ضرورة شعر كما قال حسان
كان سبيئة من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء ⁂ ولا يقاس على
ذلك واما ابو الفتح فوجه هذه القراءة بما ذكرناه من تعرف اسم الجنس

وبعد ذلك رجح قراءة الناس قال ابو علي الفارسي واما ذهب من ذهب الى هذه القراءة
لما راى الصلاة مؤنثة وراى الفعل المسند اليها ليس فيه علامة تانيث فاراد تعليقه
بمذكر وهي المكاء واخطا في ذلك فان العرب تعلق الفعل لا علامة فيه بالمؤنث
ومنه قوله تعالى واخذ الذين ظلموا الصيحة وقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
وكيف كان عاقبة المفسدين ونحو هذا مما اسند فيه الفعل دون علامة الى المؤنث
والمكاء على وزن الفعال الصفير قاله ابن عباس والجمهور وقد يكون بالفم وقد يكون
بالاصابع والكف في الفم قاله مجاهد وابو سلمة بن عبد الرحمن وقد يشارك الانف
تقول مكا يمكو اذا صفر ومنه قول عنترة وحليل غانية تركت مجدلا
تمكو فريصته كشدق الاعلم ومنه قول الشاعر فكانما تمكو اما عصم عاقل
يصف رجلا قرله جوار ومنه قول الطرماح فنحا لاولاها بطعنة محفظ
تمكو جوانبها من الانهار ∴ ومكت است الدابة اذا صفرت ولا تمكوا
الا وهي مكشوفة ومن هذا قيل للاست مكوة قال ابو علي كالمرة في مكا متعلقة عن
واو قال القاضي ابو محمد ومن هذا قيل للطائر المكاء لانه يمكو اي يصفر في
تغريده ووزنه فعال بشدة العين كخطاف والاصوات في الاكثر تجي على فعال
بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والدعاء والجوار والنباح ونحوه وروي عن
قتادة ان المكاء ضرب بالايدي وذلك ضعيف وروي عن ابي عمرو انه قرا الا مكا
بالقصر والتصدية عبر عنها اكثر الناس بانها التصفيق وقتادة بانها الضجيج
والصياح وسعيد بن جبير بانها الصد والمنع ومن قال انها التصفيق قال كان
للمنع عن ذكر الله ومعارضة لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم للقران والتصدية
يمكن ان يكون من صدى يصدي اذا صوت والصدى الصوت ومنه قول الطرماح يصف
لها كلما ريعت صداة وركدة بمصدان اعلى ابني شمام البوائن فيلتئم على هذا
الاشتقاق قول من قال هو التصفيق وقول من قال هو الضجيج ولا يلتئم عليه قول
من هو الصد والمنع الا ان يجعل التصويت انما يقصد به المنع فسر اللفظ بالمقصود

لا بما

لا بما خصه من معناه ويمكن ان تكون التصدية من صد يصد استعمل الفعل مضعفا
للمبالغة والتكثير لا للتعدي فقيل صدد ودليل ان الفعل الذي يتعدى اذا ضعف
فانما يضعف للتكثير اذ التعدي حاصل قبل التضعيف وذلك نحو قوله وغلقت
الابواب والذي يضعف ليتعدى هو كقولهم علم وعزم فاذا قلنا في صد صدد
فعل في الصحيح يجي مصدره في الاكثر على تفعيل وفي المعتل على تفعلة مثل كمل
تكميلا وتكملة وغير ذلك بخلاف المعتل فانه يجي في الاكثر على تفعلة مثل عزى تعزية
وفي الشاذ على تفعيل مثل قول الشاعر باتت تنزي دلوها تنزيا ∴ واذا
كان فعل في الصحيح تشترك فيه المثلان رفض فيه تفعلة مثل قوله تصدية
وصير الى قوله تفعيل لحول الما بين المثلين تخفيف وتشديدا فلما سلكوا في مصدر
صدد المسلك المرفوض اصلح ذلك بان ابدل احد المثلين ياء كما لهم في تظنيت ونحوه
فجا تصدية فعلى هذا الاشتقاق يلتئم قول من قال التصدية الصد عن البيت والمنع
ويمكن ان يكون التصدية من صد يصد بكسر الصاد في المستقبل اذا ضج ويدل
على هذا احد المثلين ومنه قوله تعالى اذا قومك منه يصدون بكسر الصاد ذكره
النحاس وذهب اكثر المفسرين الى ان المكاء والتصدية انما احدثها الكفار عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقطع عليه وعلى المؤمنين قراءتهم وصلاتهم ويخلط
عليهم فكان المصلي اذا قام يقرا من المؤمنين اكتنفه من الكفار عن يمينه وشماله من يمكوا
ويصدي حتى يختلط عليه قراءته فلما نفى الله تعالى ولايتهم للبيت امكن ان يعترض
بان يقول وكيف لا يكون اولياءه ونحن نسكنه ونصلي عنده فقطع الله هذا
الاعتراض بان قال وما كان صلاتهم عند البيت الا المكاء والتصدية وهذا كما
يقول رجل انا افعل الخير فيقال له ما فعلك الخير الا ان تشرب الخمر وتقتل اي هذه
عادتك وغايتك قال القاضي ابو محمد والذي مر بي من امر العرب في غير ما ديوان
ان المكاء والتصدية كان من فعل العرب قديما قبل الاسلام على جهة التقرب والتشرع
ورايت عن بعض اقويا العرب انه كان يمكو على الصفا فيسمع من جبل حرا وبينها

اربعة اميال وعلى هذا يستقيم تعييرهم وتنقيصهم بان شرعهم وصلاتهم وعبادتهم
لم تكن رهبة ولا رغبة انما كانت مكاء وتصدية من نوع اللعب ولكنهم كانوا يتردون
فيها وقت النبي صلى الله عليه وسلم ليشغلوه وامته عن القراءة والصلاة وقوله
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اشارة الى عذابهم ببدر بالسيف قاله الحسن وابن جريج
والضحاك فيلزم من هذا ان هذه الاية الاخيرة نزلت بعد بدر ولا بد قال
القاضي ابو محمد والاشبه ان الكل نزل بعد بدر حكاية عما مضى والله ولي التوفيق
برحمته قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل
الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون
قال بعض الرواة منهم ابن ابزى وابن جريج والسدي ومجاهد سبب
نزول هذه الاية ان ابا سفيان انفق في غزوة احد على الاحابيش وغيرهم اربعين
اوقية من ذهب او نحو هذا وان الاية نزلت في ذلك وقال ابن شهاب ومحمد بن
معاذ انه لما قتل من قتل ببدر اجتمع ابناؤهم وقراباتهم فقالوا لمن خلص ماله في
العير ان محمدا قد نال منا ما ترون ولكن اعينونا بهذا المال الذي كان سبب الوقعة
فلعلنا ان ننال منه ثارا ففعلوا فنزلت الاية في ذلك قال القاضي ابو محمد وعلى القولين
فانما انفق المال في غزوة احد فاخبر الله تعالى في هذه الاية خبرا لفظه عام
في الكفار والاشارة به الى مخصوصين انهم ينفقون اموالهم ليصدوا بذلك الصد
عن سبيل الله والدفع في صدر الاسلام ثم اخبر خبرا يخص المشار اليهم انهم سينفقونها
ثم تكون عليهم حسرة اذ لا تتم لهم ارادة ويذهب المال باطلا والحسرة التلهف
على الفائت ويحتمل ان تكون الحسرة في يوم القيامة والاول اظهر وان كان حسرة القيامة
راتبة عليهم ثم اخبر انهم يغلبون بعد ذلك كله بان تكون الدائرة عليهم وهذا
من اخبار القران بالغيوب لانه اخبر بما يكون قبل ان يكون فكان كما اخبر قال ابن سلام
من الله انهم سيغلبون قبل ان يقاتلوا بسنة حكاه الزهراوي ثم اخبر تعالى عن الكافرين
انهم يحشرون الى جهنم والحشر جمع الناس او البهائم او غير ذلك مما يجمع ويحشر ومنه

قوله

قوله وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ومنه في التفسير ان السلوى طائر كانت الجنوب
تحشره على بني اسرائيل والقوم الذين جلبهم ابو سفيان وانفق المال عليهم هم الاحابيش
من كنانة ولهم يقول كعب بن مالك وجئنا الى موج من البحر وسطه احابيش
منهم حاسر ومقنع ۞ ثلاثة الاف ونحن نصية ثلاث مئين ان كثرن واربع
وقال الضحاك وغيره ان هذه الاية نزلت في نفقة المشركين الخارجين الى بدر الذين
كانوا ينحرون يوما عشرا ويوما تسعا من الابل وحكى نحو هذا النقاش قوله
تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين
كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم
النصير قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر ليميز بفتح الياء وكسر الميم وهي قراءة
الاعرج وابي جعفر وشيبة بن نصاح وابي عبد الرحمن والحسن وعكرمة ومالك بن
دينار تقول مزت الشيء والعرب تقول ميزته فلم يتميز حكاه يعقوب في
شاذ القراءة وانمازوا اليوم وانشد ابو زيد لما ثنى الله عني شر عدوته وانمزت
لا انسيا ذعرا ولا وجلا ۞ وهو مطاوع ماز وقرا حمزة والكسائي ليميز بضم الياء
وهي قراءة قتادة وطلحة بن مصرف والاعمش والحسن ايضا وعيسى البصري تقول ميزت
اميز اذا فرقت بين شيئين فصاعدا وفي القران تميز من الغيظ وهو مطاوع ميز
ومعناه ينفصل وقال ابن عباس رضي الله عنه والسدي المعنى بالخبيث الكفار
وبالطيب المومنون قال القاضي ابو محمد واللام على هذا التاويل من قوله ليميز متعلقة
بيحشرون والمعنى ان الله يحشر الكافرين الى جهنم ليميز الكافرين من المومنين بان يجمع الكافرين
جميعا فيلقيهم في جهنم ثم اخبر عنهم انهم هم الخاسرون اي الذين خابت سعايتهم
وتبت ايديهم وصاروا الى النار وقال ابن سلام والزجاج المعنى بالخبيث المال
الذي انفقه المشركون في الصد عن سبيل الله والطيب هو ما انفقه المومنون

في سبيل الله **قال القاضي أبو محمد** واللام على هذا التأويل من قوله ليميز متعلقة بيغلبون
والمعنى أن الكفار ينفقون أموالهم فتكون عليهم حسرة ثم يغلبون مع نفقتها وذلك ليميز الله
الفرق بين الخبيث والطيب فيخذل أهل الخبيث وينصر أهل الطيب **وقوله تعالى**
على هذا التأويل ويجعل الخبيث بعضه على بعض إلى قوله في جهنم مترتب على ما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يخرج يوم القيامة من الأموال ما كان صدقة أو
قربة ثم يأمر بسائر ذلك فيلقى في النار وحكى الزهراوي عن الحسن أن الكفار يعذبون بذلك
المال فهي كقوله تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقاله الزجاج وعلى
التأويلين فقوله ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا إنما هي عبارة عن جمع
ذلك وضمه وتأليف أشتاته وتكاثفه بالاجتماع ويركمه في كلام العرب
يكثفه ومنه سحاب مركوم وركام ومنه **قول ذي الرمة** زع بالزمام
وجوز الليل مركوم **وقوله** ويجعل الخبيث معنى يلقي قاله أبو علي وأولئك
هم الخاسرون على هذا التأويل مراد بها المنفقون من الكفار ولفظة الخسارة
تليق بهم من جهة المال وبغير ذلك من الجهات **وقوله تعالى** قل للذين كفروا الآية
أمر من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار هذا المعنى الذي
تضمنته ألفاظ قوله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وسواء قاله النبي صلى
الله عليه وسلم في هذه العبارة أو غيرها ولو كان الكلام كما ذكر الكسائي أنه في
مصحف ابن مسعود قل للذين كفروا إن تنتهوا يغفر لكم لما تأدت الرسالة إلا بتلك
الألفاظ بعينها هذا بحسب ما تقتضيه الألفاظ **وقوله** إن ينتهوا يريد
به عن الكفر ولا بد والحامل على ذلك جواب الشرط بيغفر لهم ما قد سلف
ومغفرة ما قد سلف لا تكون إلا لمنته عن الكفر **وقوله** وإن يعودوا يريد به
إلى القتال لأن لفظة عاد يعود إذا جاءت مطلقة فإنما تتضمن الرجوع إلى حالة
قد كان الإنسان عليها ثم تنقل عنها ولسنا نجد في هذه الآية لهؤلاء الكفار
حالة تشبه ما ذكرنا إلا القتال ولا يصح أن يتأول وإن يعودوا إلى الكفر لأنهم

لم ينفصلوا عنه وإنما قلنا في عاد إذا كانت مطلقة لأنها قد تجيء في كلام
العرب داخلة على الابتداء والخبر بمنزلة صار وذلك كما تقول عاد زيد ملكا يريد
صار ومنه **قول أبي الصلت** تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد
أبوالا وهذه لا تتضمن الرجوع إلى حالة قد كان العائد عليها قبل لكنها
مقيدة بخبرها لا يجوز الاقتصار دونه فحكمها حكم صار **وقوله** فقد مضت سنة
الأولين عبارة تجمع الوعيد والتهديد والتمثيل بمن هلك في سالف الدهر بعذاب
الله حين صدق وجه نبيه وبمن هلك في يوم بدر بسيف الإسلام والشرع
فالمعنى فقد رأيتم يوم بدر وسمعتم عن الأمم ما حل بهم **قال القاضي أبو محمد** والتخويف
عليهم بقصة بدر أشد إذ هي القريبة منهم والمعاينة عندهم وعليها نص ابن إسحق
والسدي **وقوله تعالى** وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الآية أمر من الله عز وجل فرض
على المؤمنين أن يقاتلوا الكفار والفتنة قال ابن عباس وغيره معناها الشرك
وقال ابن إسحق معناها حتى لا يفتن أحد عن دينه كما كانت قريش تفعل بمكة بمن
أسلم كبلال وغيره وهو مقتضى قول عروة بن الزبير في جوابه لعبد الملك بن مروان
حين سأله عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا **وقوله** ويكون
الدين كله لله أي لا يشرك معه صنم ولا وثن ولا يعبد معه غيره وقال قتادة حتى
يقولوا كلمة الإخلاص لا إله إلا الله **قال القاضي أبو محمد** وهذه المعاني
تتلازم كلها وقال الحسن حتى لا يكون بلاء وهذا يلزم عنه القتال في فتن المسلمين
الفئة الباغية وعلى سائر ما ذكرنا من الأقوال يكون المعتزل في فسحة وعلى هذا التأويل
عبد الله بن عمر رضي الله عنه أما نحن فقد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وأما أنت وأصحابك
فتريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة **قال القاضي أبو محمد** فمذهب ابن عمر أن
الفتنة الشرك في هذه الآية وهو الظاهر وفسر هذه الآية قول النبي صلى الله عليه
وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني
دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ومن قال المعنى حتى لا يكون شرك فالآية عنده

يراد بها الخصوص فيمن لا تقبل منه جزية قال ابن سلام هي في مشركي العرب ثم
قال الله تعالى فان انتهوا اي عن الكفر فان الله بصير يعلمهم فيجازيهم عليه عدة توابه
وجميل المعاوضة عليه وقرا يعقوب بن اسحق وسلام بن سليمان بما تعملون بالتاء اي
قتالكم وجهدكم وجلادكم عن دينكم **وقوله تعالى** وان تولوا الاية معادل
لقوله فان انتهوا والمعنى فان انتهوا عن الكفر فالله مجازيهم او مجازيكم على قراءة
تعملون وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله ينصركم عليهم وهذا وعد محض بالنصر
والظفر اي فجدوا والمولى ها هنا الموالي والمعين والمولى في اللغة على معان هذا
هو الذي يليق بهذا الموضع منها والمولى الذي هو السيد المقترن بالعبد يعم المومنين
والمشركين **قوله تعالى** واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا
يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شي قدير موضع ان الثانية رفع
التقدير فحكمه ان وهي في موضع خبر الابتدا والغنيمة في اللغة ما يناله الرجل
او الجماعة بسعي من ذلك **قول الشاعر** ولقد طوفت في الافاق حتى رضيت
من الغنيمة بالاياب **وقال اخر** ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه انى
توجه والمحروم محروم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الرهن له
غنمه وعليه غرمه وقوله الصيام في الشتا هي الغنيمة الباردة فالشي
الذي يناله المسلمون من عدوهم بالسعي وايجاف الخيل والركاب غنيمة ولزم هذا
الاسم هذا المعنى حتى صار عرفيا له والفي ماخوذ من فا يفي اذا رجع وهو كل ما
دخل على المسلمين من غير حرب ولا ايجاف كخراج الارض وجزية الجماجم وخمس
الغنيمة ونحو هذا **قال القاضي ابو محمد** والروايات ايضا مال على حدته
احكامه منفردة دون احكام هذين قال سفين الثوري وعطا بن السايب الغنيمة
ما اخذ عنوة والفي ما اخذ صلحا وهذا قريب مما بيناه وقال قتادة الفي
والغنيمة شي واحد فيهما الخمس وهذه الاية التي في الانفال ناسخة لقوله في

سورة

سورة الحشر ما افا الله على رسوله من اهل القرى وذلك ان تلك كانت الحكم اولا
ثم اعطا الله اهلها الخمس فقط وجعلت الاربعة الاخماس في الغانمين **قال القاضي
ابو محمد** وهذا قول ضعيف بعض العلما على ضعفه وان لا وجه له من جهات منها
ان هذه السورة نزلت قبل سورة الحشر هذه ببدر وتلك في بني النضير حين جلوا
وهربوا واهل فدك حين دعوا الى الصلح ونال المسلمون مالهم دون ايجاف وحكى
ابن المنذر عن الشافعي ان في الفي الخمس وانكار ذلك قول غيره زمن النبي عليه السلام
وان اربعة اخماسها كان للرسول صلى الله عليه وسلم خاصة دون المسلمين يضعها
حيث شا وقال ابو عبيدة هذه الاية ناسخة لقوله في اول السورة قل الانفال
لله والرسول الاية ولم يخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم غنايم بدر فنسخ حكمه في ترك
التخميس هذه الاية **قال القاضي ابو محمد** ويظهر من قول علي ابن ابي طالب رضي الله
عنه في البخاري كانت لي شارف من نصيبي من المغنم ببدر وشارف اعطانيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخمس حينئذ ان غنيمة بدر خمست فان كان
ذلك فسد قول ابي عبيدة ويحتمل ان يكون الخمس الذي ذكر علي ابن ابي طالب من احدى
الغزوات بين بدر واحد فقد كانت غزوة بني سليم وغزوة السويق وغزوة ذي
امر وغزوة بحران ولم يحفظ فيها قتال ولكن يمكن ان غنمت غنايم والله اعلم **وقوله**
في هذه الاية من شي ظاهره عام ومعناه الخصوص فاما الناض والمتاع والاطفال
والنسا وما لا يوكل لحمه من الحيوان ويصح تملكه فليس للامام في جميع ذلك ما اكثر منه
وما قل كالخايط والمخيط الا ان ياخذ الخمس ويقسم الباقي في اهل الخمس واما الارض
فقال فيها مالك يقسمها الامام ان راى ذلك صوابا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر
او لا يقسمها ان اداه اجتهاده الى ان ذلك كما فعل عمر بارض مصر وسواد الكوفة
قال القاضي ابو محمد لان فعل عمر ليس بمخالف لفعل النبي صلى الله عليه وسلم اذ ليست
النازلة واحدة بحسب قرائن الوقت وحاجة الصحابة وقلتهم وهذا كله انعكس
في زمن عمر وانشا الرجال ومن شارف البلوغ من الصبيان فالامام عند مالك

وجمهور العلماء مخير فيهم على خمسة اوجه منها القتل وهو مستحسن في اهل الشجاعة
والنكاية ومنها الفداء وهو مستحسن في اهل المنصب الذي ليس بشجاع ولا يخاف
منه راي ومكيدة لانتفاع المسلمين بالمال الذي يوخذ منه ومنها المن وهو مستحسن
فيمن يرجى ان يحنوا على اسرى المسلمين ونحو ذلك من القراين ومنها الاسترقاق ومنها
ضرب الجزية والترك في الذمة واما الطعام والغنم ونحوهما مما يوكل فهو
مباح في بلد العدو ياكله الناس فما بقي منه كان في المغنم **قال القاضي ابو
محمد** واما اربعة اخماس ما غنم فيقسمه الامام على الجيش ولا يخص هذه الاية
ذكر القسمة فانا اختصره هنا واما الخمس فاختلف العلماء فيه فقال مالك رحمه الله
الراي فيه للامام يلحقه ببيت الفيء ويعطي من ذلك البيت لقرابة الرسول ما راه
كما يعطي منه اليتامى والمساكين وغيرهم وانما ذكر من ذكر على وجه التنبيه عليهم
لانهم من اهم من يدفع اليه قال الزجاج محتجا لمالك قال الله تعالى يسئلونك ماذا
ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن
السبيل وللرجل جائز باجماع ان ينفق في غير هذه الاصناف اذا راى ذلك وقالت فرقة
كان الخمس يقسم على ستة اصناف قسم لله وهو مردود على فقراء المسلمين او على
بيت الله وقسم للنبي صلى الله عليه وسلم وقسم لقرابته وقسم لساير من سمي
حكى القول منذر بن سعيد ورد عليه قال ابو العالية الرياحي سهم كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقبض من خمس الغنيمة قبضة فيجعلها للكعبة فذلك لله ثم
يقسم الباقي على خمسة قسم له وقسم لقرابته وقسم لساير من سمي وقال الحسن بن محمد
وابن عباس وابراهيم النخعي وقتادة والشافعي قوله فان لله خمسه استفتاح كلام
كما يقول الرجل لعبده قد اعتقك الله واعتقتك على جهة التبرك وتفخيم
الامر والدنيا كلها لله وقسم الله وقسم الرسول واحد وكان الرسول يقسم الخمس
على خمسة اقسام كما تقدم وقال ابن عباس ايضا فيما روى عنه الطبري الخمس مقسوم
على اربعة اقسام وسهم الرسول لقرابته وليس لله ولا للرسول شيء وقالت فرقة

قسم الرسول بعد موته مردود على اهل الخمس القرابة وغيرها وقالت فرقة هو مردود
على الجيش اصحاب الاربعة الاخماس وقال علي بن ابي طالب يلي الامام سهم الله ورسوله
وقالت فرقة هو موقوف ليسد العدد والكراع في سبيل الله قال ابرهيم النخعي
وهذا الذي اختاره ابو بكر وعمر فيه وقال اصحاب الراي الخمس بعد النبي صلى الله
عليه وسلم مقسوم ثلاثة اقسام قسم لليتامى وقسم للمساكين وقسم لابن السبيل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يورث فسقط سهمه وسهم ذوي القربى وحجتهم
فيه منع ابي بكر وعمر وعثمن لذوي القربى **قال القاضي ابو محمد** ولم يثبت المنع بل
عورض بنو هاشم بان قريشا قربى وقيل لم يكن في مدة ابي بكر مغنم وقال الشافعي يعطى
اهل الخمس منه ولا بد ويفضل الامام اهل الحاجة ولكن لا يحرم صنفا منهم حرمانا
تاما وقول مالك رحمه الله ان للامام ان يعطي الاحوج وان حرم الغير **قال القاضي
ابو محمد** وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخصوصا من الغنيمة بثلاثة
اشياء كان له خمس الخمس وكان له سهم رجل في ساير الاربعة الاخماس وكان له
صفي ياخذه قبل القسمة دابة او سيفا او جارية ولا صفي لاحد بعده باجماع الا
ما قاله ابو ثور من ان الصفي باق للامام وهو قول معدود في شواذ الاقوال
وذوو القربى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي بن الحسين وعبد الله
بن الحسن وابن عباس هم بنو هاشم فقط وقال مجاهد كان آل محمد لا تحل لهم الصدقة
فجعل لهم خمس الخمس وقال الشافعي هم بنو هاشم وبنو المطلب فقط وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان وجبير بن مطعم في وقت قسمه لهم
ولاحد ما فارقونا في جاهلية ولا اسلام **قال القاضي ابو محمد** كانوا مع بني هاشم
في الشعب وقالت فرقة قريش كلها ذو قربى وروي عن علي بن الحسين وعبد
الله بن محمد بن علي انهما قالا الاية كلها في قريش والمراد يتامى قريش ومساكينها
وقالت فرقة سهم القرابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم موقوف على قرابته
وقد بعثه اليهم عمر بن عبد العزيز الى بني هاشم وبني المطلب فقط وقالت فرقة

هو لقرابة الامام القائم بالامر وقال قتادة كان سهم ذوي القربى طعمة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر بعده وقاله الحسن ابن
ابي الحسن البصري وحكى الطبري ايضا عن الحسن انه قال اختلف الناس في هذين السهمين بعد
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تعالى فقوم سهم النبي عليه السلام للخليفة وقال قوم
سهم النبي عليه السلام لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وقال قوم سهم القرابة لقرابة
الخليفة فاجتمع رايهم ان يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة فكانا على ذلك مدة
ابي بكر وقال غير الحسن وعمر هو واليتامى الذين فقدوا اباهم من الصبيان واليتم في بني
ادم من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات والمساكين الذين لا شيء لهم وهو
ماخوذ من السكون وقلة الحراك وابن السبيل الرجل المجتاز الذي قد احتاج في سفره
وسواء كان غنيا في بلده او فقيرا فانه ابن سبيل سمي بذلك اما لان السبيل يبرزه فكانها
تلده واما لملازمته السبيل كما قالوا ابن ماء واخو سفر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة ابن زنا وقد تقدم هذا ام قال القاضي ابو محمد وقد اقتضت
فقه هذه الاية بحسب الاختصار والله المستعان قال القاضي ابو محمد
وما في قوله ما غنمتم بمعنى الذي وفي قوله غنمتم ضمير يعود عليها وحكي عن الفرا انه يجوز
ان يكون ما شرطية بتقدير انه ما وحذف هذا الضمير لا يجوز عند سيبويه الا
في الشعر ومنه ان من يدخل الكنيسة يوما .. وقرا الجمهور فان لله بفتح
الالف وقرا الجعفي عن ابي بكر عن عاصم وحسين عن ابي عمرو فان بكسر الهمزة وقرا
الحسن خمسه بسكون الميم وقوله تعالى ان كنتم امنتم بالله الاية قال الزجاج
عن فرقة المعنى فاعلموا ان الله مولاكم ان كنتم فان متعلقة بهذا الوعد وقال
ايضا عن فرقة انها متعلقة بقوله واعلموا انما غنمتم قال القاضي ابو محمد وهذا
هو الصحيح لان قوله واعلموا يتضمن الامر بالانقياد والتسليم لامر الله في الغنائم
فعلق ان بقوله واعلموا على هذا المعنى اي ان كنتم مومنين بالله فانقادوا وسلموا
امر الله فيما اعلمكم من حال قسمة الغنيمة وقوله وما انزلنا عطف على قوله

بالله والمشار اليه بما هو النصر والظهور الذي انزله الله يوم بدر على نبيه
واصحابه اي ان كنتم مومنين بالله وبهذه الايات والعظائم الباهرة
التي انزلت يوم بدر ويحتمل ان تكون الاشارة الى قران نزل يوم بدر او في
قصة يوم بدر على نكرة في هذا التاويل الاخير قال القاضي ابو محمد ويحتمل
ان يكون المعنى واعلموا انما غنمتم يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فان خمسه لكذا
وكذا ان كنتم امنتم اي فانقادوا الى ذلك وسلموا وهذا تاويل حسن في المعنى
ويعترض فيه الفصل بين الظرف وبين ما يتعلق به بهذه الجملة الكثيرة من الكلام
ويوم الفرقان معناه يوم الفرق بين الحق والباطل باعزاز الاسلام واذلال
الشرك والفرقان مصدر من فرق يفرق والجمعان يريد جمع المسلمين وجمع الكفار
وهو يوم الوقعة التي قتل فيها صناديد قريش ببدر لا خلاف في ذلك وعليه
نص ابن عباس ومجاهد ومقسم والحسن ابن علي وقتادة وغيرهم وكانت
يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة وهذا قول جمهور
الناس وقال ابو صالح لتسع عشرة وشك في ذلك عروة بن الزبير فقال لتسع عشرة
او سبع عشرة والصحيح ما عليه الجمهور وقوله عز وجل والله على كل شيء قدير
يعضد ان قوله وما انزلنا على عبدنا يراد به النصر والظفر اي الايات والعظائم
من غلبة القليل للكثير وذلك بقدرة الله عز وجل الذي هو على كل شيء قدير
قوله تعالى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب
اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان
مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم
العامل في اذ قوله التقى والعدوة شفير الوادي وحرفه الذي يتعذر المشي
فيه بمنزلة رجا البير لانها عدت ما في الوادي من ماء ونحوه ان يتجاوز الوادي
اي منعته ومنه قول الشاعر عدتني عن زيارتك العوادي وحالت دونها
حرب زبون ولانها ما عدى الوادي اي جاوزه وتسمى الصفة والفضا

المجاور للوادي عدوة للمجاورة وهذه هي العدوة التي في الآية وقرا نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي بالعدوة بضم العين وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر
العين وهما لغتان وقرا الحسن ابن ابي الحسن وقتادة وعمرو بالعدوة بفتح العين
ويمكن ان يكون تسمية بالمصدر وقال ابو الفتح الذي في هذا انها لغة ثالثة
كقولهم في اللبن رغوة ورغوة ورغوة وروى الكسائي كلمته بحضرة فلان وحضرته
وحضرته الى سائر نظائر ذكرها ابو الفتح كسر اسمها **وقوله** الدنيا والقصوى
انما هو بالاضافة الى المدينة وفي حرف ابن مسعود اذ انتم بالعدوة العليا وهم
بالعدوة السفلى ووادي بدر آخذ بين الشرق والقبلة منحرف الى البحر الذي هو قريب
من ذلك الصقع والمدينة من الوادي من موضع الوقعة منه في الشرق وبينهما
مرحلتان حدثني ابي انه راى هذه المواضع على ما وصفت وقال ابن عباس
بدر بين مكة والمدينة والدنيا من الدنو والقصوى من القصو وهو البعد
وكان القياس ان يجوز القصيا لكنه من الشاذ وقال الخليل في العين شذت
لفظتان وهما القصوى والقنوى وكان القياس فيهما بالياء كالدنيا والعليا
والركب بلجماع من المفسرين عير ابي سفيان ولا يقال ركب الا للركبان
الابل وهي من اسما الجمع وقد جمع راكب عليه كصاحب وصحب وتاجر وتجر
ولا يقال ركب لما كثر جدا من الجموع وقال القتيبي الركب العشرة
ونحوها وهذا غير جيد لان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال والثلاثة ركب
الحديث **وقوله** اسفل في موضع خفض بعد نزه في مكان اسفل كذا قال سيبويه
قال ابو حاتم نصب اسفل على الظرف ويجوز الركب اسفل على المعنى وموضع
الركب اسفل او والركب مستقر اسفل **قال القاضي ابو محمد** وكان الركب
ومدبر امره ابو سفين قد نكب عن بدر حين ندر بالنبي صلى الله عليه وسلم واخذ
سيف البحر فهو اسفل بالاضافة الى اعلا الوادي من حيث ياتي وقال مجاهد
في كتاب الطبري اقبل ابو سفين واصحابه من الشام تجارا لم يشعروا باصحاب

بدر ولم يشعر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ولا كفار قريش بمحمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى التقوا على ما بدر يستقي لهم كلهم فاقتتلوا فغلبهم
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاسروهم **قال القاضي ابو محمد** وفي هذا
تعقب وكان من هذه الفرق شعور من الوقوف على القصة كما هو لبين ولو
تواعدتم لاختلفتم في الميعاد قال الطبري وغيره المعنى لو تواعدتم على الاجتماع
ثم علمتم كثرتهم وقلتكم لخالفتم ولم تجتمعوا معهم وقال المهدوي المعنى
لاختلفتم بالقواطع والعوارض القاطعة بالناس **قال القاضي ابو محمد** وهذا
انبل واصح وايضاحه ان المقصد من الاية تبيين نعمة وقدرته في قصة بدر
وتيسيره ما يسر من ذلك فالمعنى اذ هيا الله لكم هذه الحال ولو تواعدتم
لها لاختلفتم الا مع تيسير الله الذي تمم الله ذلك وهذا كما تقول لصاحبك
في امر شاءه الله دون تعب كثير لو بنينا ولو بنينا على هذا وسعينا فيه لم يتم
هكذا ثم بين تعالى ان ذلك انما كان بلطف الله عز وجل ليقضي امرا اي لينفذ
ويظهر امرا قد قدره في الازل مفعولا لكم بشرط وجودكم في وقت
وجودكم وذلك كله معلوم عنده **وقوله تعالى** ليهلك من هلك عن
بينة الاية قال الطبري المعنى ليقتل من قتل من كفار قريش وغيرهم ببيان من
الله واعذار بالرسالة ويحيى ايضا ويعيش من عاش عن بيان منه ايضا
واعذار لا حجة لاحد عليه فالهلاك والحياة على هذا التاويل حقيقتان
وقال ابو اسحق وغيره معنى ليهلك اي ليكفر ويحيى اي ليومن فالهلاك
والحياة على هذا مستعاران والمعنى ان الله تعالى جعل قصة بدر عبرة واية
ليومن من امن عن وضوح وبيان ويكفر ايضا من كفر عن مثل ذلك وقرا الناس
ليهلك بكسر اللام الثانية وقرا الاعمش ليهلك بفتح اللام ورواها عصمة عن
ابي بكر عن عاصم والبينة صفة اي عن قضية بينة واللام الاولى في قوله ليهلك
رد على اللام في قوله ليقضي وقرا ابن كثير في رواية قنبل وابو عمرو وابن عامر وحمزة

والكسائي وعاصم في رواية حفص من حيّ بياء واحدة مشددة وقرأ نافع وابن كثير
في رواية البزي وعاصم في رواية أبي بكر من حيي بإظهار الياءين وكسر الأولى وفتح الثانية
قال من قرأ حيّ فلأن الياء قد لزمتها الحركة فصار الفعل بلزوم الحركة لها
مشبها للصحيح مثل عضّ وشمّ وكرّ ووجوه الأخرى أن حذف الياء من جوارٍ ووجوه
في الجر والرفع لا يطرد في حال النصب إذا قلت جواري لمشابهتها بالحركة سائر
الحروف للصحاح ومنه قوله تعالى كلا إذا بلغت التراقي وعلى حيّ جاء قول
الشاعر عيّوا بأمرهم كما عييت ببيضتها الحمامة ومنه قول لبيد
سألتني جارتي عن أمتي وإذا ما عيّ ذو اللب سأل وقول المتلمس فهذا أوان
العرض حيّ ذبابه زنابيره والأزرق المتلمس ويروى جنّ ذبابه قال أبو علي
وغيره هذا أن كل موضع يلزم الحركة فيه باء مستقبله فالإدغام فيه لأن
حركة النصب غير لازمة الأخرى أنها تزول في الرفع وتذهب في الجزم ولا يلتفت
إلى ما أنشد بعضهم لأنه بيت مجهول كأنها بين النساء سبيكة تمشي بسدة بيتها فتعيي
قال أبو علي وأما قراءة من قرأ حيي فبيّن ولم يدغم فإن سيبويه قال أخبرنا بهذه
اللغة يونس قال وسمعنا بعض العرب يقول أحيياء قال أبو حاتم القراءة إظهار
الياءين والإدغام حسن فاقرأ كيف تعلمت فإن اللغتين مشهورتان في كلام العرب
والخط فيه بياء واحدة قال القاضي أبو محمد وفي هذه اللفظة استوعب أبو
علي القول فيما تصرف من حيي كالحي الذي هو مصدر [illegible] وغيره قوله تعالى
إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن
الله سلّم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا
ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور
المهدوي نصبت بتقدير واذكر قال القاضي أبو محمد أو بدل من إذ
المتقدمة وهو أحسن وتظاهرت الروايات أن هذه الآيات نزلت في رؤيا
رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فيها عدد الكفار قليلا فأخبر بذلك

أصحابه

أصحابه فقويت نفوسهم وحرصوا على اللقاء فهذا معنى قوله في منامك أي
في نومك قاله مجاهد وغيره وروي عن الحسن أن معنى قوله في منامك في عينك
إذ هي موضع النوم وعلى هذا التأويل تكون الرؤية في اليقظة قال القاضي أبو محمد
وهذا القول ضعيف وعليه فسّر النقاش وذكره عن المازني والضمير على التأويلين
من قوله إذ يريكهم عائد على الكفار من أهل مكة ومما يضعف ما روي عن
الحسن أن معنى هذه الآية تتكرر في التي بعدها لأن النبي صلى الله عليه وسلم
مخاطب في الثانية أيضا وقد تظاهرت الرواية أن النبي صلى الله عليه وسلم
أنبته وقال لأصحابه أبشروا فقد نظرت إلى مصارع القوم ونحو هذا وقد كان
علم أنهم ما بين التسع مائة إلى الألف فكيف يراهم ببصره خلاف ما علم والظاهر
أنه رآهم في نومه قليلا قدرهم وحالهم وبأسهم مهزومين مصرعين ويحتمل أن
رآهم قليلا عددهم فكان تأويل رؤياه انهزامهم فالقلة والكثرة على الظاهر
مستعارة في غير العدد كما قالوا المرء كثير بأخيه إلى غير ذلك من الأمثلة
والفشل الخور عن الأمر إما بعد التلبس به وإما بعد العزم على التلبس
ولتنازعتم أي لتخالفتم وفي الأمر يريد في اللقاء والحرب وسلّم لفظ يعم كل
متخوف اتصل بالأمر أو عرض في وجهه فسلّم الله من ذلك كله وعبّر بعض
الناس بأن قال سلّم لكم أمركم ونحو هذا مما يندرج فيما ذكرناه ه
وقوله إنه عليم بذات الصدور أي بما فيكم وكفرهم فمجاز حسب ذلك
وقرأ الجمهور من الناس ولكنّ الله سلّم بشد النون ونصب المكتوبة وقرأت
فرقة ولكنِ الله برفع المكتوبة وقوله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم الآية وإذ
عطف على الأولى وهذه الرؤية هي في اليقظة بالإجماع وهي الرؤية التي كانت
حين التقوا ووقعت العين على العين والمعنى أن الله تعالى لما أراده من إنفاذ
قضائه في نصرة الإسلام وإظهاره قلّل كل طائفة في عين الأخرى فوقع الخلل
في التخمين والحزر الذي كان يستعمله الناس في هذا التخمين كل طائفة على الأخرى

وسبب اسباب الحرب وروي في هذا عن عبد الله ابن مسعود انه قال لقد قلت ذلك
اليوم لرجل الى جنبي اتظنهم سبعين قال بل هم مائة فلما هزمناهم اسرنا منهم رجلا
فقلنا كم كنتم قال الفا **قال القاضي ابو محمد** ويرد على هذا ما روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين سال عما ينحرون فاخبر انهم ينحرون يوما عشرا ويوما تسعا
قال هم ما بين التسع مائة الى الالف فاما ان عبد الله ومن جرى مجراه لم يعلم
بمقالة رسول الله واما ان يعرض التقليل الذي في الاية تقليل القدر والمهابة والمنزلة
والنجدة ويتقدم القول في مثل قوله ليقضي الله امرا كان مفعولا والامر المفعول
المذكور في الايتين هو القصة بجمعها وذهب بعض الناس الى انهما المعنيين
من معاني القصة والعموم اولى **وقوله** والى الله ترجع الامور تنبيه على ان الحول
بجمعه لله ورد كل امر فلله واكيد وقرا الحسن وعيسى ابن عمر والاعمش ترجع بفتح
التاء وكسر الجيم قال ابو حاتم وهي قراءة عامة الناس وقرا الاعرج وابن كثير وابو عمرو
ونافع وغيرهم ترجع بضم التاء وفتح الجيم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا
تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل
الله والله بما يعملون محيط هذا امر بما فيه داعية النصر وسبب العز وهي
وصية من الله متوجهة بحسب التقييد الذي في اية الضعف ويجري مع معنى
الاية قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية
فاذا لقيتموهم فاثبتوا **قال القاضي ابو محمد** وهكذا ينبغي ان يكون المسلم في
ولاية الامارة والقضاء لا يطلب ولا يتمنى فان ابتلي صبر على اقامة الحق والفئة
الجماعة اصلها فئوة وهي من فاوت اي جمعت ثم امر الله تعالى بما كان ذكره
هنالك اذ هو عصمة المستنجد ووزر المستعين قال قتادة افترض الله تعالى
ذكره عند ما يكونون عند الضراب بالسيوف **قال القاضي ابو محمد** وهذا الذكر

خفي

خفي لان رفع الصوت في موطن القتال ردي اذا كان الغاطا فاما ان كان من الجميع عند
الحملة فحسن فات في عضد العدو وقال قيس ابن عباد كان اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يكرهون الصوت عند ثلاث عند قراءة القران وعند الجنازة وعند
القتال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اطلبوا اجابة الدعا عند القتال واقامة
الصلوة ونزول الغيث وقال ابن عباس يكره التلثم عند القتال **قال القاضي
ابو محمد** ولهذا والله اعلم تستن المرابطون بطرحه عند القتال على صيانتهم
به ويفلحون تاولوا بعضكم وتبلغوا امالكم وهذا مثل **قول لبيد**
افلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريب **وقوله تعالى**
واطيعوا الله ورسوله الاية استمرار على الوصية لهم والاخذ على ايديهم
في اختلافهم في امر بدر وتنازعهم وتفشلوا نصب في جواب النهي قال ابو حاتم
في كتابي عن ابن هرمز فتفشلوا بكسر الشين وهذا غير معروف وقرا جمهور الناس
وتذهب بالتاء من فوق ونصب الباء وقرا هبيرة عن حفص عن عاصم ويذهب ريحكم
بالياء وجزم الباء وقرا عيسى ابن عمر ويذهب ريحكم بالياء من تحت وجزم تذهب
وقرا ابو حيوة ويذهب بالياء من تحت ونصب الباء ورواها ابان وعصمة
والجمهور على ان الريح هنا مستعارة والمراد بها النصر والقوة كما تقول الريح
لفلان اذا كان غالبا في امر ومن هذا المعنى **قول الشاعر** وهو عبيد بن
الابرص: كما حميناك يوم النعف من شطب والفضل للقوم من ريح ومن
عدد: وقال مجاهد والريح النصر والقوة وذهبت ريح اصحاب محمد
حين نازعوه يوم احد وقال زيد بن علي وتذهب ريحكم معناه الرعب
من قلوب عدوكم **قال القاضي ابو محمد** وهذا حسن بشرط ان يعلم العدو
بالتنازع واذا لم يعلم فالذاهب قوة المتنازعين فينهزمون **وقال شاعر الانصار**
قد عودتهم ظباهم ان يكون لهم ريح القتال واسلاب الذين لقوا: ومن استعارة
الريح **قول الاخر** اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل عاصفة سكون

وهذا اكثر ما يستعمل وقال ابن زيد وغيره الريح على بابها وروي في ذلك ان النصر لم يكن قط
الا بريح تهب فتضرب في وجوه الكفار واسند بعضهم في هذه المقالة ان النبي عليه
السلام قال نصرت بالصبا وقال الحكم وريحكم تعني الصبا اذ بها نصر محمد
صلى الله عليه وسلم وامته قال القاضي ابو محمد وهذا انما كان في غزوة
الخندق خاصة وقوله واصبروا الى اخر الآية تتميم في الوصية وعدة بنصره
وقوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الآية آية تتضمن الطعن على المشار
اليهم وهم كفار قريش بالحاح والبطر الاشر وغمط النعمة والشغل بالمرح
فيها عن شكرها والرياء المباهاة والتصنع بما يراه غيرك وهو فعال من رأى يرائي
سهلت همزته وروي ان ابا سفيان لما احس انه قد جاوز تغيره الخوف من النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه بعث الى قريش فقال ان الله قد سلم عيركم التي
خرجتم في نصرتها فارجعوا سالمين قد بلغتم مرادكم فاتى رأي الجماعة على ذلك فقال
ابو جهل والله لا نفعل حتى ناتي بدرا وكانت بدر سوقا من اسواق العرب لها
يوم موسم فننحر عليها الابل ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب
ويهابنا الناس قال القاضي ابو محمد فهذا معنى قوله تعالى ورئاء الناس ولهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان قريشا اقبلت بفخرها وخيلائها
تحادك وتكذب رسولك اللهم فاحنها الغداة وقال محمد بن كعب القرظي خرجت
قريش بالقيان والدفوف وقوله ويصدون عن سبيل الله اي غيرهم قال القاضي
ابو محمد لانهم احرى بذلك من ان يقتصر صدهم على انفسهم وقوله والله بما
يعملون محيط آية تتضمن الوعيد والتهديد لمن بقي من الكفار ونفوذ الكفار ونفوذ
القدر فيمن مضى بالقتل قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب اذ
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله

فان

فان الله عزيز حكيم هو التقدير واذكروا اذ والضمير في لهم عائد على الكفار والشيطان
ابليس نفسه وحكى المهدوي وغيره ان التزيين في هذه الآية وما بعدها من
الاقوال هي الوسوسة والمحادثة في النفوس قال القاضي ابو محمد ويضعف
هذا القول ان قوله واني جار لكم ليس مما يلقى بالوسوسة وقال الجمهور في ذلك
بما روي وتظاهر ان ابليس جاء كفار قريش ففي السير لابن هشام انه جاءهم بمكة
وفي غيرها انه جاءهم في طريقهم الى بدر وقد لحقهم خوف من بني بكر وكنانة لحروب كانت
بينهم فجاءهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو سيد من ساداتهم
فقال لهم اني جار لكم ولن تخافوا من قومي وهم لكم اعوان على مقصدكم ولن يغلبكم احد
فسروا عند ذلك ومضوا لطيتهم وقال لهم انتم تقاتلون عن دين الآباء ولن تعدموا نصرا
فروي انه لما التقى الجمعان كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما رأى الملائكة نكص فقال
له الحارث الى اين يا سراقة فلم يلو عليه ويروى انه قال له ما تضمنت الآية ويروى ان
عمير بن وهب او الحارث بن هشام قال له اين يا سراقة فلم يلو ومثل عدو الله فذهب
ووقعت الهزيمة فتحدثوا ان سراقة فر بالناس فبلغ ذلك سراقة بن مالك فاتى مكة
فقال لهم والله ما علمت بشيء من امركم حتى بلغتني هزيمتكم وما رأيتكم ولا كنت معكم
وحكى الطبري عن ابن عباس انه قال جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه
رايته في صورة رجل من بني مدلج فقال لا غالب لكم الآية واليوم ظرف والعامل
فيه معنى نفي الغلبة ويحتمل ان يكون العامل متعلق لكم ومنع ان يعمل غالب لانه كان يلزم
ان يكون لا غالبا وقوله واني جار لكم معناه فانتم في ذمتي وفي حمايتي وتراءت
تفاعلت من الرؤية اي رأى هؤلاء هؤلاء وقرأ الاعمش وعيسى بن عمر تريت مقصورة
وحكى ابو حاتم عن الاعمش انه امال والراء رققه ثم رجع عن ذلك وقوله نكص معناه
رجع من حيث جاء واصل النكوص في اللغة الرجوع القهقرى وقال زهير

٭ هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا ٭ لا ينكصون اذا ما استلحموا وحموا ٭ كذا
انشده الطبري وفي رواية الاصمعي اذا ما استلحموا وبذلك فسر الطبري هذه

الاية وفي ذلك بعد وانما رجوعه في هذه الاية مشبه بالنكوص الحقيقي وقال اللغويون
النكوص الاحجام عن الشي يقال اراد امرا ثم نكص عنه وقال تابط شرا ليس النكوص
على الادبار مكرمة ان المكارم اقدام على الاسل قال القاضي ابو محمد فليس
ها هنا قهقرى بل هو فرار وقال مورج نكص هي رجع بلغة سليم قال القاضي ابو
محمد وقوله على عقبيه يبين انه انما اراد الانهزام والرجوع في ضد اقباله وقوله
اني بري منكم هو خذلانه وانفصاله عنهم وقوله اني ارى ما لا ترون يريد الملائكة وهو
الخبيث انما شرطه ان لا غالب من الناس فلما راى الملائكة وخرق العادة خاف وفي
الموطا وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رئي الشيطان في يوم قل
ولا احقر ولا اصغر منه في يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما راى يوم
بدر قيل وما راى يا رسول الله قال راى الملائكة يزعها جبريل وقال
الحسن راى ابليس جبريل يقود فرسه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتجر ببرد
وفي يده اللجام وقوله اني اخاف الله قيل ان هذه معذرة منه كاذبة ولم
تلحقه قط مخافة قاله قتادة وابن الكلبي وقال الزجاج وغيره بل خاف
مما راى من الامر وهو له انه يومه الذي انظر اليه ويقوي هذا انه راى خرق
العادة ونزول الملائكة للحرب وحكى الطبري بسنده انه لما انهزم المشركون
يوم بدر حين رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبضة من التراب وجوه الكفار
اقبل جبريل عليه السلام الى ابليس فلما راه ابليس وكانت يده في يد رجل من
المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا فقال له الرجل اي سراقة اتزعم انك
لنا جار فقال اني ارى ما لا ترون الاية ثم ذهب وقوله تعالى اذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض الاية العامل في اذ زين او نكص لان ذلك الموقف كان ظرفا
لهذه الامور كلها وقال المفسرون ان هولاء الموصوفين بالنفاق ومرض القلوب
انما هم من اهل عسكر الكفار لما اشرفوا على المسلمين وراوا قلتهم وقلة عددهم
قالوا مشيرين الى المسلمين غر هولاء دينهم اي اغتروا فادخلوا انفسهم فيما

لا طاقة لهم به قال القاضي ابو محمد والنفاق اخص من مرض القلوب لان
مرض القلب مطلق على الكافر وعلى من اعترضته شبهة وعلى من بينهما وكنى بالقلوب
عن الاعتقادات اذ القلوب محلها وروي في شرح هذا التاويل عن الشعبي ان
من كان من الاسلام قد داخل قلبه خرجوا مع المشركين الى بدر منهم من اكره ومنهم
من داجى وداهن فلما اشرفوا على المسلمين وراوا قلتهم ارتابوا واعتقدوا انهم
مغلوبون فقالوا غر هولاء دينهم قال مجاهد منهم قيس بن الوليد بن المغيرة
والحرث بن ربيعة بن الاسود وعلي بن امية بن خلف والعاصي بن منبه قال القاضي
ابو محمد ولم يذكر احد ممن شهد بدرا بنفاق الا ما ظهر بعد ذلك من معتب
بن قشير اخي بني عمرو بن عوف فانه القائل يوم احد لو كان لنا من الامر شي ما
قتلنا ها هنا وقد يحتمل ان يكون منافقوا المدينة لما وصلهم خروج قريش
في قوة عظيمة قالوا عن المسلمين هذه المقالة فاخبر الله بها نبيه في هذه الاية
ثم اخبر الله عز وجل بان من توكل على الله واسند اليه فان عزة الله تعالى
وحكمته كفيلة بنصره وشد اعضاده وخرجت العبارة عن هذا المعنى باوجز
لفظ وابلغه قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان
الله ليس بظلام للعبيد كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات
الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب هذه اية تتضمن
التعجيب مما حل بالكفار يوم بدر قاله مجاهد وغيره وفي ذلك وعيد لمن بقي
منهم وحذف جواب لو ايهام بليغ وقرا جمهور السبعة والناس يتوفى بالياء
فاسند الفعل بغير علامة التذكير الى مونث في اللفظ وساغ ذلك اذ التانيث
غير حقيقي وارتفعت الملائكة بيتوفى وقال بعض من قرا هذه القراءة المعنى اذ يتوفى
الله الذين كفروا والملائكة رفع بالابتدا ويضربون خبره والجملة في موضع الحال
قال القاضي ابو محمد ويضعف هذا التاويل سقوط واو الحال فانها في الاغلب

تلزم مثل هذا وقرا ابن عامر من السبعة والاعرج تتوفى بالتاء على الاسناد الى لفظ
الملائكة ويضربون في موضع الحال وقوله وجوههم وادبارهم قال اهل المفسرين واستاههم
ولكن الله كريم يكني وقال ابن عباس والحسن اراد ظهورهم وما ادبر منهم ومعنى
هذا ان الملائكة كانت تلحقهم في حال الادبار فتضرب ادبارهم فاما في حال الاقبال
فتبين على ضرب الوجوه وروى الحسن ان رجلا قال يا رسول الله رايت في ظهر ابي
جهل مثل الشراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ضرب الملائكة وعبر
جمع الملائكة وملك الموت واحد اذ له على ذلك اعوان من الملائكة وقوله
وذوقوا عذاب الحريق قيل كانوا يقولون للكفار حينئذ هذا اللفظ فحذف يقولون
اختصارا وقيل معناه وحالهم يوم القيمة ان يقال لهم هذا والحريق فعيل
من الحرق وقوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من قول الملائكة في
وقت توبيخهم على الصورة المذكورة ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا تقريعا
من الله عز وجل للكافرين حيهم وميتهم وان يصح ان يكون في موضع رفع على تقدير
والحكم او يصح ان يكون في موضع نصب باسقاط الباء تقديره وبان قال احذفت الباء
ان صح
ذلك في موضع نصب قال القاضي ابو محمد وهذا غير متجه الا ان ينصب
باضمار فعل وقوله تعالى كداب ال فرعون الاية الداب العادة في كلام العرب ومنه
قول امرئ القيس كدابك من ام الحويرث قبلها وجارتها ام الرباب بماسل
ويروى كدينك ومنه قول خراش بن زهير العامري فما زال ذاك الداب
حتى تخاذلت هوازن وارفضت سليم وعامر ⁂ وهو ماخوذ من داب على
العمل اذا لازمه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب الجمل الذي هش اليه
واقبل نحوه وقد ذرفت عيناه انه شكى اليك انك تجيعه وتديبه ⁂ فكان
العادة دوب ما وقال جابر بن زيد وعامر الشعبي ومجاهد وعطا المعنى
كسنن ال فرعون ويحتمل ان يراد كعادة ال فرعون وغيرهم فيكون كعادة الامم كلها
لا على انفراد امة اذ ال فرعون لم كفروا واهلكوا اجرا ان الكل امة مرة واحدة

ويحتمل

ويحتمل ان يكون المراد كعادة الله فيهم فاضاف العادة اليهم اذ لهم نسبة اليها
كما يضاف المصدر الى الفاعل والى المفعول والكاف من قوله كداب يجوز ان يتعلق
بقوله وذوقوا وفيه بعد والكاف على هذا في موضع نصب نعت لمصدر محذوف
ويجوز ان يتعلق بقوله قدمت ايديكم وموضعها ايضا على هذا النصب كما تقدم ويجوز ان
يكون معنى الكلام الامر مثل داب ال فرعون فتكون الكاف في موضع خبر الابتدا وقوله
فاخذهم معناه اهلكهم واتى عليهم بقرينة قوله بذنوبهم ثم ابتدا الاخبار بقوة
الله تعالى وشدة عقابه قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة
انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كداب ال فرعون
والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون
وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يومنون
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ذلك في موضع
رفع على خبر الابتدا تقديره عند سيبويه الامر ذلك ويحتمل ان يكون التقدير وجب
ذلك والباء باء السبب وقوله لم يك جزم بلم وحركته في حذف النون والاصل يكون
فاذا دخلت جاء لم يكن فقالوا لم يك كانهم قصدوا التخفيف فهو هو ادخال لم على
يكن فحذفوا النون للجزم وحسن ذلك فيها لمشابهتها حروف اللين التي تحذف للجزم كما
قالوا لم ابال ثم قالوا لم ابل فهو هو ادخول لم على ابال ومعنى هذه الاية الاخبار بان
الله عز وجل اذا انعم على قوم نعمة فانه بلطفه ورحمته لا يبدا بتغييرها
وتكديرها حتى يجي ذلك منهم بان يغيروا حالهم التي تراد وتحسن منهم فاذا
فعلوا ذلك وتلبسوا بالتكسب للمعاصي او الكفر الذي يوجب عقابهم غير الله نعمته
بنقمته منهم ومثال هذا نعمة على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا
وغيروا ما كان يجب ان يكونوا عليه فغير الله تلك النعمة بان نقلها الى غيرهم
من الانصار واحل بهم عقوبته وقوله وان الله عطف على الاول وسميع عليم اي بكل
ما يقع من الناس في تغيير ما بانفسهم لا يخفى عليه من ذلك سر ولا جهر

قوله كدأب آل فرعون الآية الكاف من كدأب في هذه الآية متعلقة بقوله حتى
إذا الأول صح
يغيروا وهذا التكرير هو لمعنى ليس للأول إذ الأول دأب في أن هلكوا لما كفروا وهذا الثاني
دأب في أن لم تغير نعمتهم حتى غيروا ما بأنفسهم وقد ذكرنا متعلقات الكاف في الآية
الأولى والإشارة بقوله الذين من قبلهم إلى قوم هود وصالح ونوح وشعيب وغيرهم
وقوله تعالى إن شر الدواب إلى قوله يتقون المعنى المقصود تفضيل الدواب الذميمة
كالخنزير والكلب العقور على الكافرين الذين حتم عليهم بأنهم لا يؤمنون وهو الذي
يقتضيه اللفظ وأما الكافر الذي يؤمن فيما يستأنفه من عمره فليس بشر الدواب
وقوله الذين عاهدت منهم يحتمل أن يريد أن الموصوفين بشر الدواب هم الذين
لا يؤمنون المعاهدون من الكفار وكانوا شر الدواب على هذا لشدة أوصاف الكفر
والموافاة عليهم والمعاهدة مع النقض والذين على هذا بدل البعض من الكل ويحتمل
أن يريد بقوله الذين عاهدت الذين الأولى فيكون بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة
والمعنى على هذا الذين عاهدت فرقة أو طائفة منهم ثم أخذ يصف حال المعاهدين
بقوله ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والمعاهدة في هذه الآية المسالمة وترك
الحرب وأجمع المتأولون أن هذه الآية نزلت في بني قريظة وهي بعد تعم كل من اتصف
بهذه الصفة إلى يوم القيامة ومن قال إن المراد بالدواب الناس فقوله لا يستوي
في المذمة ولا مرية في أن الدواب تعم الناس وساير الحيوان وفي تعميم اللفظة في
هذه الآية استيفاء المذمة وقوله في كل مرة يقتضي أن الغدر قد كان وقع منهم
وتكرر وحديث قريظة هو أنهم عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أن لا يحاربوه ولا يعينوا عليه عدوا من غيرهم فلما اجتمعت الأحزاب على النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة غلب على ظن بني قريظة أن النبي صلى الله عليه وسلم مغلوب
ومستأصل وخرج حيي بن أخطب النضيري إلى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد
بني قريظة وعهدهم فغدروا ووالوا قريشا وأمدوهم بالسلاح والأدراع فلما انجلت
تلك الحال عن النبي صلى الله عليه وسلم أمره الله بالخروج إليهم وحربهم فاستنزلوا

فضربت

فضربت أعناقهم بحكم سعد بن معاذ واستيعاب القصة في سير ابن هشام وإنما
اقتضبت منها ما يخص تفسير هذه الآية قوله تعالى فإما تثقفنهم
في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم
على سواء إن الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون
دخلت النون مع إما تأكيدا أو لتفرق بينها وبين إما التي هي حرف انفصال في قولك
جاءني إما زيد وإما عمرو وتثقفنهم معناه تأسرهم وتحصلهم في ثقافك وتلقاهم
بحال ضعف تقدر عليهم فيها وتغلبهم وهذا لازم من اللفظ لقوله في الحرب
وقيل تثقف أخذ بسرعة ومن ذلك قولهم رجل ثقف لقف وقال بعض الناس معناه
تصادفنهم إلى نحو هذا من الأقوال التي لا ترسيط في المعنى وذلك أن المصادف قد يغلب
فيمكن التشريد به وقد لا يغلب والثقاف في اللغة ما تشد به القناة ونحوها
ومنه قول الشاعر إن قناتي لنبع ما يؤيسها عض الثقاف ولا دهن ولا نار
وقول الآخر تدعو قعينا وقد عض الحديد بها عض الثقاف على صم الأنابيب
وقوله فشرد معناه طرد وخوف وأبعد عن مثل فعلهم والتشريد التفرق عن وطن
أو نحوه والمعنى بفعل تفعله بهم من قتل أو نحوه يكون تخويفا لمن خلفهم أي لمن
يأتي بعدهم بمثل ما أتوا به وسواء كان معاصرا لهم أم لا وما تقدم الشيء فهو بين يديه وما
تأخر عنه فهو خلفه فمعنى الآية فإن أسرت هؤلاء الناقضين في حربك لهم ما
فافعل بهم من النقمة ما يكون مشردا لمن يأتي خلفهم في مثل طريقهم والضمير في
لعلهم عائد على الفرقة المشردة وقال ابن عباس المعنى نكل بهم من خلفهم وقالت
فرقة شرد بهم معناه سمع بهم حكاه الزهراوي عن أبي عبيدة والمعنى متقارب
لأن التسميع بهم في ضمن ما ذكرناه وأولا وفي مصحف عبد الله فشرذ بالذال منقوطة
وهي قراءة الأعمش ولم يحفظ شرذ في لغة العرب ولا وجه لها إلا أن تكون الذال المنقوطة
تبدل من الدال كما قالوا لحم خراديل وخراذيل وقرأ أبو حيوة وحكاها المهدوي عن الأعمش
بخلاف عنه من خلفهم بكسر الميم من قوله من وخفض الفاء من قوله خلفهم والترجي في قوله

لعلهم يحسب البشر ويذكرون معناه يتعظون وقوله تعالى وإما تخافن الآية قال
أكثر المؤلفين في التفسير إن هذه الآية هي في بني قريظة وحكاه الطبري عن مجاهد
والذي يظهر من ألفاظ القرآن أن أمر بني قريظة قد انقضى عند قوله فشرد بهم من خلفهم
ثم ابتدأ تبارك وتعالى في هذه الآية يأمره بما يصنعه في المستقبل مع من يخاف منه خيانة
إلى سالف الدهر وبنو قريظة لم يكونوا في حد من تخاف خيانته فترتب فيهم هذه الآية
وإنما كانت خيانتهم ظاهرة مشتهرة فهذه الآية هي عندي فيمن يستقبل حاله من سائر
الناس غير بني قريظة وخوف الخيانة هو أن يبدو وخداع الشر من قبل المعاهدين
ويتصل عنهم أقوال ويتحسس من تلقائهم مبادي الغدر فتلك المبادي معلومة
والخيانة التي هي غايتهم مخوفة لا متيقنة وحينئذ ينبذ إليهم على سواء فإن التزموا السلم
على ما يجب وإلا حوربوا وبنو قريظة نبذوا العهد مشتهرين وقال يحيى بن سلام
تخاف في هذه الآية بمعنى تعلم قال القاضي أبو محمد وليس كذلك وقوله خيانة
يقتضي دخول عهد لأن من ليس بينك وبينه عهد فليست محاربته لك خيانة فأمر الله
تعالى نبيه عليه السلام إذا أحس من أهل عهد ما ذكرنا وخاف خيانتهم أن يلقي
إليهم عهدهم وهو النبذ ومفعول قوله فانبذ محذوف تقديره فانبذ عهدهم إليهم
قال القاضي أبو محمد ويقتضي وهذا اللفظ الحض على حربهم إن لم يستقيموا
وقوله على سواء قيل معناه حتى يكون الأمر في بيانه والعلم به على سواء منك ومنهم فتكونون
فيه أي في استشعار الحرب سواء ويحتمل معنى قوله على سواء أي على معدلة أي فذلك هو
العدل والاستواء في الحق وقال المهدوي معناه جهرا لا سرا قال القاضي أبو محمد
وهذا نحو الأول وقال الوليد بن مسلم على سواء معناه على مهل كما قال تعالى براءة من الله
ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر قال القاضي
أبو محمد واللغة تأبى هذا القول وذكر الفراء أن المعنى انبذ إليهم على اعتدال وسواء من الأمر
أي بين لهم على قدر ما ظهر منهم لا تفرط ولا تفجأ بحرب بل افعل بهم مثل ما فعلوا بك
قال القاضي أبو محمد يعني موازنة ومقايسة وقوله إن الله لا يحب الخائنين يحتمل

ان

أن يكون طعنا على الخائنين من الذين عاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يريد
فانبذ إليهم على سواء حتى يبعد عن الخيانة فإن الله لا يحب الخائنين فيكون النبذ على
هذا التأويل لأجل أن الله لا يحب الخائنين والسواء في كلام العرب قد يكون بمعنى العدل
والمعدلة ومنه قوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ومنه قول الراجز
فاضرب وجوه الغدر الأعداء ... حتى يجيبوك إلى السواء ... وقد يكون بمعنى الوسط
ومنه قوله تعالى في سواء الجحيم ومنه قول حسان بن ثابت ... يا ويح أنصار النبي ورهطه
بعد المغيب في سواء الملحد ... وقوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون
قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ولا تحسبن بالتاء مخاطبة للنبي صلى الله
عليه وسلم وكسر السين غير عاصم فإنه فتحها والذين كفروا مفعول أول وسبقوا مفعول
ثان والمعنى فاتوا بأنفسهم ولحقوها إنهم لا يعجزون بكسر الألف إن على القطع والابتداء
ويعجزون معناه يفلتون ويعجزون طالبهم وهو متعد يقال عجز بالعجز وتقول عجز زيد وعجزه عمرو
وعجزه أيضا قال سويد ... وأعجزنا أبو ليلى طفيل صحيح الجلد من أثر السلاح ...
وروي أن الآية نزلت فيمن أفلت من الكفار في حرب النبي صلى الله عليه وسلم كقريش في
بدر وغيرهم فالمعنى لا تظنهم ناجين بل هم مدركون وقيل معناه لا يعجزون في الدنيا
وقيل المراد في الآخرة قال أبو حاتم وقرأ مجاهد وابن كثير وشبل ولا تحسبن بكسر
الباء وقرأ الأعرج وعاصم وخالد بن إلياس تحسبن بفتح التاء من فوق وبفتح السين
وقرأ الأعمش ولا يحسب بفتح السين والياء من تحت وحذف النون وقرأ أبو جعفر بن
القعقاع وأبو عبد الرحمن وابن محيصن وعيسى ولا يحسبن بياء من تحت وسين مكسورة
ونون مشددة وقرأ حفص عن عاصم وابن عامر وحمزة ولا يحسبن بالياء على الكناية عن
غائب وبفتح السين فإما أن يكون في الفعل ضمير النبي صلى الله عليه وسلم أو يكون التقدير
ولا يحسبن أحد ويكون قوله الذين كفروا مفعولا أولا وسبقوا مفعولا ثانيا وإما
أن يكون الذين كفروا هم الفاعلون ويكون المفعول الأول مضمرا وسبقوا مفعول ثان
وتقدير هذا الوجه ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا وإما أن يكون الذين

كفروا هو الفاعل وتضمر ان فيكون التقدير ولا تحسبن الذين كفروا ان سبقوا وسدت
ان سبقوا مسد المفعولين قال الفارسي ويكون هذا كما تاوله سيبويه في قوله عز وجل
قل افغير الله تامروني اعبد قال القاضي ابو محمد ونحوه قول الشاعر الا ايها
ذا الزاجري احضر الوغا ⁂ وقال ابو علي وقد حذف ان وهي مع صلتها في موضع
الفاعل وانشد احمد بن يحيى في ذلك ⁂ وما راعنا الا يسير بشرطة وعهدي
به قينا يفش بكير ⁂ وقرا ابن عامر وحده من السبعة انهم لا يعجزون بفتح الالف
من انهم ووجهه ان يقدر بمعنى لانهم لا يعجزون اي لا تحسبن عليهم النجاة لانهم
لا يعجزون وقرا الجمهور يعجزون بسكون العين وقرا بعض الناس فيما ذكر ابو حاتم يعجّزون بفتح
العين وشد الجيم وقرا ابن محيصن يعجزون بكسر النون والحاق الضمير قال الزجاج الاختيار
فتح النون ويجوز كسرها على ان المعنى انهم لا يعجزونني تحذف النون الاولى لاجتماع النونين
كما قال الشاعر تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات اذا فليني
قال القاضي ابو محمد البيت لعمرو بن معدي كرب ⁂ وقال ابو الحسن الاخفش
في قول متمم بن نويرة ⁂ ولقد علمت ولا محالة انني للحادثات فهل تريني اجزع
هذا يجوز على الاضطرار قال وهو حذف النون الاولى وحذفها لا يجوز لانها موضع الاعراب
وقال ابو العباس المبرد ارى فيما كان مثل هذا حذف الثانية وهكذا كان يقول في
بيت عمرو بن معدي كرب وفي مصحف عبد الله ولا يحسب الذين كفروا اسبقوا
انهم لا يعجزون قال ابو عمرو الداني بالياء تحت ويعني نون في يحسب قال القاضي
ابو محمد وذكرها الطبري بنون قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من
قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم
الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ه المخاطبة في هذه الاية لجميع
المومنين والضمير في لهم عائد على الذين ينبذ اليهم العهد او على الذين لا يعجزون على
تاويل من تاول ذلك في الدنيا ويحتمل ان يعيده على جميع الكفار المامور حربهم في ذلك

الوقت

الوقت ثم استمرت الاية في الامة عامة اذ الامر قد توجه بحرب جميع الكفار وقال
عكرمة مولى ابن عباس القوة ذكور الخيل والرباط اناثها وهذا قول ضعيف
وقالت فرقة القوة الرمي واحتجت بحديث عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ثلاثا
وقال السدي القوة السلاح وذهب الطبري الى عموم اللفظة وذكر عن مجاهد
انه رئي يتجهز وعنده جوالق فقال هذا من القوة قال القاضي ابو محمد
وهذا هو الصواب والخيل والمركوب في الجملة والمحمول عليه من الحيوان والسلاح
كله والملابس الباهية والالات والنفقات كلها داخلة في القوة وامر
المسلمون باعداد ما استطاعوا من ذلك ولما كانت الخيل هي اصل الحروب واوزارها
والتي عقد الخير في نواصيها وهي اقوى القوة وحصون الفرسان خصها الله بالذكر
تشريفا على نحو قوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل
وعلى نحو قوله فاكهة ونخل ورمان وهذا كثير ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا هذا في البخاري وغيره وقال في
صحيح مسلم جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فذكر التراب على جهة
التحفي به اذ هو اعظم اجزاء الارض مع دخوله في عموم الحديث الاخر ولما كانت
السهام من انجع ما يتعاطى في الحرب وانكاه في العدو واقربه تناولا للارواح
خصها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر والتنبيه عليها وقد روي عنه
عليه السلام ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد الثلاثة من المسلمين الجنة صانعه
والذي يحتسب في صنعته والذي يرمي به وقال عمرو بن عبسة سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله اصاب العدو او اخطا
فهو كعتق رقبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا واركبوا وان ترموا
احب الي من ان تركبوا ورباط الخيل جمع ربط ككلب وكلاب ولا يكثر ربطها
الا وهي كثيرة ويجوز ان يكون الرباط مصدرا من ربط كصاح صياحا ونحوه لان

مصادر الملاقى عن المزيد لا يقاس وان جعلناه مصدرا من رابط فكان ارتباط الخيل
واتخاذها بفعله كل واحد لفعل الاخر له فيرابط المومنون بعضهم بعضا فاذا ربط
كل واحد منهم فرسا لاجل صاحبه فقد حصل بينهم رباط وذلك الذي حض في الاية
عليه وقد قال عليه السلام من ارتبط فرسا في سبيل الله فهو كالباسط يده بالصدقة
لا يقبضها والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وقرا الحسن وعمرو بن دينار وابو
حيوة ومن ربط بضم الراء والباء وهو جمع رباط ككتاب وكتب كذا بقية المفسرون
في جمعه وهو مصدر غير مختلف نظر وترهبون معناه تخيفون وتخوفون والرهب
الخوف **قال طفيل الغنوي** ويل ام حي دفعتم في نحورهم بني كلاب غداة الرعب والرهب
ومنه راهب النصارى يقال رهب اذا خاف فترهبون معدى بالهمزة وقرا الحسن
ويعقوب ترهّبون بفتح الراء وشد الهاء وروي عن ابي عمرو بن العلاء قال ابو حاتم
وزعم عمرو ان الحسن قرا يرهبون بالياء من تحت وخففها فهو على هذا معدى
بالتضعيف وقرا ابن عباس وعكرمة تخزون به عدو الله **قال القاضي ابو محمد**
ذكرها الطبري تفسيرا لا قراءة واثبتها ابو عمرو الداني قراءة **وقوله** عدو الله
وعدوكم ذكر الصفتين وان كانت متقاربة اذ في شغائره المنحى وبذكرهما يتقوى
الذم وتتضح وجوه بغضنا لهم وقرا ابو عبد الرحمن السلمي عدوا لله بتنوين
عدو بلام في المكتوبة والمراد بهاتين الصفتين من قرب وصاقب من الكفار
وكانت عداوته متحركة بعد يجوز ان يراد بها جميع الكفار وبين هذا امر هو
اختلافهم في قوله وآخرين من دونهم الاية فقال مجاهد الاشارة بقوله تعالى وآخرين
الى قريظة وقال السدي الاشارة الى اهل فارس وقال ابن زيد الاشارة الى
الى المنافقين وقالت فرقة الاشارة الى الجن وقالت فرقة هي كل عدو للمسلمين
غير الفرقة التي امر النبي صلى الله عليه ان يشرد بهم من خلفهم **قال القاضي ابو محمد**
وهذا الخلاف كما ينبغي ان يرتب على ما يتوجه في المعنى في قوله تعالى لا تعلمونهم
فاذا حملنا قوله لا تعلمونهم على عمومه ونفينا علم المومنين بهذه الفرقة المشار

اليها

اليها جملة واحدة وكان العلم بمعنى المعرفة لا يتعدى الا الى مفعول واحد لم
يثبت من الخلاف في قوله وآخرين الا قول من قال الاشارة الى المنافقين وقول من قال
الاشارة الى الجن واذا اجملنا قوله لا تعلمونهم بمعنى لا تعلمونهم محاربين او نحو هذا
مما تعدية في العلم عنهم حسنت الاقوال وكان العلم متعديا الى مفعولين **قال القاضي**
ابو محمد وهذا الوجه اشبه عندي ورجح الطبري ان الاشارة الى الجن واسند
في ذلك الى ما روي من ان صهيل الخيل ينفر الجن وان الشيطان لا يدخل دارا فيها فرس
للجهاد ونحو هذا وفيه على احتماله نظر وكان الاهم في هذه الآية ان يبرز معناها
في كل ما يقوي المسلمين على عدوهم من الانس وهم المحاربون والذين يوافقون على الكفر وينتهم
من المسلمين هي النافعة للاسلام واهله وارهاب الجن وفزعهم لا يعنا لدى ظهور الاسلام
بل هو تابع لظهور الاسلام وهو اجنبي جدا والاولى ان يتاول ان المسلمين اذا ظهروا
وعزوا هابهم من جاورهم من العدو المحاربين لهم واذا اتصلت حالهم تلك بمن بعد
من الكفار داخلتهم الهيبة وان لم يقصد المسلمون ارهابهم فاولئك هم الاخرون
ويحسن ان يقدر قوله لا تعلمونهم فارغين راهبين ولا يظنون ذلك والله تعالى يعلمهم بتلك
الحالة ويحسن ايضا ان تكون الاشارة الى المنافقين على جهة الطعن عليهم والتنبيه على
سوء حالهم وليستريب بنفسه كل من يعلم منها نفاقا اذا سمع الاية ولفزعهم ورهبتهم
غنا كثير في ظهور الاسلام وعلوه **وقوله** من دونهم بمنزلة قولك دون ان يكون هؤلاء
فدون في كلام العرب ومن دون تقتضي عدم المذكور بعدها من النازلة التي فيها القول
ومنه المثل وامر دون عبيدة الوذم ثم يفضل تعالى بعدة المومنين على
انفاقهم في سبيل الله لان النفقة لا تكاد تنفى الا بالجازى وتبلغ عليها ولزوم ذلك
هو في الاخرة وقد يمكن ان يجازي الله تعالى بعض المومنين في الدنيا مجازاة مضافة الى
مجازاة الاخرة **وقوله تعالى** وان جنحوا للسلم فاجنح لها الاية الضمير في جنحوا هو للذين
نبذ اليهم على سواء وجنح الرجل الى الامر اذا مال اليه واعطى يده فيه ومنه قيل
للاضلاع جوانح لانها مالت الحشوة وللخباء جناح وجنحت الابل اذا مالت اعناقها

في السير وقال ذو الرمة اذا مات فوق الرحل احييت روحه بذكراك
والعيس المراسيل جنح. وجنح الليل اذا اقبل وامال اطنابه على الارض ومنه
قول النابغة جوانح قد ايقن ان قبيله اذا ما التقى الجمعان اول غالب اي
موائل وقال لبيد جنوح الهالكي على يديه مكبا يجتلي نقب النصال
وقرا جمهور الناس للسلم بفتح السين وشدها وقرا عاصم في رواية ابي بكر للسلم بكسرها
وشدها وهما لغتان في المسالمة ويقال ايضا السلم بفتح السين واللام ولا احفظها
قراءة وقرا جمهور الناس فاجنح بفتح النون وهي لغة تميم وقرا الاشهب العقيلي فاجنح وهي
لغة قيس بضم النون قال ابو الفتح وهذه القراءة هي القياس لان فعل اذا كان غير متعد
فمستقبله يفعل بضم العين فليس كقعد يقعد اقيس من جلس يجلس وعاد الضمير
في لها مونثا اذ السلم بمعنى المسالمة والهدنة وقيل السلم مونثة كالحرب ذكره النحاس
وقال ابو حاتم يذكر السلم وقال قتادة والحسن وعكرمة وابن زيد هذه الاية منسوخة
باية القتال في براءة قال القاضي ابو محمد وقد يحتمل ان لا يترتب نسخها
بها بان يعني بهذه من تجوز مصالحته وتبقى تلك التي في براءة في عبدة الاوثان والى
هذا ذهب الطبري وما قاله الجماعة صحيح ايضا اذ كان الجنوح الى سلم العرب مستقرا
في صدر الاسلام فنسخ ذلك اية براءة ونبذت اليهم عهودهم وروي عن ابن عباس
انها منسوخة بقوله تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون قال القاضي ابو محمد
وهذا اول بعيد من ان يقوله ابن عباس رضي الله عنه لان الايتين متباينتان
وتوكل على الله امر في ضمنه وعد قوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك فان
حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في
الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم يا ايها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المومنين الضمير في قوله وان يريدوا عائد على الكفار الذين قيل
فيهم وان جنحوا وقوله وان يريدوا ان يخدعوك يريد بان يظهروا له السلم ويبطنوا
الغدر والخيانة فاجنح وما عليك من نياتهم الفاسدة فان حسبك الله اي كافيك

الطها متبنيان

ويعطيك

ويعطيك نصره ظاهرا وهذا وعد محض وايدك معناه قواك وبالمومنين يريد بالانصار
بقرينة قوله والف بين قلوبهم الاية وهذه اشارة الى العداوة التي كانت بين
الاوس والخزرج في حروب بعاث فالف الله تعالى قلوبهم على الاسلام وردهم
متحابين في الله وعددت هذه النعمة تانيسا لمحمد صلى الله عليه وسلم اي كما لطف
لك ربك اولا فكذلك يفعل اخرا وقال ابن مسعود نزلت هذه في المتحابين في الله
وقال مجاهد اذا التقى المتحابان في الله فتصافحا وتضاحكا تحاتت خطاياهما
فقال له عبدة بن ابي لبابة ان هذا ليسير فقال له لا تقل ذلك فان الله يقول لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت انه افقه مني قال القاضي
ابو محمد وهذا كله تمثيل حسن بالاية لا ان الاية نزلت في ذلك بل ظاهرها في المعينين
انها في الاوس والخزرج كما ذكرنا ولو ذهب ذاهب الى عموم المومنين في المهاجرين
والانصار وجعل التاليف ما كان بين جميعهم من التحاب حتى تكون الفة الاوس
والخزرج جزءا من ذلك لساغ ذلك وكل تالف في الله فتابع لذلك التالف الكائن في
صدر الاسلام وقد روى سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن
مالفة لا خير فيمن لا يالف ولا يولف قال القاضي ابو محمد والتشابه هو سبب
الالفة فمن كان من اهل الخير الف اشباهه والسوء وقوله تعالى يا ايها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المومنين قال النقاش نزلت هذه الاية بالبيداء في غزوة
بدر قبل القتال وحكي عن ابن عباس انها نزلت في الاوس والخزرج خاصة ويقال
انها نزلت حين اسلم عمر وكمل المسلمون اربعين قاله ابن عمر وانس قال القاضي ابو محمد
فهي على هذا مكية وحسبك في كلام العرب وشرعك بمعنى كافيك ويكفيك والمحسب
الكافي وقال الشعبي [illegible] معنى هذه الاية يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المومنين فمن في هذا
التاويل في موضع نصب عطفا على موضع الكاف لان موضعها نصب على المعنى
بيكفيك التي سدت حسبك مسدها ويصح ان تكون في موضع خفض بتقدير محذوف
كانه قال وحسب وهذا كقول الشاعر اكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا

النقد بر وكل ثار وهذا الوجه من حذف المضاف مكروه بانه ضرورة الشعر ويروى
البيت وتارا. ومن نحو هذا قول الشاعر اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا
فحسبك والضحاك سيف مهند. يروى الضحاك مرفوعا والضحاك منصوبا
والضحاك مخفوضا فالرفع عطف على قوله سيف بنية التاخير كما قال الشاعر
عليك ورحمة الله السلام ويكون الضحاك على هذا مخبرا للمخاطب والنصب عطف
على موضع الكاف من قولك حسبك والمهند على هذا محسب للمخاطب والضحاك والخفض
على تقدير محذوف كانه قال فحسبك وحسب الضحاك قوله تعالى
يا ايها النبي حرض المومنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين وان يكن
منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الان خفف الله عنكم
وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مايتين وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين وقوله حرض المومنين معناه
حثهم وحضهم قال النقاش وقد روي حرص بالصاد غير منقوطة والمعنى متقارب
والحارض الذي هو القريب من الهلاك لفظة مباينة لهذه ليست منها في شي وقالت
فرقة من المفسرين المعنى حرض على القتال حتى يتبين لك انه حارض قال القاضي ابو محمد
وهذا قول غير ملتيم ولا لازم من اللفظ ونحا اليه الزجاج والقتال مفترض
على المومنين بغير هذه الاية وانما تضمنت هذه الاية امر النبي عليه السلام بحربهم
على امر قد وجب عليهم من غير هذا الموضع وقوله ان يكن الى اخر الاية لفظ خبر
ضمنه وعد بشرط لان قوله ان يكن منكم عشرون صابرون بمنزلة ان يقال ان يصبر
منكم عشرون يغلبوا وفي ضمنه الامر بالصبر وكسرت العين من عشرين لان
نسبة عشرين من عشرة نسبة اثنين من واحد فكما جا اول اثنين مكسورا
كسرت العين من عشرين ثم اطرد في جميع اجزاء العشرة فالمفتوح كاربعة وخمسة
وسبعة فتح اول جمعه والمكسور كستة وتسعة كسر اول جمعه هذا قول
سيبويه وذهب غيره الى ان عشرين جمع عشر الابل وهو وردها التسع فلما

فمن تركه صح

كان

كان في عشرة وعشرة عشر وعشرو يومان من الثالث جمع ذلك على عشرين
كما قال امرؤ القيس ثلاثون شهرا في ثلاثة احوال. لما كان في الثلاثة حولان
وبعض الثالث وتظاهرت الروايات عن ابن عباس وغيره من الصحابة بان ثبوت
الواحد للعشرة كان فرضا من الله عز وجل على المومنين ثم لما شق ذلك عليهم
حط الفرض الى ثبات الواحد للاثنين قال القاضي ابو محمد وهذا هو
النسخ لانه رفع حكم مستقر بحكم اخر شرعي وفي ضمنه تخفيف اذ هذا من نسخ الاثقل
بالاخف وذهب بعض الناس الى ان ثبوت الواحد للعشرة انما كان ذلك على
جهة ندب المومنين اليه ثم حط ذلك حين ثقل عليهم الى ثبات الواحد للاثنين
وروي ايضا هذا عن ابن عباس وقال كثير من المفسرين وهذا التخفيف لا نسخ اذ
لم يستقر لفرض العشرة حكم شرعي قال مكي وانما هو كتخفيف الفطر في السفر وهو لو صام
لم ياثم واجزاه قال القاضي ابو محمد وفي هذا نظر ولا يمنع كون المنسوخ
مباحا من ان يقال نسخ واعتبر ذلك في صدقة النجوى وهذه الاية التخفيف
فيها نسخ للثبات للعشرة وسواء كان الثبوت للعشرة فرضا او ندبا هذا حكم شرعي
على كل حال وقد ذكر القاضي ابن الطيب ان الحكم اذا نسخ بعضه او بعض اوصافه
او غير عدده فجايز ان يقال انه نسخ لانه حينئذ ليس بالاول بل هو غيره وذكر
في ذلك خلافا قال القاضي ابو محمد والذي يظهر في ذلك ان النسخ انما يقال
حينئذ على الحكم الاول مقيدا لا باطلاق واعتبر ذلك في نسخ الصلاة الى بيت المقدس
وقرا حمزة والكساي وعاصم ان يكن منكم مائة في الموضعين بياء على تذكير العلامة
ورواها خارجة عن نافع قال القاضي ابو محمد وهذا حسن المعنى لان
الكاين في تلك المائة انما هم رجال فذلك الحمل على المعنى كقوله تعالى من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر ان تكن منكم مائة بالتاء في الموضعين
على تانيث العلامة قال القاضي ابو محمد وهذا حسن اللفظ والمقصد
كانه اراد ان تكن فرقة عددها مائة وقرا ابو عمرو بالياء في صدر الاية وبالتاء

الى

في آخرها ذهب في الاولى الى مراعاة يغلبوا وفي الثانية الى مراعاة صابرة قال ابو حاتم
وقرا ان تكن بالتاء من فوق ومنكم عشرون صابرون الاعرج وجعلها كلها على تاء قال
القاضي ابو محمد الا قوله وان يكن منكم الف فانه لا خلاف في الياء من تحت وقوله لا
يفقهون معناه لا يفهمون مراشدهم ولا مقصد قتالهم لا يريدون به الا الغلبة الدنياوية
فهم يخافون الموت اذا صبر لهم ومن يقاتل ليغلب او ليستشهد فيصير الى الجنة
اثبت قدما لا محالة وروى المفضل عن عاصم وعلم بضم العين وكسر اللام على البناء
للمفعول وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر والكسائي وابن عمر والحسن والاعرج
وابن القعقاع وقتادة وابن ابي اسحق ضعفا بضم الضاد وسكون العين وقرا عاصم
وحمزة وشيبة وطلحة ضعفا بفتح الضاد وسكون العين وكذلك الخلاف في
سورة الروم وقرا عيسى بن عمر ضعفا بضم الضاد والعين ذكره النقاش وهي
مصادر بمعنى واحد قال ابو حاتم من ضم الضاد جاز له ضم العين وهي لغة وحكى
سيبويه الضعف والضعف لغتان بمنزلة الفقر والفقر حكى الزهراوي عن
ابي عمرو بن العلاء انه قال ضم الضاد لغة اهل الحجاز وفتحها لغة تميم ولا فرق بينهما
في المعنى وقال الثعالبي في فقه اللغة له الضعف بفتح الضاد في العقل والراي
والضعف في الجسم قال القاضي ابو محمد وهذا قول ترده القراءة وذكره ابو
غالب ابن التياني عن سيبويه وقرا ابو جعفر بن القعقاع ايضا ضعفاء بالجمع كظريف
وظرفاء وحكاها النقاش عن ابن عباس وقوله والله مع الصابرين لفظ خبر في ضمنه
وعد وحض على الصبر ويلحظ منه وعيد لمن لم يصبر بانه يغلب قوله تعالى
ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم هذه اية تتضمن عندي
معاتبة من الله عز وجل لاصحاب نبيه عليه السلام والمعنى ما كان ينبغي لكم ان
تفعلوا هذا الفعل الذي اوجب ان يكون للنبي اسرى قبل الاثخان ولهم هو

الاخبار

الاخبار ولذلك استمر الخطاب لهم بتريدون والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر
باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا اراد قط عرض الدنيا وانما فعله جمهور مباشري الحرب
وجاء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الاية مشيرا الى دخول النبي عليه السلام في
العتب حين لم ينه عن ذلك حين راه من العريش وانكره سعد بن معاذ ولكنه عليه السلام
شغله بغت الامر وظهور النصر فترك النهي عن الاستبقاء ولذلك بكى هو وابو بكر
حين نزلت هذه الايات ومر كثير من المفسرين على ان هذا التوبيخ انما كان بسبب اشارة
من اشار على النبي عليه السلام باخذ الفدية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما جمع اسرى بدر استشار فيهم اصحابه فقال ابو بكر الصديق يا رسول الله هم قرابتك
ولعل الله ان يهديهم بعد الى الاسلام ففادهم واستبقهم وتتقوى المسلمون باموالهم
وقال عمر ابن الخطاب يا رسول الله بل تضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وقال
عبد الله بن رواحة بل تجعلهم في واد كثير الحطب ثم تضرم عليهم نارا وقد كان سعد
ابن معاذ قال وهو مع رسول الله في العريش وقد راى الاسرى في لقد كان الاثخان في
القتل احب الي من استبقاء الرجال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول ابي بكر
ومال اليه فنزلت هذه الاية مخبرة ان الاولى والاهيب على سائر الكفار كان
قتل اسرى بدر قال ابن عباس نزلت هذه الاية والمسلمون قليل فلما كثروا واشتد
سلطانهم نزل في الاسرى فاما منا بعد واما فداء وذكر الطبري وغيره ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما تكلم الصحابة في الاسرى بما ذكر دخل ولم يجبهم ثم خرج فقال
ان الله تعالى يلين قلوب رجال ويشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة
وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثل
عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثل موسى قال ربنا
اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم رجل الا بفدية

الدنيا صح

او ضربه عنق في هذا الحديث قال عمر فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر
ولم يهو ما قلت **قال القاضي ابو محمد** هذه حجة على ذكر الهوى في الصالح وقرات
فرقه ما كان للنبي معرفا وقرا جمهور الناس لنبي وقرا ابو عمرو بن العلا وحده ان تكون على تانيث
العلامه مراعاه للفظ الاسرى وقرا باقي السبعه وجمهور الناس ان يكون بتذكير
العلامه مراعاه لمعنى الاسرى وقرا جمهور الناس والسبعه اسرى وقرا بعض الناس
اسارى ورواها المفضل عن عاصم وهي قراه ابي جعفر والعباس والباب ان يجمع اسير
على اسرى وكذلك كل فعيل بمعنى مفعول كجريح ومرضى اذ كانت ايضا اشيا تصيب
الانسان ان حجر عليها وباتيه عليه فهو فيها بمنزله المفعول واما جمعه على اسارى
فتشبيه بجمع كسالى في جمع كسلان وجمع ايضا كسلان على كسلى تشبيها باسرى في جمع اسير
قاله سيبويه وهما شاذان وقال الزجاج اسارى جمع اسرى فهو جمع الجمع وقرا
جمهور الناس يثخن بسكون الثا وقرا ابو جعفر ويحيى ابن يعمر ويحيى ابن وثاب يثخن بفتح
الثا وشد الخا ومعناه في الوجهين يبالغ في القتل والاثخان انما هو في القتل والجراح
وما كان منها ثم امر مخاطبه اصحاب النبي عليه السلام فقال تريدون عرض الدنيا
اي مالها الذي يعني ويعرض والمراد انما اخذ من الاسرى من الاموال والله يريد الاخره
اي عمل الاخره فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقرا ابن جماز الاخره بالخفض
على تقدير المضاف ويتطرد ذلك **قول الشاعر** اكل امري تحسبين امرا
ونار توقد بالليل نارا ∴ على تقدير وكل نار وذكر الطبري وغيره ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال للناس ان شئتم اخذتم فدا الاسرى ويقتل منكم في
الحرب سبعون على عددهم وان شئتم قتلوا وسلمتم فقالوا ناخذ المال ويستشهد
منا سبعون وذكر عبد بن حميد بسنده ان جبريل نزل على النبي عليه السلام بتخيير
الناس هكذا **قال القاضي ابو محمد** وعلى هذا فالامر في هذا التخيير من عند الله
فانه اعلام بغيب واذا خيروا فكيف يقع التوبيخ بعد بقوله تعالى لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم والذي اقول في هذا ان العتب لاصحاب النبي عليه السلام بقوله ما كان

لنبي

لنبي الى قوله عظيم انما هو على استبقا الرجال وقت الهزيمه رغبه في اخذ المال منهم
وجميع العتب اذا نظر فانما هو للناس وهناك كان عمر يقول ويحض على القتل ولا يرى
الاستبقا وحينئذ قال سعد بن معاذ الاثخان احب الي من استبقا الرجال
وبذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منجين من عذاب ان لو نزل وما نزل
على حرص بعضهم على المال قول المقداد حين امر رسول الله بقتل عقبه بن ابي معيط
اسيري يا رسول الله وقول مصعب بن عمير للذي اسر اخاه شد يدك عليه فان له
اما موسره الى غير ذلك من قصصهم فلما تحصل الاسرى وسيقوا الى المدينه وانفذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم القتل في النضر وعقبه والمن في ابي عزه وغيره
وجعل يرتئي في سائرهم نزل ذلك التخيير من الله تعالى فاستشار رسول الله حينئذ
فمر عمر رضي الله عنه على اول رايه في القتل وراى ابو بكر رضي الله عنه المصلحه
في قوه المسلمين بمال الفدا ومال رسول الله الى راي ابي بكر وكلا الرايين اجتهاد بعد تخيير
فلم ينزل على شي من هذا عتب وذكر المفسرون ان الايه نزلت بسبب هذه المشوره
والارا وذلك معترض بما ذكرته وكذلك ذكروا في هذه الايات تحليل المغانم
ولا اقول ذلك لان حكم الله تعالى بتحليل المغنم لهذه الامه قد كان تقدم قبل بدر وذلك
في السريه التي قتل فيها عمرو بن الحضرمي وانما المستبدع في بدر استبقا الرجال لاجل
المال والذي من الله فيها الحاق فديه الكافر بالمغانم التي قد تقدم تحليلها ووجه
ما قال المفسرون ان الناس خيروا في امرين احدهما غير حميد على جهه الاختبار
لهم فاختاروا المفضول فوقع العتب ولم يخيروا في مستويين وهذا كما
اتي رسول الله ليله الاسرا بانائين فاختار الفاضل وعزيز حكيم صفتان من قبيل
الاسمين بالعزه والحكمه يتم مراده على الحال والتوفيه وقال ابو عمرو بن العلا
الاسرى هم غير الموثقين عندما يوخذون والاسارى هم الموثقون ربطا **قال القاضي
ابو محمد** وحكى ابو حاتم انه سمع هذا من العرب وقد ذكره ايضا ابو الحسن الاخفش
وقال العرب لا تعرف هذا وكلاهما عندهم سوا **قوله تعالى** لولا كتاب من الله سبق

الاية قالت فرقة الكتاب السابق هو القران والمعنى لولا الكتاب الذي سبق فامنتم به
وصدقتم لمسكم العذاب لاخذكم هذه المفاداة وقال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن
ايضا وابن زيد الكتاب السابق هو مغفرة الله لاهل بدر ما تقدم او تاخر من ذنوبهم
وقال الحسن وابن عباس وابو هريرة وغيرهم الكتاب هو ما قد كان الله قضاه في الازل
من احلال الغنائم والفداء لمحمد وامته وكانت في سائر الامم محرمة وقالت فرقة الكتاب
السابق هو عفو الله عنهم في هذا الذنب معينا وقالت فرقة الكتاب السابق هو ان
الله عز وجل قضى ان لا يعاقب احدا بذنب اتاه بجهالة وهذا قول ضعيف تعارضه
مواضع من الشريعة وذكر الطبري عن محمد بن علي بن حسين بن علي بن ابي طالب ان
الكتاب السابق هو ان لا يعذب احدا بذنب الا بعد النهي عنه ولم يكونوا نهوا
بعد وقالت فرقة الكتاب السابق هو ما قضاه الله من محو الصغائر باجتناب الكبائر
وذهب الطبري الى دخول هذه المعاني كلها تحت اللفظ وانه يعمها ونكت على تخصيص
معنى دون معنى واللام في لمسكم جواب لولا وكتاب رفع بالابتدا والخبر محذوف
وهكذا يحال الاسم الذي بعد لولا وتقديره عند سيبويه لولا كتاب سابق من الله تدارككم
وما من قوله فيما اخذتم اما الاسرى واما الفدا وهي موصولة وفي اخذتم ضمير عايد
عليها ويحتمل ان تكون مصدرية فلا تحتاج الى العايد وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لو نزل في هذا الامر عذاب لنجا منه عمر بن الخطاب وفي حديث
اخر وسعد بن معاذ وذلك ان رايهما كان ان تقتل الاسرى وقوله تعالى فكلوا مما
غنمتم الاية نص على اباحة المال الذي اخذ من الاسرى والحاق له بالغنيمة التي كان
تقدم تحليلها وقوله حلالا طيبا حالان من ما في قوله مما ويصح ان يكون من الضمير
في غنمتم ويحتمل ان يكون حلالا مفعولا بكلوا وقوله واتقوا الله معناه في التشرع
حسب ارادة البشر وشهوته في نازلة اخرى وجا قوله اتقوا الله اعتراضا فصيحا
في اثنا القول لان قوله ان الله غفور رحيم هو متصل بالمعنى بقوله فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في

قلوبكم

قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك
فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم روي ان الاسرى ببدر
اعلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم ميلا الى الاسلام وانهم يؤملونه
وانهم ان فودوا ورجعوا الى قومهم التزموا جلبهم الى الاسلام وسعوا في ذلك
ونحو هذا الغرض ففي ذلك نزلت هذه الاية وقال ابن عباس الاسرى في
هذه الاية عباس واصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم امنا بما جئت به
ونشهد انك رسول الله لننصحن لك على قومنا فنزلت هذه الاية وقرا جمهور
الناس من الاسرى وقرا ابو عمرو وحده من السبعة من الاسارى وهي قراءة ابي
جعفر وقتادة ونصر بن عاصم وابن ابي اسحق واختلف عن الحسن بن ابي الحسن وعن
الجحدري وقرا ابن محيصن من اسرى بالادغام ومعنى الكلام ان كان هذا عن
جد منكم وعلم الله من نفوسكم الخير والاسلام فانه سيجبر عليكم افضل مما
اعطيتم فدية ويغفر لكم جميع ما اجترمتموه وقرا الاعمش يثبكم خيرا وقرا
جمهور الناس اخذ بضم الهمزة وكسر الخاء وقرا شيبة بن نصاح وابو حيوة اخذ
بفتحهما وروي ان الاسرى ببدر افتدوا باربعين اوقية اربعين اوقية الا العباس فانه
افتدى بمائة اوقية قال القاضي ابو محمد والاوقية اربعون درهما وقال قتادة
فادوهم باربعة الاف اربعة الاف وقال عبيدة السلماني كان فدا اسرى
بدر مائة اوقية والاوقية اربعون درهما ومن الدنانير ستة دنانير وروي ان
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال فيّ وفي اصحابي نزلت هذه الاية
وقال حين اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مال البحرين ما قدر ان يقل هذا
خير مما اخذ مني وانا بعد ارجو ان يغفر الله لي واسند ايضا الطبري الى العباس انه قال
فيّ نزلت حين اعلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي وسالته ان يحاسبني
بالعشرين الاوقية التي اخذت مني قبل المفاداة فابى وقال ذلك فيء فابدلني الله من
ذلك عشرين عبدا كلهم تاجر بمالي وروي عن العباس انه قال ما اود ان هذه الاية

لم تسرني أن لي الدنيا بأجمعها وذلك أن الله قد آتاني خيرا مما أخذ مني وأنا أرجو أن
يغفر الله لي **قوله تعالى** وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله الآية قول أمر بقوله
للأسرى فيتوعد معناه عليهم والمعنى إن أخلصوا فعل بهم كذا وإن أبطنوا خيانة
ما رغبوا أن تؤمنوا عليه من العهد فلا يسرهم ذلك ولا يسكنوا إليه فإن الله
بالمرصاد لهم الذي خانوه قبل بكفرهم وترك النظر في آياته وهو قد بينها لهم وجعل
لهم إدراكا يحصلونها به فصار ذلك كعهد متقرر فجعل جزاءهم على خيانتهم إياه
أن مكن منهم المؤمنين وجعلهم أسرى في أيديهم **وقوله** عليم حكيم صفتان مناسبتان أي
عليم بما يبطنونه من إخلاص أو خيانة حكيم فيما يجازيهم به **قال القاضي أبو محمد**
أما تفسير قتادة هذه الآية بقصة عبد الله بن أبي سرح فينبغي أن يحرر فإن جلبت
قصة ابن أبي سرح على أنها مثال كما يمكن أن تجلب أمثلة في عصرنا من ذلك فحسن
وإن جلبت على أن الآية نزلت في ذلك فخطأ لأن ابن أبي سرح إنما تبين أمره في يوم فتح
مكة وهذه الآية نزلت عقب بدر **قوله تعالى** إن الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم
في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير مقصد
هذه الآية وما بعدها تبيين منازل المهاجرين والأنصار والمؤمنين الذين لم يهاجروا
والكفار والمهاجرين بعد الحديبية وذكر نسب بعضهم من بعض فقدم أولا
ذكر المهاجرين والأنصار وهم أصل الإسلام وانظر تقديم عمر لهم في الاستشارة وهاجر
معناه هجر أهله وقرابته وهجروه وجاهدوا معناه أجهدوا أنفسهم في حرب من
أجهد نفسه في حربهم والذين آووا ونصروا هم الأنصار وآوى معناه هيأ مأوى
وهو الملجأ والحرز فحكم الله على هاتين الطائفتين بأن بعضهم أولياء بعض فقال أكثر
من المفسرين هذه الموالاة هي في الموازرة والمعاونة واتصال الأيدي وعليه
من الطبري الآية وهذا الذي قالوا لازم من دلالة اللفظ وقال ابن عباس

ومجاهد

ومجاهد وقتادة وكثير منهم إن هذه الموالاة هي في الميراث وذلك أن النبي
صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار وكانت بين الأنصار أخوة النسب
وكانت أيضا بين بعض المهاجرين فكان المهاجري إذا مات ولم يكن له بالمدينة ولي
مهاجري ورثه أخوه الأنصاري وإن كان له ولي مسلم لم يهاجر لا ولاية بينه وبين
قريبه المهاجري لا يرثه قال ابن زيد واستمر أمرهم كذلك إلى فتح مكة ثم
توارثوا بعد ذلك لما لم تكن هجرة **قال القاضي أبو محمد** وذهبت هذه الفرقة
إلى أن هذا هو مقصد الآية ومن ذهب إلى أنها في التوازر والتعاون فإنما جعل نفي
الله تعالى ولايتهم عن المسلمين على أنها صفة الحال لا أن الله حكم بأن لا ولاية بين
المهاجرين وبينهم جملة وذلك أن حالهم إذ كانوا متباعدي الأقطار يقتضي أن
بعضهم إن حزبه حازب لا يجد الآخر ولا ينتفع به فعلى هذه الجهة نفى الولاية
وعلى التأويلين ففي الآية حض للأعراب على الهجرة قال الحسن ابن أبي الحسن ومن رأى
الولاية في الموارثة فهو حكم من الله بنفي الولاية في الموارثة قالوا ونسخ ذلك قوله
تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض الآية وقرأ جمهور السبعة والناس
ولايتهم بفتح الواو والولاية أيضا بالفتح وقرأ الكسائي ولايتهم بفتح الواو والولاية
بكسر الواو وقرأ الأعمش وابن وثاب ولايتهم والولاية بكسر الواو وهي قراءة حمزة
قال أبو علي والفتح أجود لأنها في الدين قال أبو الحسن الأخفش والكسر فيها لغة
وليست بذلك وحرك الأصمعي الأعمش ولحنه عليه لأنها إذا كانت بمعنى الحب
قال القاضي أبو محمد لا سيما ولا يلحن به إلا أنه رواها قال أبو عبيدة الولاية
بالكسر هي وليت الأمر إليه فهي في السلطان والولاية هي من المولى يقال مولى بين الولاية
بفتح الواو **وقوله** وإن استنصروكم يعني إن استدعى هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا
نصركم على قوم من الكفرة فواجب عليكم نصرهم إلا إن استنصروكم على قوم كفار قد
عاهدتموهم أنتم وأمنتموهم على ترك الحرب فلا تنصروهم عليهم لأن ذلك غدر
ونقض للميثاق وترك لحفظ العهد والوفاء به والقراءة فعليكم النصر برفع الرا

ويجوز فعليكم النصر على الاغراء ولا احفظه قراءة وقرا الجمهور الناس والله بما تعملون
على مخاطبة المومنين وقرا ابو عبد الرحمن السلمي والاعرج بما يعملون بالياء على ذكر الغايب
قوله تعالى والذين كفروا بعضهم اوليا بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض
وفساد كبير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا
اوليك هم المومنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاوليك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان
الله بكل شي عليم ٥ هذا الحكم بان الكفار ولايتهم واحدة وذلك يجمع الموارثة
والمعاونة والنصرة وهذه العبارة ترغيب واقامة للنفوس كما تقول لمن تريد
ان يستصلح عدوك مجتهد اي فاجتهد انت وحكى الطبري في تفسير هذه الاية
عن قتادة انه قال ابى الله ان يقبل ايمان من امن ولم يهاجر وذلك في صدر الاسلام
وذلك ايضا مذكور مستوعب في تفسير قوله عز وجل ان الذين توفاهم الملايكة
ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها فاوليك ماواهم جهنم وساءت مصيرا والذي يظهر من
الشرع ان حكم المومن التارك للهجرة مع علمه بوجوبها حكم العاصي لا حكم الكافر
وقوله تعالى الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم انما هي فيمن قتل مع الكفار وفيهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا بريء من مسلم اقام بين المشركين لا تتراءى
ناراهما الحديث على اختلاف الفاظه وقول قتادة انما هو فيمن كان يقيم متربصا
يقول من غلب كنت معه وكذلك ذكر في كتاب الطبري والكشي والضمير في قوله
الا تفعلوه قيل هو عايد على الموارثة والتزامها قال القاضي ابو محمد وهذا لا
تقع الفتنة عنه الا عن بعد وبواسطة كثيرة وقيل هو عايد على الموازرة والمعاونة
والاتصال الذي ... وهذا تقع الفتنة عنه عن قريب فهو اكد من الاول ويظهر ايضا
عوده على حفظ العهد والميثاق الذي تضمنه قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
وهذا ان لم يفعل فهو الفتنة نفسها ويظهر ان يعود الضمير على النصر للمسلمين المستنصرين
في

في الدين ويجوز ان يعود الضمير مجملا على جميع ما ذكر والفتنة المحنة بالحرب وما
انجر معها من الغارات والجلاء والاسر والفساد الكبير ظهور الشرك وقرا جمهور
الناس كبير بالباء المنقوطة واحدة وقرا ابو موسى الحجازي عن الكسائي بالثاء منقوطة
ثلاثة وروى ابو حاتم المدني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا وفساد عريض
وقرات فرقة والذين كفروا بعضهم اوليا بعض وقوله تعالى والذين امنوا
وهاجروا الاية تضمنت تخصيص المهاجرين والانصار وتشريفهم بهذا الوصف
العظيم وحقا نصب على المصدر المؤكد لما قبله ووصف الرزق بالكريم معناه
انه لا يستحيل نجوا والمراد به طعام الجنة كذا ذكر الطبري وغيره ولازم
اللفظ نفي المذمة عنه وما ذكره فهو في ضمن ذلك وقوله من بعد يريد
من بعد الحديبية وبيعة الرضوان وذلك ان الهجرة من بعد ذلك كانت اقل
رتبة من الهجرة قبل ذلك وكان يقال لها الهجرة الثانية لان الحرب وضعت اوزارها
نحو عامين ثم كان فتح مكة وبه قال عليه السلام لا هجرة بعد الفتح وقال الطبري
المعنى من بعد ما بينت حكم الولاية قال القاضي ابو محمد فكان الحاجز بين الهجرتين
نزول الاية فاخبر الله تعالى في هذه الاية انهم من الاولين في الموازرة وساير احكام
الاسلام وقوله تعالى وجاهدوا معكم لفظ يقتضي انهم تبع لا صدر وقوله
فاوليك منكم كذلك ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وابن
اخت القوم منهم وقوله واولوا الارحام الى اخر السورة قال من تقدم ذكره
هي في المواريث وهي ناسخة للحكم المتقدم ذكره من ان يرث المهاجري الانصاري
ووجب بهذه الاية الاخيرة ان يرث الرجل قريبه وان لم يكن مهاجرا معه
وقالت فرقة منها مالك بن انس رحمه الله ان الاية ليست في المواريث
وهذا فرار عن توريث الخال والعمة ونحو ذلك وقالت فرقة هي في المواريث
الا انها نسخت باية المواريث المبينة وقوله في كتاب الله معناه القران اي ذلك
مثبت في كتاب الله وقيل معنى في كتاب الله السابق في اللوح المحفوظ وعلم صفة

تفسير سورة براءة

مناسبة لنفوذ هذه الاحكام ... سورة براءة
هي مدنية الا آيتين قوله لقد جاءكم رسول الى آخرها وتسمى سورة التوبة قاله
حذيفة وغيره وتسمى الفاضحة قاله ابن عباس وتسمى الحافرة لانها حفرت عن
قلوب المنافقين قال ابن عباس ما زال ينزل ومنهم ومنهم حتى ظن انه لا يبقى احد وقال
حذيفة هي سورة العذاب قال ابن عمر كنا ندعوها المقشقشة قال الحرث بن يزيد
كانت تدعى المبعثرة ويقال لها المثيرة ويقال لها البحوث وقال ابو مالك الغفاري
اول ما نزلت من براءة انفروا خفافا وثقالا وقال سعيد بن جبير كانت براءة مثل سورة
البقرة في الطول واختلف لم سقط سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعها في السبع
الطول وقال علي ابن ابي طالب لابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم امان وبشارة
وبراءة نزلت بالسيف ونبذ العهد فلذلك لم يبدا بالامان **قال القاضي ابو محمد**
ويعزى هذا القول للمبرد وهو لعلي ابن ابي طالب وهو كما يبدا المخاطب الغاضب
اما بعد دون تفريط ولا استفتاح بتجميل وروي ان كتبة المصحف في مدة عثمان
اختلفوا في الانفال وبراءة هل هي سورة واحدة او هما سورتان فتركوا فصلا بينهما
مراعاة لقول من قال انهما واحدة فرضي جميعهم بذلك **قال القاضي ابو محمد**
وهذا القول يضعفه النظر ان يختلف في كتاب الله هكذا وروي عن ابي بن كعب
انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا بموضع بسم الله الرحمن الرحيم في
اول كل سورة ولم يامرنا في هذه بشيء فلذلك لم نضعه وروي عن مالك انه
قال بلغنا انها كانت نحو سورة البقرة ثم نسخ ورفع كثير منها وفيه عن البسملة
فلم يروا بعد ان يضعوه في غير موضعه وسورة براءة من آخر ما نزل على النبي صلى الله
عليه وسلم وحكى عمر بن جرير ان اعرابيا سمع سورة براءة فقال اظن هذه من
آخر ما انزل الله على رسوله فقيل له ولم قال اري اشياء تنقض وعهودا تنبذ
قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا
في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين واذان من

الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم
فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم
براءة على خبر ابتداء مضمر تقديره هذه الآيات براءة ويصح ان ترتفع بالابتداء
والخبر في قوله الى الذين وجاز الابتداء بالنكرة لانها موصوفة فتعرفت تعريفا ما
وجاز الاخبار عنها وقرا عيسى بن عمر براءةً بالنصب على تقدير الزموا براءة
ففيها معنى الاغراء وبراءة معناه تخلص وتبر من العهود التي بينكم وبين الكفار
البادين بالنقض تقول برئت اليك من كذا فبرئ الله ورسوله بهذه الآية
الى الكفار من تلك العهود التي كانت ونقضها الكفار وقرا اهل نجران من
بكسر النون من من وهذه الآية حكم من الله عز وجل بنقض العهود والموادعات
التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين طوائف المشركين الذين ظهر منهم
او تحسس من جهتهم نقض ولما كان عهد الرسول لازما لجميع امته حسن
ان يقول عاهدتم قال ابن اسحاق وغيره من العلماء كانت العرب قد واثقها رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهدا عاما على ان لا يصد احد عن البيت الحرام ونحو هذا
من الموادعات فنقض ذلك بهذه الآية واجل لجميعهم اربعة اشهر يبلغ بعد تمامها
ومن كان امده اكثر من اربعة اشهر اتم له عهده الا ان كان ممن تحسس منه
نقض فانه قصر على اربعة اشهر ومن لم يكن له عهد خاص فرضت له الاربعة
الاشهر يسيحها في الارض اي يذهب مسرحا آمنا كالسيح من الماء وهو
الجاري المنبسط ومنه قول **طرفة بن العبد** لو خفت هذا منك
ما نلتني حتى ترى خيلا امامي تسيح ∴ وهذا يبنى على ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم استشعر من الكفار نقضا وتربصا به الا من الطائفة
المستثناة وقال ابن عباس رضي الله عنهما اول الاشهر الاربعة شوال
وحينئذ نزلت الآية وانقضاؤها عند انسلاخ الاشهر الحرم وهو انقضاء
المحرم بعد يوم الاذان بخمسين يوما فكان اجل من له عهد اربعة اشهر

ابو محمد

من يوم نزول الاية واجل سائر المشركين خمسون ليلة من يوم الاذان قال القاضي
اعترض هذا بان الاجل لا يلزم الا من يوم سمع ويحتمل ان البراءة قد كانت سمعت من
اول شوال ثم كرر اشهارها مع الاذان يوم الحج وقال السدي وغيره بل اولها يوم
الاذان واخرها العشر من ربيع الاخر وهي الحرم واستعير لها الاسم لهذه الحرمة
والامن الخاص الذي رسمه الله والزمه فيها وهي اجل الجميع ممن له عهد وخيس
منه نقضه وممن لا عهد له وقال الضحاك وغيره من العلماء كان من العرب من لا
عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة وكان منهم من بينه وبينهم
عهد وخيس منهم النقض وكان منهم من بينه وبينهم عهد ولم ينقض فقوله
فسيحوا في الارض اربعة اشهر هو اجل ضربه لمن كان بينه وبينهم عهد وخيس
منهم نقضه واول هذا الاجل يوم الاذان واخره انقضاء العشر الاول من ربيع الاخر
وقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين هو حكم مباين للاول لان الحكم
في المشركين الذين لا عهد لهم البتة جا اجل بينهم خمسين يوما اولها يوم الاذان
واخرها انقضاء المحرم وقوله الا الذين عاهدتم يريد به الذين لهم المحش من خويلد
وكان بقي من عهدهم يوم الاذان تسعة اشهر وحكى الطبري عن فرقة انها قالت
انما اجل الله اربعة اشهر من كان له عهد ينصرم عند انقضائها او قبله والمعنى قل
لهم يا محمد سيحوا او امسا من كان له عهد فيتمادى بعد الاربعة الاشهر فهم الذين
امر الله بالوفاء لهم وقوله تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله معناه واعلموا انكم
لا تغلبون الله ولا تعجزونه هربا من عقابه ثم اعلمهم بخزيه الكافرين وذلك
حتما اما في الدنيا واما في الاخرة وقوله تعالى واذان من الله ورسوله الى الناس
الاية واذان معناه اعلام واشهار والناس هاهنا عام في جميع الخلق ويوم منصوب
على الظرف والعامل فيه اذان وان كان قد وصف فان رائحة الفعل باقية وهي عاملة
في الظروف وقيل لا يجوز ذلك اذ قد وصف المصدر فزالت عنه قوة الفعل ويصح ان
يعمل فيه فعل مضمر تقتضيه الالفاظ وقيل العامل فيه صفة الاذان وقيل العامل

فيه مخزي قال القاضي ابو محمد وهذا بعيد ويوم الحج الاكبر قال عمر وابن عمر
وابن المسيب وغيرهم هو يوم عرفة وقال علي وروي عنه ايضا انه يوم النحر وروي
ذلك عن ابي هريرة وجماعة غيرهم وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال منذر
ابن سعيد وغيره كان الناس يوم عرفة مفترقين اذ كانت الحمس تقف بالمزدلفة وكان
الجميع يوم النحر بمنى فلذلك كانوا يسمونه الحج الاكبر اي من الاصغر الذي هم فيه
مفترقون قال القاضي ابو محمد وهذا ان الحجة ابي بكر لانه لم يقف احد
بالمزدلفة وقد ذكر المهدوي ان الحمس ومن اتبعها وقفوا بالمزدلفة في حجة
ابي بكر والذي تظاهرت به الاحاديث في هذا المعنى ان عليا اذن بتلك الايات
يوم عرفة اثر خطبة ابي بكر ثم راى انه لم يعم الناس بالاسماع فتتبعهم بالاذان
بها يوم النحر وفي ذلك اليوم بعث معه ابو بكر من يعينه في الاذان بها كابي
هريرة وغيره وتتبعوا بها ايضا اسواق العرب كذي المجاز وغيره فمن هنا يترجح
قول سفين ان يوم في هذه الاية بمعنى ايام وبسبب ذلك قالت طايفة
يوم الحج الاكبر عرفة حيث وقع اول الاذان وقالت اخرى هو يوم النحر حيث وقع
اكمال الاذان واحتجوا ايضا بانه من فاته الوقوف يوم عرفة فانه يجزئه الوقوف
ليلة يوم النحر فليس يوم عرفة على هذا يوم الحج الاكبر قال القاضي ابو محمد
ولا حجة في هذا وقال سفين بن عيينة المراد ايام الحج كلها كما تقول يوم صفين
ويوم الجمل يريد جميع ايامه وقال مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منى كلها ومجامع
المشركين حين كانوا بذي المجاز وعكاظ ومجنة حين نودي فيهم الا يجتمع
المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا قال القاضي ابو محمد وهذا كما قال
عثمان لعمر حين عرض عليه زواج حفصة اني قد رايت الا اتزوج يومي هذا وكما
ذكر سيبويه انك تقول لرجل ما شغلك اليوم وانت تريد في ايامك هذه واختلف
لم وصف بالاكبر فقال الحسن بن ابي الحسن وعبد الله بن الحرث بن نوفل لانه حج ذلك
العام المسلمون والمشركون وصادف ايضا عيد اليهود والنصارى قال القاضي

أبو محمد وهذا ضعيف أن يصفه الله في كتابه بالأكبر لهذا وقال الحسن إنما
سمي أكبر لأنه حج فيه أبو بكر ونبذت فيه العهود قال القاضي أبو محمد هذا هو
القول الذي يشبه نظر الحسن وبيانه أن ذلك اليوم كان المفتتح بالحق وإمارة الإسلام
بتقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبذت فيه العهود وعز فيه الدين
وذل الشرك ولم يكن ذلك في عام ثمان حين ولي رسول الله الحج عتاب بن أسيد بل كان
أمر العرب على أوله فكل حج بعد حج أبي بكر فمترتب عليه فحقه لهذا أن يسمى أكبر وقال
عطاء بن أبي رباح وغيره الحج الأكبر بالإضافة إلى الحج الأصغر وهي العمرة وقال
الشعبي بالإضافة إلى العمرة في رمضان فإنها الحج الأصغر وقال مجاهد الحج الأكبر
القران والأصغر الإفراد وهذا ليس من هذه الآية في شيء وقد تقدم ما ذكر منذر
بن سعيد ويتجه أن يوصف بالأكبر على جهة المدح لا بإضافة إلى أصغر معين
بل يكون المعنى الأكبر من سائر الأيام فتأمله واختصار ما يحتاج إليه هذه الآية
على ما ذكر مجاهد وغيره من صورة تلك الحال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح
مكة سنة ثمان فاستعمل عليها عتاب بن أسيد وقضى أمر حنين والطائف
وانصرف إلى المدينة فأقام بها حتى خرج إلى تبوك ثم انصرف من تبوك في رمضان
سنة تسع فأراد الحج ثم نظر في أن المشركين يحجون في تلك السنة ويطوفون عراة
فقال لا أريد أن أرى ذلك فأمر أبا بكر على الحج بالناس وأنفذه ثم أتبعه علي بن أبي طالب
على ناقته العضباء وأمره أن يؤذن في الناس بأربعة أشياء وهي لا يحج بعد العام
مشرك ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة وفي بعض الروايات ولا يدخل الجنة
كافر ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى
مدته وفي بعض الروايات من كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله أربعة
أشهر يسيح فإذا انقضت فإن الله بريء من المشركين ورسوله قال القاضي أبو
محمد وأقول إنهم كانوا ينادون بهذا كله فهو للذين لهم عهد وتحسس منهم نقضه
والإبقاء إلى المدة لمن لم يخبر منه نقض وذكر الطبري أن العرب قالت يومئذ نحن

نبرأ من عهدك وعهد بني عمك إلا من الطعن والضرب فلام بعضهم بعضا فقالوا
ما تصنعون وقد أسلمت قريش فأسلموا كلهم ولم يسح أحد قال القاضي أبو محمد
وحينئذ دخل الناس في دين الله أفواجا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا
أن يقرأ على الناس الأربعين آية صدر سورة براءة وقيل ثلاثين وقيل عشرين وفي
بعض الروايات عشر آيات وفي بعضها تسع آيات ذكرها النقاش وقال
سليمان بن موسى الشامي ذلك ثمان وعشرون آية فلحق علي أبا بكر في الطريق فقال
له أبو بكر أمير أو مأمور فقال بل مأمور فنهضا حتى بلغا الموسم فلما خطب أبو بكر
بعرفة قال قم يا علي فأد رسالة رسول الله فقام علي ففعل قال ثم وقع في نفسي
أن جميع الناس لم يشاهدوا خطبة أبي بكر فجعلت أتتبع الفساطيط يوم النحر
وقرأ جمهور الناس أن الله بريء بفتح الألف على تقدير بأن الله وقرأ الحسن والأعرج
إن الله بكسر الألف على القطع إذ الأذان في معنى القول وقرأ جمهور الناس ورسوله
بالرفع على الابتداء وحذف الخبر تقديره ورسوله بريء منهم وهذا هو مذهب شيخنا
الفقيه الأستاذ الأجل أبي الحسن الباذش أبقاه الله لأنه معنى العطف على
الموضع أي تأنس بالجملة الأولى التي هي من ابتداء وخبر فعطف عليها هذه الجملة
وقيل هو معطوف على موضع المكتوبة قبل دخول أن التي لا تغير معنى الابتداء
بل تؤكده وإذ قد قرئت بالكسر لأنه لا يعطف على موضع أن بالفتح وانظر وفائده
في جوازه لأن حكم أن رفع حكم الابتداء إلا في هذا الموضع وما أشبهه وهذا
قول أبي العباس وأبي علي رحمهما الله ومذهب الأستاذ على مقتضى كلام
سيبويه أن لا موضع لما دخلت عليه أن إذ هو معرب قد ظهر فيه عمل العامل
وأنه لا فرق بين أن وبين ليت ولعل والإجماع على أن لا موضع لما دخلت عليه هذه
وقيل عطف على الضمير المرفوع الذي في بريء وحسن ذلك لأن المجرور قام مقام التوكيد
كما قامت لا في قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر
ورسوله بالنصب عطفا على لفظ المكتوبة وهذه الآية امتحن معوية أبا الأسود

حين وضع الهوادج قال فإن يغر الخفض رسوله والمعنى في هذه الآية براءة
من عهودهم وأديانهم براءة عامة تقتضي المحاربة وإعمال السيف وقوله فإن
تبتم أي عن الكفر ووعدهم مع شرط التوبة وتوعدهم مع شرط التولي وجاز أن
تدخل البشارة في المكروه لما جاء مصرحا به مرفوع الإشكال قوله تعالى
إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا
فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن
تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم
هذا هو الاستثناء الذي تقدم ذكره في المشركين الذين بقي من عهدهم تسعة
أشهر وكانوا قد وفوا بالعهد على ما يجب وقال قتادة هم قريش الذين عوهدوا
زمن الحديبية قال القاضي أبو محمد وهذا مردود بإسلام قريش في الفتح قبل
الأذان بهذا كله وقال ابن عباس قوله إلى مدتهم إلى الأربعة الأشهر التي
في الآية قبل وقرأ الجمهور ينقصوكم بالصاد غير منقوطة وقرأ عطاء بن يسار وعكرمة
وابن السميفع ينقضوكم بالضاد من النقض وهي متمكنة مع العهد ولكنها قلقة
في تعديها إلى الضمير وحسن ذلك أن النقض نقض وفاء وحق للمعاهد وكذلك
تعدى أتموا بإلى لما كان العهد في معنى ما يؤدى ويبدأ به فإنهم ينقضون العهد
ويظاهروا معناه يتعاونوا والظهير المعين وأصله من الظهر كأن هذا أسند ظهره
إلى الآخر والآخر كذلك وقوله إن الله يحب المتقين تنبيه على أن الوفاء بالعهد
من التقوى وقوله تعالى فإذا انسلخ الأشهر الحرم الآية الانسلاخ خروج الشيء
عن الشيء المتلبس به كانسلاخ الشاة عن الجلد والرجل عن الثياب ومنه قول الله
تعالى نسلخ منه النهار فشبه انسلاخ الأشهر أسمائها وأحكامها من الموسم بذلك وقد
تقدم القول فيمن جعل له انقضاء الأشهر الحرم أجلا وما المعنى بالأشهر الحرم بما
أغنى عن إعادته وقوله فاقتلوا المشركين أمر بقتال المشركين فخرج الأمر بذلك بلفظ

اقتلوا

اقتلوا على جهة التشجيع وتقوية النفس هكذا لكون أمركم معهم وهذه الآية نسخت
كل موادعة في القرآن أو مهادنة وما جرى مجرى ذلك وهي على ما ذكر مائة آية وأربع
عشرة آية وقال الضحاك والسدي وعطاء هذه الآية منسوخة بقوله فإما منا
بعد وإما فداء وقالوا لا يجوز قتل الأسير بعينه صبرا إما أن يمن عليه وإما أن يفادى
وقال قتادة ومجاهد وغيرهما قوله فإما منا بعد وإما فداء منسوخ بهذه الآية
وقالوا لا يجوز أن يمن على أسير ولا أن يفادى ولا شيء إلا القتل وقال ابن زيد محكمتان

هما مح

قال القاضي أبو محمد ولم يفسر أكثر من هذا وقوله هو الصواب في الآيتين لأنهما
معنى واحد مع معنى الأخرى وذلك أن هذه الآية قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم أفعال إنما تمتثل مع المحارب المرسل المناضل وليس للأسير فيها
ذكر ولا حكم وإذا أخذ الكافر خرج عن درجات هذه الآية وانتقل إلى حكم الآية
الأخرى وتلك الآية لا مدخل فيها لغير الأسير فقول ابن زيد هو الصواب وقوله
خذوهم معناه الأسر وقوله كل مرصد معناه في مواضع الغرة حيث يرصدون
وقال النابغة أعاذل إن الجهل من لذة الفتى وإن المنايا للنفوس بمرصد
ونصب كل على الظرف وهو اختيار الزجاج أو بإسقاط الخافض التقدير في كل
مرصد وحكى سيبويه ضرب الظهر والبطن وقوله فإن تابوا يريد من الكفر فهي
متضمنة الإيمان ثم قرنها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة تنبيها على مكان الصلاة
والزكاة من الشرع وقوله فخلوا سبيلهم تأمين وقال أنس بن مالك هذا هو دين الله
الذي جاءت به الرسل وهو من آخر ما نزل قبل اختلاف الأهواء وفيه قال النبي صلى الله
عليه وسلم من فارق الدنيا مخلصا لله لقي الله وهو عنه راض ووعد بالمغفرة في صيغة
الخبر عن أوصافه تعالى قوله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى
يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند
الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم إن الله يحب المتقين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بعد الأمر

بقتال المشركين بان يكون متى طلب مشرك عهدا يامن به حتى يسمع القران ويرى حال الاسلام
ان يعطيه ذلك وهي الاجارة وهي من الجوار ثم امر بتبليغه المامن اذا لم يرض الاسلام ولم
تهده اليه قال الحسن هي محكمة سنة الى يوم القيمة وقاله مجاهد وقال الضحاك والسدي
هذا منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين وقال غيرهما هذه الاية انما كان حكمها مدة الاربعة
الاشهر التي ضربت لهم اجلا **وقوله** حتى يسمع كلام الله يعني القران وهو اضافة صفة
الى موصوف لا اضافة خلق الى خالق والمعنى حتى يفهم كلامه واوامره ونواهيه فذكر
السماع بالاذن اذ هو الطريق الى الفهم وقد يجي السماع في كلام العرب مستعملا بمعنى الفهم
كما تقول لمن خاطبته فلم يقبل منك انت لم تسمع قولي تريد لم تفهمه وذلك في كتاب الله تعالى
في عدة مواضع واحد في هذه الاية مرتفع بفعل يفسره قوله استجارك ويضعف فيه
الابتدا لولاية الفعل الان **وقوله تعالى** ذلك بانهم الاشارة الى هذا اللطف في الاجارة
والاسماع وتبليغ المامن ولا يعلمون نفي علمهم بمراشدهم في اتباع محمد عليه السلام **وقوله
تعالى** كيف يكون للمشركين عهد الاية لفظ استفهام وهو على جهة التعجب والاستبعاد
اي على اي وجه يكون للمشركين عهد وهم قد نقضوا وجاهروا بالتعدي ثم استثنى من عموم
المشركين القوم الذين عوهدوا عند المسجد الحرام اي في ناحيته وجهته وقال ابن عباس
فيما روي عنه المعني بهذا قريش وقال السدي المعني بنو جذيمة بن الديل وقال ابن
اسحق هي قبايل بني بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقض الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر المسلمون باتمام
العهد لمن لم يكن نقض وقال قوم المعني خزاعة قاله مجاهد وهو مردود باسلام خزاعة
عام الفتح وقال بعض من قال انهم قريش ان هذه الاية نزلت فلم يستقيموا بل نقضوا
فرد تاجيلهم اربعة اشهر بعد ذلك وحكى الطبري هذا عن ابن زيد وهو ضعيف متناقض
لان قريشا وقت الاذان لم يكن بعد الاشهر لم يكن منهم الا مسلم وذلك بعد فتح مكة بسنة
وكذلك خزاعة قاله الطبري وغيره **وقوله** ان الله يحب المتقين يريد به المومنين للعهد
من المومنين فلذلك جا بلفظ مغتفر للوفا بالعهد متضمن الايمان **قوله تعالى**

كيف

كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم
واكثرهم فاسقون اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا
يعملون لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون تقدير كيف في هذه الاية
فعل مقدر ولا بد تدل عليه ما تقدم تقديره كيف يكون لهم عهد ونحوه **قول
الشاعر** وخبرتماني انما الموت في القرى فكيف وهاتا هضبة وكثيب ؞ وفي كيف
هنا تاكيد للاستبعاد الذي في الاولى ولا يرقبوا معناه لا يراعوا ولا يحافظوا واصل
الارتقاب بالبصر ومنه الرقيب في الميسر وغيره ثم قيل لكل من حافظ على شي وراعاه
راقبه وارتقبه وقرا جمهور الناس الا وقرا عكرمة مولى ابن عباس بيا بعد الهمزة
خفيفة اللام ايلا وقرات فرقة الا بفتح الهمزة فاما من قرا الا فيجوز ان يراد به
الله عز وجل قاله مجاهد وابو مجلز وهو اسمه بالسريانية وعرب ومن ذلك
قول ابي بكر الصديق حين سمع كلام مسيلمة فقال ان هذا الكلام لم يخرج من ال ويجوز
ان يراد به العهد والعرب تقول للعهد والحلف والجوار ونحو هذه المعاني الا **ومنه
قول ابي جهل** لال علينا واجب لا نضيعه متين قواه غير منتكث الحبل
ويجوز ان يراد به القرابة فان القرابة في لغة العرب يقال لها ال **ومنه قول ابن مقبل**
افسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الال واعراق الرحم ؞ انشده ابو عبيدة
على القرابة وظاهره انه في العهود **ومنه قول حسان** لعمرك ان الك من قريش
كال السقب من رال النعام ؞ واما من قرا الا بفتح الهمزة فهو مصدر من
فعل الال الذي هو العهد ومن قرا ايلا فيجوز ان يراد به الله عز وجل فانه يقال ال وايل
وفي البخاري جبر وميك وسراف عبد بالسريانية وايل الله عز وجل ويجوز ان
يريد الا المتقدم فابدل من احد المثلين يا كما فعلوا ذلك في قولهم اما واما ومنه قول
سعد بن قرط يهجو امه يا ليتما امنا شالت نعامتها ايما الى جنة ايما الى نار **ومنه
قول عمرو بن ابي ربيعة** رات رجلا ايما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي
فيخصر **وقال الاخر** لا تفسدوا ابالكم ايما لنا ايما لكم ؞ قال ابو الفتح

ويجوز أن يكون أخذ من الإل الذي هو الأساس قال القاضي أبو محمد كما قال عمر بن الخطاب
قد آن لنا أن نأل علينا كأن المعنى على هذا لا يرقبون فيكم سياسة ولا مداراة ولا ذمة
وقلبت الواو ياء لسكونها والكسرة قبلها والذمة أيضا بمعنى الميثاق والحلف والجوار ونحوه قال
الأصمعي الذمة كلما يجب أن يحفظ ويحمى فمن رأى في الإل أنه العهد جعلها لفظتين
مختلفتين لمعنى واحد أو متقارب ومن رأى الإل لغير ذلك فهما لفظان لمعنيين
وتأبى قلوبهم معناه تأبى أن تذعن لما يقولونه بالألسنة وأبى يأبى شاذ لا يحفظ فعل
يفعل بفتح العين في الماضي والمستقبل وقد حكي ركن يركن وقوله وأكثرهم
يريد به الكل أو يريد استثناء من قضى له بالإيمان وكل ذلك محتمل وقوله تعالى
اشتروا بآيات الله الآية اللازم من ألفاظ هذه الآية أن هذه الطائفة الكافرة
الموصوفة بما تقدم لما تركت آيات الله ودينه وآثرت الكفر وجالها في بلادها
كان ذلك كالشراء والبيع لما كان من كل واحد منهما أمنة وأخذ الآخر بدله وهذه
نزعة مالك رحمه الله في منع اختيار المشتري فيما يختلف آحاد جنسه ولا يجوز
فيه التفاضل وقد تقدم ذكر ذلك في سورة البقرة وقوله فصدوا عن سبيله
يريد صدوا أنفسهم وغيرهم ثم حكم عليهم بأن عملهم سيئ وساء في هذه الآية إذا لم
يذكر مفعولها احتمل أن تكون متضمنة كبئس فأما إذا قلت ساءني فعل زيد فليس تضمين
بوجه وإن قدرت في هذه الآية مفعولا زال التضمين وروي أن أبا سفيان بن حرب
جمع بعض العرب على طعام وندبهم إلى وجه من وجوه النقض فأجابوا إلى ذلك
فنزلت الآية وقال بعض الناس هذه في اليهود قال القاضي أبو محمد وهذا القول
وإن كان ألفاظ الآية تقتضيه فما قبلها وما بعدها يرده ويتبرأ منه
ويختل أسلوب القول به وقوله تعالى لا يرقبون الآية وصف لهذه الطائفة
المشترية يضعف ما ذهب إليه من قال إن قوله اشتروا بآيات الله هو في
اليهود وقوله تعالى في مؤمن إعلام بأن عداوتهم إنما هي بحسب الإيمان فقط
وقوله اولئكم كان يحتمل أن ينظر إلى ذلك الأجزاء التي وقعت الهذا

الاجمال

الإجمال بقوله في مؤمن ووصفهم تعالى بالاعتداء والبداءة بالنقض للعهود
والتعمق في الباطل قوله تعالى فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة
فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون فإن تابوا رجعوا
عن حالهم والتوبة منهم تتضمن الإيمان ثم قرن تعالى بإيمانهم إقامة الصلاة
وإيتاء الزكاة وقال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال
ابن زيد قرن الله الصلاة بالزكاة ولم يرض بإحداهما دون أخرى قال القاضي
أبو محمد وعلى هذا مر أبو بكر رضي الله عنه وقت الردة والأخوة في الدين هي
أخوة الإسلام وجمع الأخ منها إخوان وجمعه من النسب إخوة قاله بعض اللغويين
وقد قيل إن الأخ من النسب يجمع على إخوان أيضا وذلك ظاهر من قوله تعالى ولا
على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم
أو بيوت أخواتكم ويتبين ذلك قوله تعالى في آخر الآية أو صديقكم وكذلك
قوله في هذه السورة قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم فأما الأخ
من التواد ففي كتاب الله إنما المؤمنون إخوة وقال أبو هريرة في البخاري كان
إخوتي من المهاجرين يشغلهم الصفق بالأسواق فيصح من هذا كله أن الأخ يجمع
إخوة وإخوانا سواء كان من نسب أو مودة ونفصل الآيات نبينها وإيضاحها
وقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم الآية النكث النقض وأصله في كل ما فتل ثم حل
فهي في الأيمان والعهود مستعار وقوله وطعنوا في دينكم أي بالاستنقاص
والحرب وغير ذلك مما يفعله المشرك وهذه استعارة ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم حين أمر أسامة إن يطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه
من قبل الحديث قال القاضي أبو محمد ويليق هنا ذكر شيء من طعن الذمي في
الدين فالمشهور من مذهب مالك رحمه الله أنه إذا فعل شيئا من ذلك مثل تكذيب
الشريعة وسب النبي ونحوه قتل وقيل إذا كفر وأعلن بما هو معهود من معتقده

وكفره أدب على الاعلان وترك وان كفر بما ليس من معهود كفره كالسب ونحوه
قتل وقال ابو حنيفة في هذا انه يستتاب واختلف اذا سب الذمي ثم اسلم
تقية القتل فالمشهور من المذهب انه يترك والاسلام يجب ما قبله وفي
المعتبية انه يقتل ولا يكون احسن حالا من المسلم وقوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر
اي رؤسهم واعيانهم الذين يقودون الناس اليه وقال قتادة المراد بهذا ابو جهل
بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهم قال القاضي ابو محمد وهذا ان لم يتأول
انه ذكرهم على جهة المثال ضعيف فان الاية نزلت بعد بدر بكثير وروي عن
حذيفة انه قال لم يجئ هؤلاء بعد قال القاضي ابو محمد يريد لم ينقرضوا
فهم يحيون ابدا ويقاتلون واصوب ما في هذا ان يقال انه لا يعني بها معين وانما يقع الامر
بقتال ائمة الناكثين بالعهود من الكفرة الى يوم القيامة دون تعيين واقتضت
حال كفار العرب ومحاربي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون الاشارة اليهم
اولا بقوله ائمة الكفر وهم حصلوا حينئذ تحت اللفظة اذ الذي يتولى قتال
النبي والدفع في صدر شريعته هو امام كل من يكفر بذلك الشرع الى يوم القيامة
ثم تأتي في كل جيل ائمة خاصة بجيل جيل وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بهمزة
واحدة وبعدها ياء مكسورة وقد روي عن نافع مد الهمزة وروى عنه ابن ابي اويس
أئمة بهمزتين واصلها أأممة وزنها أفعلة جمع امام كعماد وأعمدة نقلت
حركة الميم الى الهمزة التي هي فاء الفعل وادغمت الميم في الميم الاخرى وقلبت الهمزة
ياء لانكسارها ولاجتماع همزتين من كلمة واحدة وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة
والكسائي ائمة والتعليل واحد الا انهم لم يقلبوا الهمزة ياء وقرأ المسيبي عن نافع
ايمة بهمزة ممدودة وقرأ هشام عن ابن عامر بمدة بين الهمزتين وقرأ الناس الجم
الغفير لا ايمان على جمع يمين وليس المراد نفي الايمان جملة وانما المعنى لا ايمان لهم يوفى
بها ويبر وهذا المعنى يشبه الاية وقرأ الحسن وعطاء وابن عامر وحده من السبعة
لا إيمان وهذا يحتمل وجهين احدهما التصديق قال ابو علي وهذا غير قوي لانه

تكرير

تكرير وذلك انه وصف ائمة الكفر بانهم لا ايمان لهم فالوجه في كسر الالف انه مصدر
من آمنته ايمانا ومنه قوله تعالى وآمنهم من خوف فالمعنى انهم لا يؤمنون كما يؤمن
اهل الذمة الكتابيون اذ المشركون لم يكن لهم الا الاسلام او السيف قال ابو حاتم
فسر الحسن قراءته لا اسلام لهم قال القاضي ابو محمد والتكرير الذي فر ابو
علي منه متجه لانه بيان المهم الذي يوجب قتلهم قوله تعالى الا تقاتلون
قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله
احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم
عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء
والله عليم حكيم قوله الا تقاتلون عرض وتحضيض وقوله وهموا
باخراج الرسول قال الحسن ابن ابي الحسن المراد من المدينة وهذا مستقيم
كغزوة أحد والاحزاب وغيرهما وقال السدي المراد من مكة فهذا على ان يكون
المعنى هموا او فعلوا او على ان يقال هموا باخراجه ما دبروه ولم يصلوا الى
ذلك بل خرج بامر الله عز وجل وهذا يجري مجرى انكار النبي صلى الله عليه وسلم
على ابي سفيان بن الحرث قوله وردني الى الله من طردت كل مطرد
ولا ينسب الاخراج اليهم الا اذا كان الكلام في طريق تذنيبهم كما قال تعالى واخراج
اهله منه اكبر عند الله وقوله قريتك التي اخرجتك والاول هو على ان
ما فعلوه من اسباب الخروج هو الاخراج وقوله اول مرة قيل يراد
افعالهم بمكة بالنبي وبالمؤمنين وقال مجاهد يراد به ما بدأت به قريش
من معونة بني بكر حلفائهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا
بدأ النقض وقال الطبري يعني فعلهم يوم بدر وقوله اتخشونهم استفهام
على معنى التقرير والتوبيخ وقوله فالله مرتفع بالابتداء واحق خبره وان
تخشوه بدل من اسم الله بدل اشتمال او في موضع نصب على اسقاط خافض
تقديره بان تخشوه ويجوز ان يكون الله ابتداء واحق ابتداء ثان وان تخشوه خبر

الثاني والجملة خبر الاول وقوله ان كنتم مومنين كما تقول افعل كذا ان كنت رجلا
اي رجلا كاملا فهذا معناه ان كنتم مومنين كاملي الايمان لان ايمانهم قد كان استقر
وقوله قاتلوهم يعذبهم الله الاية قررت الايات قبلها افعال الكفرة ثم حض
على القتال مقترنا بذنوبهم لتنبعث الحمية مع ذلك ثم جزم الامر بقتالهم في
هذه الاية مقترنا بوعد وكتب يتضمن النصرة عليهم والظفر بهم وقوله
يعذبهم معناه بالقتل والاسر وذلك كله عذاب ويخزهم معناه يذلهم على ذنوبهم
يقال خزي الرجل يخزي خزيا اذا ذل من حيث وقع في عار واخزاه غيره وخزي يخزى
خزاية اذا استحيى واما قوله ويشف صدور قوم مومنين فان الكلام يحتمل ان يريد
تخصيص قوم من المومنين وروي انهم خزاعة قاله مجاهد والسدي ووجه تخصيصهم
انهم الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب وكان يومئذ في خزاعة مومنون كثير
ويقتضي ذلك قول الخزاعي المستنصر بالنبي صلى الله عليه وسلم: ثمت اسلمنا
فلم ننزع يدا وفي اخر الرجز وقتلونا ركعا وسجدا: وقرا جمهور الناس
ويذهب غيظ قلوبهم على اسناد الفعل الى الله عز وجل وقرات فرقة ويذهب غيظ
قلوبهم على اسناد الفعل الى الغيظ وقرا جمهور الناس ويتوب بالرفع على القطع مما قبله
والمعنى ان الاية استانفت الخبر بانه قد يتوب على بعض هولاء الكفرة الذين امر بقتالهم
قال ابو الفتح وهذا امر موجود سواء قوتلوا او لم يقاتلوا فلا وجه لادخال
التوبة في جواب الشرط الذي في قاتلوهم على قراءة النصب وانما الوجه الرفع على الاستيناف
والقطع وقرا الاعرج وابن ابي اسحق وعيسى الثقفي وعمرو بن عبيد وابو عمرو فيما روي
عنه ويتوب بالنصب على تقدير وان يتوب ويتوجه ذلك عندي اذا ذهبت الى ان
التوبة انما يراد بها هنا ان قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم ايها المومنون
وكمال لايمانكم فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال وعليم حكيم صفتان نسبتهما الى
الاية واضحة قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة والله خبير بما تعملون

ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك
حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون ام في هذه الاية ليست المعادلة وانما هي
المتوسطة في الكلام وهي عند سيبويه التي تتضمن اضرابا عن اللفظ الاول لا عن معناه
واستفهاما فهي تسد مسد بل والف الاستفهام وهي التي في قولهم انها لابل ام شاء
التقدير بل اهي شاء وقوله ان تتركوا سدت عند سيبويه مسد مفعولي حسبت وقال
المبرد ان وما بعدها مفعول اول والثاني محذوف قال القاضي ابو محمد كانه
تقديره مهملين او سدى ونحو ذلك وقوله ولما هي لم دخلت على ما وفيها مبالغة
ومعنى الاية اظننتم ان تتركوا دون اختبار وامتحان فلما في هذه الاية بمنزلة قول
الشاعر بايدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت قال
القاضي ابو محمد والمراد بقوله ولما يعلم لما تعلم ذلك موجودا كما علمه ازلا بشرط
الوجود ولما يظهر فعلكم واستباقكم الذي يقع عليه الثواب والعقاب ففي العبارة تجوز
والاخص انه قد علم الله في الازل الذين وصفهم بهذه الصفة مشروطا وجودهم
وليس يحدث له علم تبارك وتعالى عن ذلك ووليجة معناه بطانة ودخيلة وقال
عبادة بن صفوان الغنوي: ولائجهم في كل مبدى ومحضر الى كل من يرجى ومن
يتخوف: وهو ماخوذ من الولوج فالمعنى امرا باطنا مما ينكره الحق وهذه الاية
مخاطبة للمومنين معناها انه لا بد من اختبارهم فهي كقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وكقوله الم احسب الناس ان يتركوا ان
يقولوا امنا وهم لا يفتنون وفي هذه الاية طعن على المنافقين الذين اتخذوا الولائج
لا سيما عند ما فرض القتال وقرا جمهور الناس والله خبير بما تعملون بالتاء على المخاطبة
وقرا الحسن ويعقوب في رواية رويس وسلام بما يعملون بالياء على الحكاية عن الغائب وقوله
تعالى ما كان للمشركين الاية معناه ما كان للمشركين بالحق والواجب ان يعمروا وهذا
هو الذي نفى الله عز وجل والا فقد عمروا مساجده قديما وحديثا تغلبا وظلما وقرا
حماد بن ابي سلمة عن ابن كثير والجحدري مسجد الله بالافراد في الموضعين وقرا

نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي والأعرج وشيبة وأبو جعفر ومجاهد وقتادة
وغيرهم مساجد بالجمع في الموضعين وقرأ ابن كثير أيضا وأبو عمرو ومسجد بالإفراد في
هذا الأول ومساجد بالجمع في الثاني كأنه ذكر أولا الذي فيه النازلة ذلك الوقت
ثم عمت المساجد ثانيا في الحكم الثابت ما بقيت الدنيا ولفظ الجمع يقتضي عموم المساجد
كلها ويحتمل أن يراد به المسجد الحرام في الموضعين وحده على أن يقدر كل موضع
سجود فيه مسجدا ثم يجمع ولفظ الإفراد في الموضعين يقتضي خصوص المسجد الحرام
وحده ويحتمل أن يراد به الجنس فيعم المساجد كلها ولا يمتنع من ذلك إضافته كما
إليه من لا بصر له وقال أبو علي الثاني في هذه القراءة يراد به الأول وسائر المساجد
حكمها حكم المسجد الحرام **وقوله** شاهدين على أنفسهم بالكفر إشارة إلى حالهم أي
أقوالهم وأفعالهم تقتضي الإقرار بالكفر والتحلي به وقيل الإشارة إلى قولهم في التلبية إلا
شريك هو لك وحكى الطبري عن السدي أن المعنى الإشارة إلى أن النصراني كان يقول
أنا نصراني واليهودي كذلك والوثني يقول أنا مشرك **قال القاضي أبو محمد** وهذا
لم يحفظ ثم حكم الله تعالى عليهم بأن أعمالهم حبطت أي بطلت ولا أحفظها استعمل
إلا في السعي والعمل ويشبه أن يكون من الحبط وهو داء قاتل يأخذ السائمة إذا رعت
ويقال هو الذي في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مما تنبت الربيع ما يقتل
حبطا أو يلم **قوله تعالى** إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين
أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد
في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين المعنى في هذه الآية
إنما يعمر مساجد الله بالحق لهم والواجب ولفظ هذه الآية الخبر وفي ضمنها أمر
المؤمنين بعمارة المساجد وقد كان بعض السلف إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فحسنوا به
الظن وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيتم الرجل يعتاد
المسجد فاشهدوا عليه بالإيمان وقد تقدم القول في قراءة مسجد **وقوله** واليوم الآخر

اذا صح

واقام

وأقام الصلاة وآتى الزكاة يتضمن الإيمان بالرسول إذ لا يتلقى ذلك إلا منه **وقوله**
ولم يخش إلا الله حذفت الألف من يخش للجزم قال سيبويه واعلم أن الآخر إذا
كان يسكن في الرفع حذف في الجزم لئلا يكون الجزم بمنزلة الرفع ويريد خشية التعظيم
والعبادة والطاعة وهذه مرتبة العدل من الناس ولا محالة أن الإنسان يخشى غيره
ويخشى المحاذير الدنياوية وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه وعسى من الله
تعالى واجبة حيثما وقعت في القرآن وفي ترجح الله بالاهتداء إلا من حصل في هذه المرتبة
العظيمة من العدالة ففي هذا حض بليغ على التقوى وقرأ الجمهور أجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام وقرأ ابن الزبير وأبو وجزة ومحمد بن علي وأبو جعفر القاري
أجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام وقرأها كذلك ابن جبير إلا أنه نصب
المسجد على إرادة التنوين في عمرة وقرأ الضحاك وأبو وجزة وأبو جعفر القاري سقاية
الحاج بضم السين وعمرة فأما من قرأ سقاية وعمارة ففي الكلام حذف تقديره
إما في أوله وإما في آخره فإما أن يقدر أهل سقاية وإما أن يقدر كفعل من آمن وأما
من قرأ سقاة وعمرة فمنط قراءته مستو وأما قراءة الضحاك فجمع ساق إلا أنه ضم
أوله كما قالوا عرق وعراق وظئر وظؤار وكان قياسه أن يقال سقاء وإن أنث كما أنث
من الجموع حجارة وغيره وكان العباس سقايته من أول أمره على الناس قال ابن جني
وسقاية الحاج كانت في بني هاشم وكان العباس يتولاها قال الحسن ولما نزلت
هذه الآية قال العباس ما أراني إلا تارك السقاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أقيموا عليها فهي لكم خير وعمارة البيت هي السدانة وكانت في بني عبد الدار
وكان يتولاها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى
بن عثمان بن عبد الدار وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة المذكور وهذان هما اللذان
دفع إليهما مفتاح الكعبة في ثاني يوم الفتح بعد أن طلبه العباس وعلي وقال عليه السلام
لعثمان وشيبة يومئذ يا بني أبي طلحة خذوها خالدة تالدة لا ينازعكموها إلا ظالم
قال القاضي أبو محمد يعني السدانة واختلف الناس في سبب نزول هذه الآية

فقيل ان كفار قريش قالوا لليهود انا نسقي الحجيج ونعمر البيت افنحن افضل ام محمد
ودينه فقالت لهم احبار اليهود بل انتم فنزلت الآية في ذلك وقيل ان الكفار افتخروا
بهذه الاشيا فنزلت الآية في ذلك واسند الطبري الى النعمان ابن بشير انه قال
كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه فقال احدهم ما اتمنى بعد
الاسلام الا ان اكون ساقي الحاج وقال الاخر الا ان اكون خادم البيت وعامره
وقال الثالث الا ان اكون مجاهدا في سبيل الله فسمعهم عمر بن الخطاب فقال
اسكتوا حتى ادخل على النبي فاستفتيه فدخل عليه فاستفتاه فنزلت الآية في ذلك
وقال ابن عباس والضحاك ان المسلمين عيروا اسرى بدر بالكفر فقال العباس بل
نحن سقاة الحاج وعمرة البيت فنزلت الآية في ذلك وقال مجاهد امروا بالهجرة
فقال العباس انا اسقي الحاج وقال عثمن بن طلحة انا حاجب الكعبة فلا نهاجر
فنزلت اجعلتم الى قوله حتى ياتي الله بامره وقال مجاهد وهذا كله قبل فتح مكة
وقال محمد بن كعب ان العباس وعليا وعثمن بن طلحة تفاخروا فقال العباس انا
ساقي الحاج وقال عثمن انا عامر البيت ولو شيت بت فيه وقال علي انا صاحب
جهاد الكفار مع النبي عليه السلام والذي امنت وهاجرت قديما فنزلت الآية في
ذلك قوله تعالى الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفايزون يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم ∴
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم واخوانكم اوليا ان استحبوا الكفر على الايمان ومن
يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون لما حكم تعالى في الآية المتقدمة بان الصنفين
لا يستوون بين ذلك في هذه الآية الاخرة واوضحه فعدد الايمان والهجرة والجهاد
بالمال والنفس وحكم ان اهل هذه الخصال اعظم درجة عند الله من جميع الخلق ثم
حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه والفوز بلوغ البغية اما في نيل رغيبة او نجاة
من مهلكة وينظر الى معنى هذه الآية الحديث لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم

انفق

انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه قال القاضي ابو محمد
لان اصحاب هذه الخصال كانوا فصل بني الاسلام وهم ردوا الناس الى الشرع
وقوله تعالى يبشرهم ربهم الآية هذه آية وعد وقراه الناس يبشرهم بفتح اليا وضم
الشين خفيفة واسند الطبري الى جابر بن عبد الله انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا ادخل اهل الجنة الجنة قال الله عز وجل اعطيتكم افضل من هذا
فيقولون ربنا اي شي افضل من هذا قال رضواني وفي البخاري في كتاب السنة نه فلا
اسخط عليكم ابدا وقرا الجمهور ورضوان بكسر الراء وقرا عاصم وعمر ورضوان بضم
الراء وقرا الاعمش بضم الراء والضاد جميعا قال ابو حاتم لا يجوز هذا قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم الآية ظاهر هذه المخاطبة انها لجميع المومنين
كافة وهي باقية الحكم الى يوم القيامة وروت فرقة ان هذه الآية انما نزلت في الحض
على الهجرة ورفض بلاد الكفر فالمخاطبة على هذا للمومنين الذين كانوا في مكة وغيرها
من بلاد العرب خوطبوا بان لا يوالوا الابا والاخوة فيكونون لهم تبعا في سكنى بلاد الكفر
ولم يذكر الابنا في هذه الآية اذ الاغلب من البشر ان الابنا هم التبع للابا والاخوان في
هذه الآية جمع اخ النسب وكذلك هو في قوله تعالى او بيوت اخوانكم وقرا عيسى
ابن عمر ان استحبوا بفتح الالف من ان وقرا الجمهور ان بكسر الالف على الشرط واستحبوا
متضمنة معنى فضلوا واثروا ولذلك تعدت بعلى ثم حكم الله عز وجل بان من
والاهم واتبعهم في اعراضهم فانه ظالم اي واضع الشي غير موضعه وهذا ظلم
المقصد لا ظلم الكفر قوله تعالى قل ان كان اباكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره
والله لا يهدي القوم الفاسقين هذه الآية تقوي مذهب من راى هذه والتي
قبلها انما مقصدها الحض على الهجرة وفي ضمن قوله فتربصوا وعيد بين وقوله
بامره قال الحسن الاشارة الى عذاب او عقوبة من الله وقال مجاهد الاشارة

مر راي صح

الى فتح مكة والمعنى فاذا جاء الله بامره فلم تسلفوا ما يكون لكم اجرا ومكانة في الاسلام

والابنآم

قال القاضي ابو محمد وذكر الابنا في هذه الآية لما جلبت ذكرهم المحبة صدر
في المحبة وليسوا كذلك في ان تتبع اراوهم كما في الآية المتقدمة وقرا جمهور الناس وعشيرتكم
وقرا عاصم وحده بخلاف عنه وابو رجاء وابو عبد الرحمن وعصمة وعشيراتكم وحسن
هذا الجمع اذ لكل احد عشيرة ولا تكاد تقول العرب عشيرات واقترفتموها معناه اكتسبتموها
واصل الاقتراف والمقارفة مقاربة الشي وتجارة تخشون كسادها من في انواع الاموال
وقال ابن المبارك الاشارة الى البنات اللواتي لا يزوجن لا يوجد لهن خاطب والمساكن
جمع مسكن بفتح الكاف مفعل من السكنى وما كان من هذا معتل الفا فانما ياتي على مفعل
بكسر العين كموعد وموطن والمساكن القصور والدور واحب خبر كان وكان الحجاج بن يوسف
يقراوها احب بالرفع وله في ذلك مع يحيى بن يعمر ساله الحجاج هل تسمعني الحن قال نعم
في هذا الحرف وذكر له رفع احب فنفاه قال القاضي ابو محمد وذلك خارج في
العربية على ان تضمر في كان الامر والشان ولم يقرا بذلك وقوله والله لا يهدي القوم
الفاسقين عموم لفظ يراد به الخصوص فيمن يوافي على فسقه او عموم مطلق على انه لا
هداية من حيث الفسق قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم
وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وانزل جنودا لم تروها وعذب
الذين كفروا وذلك جزا الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشا والله غفور
رحيم هذه مخاطبة لجميع المومنين يعدد عليهم نعم الله عليهم ومواطن جمع موطن
بكسر الطا وموطن موضع الاقامة والحلول لانه اول الاقامة والمواطن المشار اليها
بدر والخندق والنضير وقريظة ولم يصرف مواطن لانه جمع ونهاية جمع ويوم عطف
على موضع قوله في مواطن او على لفظه بتقدير وفي يوم فانحذف حرف الخفض وحنين
واد بين مكة والطائف قريب من ذي المجاز وصرف حين اريد به الموضع والمكان
ولو اريد به البقعة لم يصرف كما قال الشاعر نصروا نبيهم وشدوا ازره

لحنين يوم

لحنين يوم تواكل الابطال وقوله اذ اعجبتكم كثرتكم روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال حين راى جملته اثني عشر الفا لن نغلب اليوم من قلة وروي
ان رجلا من اصحابه قالها فاراد الله اظهار العجز فظهر حين فر الناس ثم عطف القدر
بنصره وقوله وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي بقدر ما هي رحبة واسعة لشدة
الحال وصعوبتها وما مصدرية وقوله ثم وليتم مدبرين يريد فرار الناس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد واختصار هذه القصة ان رسول الله صلى الله لما
افتتح مكة وكان في عشرة الاف من اصحابه وانضاف اليه الفان من الطلقا فصار
في اثني عشر الفا سمع بذلك كفار العرب فشق عليهم فجمعت له هوازن والفافها وعليهم
مالك بن عوف النصري وثقيف وعليهم عبد ياليل بن عمرو وانضاف اليهم اخلاط
من الناس حتى كانوا ثلاثين الفا فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجتمعوا
بحنين فلما تصاف الناس حمل المشركون من مجاني الوادي فانهزم المسلمون قال قتادة
ويقال ان الطلقا من اهل مكة فروا وقصدوا القا الهزيمة في المسلمين وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بغلة شهبا وقال ابو عبد الرحمن الفهري كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم يومئذ وكان على فرس قد اكتنفه العباس عمه وابن عمه ابو
سفين بن الحرث بن عبد المطلب وبين يديه ايمن بن ام ايمن وثم قتل رحمه الله فلما راى
رسول الله شدة الحال نزل عن بغلته الى الارض قاله البراء بن عازب واستنصر الله
عز وجل فاخذ قبضة من تراب وحصى فرمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت
الوجوه وقال ابو عبد الرحمن تطاول من فرسه فاخذ قبضة التراب ونزلت الملائكة
لنصره ونادى رسول الله بالانصار وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس
ان ينادي اين اصحاب الشجرة اين اصحاب سورة البقرة فرجع الناس عنقا واحدا
وانهزم المشركون قال يعلى بن عطا فحدثني ابناوهم عن ابائهم قالوا لم يبق منا
احد الا دخل عينيه من ذلك التراب واستيعاب هذه القصة في كتاب
السير وظاهر كلام العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اربعة

اربعة عشر الفا وهذا غلط ومدبرين نصب على الحال المؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
والمؤكدة هي التي يدل ما قبلها عليها كدلالة التولي على الادبار **وقوله تعالى**
ثم انزل الله سكينته الآية ثم ها هنا على بابها من الترتيب والسكينة النصر الذي سكنت
اليه ومعه النفوس والحال والاشارة بالمؤمنين الى الانصار على ما روي وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى في ذلك اليوم يا معشر الانصار فانصرفوا وهم
ردوا الهزيمة والجنود الملائكة والرعب قال ابو حاتم يزيد بن عامر كان في اجوافنا
مثل ضربة الحجر في الطست من الرعب وعذاب الذين كفروا هو القتل الذي استحر
فيهم والاسر الذي تمكن في ذراريهم وكان مالك بن عوف النصري قد اخرج الناس بالعيال
والذراري ليقاتلوا عليها فخطاه في ذلك دريد بن الصمة وقال وهل يرد المنهزم
شيء وفي ذلك اليوم قتل دريد بن الصمة القتلة المشهورة قتله ربيعة بن رفيع
بن اهبان السلمي ويقال له ابن الدغنة **وقوله** ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
اعلام بان من اسلم وتاب من الكافرين الذين نجوا ذلك اليوم فانهم مقبولون مسلمون
موعودون بالغفران والرحمة **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله ان الله عليم حكيم قال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما صفة المشرك بالنجس
انما كانت لانه جنب اذ غسله من الجنابة ليس بغسل وقال ابن عباس وغيره بل
معنى الشرك هو الذي نجسه كنجاسة الخمر قال الحسن البصري من صافح مشركا فليتوضا
قال القاضي ابو محمد فمن قال بسبب الجنابة اوجب الغسل على من يسلم من المشركين ومن
قال بالقول الاخر لم يوجب الغسل والمذهب كله على القول بايجاب الغسل الا ابن
عبد الحكم فانه قال ليس بواجب وقرا ابو حيوة نجس بكسر النون وسكون الجيم ونص
الله تعالى في هذه على المشركين وعلى المسجد الحرام فقاس مالك رحمه الله وغيره
جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد
الحرام ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد وكذلك كتب عمر بن عبد العزيز الى

ان شاء

عماله

عماله ونزع بهذه الآية ويؤيد ذلك قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع وقال
الشافعي هي عامة في الكفار خاصة في المسجد الحرام فاباح دخول اليهود والنصارى
والوثنيين في سائر المساجد ومن حجته حديث ربط ثمامة بن اثال وقال
ابو حنيفة هي خاصة في عبدة الاوثان وفي المسجد الحرام فاباح دخول اليهود
والنصارى في المسجد الحرام واباح دخول اليهود والنصارى في سائر المساجد
وقال عطاء وصف المسجد بالحرام ومنع القرب يقتضي منعهم من جميع الحرم
قال القاضي ابو محمد وقوة قوله فلا يقربوا تقتضي امر المسلمين بمنعهم وقال جابر
بن عبد الله وقتادة لا يقرب المسجد الحرام مشرك الا ان يكون صاحب جزية او
عبدا لمسلم وعبدة الاوثان مشركون بالاجماع واختلف في اهل الكتاب فمذهب
عبد الله بن عمر وغيره انهم مشركون وقال جمهور اهل العلم ليسوا بمشركين
وفائدة هذا الخلاف تبين في فقه مناكحتهم وذبائحهم وغير ذلك **وقوله**
بعد عامهم هذا يريد بعد عام تسع من الهجرة وهو عام حج ابو بكر بالناس واذن
علي بسورة براءة واما قوله وان خفتم عيلة فقال عمرو بن فايد المعنى واذ خفتم
قال القاضي ابو محمد وهذا تجوز والمعنى بادع بان وكان المسلمين لما منع المشركون
من الموسم وهم كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان في نفوسهم
الخوف من الفقر وقالوا من اين نعيش فوعدهم الله بان يغنيهم من فضله قال الضحاك
ففتح عليهم باب اخذ الجزية من اهل الذمة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا
الى قوله وهم صاغرون وقال عكرمة اغناهم بادرار المطر عليهم **قال القاضي ابو محمد**
واسلمت العرب فتمادى حجهم ونحرهم واغنى من فضله بالجهاد والظهور
على الامم والعيلة الفقر يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر **قال الشاعر**
ومتى يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل
وقرا علقمة وغيره من اصحاب ابن مسعود عائلة وهو مصدر كالقائلة من قال يقيل وكالعاقبة
ويحتمل ان يكون نعتا لمحذوف تقديره حالا عائلة وحكى الطبري انه يقال عال يعول

إذا افتقر **قوله تعالى** قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون هذه الآية تضمنت قتال أهل الكتاب من
اليهود والنصارى حتى يقتلوا أو يؤدوا الجزية قال مجاهد وعند نزول هذه الآية
أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو الروم ومشى نحو تبوك ومن جعل
أهل الكتاب مشركين فهذه الآية عنده ناسخة لما فيها من أخذ الجزية لقوله تعالى
قاتلوا المشركين ونفى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر من حيث تركوا شرع الإسلام
الذي يجب عليهم الدخول فيه فصار جميع ما لهم في البعث وفي الله عز وجل من تخيلات
واعتقادات لا معنى لها إذ تلقوها من غير طريقها وأيضا فلم تكن اعتقاداتهم مستقيمة
لأنهم تشعبوا وقالوا عزير ابن الله والله ثالث ثلاثة وغير ذلك ولهم أيضا في البعث
آراء كشراء منازل الجنة من الرهبان وقول اليهود في النار نكون فيها أياما بعد ونحو
ذلك فأما قوله ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله فبين ونص على مخالفتهم لمحمد
صلى الله عليه وسلم وأما قوله ولا يدينون فمعناه ولا يطيعون ويمتثلون ومنه
قول عائشة ما عقلت أبوي إلا وهما يدينان الدين والدين في اللغة لفظة مشتركة
وهي هاهنا الشريعة وهي مثل قوله إن الدين عند الله الإسلام وأما قوله من الذين
أوتوا الكتاب فنص في بني إسرائيل وفي الروم وأجمع الناس على ذلك وأما المجوس فقال
ابن المنذر لا أعلم خلافا في أن الجزية تؤخذ منهم **قال القاضي أبو محمد** وروي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب فقال كثير من
العلماء معنى ذلك في أخذ الجزية منهم وليسوا أهل كتاب فعلى هذا لم يتعد التشبيه
إلى ذبائحهم وهذا هو الذي ذكره ابن حبيب في الواضحة وقال بعض العلماء معناه
سنوا بهم سنة أهل الكتاب إذ هم أهل كتاب فعلى هذا يتعدى التشبيه إلى ذبائحهم
وغيرها والأول هو قول مالك وجمهور أصحابه وروي أنه كان بعث في المجوس نبي
اسمه زرادشت وأما مجوس العرب فقال ابن وهب لا تقبل منهم جزية ولا

بد من القتال أو الإسلام وقال سحنون وابن القاسم وأشهب تؤخذ الجزية من
مجوس العرب والأمم كلها وأما عبدة الأوثان من العرب فلم يستن الله فيهم جزية
ولا يبقى منهم على الأرض منهم بشر قال ابن حبيب وإنما لهم القتال أو الإسلام وهو قول
أبي حنيفة **قال القاضي أبو محمد** ويوجد لابن القاسم أن الجزية تؤخذ منهم وذلك
أيضا في التفريع لابن الجلاب وهو احتمال لا نص وأما أهل الكتاب من العرب فذهب مالك
رحمه الله إلى أن الجزية تؤخذ منهم وأشار إلى المنع من ذلك أبو حنيفة وأما السامرة
والصابئون فالجمهور على أنهم من اليهود والنصارى تؤخذ منهم الجزية وتؤكل ذبائحهم
وقالت فرقة لا تؤكل ذبائحهم وعلى هذا لا تؤخذ الجزية منهم ومنع بعضهم الذبيحة
مع أخذ الجزية منهم وأما عبدة الأوثان والنيران وغير ذلك فجمهور العلماء
على قبول الجزية منهم وهو قول مالك في المدونة وقال الشافعي وأبو ثور لا تؤخذ الجزية
إلا من اليهود والنصارى والمجوس فقط ومذهب مالك رحمه الله أن الجزية لا تؤخذ
إلا من الرجال البالغين الأحرار العقلاء وهو قول الشافعي وأبي حنيفة ولا تضرب على
النساء والصبيان والمجانين ولا تضرب على رهبان الديارات والصوامع المنقطعين
قال مالك في الواضحة وأما إن كانت قد ضربت عليهم ثم انقطعوا بعد ذلك
فلا تسقط وأما رهبان الكنائس فتضرب عليهم واختلف في الشيخ الفاني ومن
راعى أن علتها الإذلال أمضاها في الجميع وقال النقاش العقوبات أكثر ما تكون
في الأبدان وفي الأموال فالجزية من عقوبات الأموال وأما قدرها فمذهب
مالك رحمه الله وكثير من أهل العلم على ما فرضه عمر رضي الله عنه وذلك أربعة دنانير
على أهل الذهب وأربعون درهما على أهل الفضة وفرض عمر رضي الله عنه ضيافة
وأرزاقا وكسوة قال مالك في الواضحة ويحط ذلك عنهم اليوم لما حدث عليهم من
اللوازم فهذا أحد ما ذكر عن عمر وبه أخذ مالك وقال سفيان الثوري رويت عن
عمر ضرائب مختلفة **قال القاضي أبو محمد** وأظن ذلك بحسب اجتهاده رضي الله عنه
في يسرهم وعسرهم وقال الشافعي وغيره قدر الجزية دينار على الرأس ودليل

ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا ابذلك ولحد جزية اليمن هذلك او
قيمته معافر وهي ثياب وقال كثير من اهل العلم ليس لذلك في الشرع حد محدود
وانما ذلك الى اجتهاد الامام في كل وقت وبحسب قوم قوم وهذا كله في العنوة
واما الصلح فهو ما صولحوا عليه من قليل او كثير واختلف في المذهب في العبد الذي
يعتقه الذمي او المسلم هل تلزمه جزية ام لا وقال ابن القاسم لا ينقص احد من اربعة
دنانير كان فقيرا او غنيا وقال اصبغ يحط الفقير بقدر ما يرى من حاله وقال ابن
الماجشون لا يوخذ من الفقير شي والجزية وزنها فعلة من جزى يجزي اذا كافأ عما
أسدي اليه فكانهم اعطوها جزاء ما منحوا من الامن وهي كالقعدة والجلسة ومن
هذا المعنى قول الشاعر يجزيك او يثني عليك وان من اثنى عليك بما فعلت كمن جزى
وقوله عن يد يحتمل تاويلات منها ان يريد عن سوق الذمي لها بيده لا مع رسول ليكون في ذلك
اذلال لهم ومنها ان يريد عن نعمة منكم قبلهم في قبولها منهم وتامينهم واليد في اللغة
النعمة والصنع الجميل ومنها ان يريد عن قوة منكم عليهم وقهر واليد في كلام العرب
القوة يقال فلان ذو يد ويقال ليس لي بهذا او كذا يدان اي قوة ومنها ان يريد ينقدونها
ولا يوخرونها كما تقول بعته يدا بيد ومنها ان يريد عن استسلام منهم وانقياد على
نحو قولهم القى فلان بيده اذا عجز واستسلم وقوله تعالى وهم صاغرون لفظ يعم وجوها
لا تنحصر لكثرتها كرسها عن علم مدارك وان يقبضها جالسا والدافع من اهل الذمة قايم
وهذا ونحوه داع الى اصغارهم قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل
قاتلهم الله انى يوفكون الذي كثر في كتب اهل العلم ان فرقة من اليهود تقول هذه المقالة
وروي انه لم يقلها الا افخاص وقال ابن عباس قالها اربعة من احبارهم سلام بن
مشكم ونعمان ابن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف وقال النقاش لم يبق يهودي
يقولها بل انقرضوا قال القاضي ابو محمد فاذا قالها واحد فيتوجه ان تلزم
الجماعة شنعة المقالة لاجل نباهة القايل فيهم واقوال النبهاء ابدا مشهورة

في الناس

في الناس يحتج بها فمن هنا صح ان تقول الجماعة قول نبيها وقرا عاصم والكسائي عزير ابن
الله بتنوين عزير وهذا هو اصح المذاهب لانه هو المعنى عليهم وعزير ونحوه ينصرف
عجميا كان او عربيا وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر عزير ابن الله دون تنوين عزير فقال
بعضهم ابن خبر عن عزير وانما حذف التنوين من عزير لاجتماع الساكنين ونحوه قراءة من
قرا احد الله الصمد قال ابو علي وهو كثير في الشعر وانشد الطبري في ذلك لتجدني بالامير
برا وبالقناة مدعسا مكرا اذا غطيف السلمي فرا قال القاضي ابو محمد
فالالف في هذه القراءة والتاويل ثابتة في ابن وقال بعضهم ابن صفة لعزير كما تقول
زيد بن عمرو وجعلت الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد وحذف التنوين اذ جاء
الساكنان كانهما التقيا من كلمة واحدة والمعنى عزير ابن الله معبودنا او الاهنا
والمعنى معبودنا او الاهنا عزير ابن الله قال القاضي ابو محمد وقياس هذه القراءة
والتاويل ان تحذف الالف من ابن لكنها تثبت في خط المصحف فيتجه من هذا كله ان قراءة
التنوين في عزير اقواها وحكى الطبري وغيره ان بني اسرائيل اصابتهم فتن وجلاء وقيل مرض
واذهب الله عنهم التوراة في ذلك ونسوها وكان علماوهم قد دفنوها اول
ما احسوا بذلك البلاء فلما طالت المدة فقدت التوراة جملة فحفظها الله عزيرا
كرامة منه له فقال لبني اسرائيل ان الله قد حفظني التوراة فجعلوا يدرسونها من
عنده ثم ان التوراة المدفونة وجدت فاذا هي مساوية لما كان عزير يدرس فضلوا
عند ذلك وقالوا ان هذا لم يتهيا لعزير الا وهو ابن الله وظاهر قول النصارى
المسيح ابن الله انها بنوة النسل كما قالت العرب في الملايكة وكذلك يقتضي قول الضحاك
والطبري وغيرهما وهذا اشنع في الكفر قال ابو المعالي اطبقت النصارى على
ان المسيح اله وانه ابن الاله قال القاضي ابو محمد ويقال ان بعضهم يعتقدها
في بنوة حنو ورحمة وهذا المعنى ايضا لا يحل ان تطلق البنوة عليه وهو كفر
لمكان الاشكال الذي يدخل من جهة التناسل وكذلك كفر اليهود في قولهم
عزير ابن الله وقولهم نحن ابناء الله واما يوجد في كلام العرب استعارة البنوة

عبارة عن نسب وملازمة تكون بين الاشياء اذا لم يشكل الامر وكان امر السبيل بين
الاستحالة من ذلك ∴ وقد زبنتنا الحرب وزبناها فنحن بنوها وهي امنا
يريد الملازمة ومن ذلك ابن نعش وابن ماء وابن السبيل ونحو ذلك ومنه
قول الشاعر والارض تحملنا وكانت امنا ∴ ومنه اخذت البنا وملات
في قوله عليه السلام لا يدخل الجنة ابن زنى اي ملازمه والتاويلات في قول النصارى
المسيح ابن الله كما تقدم من الصفة والخبر الا ان شعب البنوة ارفع بها هنا وعزير
نبي من انبياء اسرائيل وقوله بافواههم يتضمن معنيين احدهما الزامهم المقالة
والتاكيد في ذلك كما قال يكتبون الكتاب بايديهم وقوله ولا طائر يطير بجناحيه
والمعنى الثاني في قوله بافواههم اي هو ساذج لا حجة عليه ولا برهان غاية بيانه
ان يقال بالافواه ولا مجردا انفس دعوى يضاهون قراه الجماعة ومعناه يحاكون
ويبارون بمقالهم وقرا عاصم وحده من السبعة وطلحة بن مصرف يضاهئون
بالهمز على انه من ضاهأ وهي لغة ثقيف بمعنى ضاهى قال القاضي ابو محمد ومن قال
ان هذا ماخوذ من قولهم امراة ضهياء وهي التي لا تحيض وقيل التي لا ثدي لها سميت
بذلك لشبهها بالرجال فقوله خطا قاله ابو علي لان الهمزة في ضاهأ اصلية وفي
ضهياء زائدة كحمراء وان كان الضمير في يضاهون لليهود والنصارى جميعا فالاشارة
بقوله الذين كفروا من قبل هي اما لمشركي العرب اذ قالوا الملائكة بنات الله وهم
اول كافر ومنه قول الضحاك واما لامم سالفة قبلها واما للصدر الاول
من كفرة اليهود والنصارى ويكون يضاهون لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وان
كان الضمير في يضاهون للنصارى فقط كانت الاشارة بالذين كفروا من قبل الى اليهود
وعلى هذا فسر الطبري وحكاه الزهراوي عن قتادة وقوله قاتلهم الله دعاء عليهم عام
لانواع الشر ومعلوم ان من قاتله الله فهو المغلوب المقتول وحكى الطبري عن ابن عباس
ان المعنى لعنهم الله وانى يؤفكون مقصده انى توجهوا او انى ذهبوا او يدل مكان هذا
الفعل المقصود فعل سوء يحق لهم وذلك فصيح في الكلام كما تقول لعن الله الكافر

اي هلك كانك ختم عليه بالهلاك وكانه حتم عليه في هذه الاية بانهم يؤفكون
ومعناه يحرمون ويصرفون عن الخير والارض المؤتفكة التي لم يصبها مطر قال ابو عبيدة
يؤفكون يحدون قال القاضي ابو محمد يريد من قولك رجل محدود وذي محروم لا
يصيب خيرا وكانه من الافك الذي هو الكذب فكان المافوك هو الذي يكذب رجاؤه
فلا يلقى خيرا ويحتمل ان يكون قوله تعالى انى يؤفكون ابتداء تقرير اي باي سبب ومن
اي جهة يصرفون عن الحق بعد ما تبين لهم وقال في هذه الاية بمعنى قتل وهو مفاعلة
من واحد وهذا كله بين قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه
عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو
كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون واحد الاحبار حبر بكسر الحاء ويقال حبر بفتح الحاء والاول
افصح ومنه مداد الحبر اي مداد العالم وقال يونس بن حبيب لم اسمعه الا
بكسر الحاء وقال الفراء سمعت فتح الحاء وكسرها في العالم وقال ابن السكيت الحبر بالكسر
المداد والحبر بالفتح العالم والرهبان جمع راهب وهو الخائف من الرهبة وسماهم
اربابا وهم لم يعبدوهم لكن من حيث تلقوا الحلال والحرام من جهتهم وهو امر لا يتلقى
الا من جهة الشرع وعلى نحو هذا قال ابن عباس وحذيفة بن اليمان وابو العالية
وحكى الطبري ان عدي بن حاتم قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي
صليب ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الصليب من عنقك فسمعته يقرا اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت يا رسول الله وكيف ذلك ونحن
لم نعبدهم فقال اليس تستحلون ما احلوا وتحرمون ما حرموا قلت نعم قال فذاك
والمسيح عطف على الاحبار والرهبان وسبحانه نصب على المصدر والعامل فيه
فعل من المعنى لانه ليس من لفظ سبحان فعل والتقدير انزهه تنزيها فمعنى سبحانه
تنزيها له واحتج من يقول ان اهل الكتاب مشركون بقوله تعالى عما يشركون

والمعنى يقول ان اتخاذها ولا الارباب ضرب تمام الاشراك وقد تعالى المراى
انه اشرك في ذلك اثار وقوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله الاية نور
الله في هذه الاية هداه الصادر عن القران والشرع المثبت في قلوب الناس فمن
حيث سماه نورا اسمى محاولة افساده والصد في وجهه اطفاء وقالت فرقة
النور القران قال القاضي ابو محمد ولا معنى لتخصيص شي مما يدخل تحت المقصود
بالنور وقوله بافواههم عبارة عن قلة حيلتهم وضعفها اخبر عنهم انهم يحاولون
مقاومة امر جسيم بسعي ضعيف فكان الاطفاء بنفخ الافواه ويحتمل ان يراد باقوال
لا برهان عليها فهي لا تتجاوز الافواه الى فهم سامع وقوله ويابى ايجاب يقع بعده
احيانا الا وذلك لوقوعه هو موقع الفعل المنفي لان التقدير ولا يريد الله الا ان
يتم وقال الفراء هو ايجاب فيه طرف من النفي ورد الزجاج على هذه العبارة
وبيانه ما قلناه وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الاية
رسوله يراد به محمد عليه السلام وقوله بالهدى يعم القران وجميع الشرع وقوله
ودين الحق اشارة الى الاسلام والملة بجمعها وهي الحنيفية وقوله ليظهره قال ابو
هريرة وابو جعفر محمد بن علي وجابر بن عبد الله ما معناه ان الضمير عائد على الدين
واظهاره عند نزول عيسى ابن مريم ويكون الاديان كلها راجعة الى دين الاسلام فذلك
اظهاره قال القاضي ابو محمد فكان هذه الفرقة رات الاظهار على اتم وجوهه اي
حتى لا يبقى معه دين اخر وقالت فرقة ليظهره على الدين اي ليجعله اعلاها واظهرها
وان كان معه غيره كان دونه قال القاضي ابو محمد فهذا لا يحتاج الى نزول عيسى بل كان
في صدر الامة وهو حتى الان ان شاء الله وقالت فرقة الضمير عائد على الرسول ومعنى
ليظهره ليطلعه ويعلمه الشرائع كلها والحلال والحرام قال القاضي ابو محمد وهذا
التاويل وان كان صحيحا جائزا فالاخر ابرع منه واليق بنظام الاية واحرى مع
كراهية المشركين وخص المشركون هنا لما كانت كراهية مختصة بظهور دين محمد عليه
السلام فذكر الاعظم والاول من كره ذلك وصدقه وذكر الكافرون في الاية

قيل

قيل لانها كراهية اتمام نور الله في قديم الدهر وفي باقيه يعم الكفرة من لدن خلق
الدنيا الى انقراضها اذ قد وقعت الكراهية والاتمام مرارا قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل
ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون المراد بهذه الاية
بيان نقائص المذكورين ونهي المؤمنين عن تلك النقائص مترتب ضمن ذلك واللام في
لياكلون لام التوكيد وصورة هذا الاكل هي بانهم ياخذون من اموال اتباعهم
ضرائب وفروضا باسم الكنائس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم ان النفقة فيه من
الشرع والتزلف الى الله وهم خلال ذلك يحجبون تلك الاموال كالذي ذكره سلمان
في كتاب السير عن الراهب الذي استخرج كنزه وقيل كانوا ياخذون منهم من
غلاتهم واموالهم ضرائب باسم حماية الدين والقيام بالشرع وقيل كانوا
يرتشون في الاحكام ونحو ذلك قال القاضي ابو محمد وقوله تعالى بالباطل
يعم هذا كله وقوله ويصدون الاشبه هنا ان يكون متعديا اي يصدون غيرهم وهذا
الوجه بما هو لنا هو فسادهم في دينهم وقد يستعمل واقفا ومتجاوزا ومنه
قول الشاعر صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا
وسبيل الله الاسلام وشريعة محمد ويحتمل ان يريد ويصدون عن سبيل الله في اكلهم
الاموال بالباطل والاول ارجح وقوله والذين ابتداء وخبره فبشرهم ويجوز ان يكون
الذين معطوفا على الضمير في قوله ياكلون على نظر في ذلك لان الضمير لم يؤكد واسند ابو
حاتم الى علباء بن احمر انه قال لما امر عثمان بكتب المصحف اراد ان ينقص الواو من قوله
والذين يكنزون فابى ذلك ابي بن كعب وقال لتلحقنها او لاضعن سيفي على عاتقي فالحقها
قال القاضي ابو محمد وعلى ارادة عثمان جرى قول معاوية ان الاية في اهل الكتاب وخالفه
ابو ذر فقال بل هي عامة فشكاه الى عثمان فاستدعاه من الشام ثم خرج الى الربذة

والذي يظهر من الألفاظ أنه لما ذكر نقص الأحبار والرهبان الآكلين المال بالباطل
ذكر بعد ذلك بقول عام نقص الكافرين المانعين حق المال وقرأ طلحة بن مصرف الذين
يكنزون بغير واو ويكنزون معناه يجمعون ويحفظون في الأوعية ومنه قول المنخل
الهذلي: لا درّ درّي إن أطعمت نازلهم * قرف الحتي وعندي البرّ مكنوز
أي محفوظ في أوعيته وليس من شروط الكنز الدفن لكن كثر في حفظة المال أن
يدفنوه حتى تعورف في المدفون اسم الكنز ومن اللفظة قولهم رجل مكتنز الخلق
أي مجتمع ومنه قول الراجز: على شديد لحمه كناز * بات ينزيني على أوفاز
والتوعد في الكنز إنما وقع على منع الحقوق منه ولذلك قال كثير من العلماء الكنز
هو المال الذي لا تؤدى زكاته وإن كان على وجه الأرض وأما المدفون إذا أخرجت
زكاته فليس بكنز كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مال أديت زكاته
فليس بكنز وهذه الألفاظ مشهورة عن ابن عمر وروي هذا القول عن عكرمة
والشعبي والسدي ومالك وجمهور أهل العلم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما زاد عليها فهو كنز وإن أديت زكاته
وقال أبو ذر وجماعة معه ما فضل من مال الرجل عن حاجة نفسه فهو
كنز وهذان القولان يقتضيان أن الذم في جنس المال لا في منع زكاته فقط
ولكن قال عمر بن عبد العزيز هي منسوخة بقوله خذ من أموالهم صدقة فأتى
فرض الزكاة على هذا كله قال القاضي أبو محمد كأن مضمن الآية لا تجمعوا مالا
فتعذبوا فنسخه التقرير الذي في قوله خذ من أموالهم والضمير في قوله ينفقونها
يجوز أن يعود على الأموال أو الكنوز التي يتضمنها المعنى ويجوز أن يعود على الذهب والفضة
إذ هما أنواع وقيل عاد على الفضة واكتفى بضمير الواحد عن ضمير الآخر إذ أفهمه المعنى
وهذا نحو قول الشاعر: نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف
ونحو قول حسان: إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا
وسيبويه يكره هذا في الكلام وقد شبه كثير من المفسرين هذه الآية بقوله تعالى

وإذا

وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وهي لا تشبهها لأن أو قد فصلت التجارة
عن اللهو فحسن عود الضمير على أحدهما دون الآخر والذهب مؤنث ويذكر والتأنيث
أشهر وروي أن أصحاب النبي عليه السلام قالوا قد ذم الله كسب الذهب والفضة
فلو علمنا أي المال خير حتى نكسبه فقال عمر أنا أسأل لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فسأله فقال لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة تعين المؤمن على دينه وروي
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قال تبا للذهب تبا للفضة فحينئذ
أشفق أصحابه وقالوا ما تقدم والفاء في قوله فبشرهم جواب لما في قوله الذين من
معنى الشرط وجاءت البشارة مع العذاب لما وقع التصريح بالعذاب وذلك أن
البشارة تقيد بالخير والشر فإذا أطلقت لم تحمل إلا على الخير فقط وقيل بل هي أبدا
للخير فمتى قيدت بشر فإنما المعنى أقم لهم مقام البشارة عذابا أليما وهذا نحو قول الشاعر
وخيل قد دلفت لها بخيل * تحية بينهم ضرب وجيع
وقوله تعالى يوم يحمى
عليها الآية يوم ظرف والعامل فيه أليم وقرأ جمهور الناس يحمى بالياء بمعنى يحمى
الوقود وقرأ الحسن بن أبي الحسن تحمى بالتاء من فوق بمعنى تحمى النار والضمير في
عليها عائد على الكنوز أو الأموال حسب ما تقدم وقرأ قوم جباهم بالإدغام
وأشموها الضم حكاه أبو حاتم ووردت أحاديث كثيرة في معنى هذه من الوعيد
لكنها مفسرة في منع الزكاة فقط لا في كسب المال الحلال وحفظه ويؤيد ذلك
حال الصحابة وأموالهم رضي الله عنهم فمن تلك الأحاديث قوله عليه السلام
من ترك بعده كنزا لم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع الحديث
وأسند الطبري قال كان نعل أبي هريرة من فضة فنهاه أبو ذر وقال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ترك صفرا أو بيضا كوي بها وأسند إلى أبي أمامة
الباهلي قال مات رجل من أهل الصفة فوجد في بردة دينار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كية ثم مات آخر فقال رسول الله كيتان قال القاضي
أبو محمد وهذا إما لأنهما كانا يعيشان من الصدقات وعندهما التبر وإما

لان هذا كان في صدر الاسلام ثم قرر الشرع ضبط المال ممنوعا الكنز حقه ان
يخرج كله لان كان فقط وليس في الامة من يلزم هذا **وقوله** هذا ما كنزتم
اشارة الى المال الذي تكوى به ويحتمل ان يكون الى الفعل النازل بهم اي هذا جزاء ما كنزتم
وقال ابن مسعود والله لا يمس دينار دينارا ابدا الجلد حتى يكوى بكل دينار وكل
درهم وقال الاحنف بن قيس دخلت مسجد المدينة واذا رجل خشن الهيئة رثها
يطوف في الحلق وهو يقول بشر اصحاب الكنوز بكي في جباههم وجنوبهم وظهورهم
ثم انطلق يتذمر وهو يقول وما عسى تصنع في قريش **قوله تعالى** ان عدة
الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها
اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة
كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين هذه الاية والتي بعدها تتضمن
ما كانت العرب شرعته في جاهليتها من تحريم شهور الحل وتحليل شهور الحرمة
واذا نص ما كانت العرب تفعله تبين معنى الايات فالذي تظاهر به الرواة
ويقل من مجموع ما ذكر الناس ان العرب كانت لا عيش لاكثرها الا من الغارات
واعمال سلاحها فكانوا اذا نزلت عليهم حرمة ذي القعدة وذي الحجة والمحرم
صعب عليهم وكان بنو فقيم من كنانة اهل دين في العرب وتمسك بشرع ابرهيم
عليه السلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم فنسأ الشهور
للعرب ثم خلفه على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم خلفه ابنه قلع بن عباد ثم خلفه
ابنه امية بن قلع ثم خلفه عوف بن امية ثم خلفه ابنه ابو ثمامة جنادة بن عوف
وعليه قام الاسلام وذكر الطبري وغيره ان الامر كان في عدوان قبل بني مالك
بن كنانة وكانت صورة فعلهم ان العرب اذا فرغت من حجها جاء اليه من شاء
منهم مجتمعين فقالوا انسئنا شهرا اي اخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر
فيحل لهم المحرم فيغيرون فيه ويعيشون ثم يلتزمون حرمة صفر ليواطئوا عدة
الاشهر الاربعة قال مجاهد ويسمون ذلك الصفر المحرم ثم يسمون ربيعا الاول

صفرا وربيعا الاخر ربيعا الاول وهكذا في سائر الشهور يستقبلون سنتهم
من المحرم الموضوع لهم فيسقط على هذا حكم المحرم الذي حلل لهم وتجيء السنة من
ثلاثة عشر شهرا اولها المحرم المحلل ثم المحرم الذي هو في الحقيقة صفر ثم استقبال
السنة كما ذكرنا ففي هذا قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اي
ليست ثلاثة عشر قال الطبري وحدثني ابن وكيع عن عمران بن عيينة عن حصين
عن ابي مالك قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ثم قال مجاهد ثم كانوا
يحجون في كل شهر عامين ولاء وبعد ذلك بدلوا فيحجون عامين ولاء ثم كذلك حتى
كانت حجة ابي بكر في ذي القعدة حقيقة وهم يسمونه ذا الحجة ثم حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنة عشر في ذي الحجة حقيقة فذلك قوله ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وفي
حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع وساق
الحديث وقال فيه اولهن رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو
الحجة والمحرم **قال القاضي ابو محمد** وتجيء في اكثر الكتب انهم كانوا يحلون
حرمة المحرم في صفر وسكت عن تمام القصة والذي ذكرناه هو بيانها واما
كون المحرم اول السنة العربية الشرعية وكان حقه اذ التاريخ من الهجرة ان
يكون اول السنة في ربيع الاول فان ذلك فيما يروى لان عمر بن الخطاب دون دواوين
المسلمين وجعل تاريخه المحرم اذ فيه انقضاء الموسم والحج فكان الحج خاتمة
للسنة واعتد بعام الهجرة وان كان فيه نقص من اوله شيء ولما كانت سنة
العرب هلالية تدير العام من اول شهر ولم تكن في الثاني عشر من ربيع الذي
هو يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولا كان عنده تمام الحج لانه
في كل شهر واما الاربعة الحرم فهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجب مضر الذي بين جمادى

وشعبان قصد التعرف بينه وبين ما كانت تفعله قبائل ربيعة باسرها فانها كانت
تجعل رجبها رمضان وتحرمه ابتداعا منها وكانت قريش ومن تابعها في ذلك من قبائل
مضر على الحق فقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ونسبه الى مضر اذ كان
حكمه وتحريمه انما كان من قبل قريش وفي المفضليات لبعض **شعر الجاهلية**
وشهر بني امية والهدايا :: البيت قال الاصمعي يريد رجبا وقرا ابو جعفر بن
القعقاع اثنا عشر شهرا بسكون العين وذلك لتخفيف لتوالي الحركات وكذلك قرا احد
عشر وتسعة عشر **وقوله** في كتاب الله اي فيما كتبه واثبته في اللوح المحفوظ
او غيره وهي صفة فعل مثل خلقه ورزقه وليست بمعنى قضائه وتقديره لان
تلك هي قبل خلق السموات والارض والكتاب الذي هو المصدر هو العامل في يوم
وفي من قوله في كتاب متعلقة بمستقرة او ثابتة ونحوه ويقلق ان يكون الكتاب
القران في هذا الموضع وتامل ولا يتعلق في بعدة للتفرقة بين الصلة والموصول
بخبر ان **وقوله** منها اربعة حرم نص على تفضيل هذه الاربعة وتشريفها قال قتادة
اصطفى الله من الملائكة والبشر رسلا ومن الشهور المحرم ورمضان ومن البقع
المساجد ومن الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ومن الكلام ذكره فينبغي
ان يعظم ما عظم الله **وقوله** ذلك الدين القيم قالت فرقة معناه الحساب المستقيم
وقال ابن عباس فيما حكى المهدوي معناه القضاء المستقيم **قال القاضي ابو محمد**
والاصوب عندي ان يكون الدين هاهنا على اشهر وجوهه اي ذلك الشرع والطاعة
لله القيم اي القائم المستقيم وهو من قام يقوم بمنزلة سيد من ساد يسود اصله
قيوم **وقوله** فلا تظلموا فيهن انفسكم الضمير عائد على الاثني عشر شهرا اي لا تظلموا
انفسكم بالمعاصي في الزمن كله وقال قتادة الضمير عائد على الاربعة الاشهر ونهى
عن الظلم فيها تشريفا لها بالتخصيص والذكر وان كان منهيا عنه في كل الزمن وزعم
الفراء ان العرب تكني عما دون العشرة من الشهور بهن وعما فوق العشرة بها وروي
عن الكسائي انه قال اني لاتعجب من فعل العرب هذا وكذلك يقولون فيما دون العشرة

من

من الليالي خلون وفيما فوقها خلت وقال الحسن معنى فيهن اي بسببهن ومن جراهن
في ان تحلوا حرامها وتبدلوه بما لا حرمة له وحكى المهدوي انه قيل لا تظلموا فيهن
انفسكم بالقتال ثم نسخ بفرض القتال في كل زمن قال سعيد بن المسيب في كتاب الطبري
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم القتال في الاشهر الحرم بما انزل الله في ذلك
ثم نزل سورة براءة **قال القاضي ابو محمد** وقوله وقاتلوا المشركين معناه فيهن
فاحرى في غيرهن **وقوله** كافة معناه جميعا وهو مصدر في موضع الحال قال الطبري
كالعاقبة والعافية وهو على هذا كما تقول خاصة وعامة ويظهر ايضا انه من كف يكف
اي جماعة تكف من خالفها فالمعنى على هذا اسم فاعل وقال بعض الناس معناه يكف بعضهم بعضا
عن التخلف وما قدمناه اعم واحسن وقال بعض الناس كان الفرض بهذه الاية قد توجه
على الاعيان ثم نسخ ذلك بعد وجعل فرض كفاية **قال القاضي ابو محمد** وهذا الذي
قالوه لم يعلم قط من شرع النبي انه الزم الامة جميعا النفر وانما معنى هذه الاية الحض
على قتالهم والتحزب عليهم وجمع الكلمة ثم قيدها بقوله كما يقاتلونكم فبحسب قتالهم واجتماعهم
لنا يكون فرض اجتماعنا لهم واما الجهاد الذي يندب اليه فانما هو فرض على الكفاية
اذا قام به بعض الامة سقط عن الغير **وقوله** واعلموا ان الله مع المتقين خبر في
ضمنه امر بالتقوى ووعد عليها بالنصر والتاييد **قوله تعالى** انما النسيء
زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما
حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين
النسيء على وزن فعيل مصدر بمعنى التاخير تقول العرب انسا الله في اجلك ونسا
الله في اجلك ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من سره النسا في الاجل
والسعة في الرزق فليصل رحمه وقرا جمهور الناس والسبعة النسيء كما تقدم
وقرا ابن كثير فيما روي عنه وهو من معنى النساء اذ النسي مشددة الياء وقرا ايضا فيما
روي عنه وجعفر بن محمد والزهري النسي وقرا ايضا فيما روي عنه النسؤ على وجه
النسع وقرات فرقة النسي فاما النسيء بالمد والهمز فقال ابو علي هو مصدر مثل

مثل النذير والنظير وعديد الحي ولا يجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول لانه يكون المعنى
انما المؤخر زيادة والمؤخر الشهر ولا يكون الشهر زيادة في الكفر قال القاضي ابو محمد
وقال ابو حاتم هو فعيل بمعنى مفعول وينفصل عن الالزام اي على بان نقدر مضاف
كان المعنى انما انساء النسيء وقال الطبري هو من معنى الزيادة اي زيادتهم في الاشهر
وقال ابو وائل كان النسيء رجلا من بني كنانة قال القاضي ابو محمد وهذا ضعيف
واما النسي فهو الاول بعينه خففت الهمزة وقيل قلبت الهمزة ياء وادغمت الياء في
الياء واما النسء فهو مصدر من نسأ اذا اخر واما النسي فقيل تخفيف
همزة النسيء وذلك على غير قياس وقال الطبري هو مصدر من نسي ينسى اذا ترك
قال القاضي ابو محمد والنسيء هو فعل العرب في تاخيرهم الحرمة وقوله زيادة في
الكفر اي جار في كفرهم بالله وخلاف منهم للحق فالكفر متكثر بهذا الفعل الذي
هو باطل في نفسه قال القاضي ابو محمد ومما وجد في اشعارها من هذا المعنى قول
بعضهم ومنا منسئ الشهور القلمس وقول الآخر نسؤوا الشهور بها
وكانوا اهلها من قبلكم والعز لم يتحول ومنه قول جذل الطعان
وقد علمت معد ان قومي كرام الناس ان لهم كراما : فاي الناس فاتونا بوتر
واي الناس لم نعلك لجاما : السنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر يضل بفتح الياء وكسر الضاد وقرا
ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة وعمرو بن ميمون يضل بضم الياء وكسر الضاد
فاما على معنى يضل الله واما على معنى يضل به الذين كفروا اتباعهم فالذين في التاويل
الاول في موضع نصب وفي الثاني موضع رفع وقرا عاصم ايضا وحمزة والكسائي وابن
مسعود فيما روي عنه يضل بضم الياء وفتح الضاد على المفعول الذي لم يسم فاعله
ويؤيد ذلك قوله زين للمناسبة في اللفظ وقرا ابو رجاء يضل من ضل يضل على وزن
فعل بكسر العين يفعل بفتحها وهي لغتان يقال ضل يضل وضل يضل والوزن الذي ذكرناه
يفرق بينهما ولذلك روي قول النبي صلى الله عليه وسلم حتى يظل الرجل ان يدري كم

صل

صل بفتح الظاء وكسرها وقوله يحلونه عاما ويحرمونه عاما معناه عاما من
الاعوام وليس يريد ان تلك كانت مداولة في الشهر بعينه عام حلال وعام حرام
قال القاضي ابو محمد وهذا تاول بعض الناس للقصة انهم كانوا اذا شق عليهم
توالي الاشهر الحرم احل لهم المحرم وحرم عليهم صفر بدلا منه ثم مشت الشهور مستقيمة
على اسمائها المعهودة فاذا كان من قابل حرم المحرم على حقه واحل صفر ومشت
الشهور مستقيمة ورات هذه الطائفة ان هذه كانت حال القوم قال القاضي
ابو محمد والذي قدمناه قبل اليق بالفاظ الايات وهو بينة مجاهد وابي مالك
وهو مقتضى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار مع ان هذا الامر
كله قد تقضى والله اعلم وقوله ليواطئوا معناه ليوافقوا والمواطاة الموافقة
تواطا الرجلان على كذا اذا اتفقا عليه ومعنى ليواطئوا عدة ما حرم الله ليحفظوا
في كل عام اربعة اشهر في العدد قال القاضي ابو محمد فازالوا الفضيلة التي
خص الله بها الاشهر الحرم وحدها بمثابة ان يفطر احد رمضان ويصوم شهرا من
السنة بغير مرض او سفر وقوله زين يحتمل ان يضاف هذا التزيين الى الله عز وجل
والمراد به خلقه لكفرهم واقرارهم عليه وتحبيبه لهم ويحتمل ان يضاف الى مغويهم
ومضلهم من الانس والجن ثم اخبر تعالى انه لا يهديهم ولا يرشدهم وهو عموم
معناه الخصوص في الموافين او عموم مطلق لكن لا هداية من حيث هم كافرون قال
القاضي ابو محمد وذكر ابو علي البغدادي في امر النسيء انه كان اذا صدر الناس من
منى قام رجل يقال له نعيم بن ثعلبة فيقول انا الذي لا اعاب ولا يرد لي قضاء فيقولون
انسئنا شهرا اي اخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر قال القاضي ابو محمد واسم
نعيم لم يعرف في هذا وما ارى ذلك الا كما حكى النقاش من بني فقيم كانوا يسمون القلامس
واحدهم قلمس وكانوا يفتون العرب في الموسم يقوم كبيرهم في الحجر ويقوم آخر عند الباب
ويقوم آخر عند الركن فيفتون قال القاضي ابو محمد فهم على هذا عدة منهم نعيم
وصفوان ومنهم ذريه القلمس حذيفة وغيرهم قوله تعالى وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا صفر ولا هامة وقال بعض الناس انه
يريد بقوله لا صفر هذا النسيء وقيل غير ذلك **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا
ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من
الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما
ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير هذه الاية
هي بلا اختلاف نزلت عتابا على تخلف من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
غزوة تبوك صح وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين الفا بين
راكب وراجل وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال من المومنين كثير ومنافقون
فالعتاب في هذه الاية هو للقبائل وللمومنين الذين كانوا بالمدينة وخص الثلاثة كعب
بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن امية بما لك الذي نبين السديد بحسب مكانهم
من الصحبة اذ هم من اهل بدر وممن يقتدى بهم وكان تخلفهم لغير علة حسبما ياتي
وقوله ما لكم استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ **وقوله** قيل يريد النبي عليه السلام
ان صرفه الفعل الى اسم ما لم يسم فاعله يقتضي اغلاظا ومخاشنة ما والنفر هو التنقل
من مكان الى مكان لامر يحدث يقال في ابن ادم نفر الى الامر ينفر نفيرا ونفرا ويقال
في الدابة نفرت تنفر بضم الفا نفورا **وقوله** اثاقلتم اصله تثاقلتم ادغمت التاء
في الثاء فاحتيج الى الف الوصل كما قال فادارأتم كما تقول اتزين **ومنه قال الشاعر**
تولي الضجيج اذا ما استافها خصرا عذب المذاق اذا ما اتابع القبل وفي الاعمش
فيما حكى المهدوي وغيره تثاقلتم على الاصل وذكر ابو حاتم تثاقلتم بتاءين بالمثلثة وقال
هي خطا او غلط وصوب تثاقلتم بتا واحدة وبالمثلثة ان لو قرئ بها **وقوله**
اثاقلتم الى الارض عبارة عن تخلفهم ونكولهم وتركهم الغزو وسكنى ديارهم والتزام
نخلهم وظلالهم وهو نحو اخلد الى الارض **وقوله** ارضيتم تقرير يقول ارضيتم
نزر الدنيا على خطير الاخرة وحظها الاسعد بهم لخير فقال ان الدنيا بالاضافة
الى الاخرة قليل نزر فتعطي قوة الكلام التعجب من ضلال من يرضى النزر بدل الكثير

الباقي **وقوله تعالى** الا تنفروا الا انه الا تنفروا يعذبكم شرط وجواب وقوله يعذبكم
لفظ عام يدخل تحته انواع عذاب الدنيا والاخرة والتهديد بعمومه اشد تخويفا
وقالت فرقة يريد يعذبكم بامساك المطر عنكم وروي عن ابن عباس انه قال استنفر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبيلة من القبائل فقعدت فامسك الله عنها المطر وعذبها
به والاليم بمعنى مولم بمنزلة **قول عمرو بن معدي** امن ريحانة الداعي السميع
بمعنى المسمع **وقوله** ويستبدل قوما غيركم توعد بان يبدل لرسوله قوما لا
يقعدون عنه اذا استنفرهم والضمير في قوله ولا تضروه شيئا عائد على الله
عز وجل اي لا ينقص ذلك من عزه وعز دينه ويحتمل ان يعود على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو الاليق **وقوله** والله على كل شيء قدير اي على كل شيء مقدور وتبديلهم منه
قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين
اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه
وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله
عزيز حكيم هذه ايضا شرط وجواب والجواب في الفا من قوله فقد وما بعدها
قال النقاش هذه اول اية نزلت من سورة براة ومعنى الاية انكم ان تركتم نصره فالله
متكفل به اذ قد نصره في موطن القلة والانفراد وكثرة العدو فنصره اليوم احرى
منه حينئذ **وقوله** اذ اخرجه الذين كفروا فعلوا من الافاعيل ما ادى الى خروجه
واسند الاخراج اليهم اذ المقصود تذنيبهم ولما كان مقصد ابي سفيان بن الحرث الفخر
في قوله من طردت كل مطرد لم يقرره النبي عليه السلام والاشارة الى خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وفي صحبته ابو بكر واختصار
القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر اذن الله عز وجل في الهجرة من
مكة وكان ابو بكر حين ترك ذمة ابن الدغنة قد اراد الخروج فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصبر لعل الله ان يسهل في الصحبة فلما اذن الله لرسوله في الخروج
تجهز من دار ابي بكر وخرجا مقبلا الى الغار الذي في جبل ثور في غربي مكة ثلاث ليال

وخرج المشركون في اثرهم حتى انتهوا الى الغار فطمس عليهم الاثر وقال ابو بكر للنبي عليه
السلام يا رسول الله لو نظر احدهم الى قدمه لرآنا فقال له النبي عليه السلام ما
ظنك باثنين الله ثالثهما وروي ان العنكبوت نسجت على باب الغار وروي ان
الحمامة عششت عند باب الغار وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر ابا بكر ان يجعل ثماما في باب الغار فتخيله المشركون نابتا وصرفهم الله عنه
ووقع في الدلائل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه نبتت على باب الغار راءة
امرها الله بذلك في الحين قال الاصمعي جمعها راء وهي من نبات السهل وروي ان ابا بكر
لما دخل الغار خرق رداءه فسد به كوى الغار لئلا يكون فيه حيوان يؤذي النبي صلى الله
عليه وسلم ويروى انه بقيت واحدة فسدها برجله فوقى الله تعالى وكان يروح
عليهما باللبن عامر بن فهيرة مولى ابي بكر **وقوله** ثاني اثنين معناه احد اثنين وهذا
كثالث ثلاثة ورابع اربعة فاذا اختلف اللفظ فقلت رابع ثلاثة فالمعنى صير الثلاثة
بنفسه اربعة وقرا جمهور الناس ثاني اثنين بنصب الياء من ثاني قال ابو حاتم لا يعرف
غير هذا وقرات فرقة ثاني اثنين بسكون الياء تشبيها لها بالالف **قال القاضي ابو محمد**
وهي كقراءة الحسن ما بقي من الربا **وكقول جرير** هو الخليفة فارضوا
ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف وصاحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه
وروي ان ابا بكر الصديق قال يوما وهو على المنبر ايكم يحفظ سورة التوبة فقال رجل انا
قال اقرا فقرا فلما انتهى الى قوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بكى وقال انا
والله صاحبه وقال الليث ما صحب الانبياء عليهم السلام مثل ابي بكر الصديق وقال
سفيان بن عيينة خرج ابو بكر بهذه الاية من المعاتبة التي في قوله الا تنصروه **قال
القاضي ابو محمد** اقول بل خرج كل من شاهد غزوة تبوك ولم يتخلف وانما المعاتبة
لمن تخلف فقط اما ان هذه الاية منوهة بابي بكر حاكمة بتقدمه وسابقته في الاسلام
رضي الله عنه **وقوله** ان الله معنا يريد بالنصر والانجاء واللطف **وقوله تعالى** فانزل
الله سكينته عليه الاية قال حبيب بن ابي ثابت الضمير في عليه عائد على ابي بكر لان

النبي

النبي عليه السلام لم يزل ساكن النفس ثقة بالله عز وجل **قال القاضي ابو محمد** وهذا
قول من لم ير السكينة الا سكون النفس والجاش وقال جمهور الناس الضمير عائد على النبي صلى
الله عليه وسلم وهذا اقوى والسكينة عندي انما هي ما ينزله الله على انبيائه من الحياطة
والخصائص التي لا تصلح الا لهم كقوله تعالى فيه سكينة من ربكم ويحتمل ان يكون قوله فانزل
الله سكينته الى اخر الاية يراد به ما صنعه الله لنبيه الى وقت تبوك من الظهور والفتوح
لا ان تكون هذه الاية تختص بقصة الغار والنجاة الى المدينة فعلى هذا تكون الجنود
الملائكة النازلين ببدر وحنين ومن راى ان الاية مختصة بتلك القصة قال الجنود ملائكة
بشروه بالنجاة وبان الكفار لا ينجح لهم سعي وفي مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما
وايدهما وقرا مجاهد وايده بالتخفيف والجمهور وايده بشد الياء **وقوله** وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى يريد بادحارها ودحضها واذلالها وكلمة الله هي العليا قيل
يريد لا اله الا الله وقيل الشرع باسره وقرا جمهور الناس وكلمة بالرفع على الابتداء
وقرا الحسن بن ابي الحسن ويعقوب وكلمة بالنصب على تقدير وجعل كلمة قال الاعمش
ورايت في مصحف انس بن مالك المنسوب الى ابي بن كعب وجعل كلمته هي العليا
قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل
الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن
بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم
والله يعلم انهم لكاذبون هذا امر من الله عز وجل لامة محمد بالنفر الى الغزو فقال
بعض الناس هذا امر عام لجميع المؤمنين تعين به الفرض على الاعيان في تلك المدة ثم نسخه
الله عز وجل بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وروي ذلك عن الحسن وعكرمة
وقال جل الناس بل هذا حض والامر في نفسه موقوف على فرض الكفاية ولم يقصد
بالاية فرضه على الاعيان واما قوله خفافا وثقالا فنصب على الحال من الضمير في
قوله انفروا ومعنى الخفة والثقل ها هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه
بصعوبة واما من لا يمكنه كالعمي ونحوهم فخارج عن هذا وروي ان ابن ام مكتوم

جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعلي ان انفر فقال له نعم حتى نزلت ليس على الاعمى
حرج وذكر الناس من معاني الثقل والخفة اشيا لا وجه لتخصيص بعضها دون بعض
بل هي وجوه متفقة فقيل الغني الخفيف والثقيل الفقير قاله مجاهد وقيل الخفيف
الشاب والثقيل الشيخ قاله الحسن وجماعة وقيل الخفيف النشيط والثقيل الكاسل
قاله ابن عباس وقتادة وقيل المشغول ومن لا شغل له قاله الحكم بن عتيبة وزيد
بن علي وقيل الذي له ضيعة هو الثقيل ومن لا ضيعة له هو الخفيف قاله ابن زيد وقيل الشجاع
هو الخفيف والجبان هو الثقيل حكاه النقاش وقيل الراجل هو الثقيل والفارس هو
الخفيف قال القاضي ابو محمد وهذان الوجهان الاخران ينعكسان وقد قيل ذلك
ولكنه بحسب وطأتهم على العدو فالشجاع هو الثقيل وكذلك الفارس والجبان هو
الخفيف وكذلك الراجل وكذلك ينعكس الفقر والغنى فيكون الغني هو الثقيل
بمعنى صاحب الشغل ومعنى هذا ان الناس امروا جملة وهذه الاقوال انما هي على
معنى المثال في الثقل والخفة وقال ابو طلحة ما اسمع الله عذر احدا وخرج الى
الشام فجاهد حتى مات وقال ابو ايوب ما اجدني الا خفيفا او ثقيلا وروي
ان بعض الناس راى في غزوات الشام رجلا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر
فقال له يا عم ان الله قد عذرك فقال يا ابن اخي انا قد امرنا بالنفر خفافا وثقالا واسند
الطبري عن من راى المقداد بن الاسود بحمص وهو على تابوت صراف وقد فضل عن
التابوت من سمنه وهو يتجهز للغزو فقيل له لقد عذرك الله فقال اتت علينا سورة
البعوث انفروا خفافا وثقالا وروي سورة البحوث وقوله باموالكم وانفسكم
وصف لاكمل ما يكون من الجهاد وانفعه عند الله تحض على كمال الاوصاف وقدمت
الاموال في الذكر اذ هي اول مصرف وقت التجهيز فرتب الامر كما هو في نفسه
ثم اخبر ان ذلكم خير للمؤمنين من رضوان الله وغلبة العدو ووراثة الارض وفي قوله ان
كنتم تعلمون تنبيه وهز للنفوس وقوله تعالى لو كان عرضا قريبا الاية ظاهر هذه
الاية وما حفظ من قصة تبوك ان الله لما امر رسوله بغزو الروم ندب الناس وكان

فقال

ذلك

ذلك في شدة من الحر وطيب من الثمار والظلال فنفر المؤمنون واعتذر منهم لا
محالة فريق لا سيما من القبائل المجاورة للمدينة ويدل على ذلك قوله في اول
هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض
لان هذا الخطاب ليس للمنافقين خاصة بل عام واعتذر المنافقون باعذار كاذبة
وكانوا بسبيل كسل مفرط وقصد للتخلف وكانت اعذار المؤمنين حقيقة لكنهم
تركوا الاولى من التحامل فنزل ما سلف من الايات في عتاب المؤمنين ثم ابتدأ من هذه
الاية ذكر المنافقين وكشف ضمائرهم فيقول لو كان هذا الغزو لعرض اي لمال وغنيمة
تنال قريبا بسفر قاصد يسير لبادروا لا لوجه الله ولا لظهور كلمته ولكن
بعدت عليهم الشقة في غزو الروم اي المسافة الطويلة وذكر ابو عبيدة ان اعرابيا
قدم البصرة وكان قد حمل حمالة فخرج عنها وكان معه ابن له يسمى الاحوص فبادر الاحوص
اباه بالقول انا من تعلمون وابنا سبيل وجئنا من شقة بعيدة ونطلب في حق وسطونا
ومحركم الله فهم ابوه ليخطب فقال له مه اياك اني قد كفيتك قال القاضي
ابو محمد يا بنيه واياك نهي وقرا عيسى ابن عمر الشقة بكسر الشين وقرا الاعمش
بعدت بكسر العين وحكى ابو حاتم انها لغة تميم في الحرفين وقوله وسيحلفون بالله
يريد المنافقين وهذا اخبار بغيب وقوله يهلكون انفسهم يريد عند حلفهم مجاهرة
وكفرهم كانهم يوجبون على انفسهم الحيم بعذاب الله ثم اخبر ان الله الذي هو اعدل الشاهدين
يعلم كذبهم وانهم كانوا يستطيعون الخروج ولكن تركوه كفرا ونفاقا وهذا الذي الحمله
لا بتعيين شخص ولو عين لقيل ما المشرع وقرا الاعمش على جهة التشبيه بواو ضمير الجماعة
لو استطعنا بضم الواو وذكره ابن جني ومثله بقوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة وتمنوا
الموت واشتروا الضلالة وما اشبهه قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين يؤمنون
بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين هذه
الاية هي في صنف مبالغ في النفاق واستاذنوا دون اعتذار منهم عبد الله بن ابي

والجد بن قيس ورفاعة بن التابوت ومن اتبعهم فقال بعضهم ائذن لي ولا تفتني وقال
بعضهم ائذن لنا في الإقامة فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم استبقاء منه
عليه السلام وأخذاً بالأسهل من الأمور وتوكلاً على الله وقال مجاهد إن بعضهم
قال نستأذنه فإن أذن في القعود قعدنا وإن لم يأذن قعدنا فنزلت الآية في ذلك
وقالت فرقة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لهم دون أن يؤمر بذلك فعفي عنه
ما لحق من هذا وقدم له ذكر العفو قبل العتاب إكراماً له صلى الله عليه وسلم وقال
عمرو بن ميمون الأودي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع برأيه في شيئين دون
أن يؤمر فيهما بشيء هذه وأمر أسارى بدر فعاتبه الله عليهما وقالت فرقة بل قوله في
هذه الآية عفا الله عنك استفتاح كلام كما تقول أصلحك الله وأعزك الله ولم تكن
منه عليه السلام ذنب يعفى عنه فيه لأن صورة الاستنفار وقبول الأعذار
مصروفة إلى اجتهاده وأما قوله لم أذنت فهي على معنى التقرير وقوله الذين صدقوا
يريد في استئذانك وأنك لو لم تأذن لهم خرجوا معك وقوله وتعلم الكاذبين يريد
أنهم استأذنوك يظهرون لك أنهم يقفون عند حدك وهم كذبة قد عزموا على العصيان
أذنت أو لم تأذن وقال الطبري معناه حتى تعلم الصادقين في أن لهم عذراً والكاذبين
في أن لا عذر لهم قال القاضي أبو محمد وعلى هذا التأويل اختلط المعتذرون وقد
قدمنا أن فيهم مؤمنين بالمستأذنين وهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والأول أصوب
والله أعلم وأدخل الطبري أيضاً في تفسير هذه الآية عن قتادة أن هذه الآية نزلت بعد الآية
التي في سورة النور فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قال القاضي أبو محمد
وهذا غلط لأن آية النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق في استئذان بعض المؤمنين
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شأنهم في بيوتهم في بعض الأوقات فأباح الله له
أن يأذن فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى وقوله تعالى لا يستأذنك الآية نفي عن المؤمنين
أن يستأذنوا رسول الله في التخلف دون عذر كما فعل الصنف المذكور من المنافقين
وقوله أن يجاهدوا يحتمل أن يكون في موضع نصب على معنى لا يستأذنونك في التخلف

كراهية

كراهية أن يجاهدوا قاله سيبويه ويحتمل أن يكون في موضع خفض قال القاضي
أبو محمد على معنى لا يحتاجوا إلى أن يستأذنوا في أن يجاهدوا بل يمضون قدماً أي
فهم أحرى أن لا يستأذنوا في التخلف ثم أخبر بعلمه تعالى بالمتقين وفي ذلك تعيير للمنافقين
وطعن عليهم بين قوله تعالى إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم
الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له
عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا
فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم
سماعون لهم والله عليم بالظالمين هذه الآية نص في أن المستأذنين إنما هم
مخلصون للنفاق وارتابت قلوبهم معناه شكت والريب نحو الشك ويترددون
أي يتحيرون لا يتجه لهم هدى ومن هذه الآية نزع أهل الكلام في حد الشك أنه
تردد بين أمرين والصواب في حده أنه توقف بين أمرين والتردد في الآية إنما هو في
ريب هؤلاء المنافقين إذ كانوا تخطر لهم صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً
وأنه غير صحيح أحياناً ولم يكونوا شاكين طالبين الحق لأنه كان يتضح لهم لو طلبوه
بل كانوا مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كالشاة العائرة بين الغنمين وأيضاً
فبين الريب والشك فرق ما وحقيقة الريب إنما هو الأمر يستريب به
الناظر فيخلط عليه عقيدته فربما أدى إلى شك وحيرة وربما أدى إلى
علم ما في النازلة التي هو فيها ألا ترى إلى قول الهذلي كأني أربته بريب
لا يتجه أن يعبر بشك قال الطبري وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين
الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرنا في سورة النور وأسند عن الحسن
وعكرمة أنهما قالا في قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله إلى قوله فهم
في ريبهم يترددون نسختها الآية التي في النور إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
إلى إن الله غفور رحيم قال القاضي أبو محمد وهذا غلط وقد تقدم
ذكره وقوله تعالى ولو أرادوا الخروج الآية حجة على المنافقين أي ولو

ارادوا الخروج بنياتهم لنظروا في ذلك واستعدوا له قبل كونه والعُدّة ما يُعَدّ
للامر ويروّى له من الاشيا وقرا جمهور الناس عدة بضم العين وبتا تانيث وقرا
محمد بن عبد الملك بن مروان وابنه معوية بن محمد عُدَّهُ بضم العين وها اضمار
يريد عدته فحذفت تا التانيث لما اضاف كما قال واقام الصلاه يريد واقامه
هذا قول الفرا وضعفه ابو الفتح وقال انما حذفت تا التانيث وجعل ها
الضمير عوضا منها وقال ابو حاتم هو جمع عُدّة على عُدّ كبُرة وبُرّ ودُرّة ودُرّ
والوجه فيه عُدَد ولكن لا يوافق خط المصحف وقرا عاصم فيما روى عنه ابان
وزر بن حبيش عِدّه بكسر العين وبها اضمار وهو عندي اسم لما يعد كالذبح والقتل
لان العدو سمي قتلا اذ حقه ان يقتل هذا الى معتقد العرب حين سمته وانبعاثهم
نفوذهم لهذه الغزوه والتثبيط التكسيل وكسر العزم وقيل اقعدوا يحتمل ان يكون
حكاية عن الله عز وجل اي قال الله في سابق قضايه اقعدوا مع القاعدين ويحتمل ان
يكون حكاية عنهم اي كانت هذه مقالة بعضهم لبعض اما لفظا واما معنى ويحكي في
هذه الالفاظ التي تقتضي لهم مذمة اذ القاعدون النسا والاطفال ويحتمل ان
يكون عبارة عن اذن محمد صلى الله عليه وسلم لهم في القعود اي لما كره الله خروجهم يسر
لك لهم اقعدوا مع القاعدين والقعود عبارة هنا عن التخلف والتراخي كما هو في قول
الشاعر: واقعد فانك انت الطاعم الكاسي ∴ وليس للهيبة في هذا الله مدخل
وكراهية الله انبعاثهم رفقا بالمومنين وقوله تعالى لو خرجوا فيكم الاية خبر
بانهم لو خرجوا لكان خروجهم مضرة وقوله الا خبالا استثنا من غير الاول
وهذا قول من قدر انه لم يكن في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبال فيزيد المنافقون
فيه فكان المعنى ما زادوكم قوة ولا شدة لكن خبالا ويحتمل ان يكون الاستثنا غير
منقطع وذلك ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك كان فيه منافقون
كثير ولهم لا محالة خبال فلو خرج هولا لتالفوا مع الحاضرين فزاد الخبال
والخبال الفساد في الاشيا المولفة الملتحمة كالمودات وبعض الاجرام ومنه قول

الشاعر

الشاعر: يا بني لبينى لستما بيد ∴ الا يدا مخبولة العضد ∴ وقرا ابن ابي
عبلة ما زادكم بغير واو وقرا جمهور الناس ولاوضعوا ومعناه لاسرعوا السير
وخلالكم معناه فيما بينكم من هنا الى هنا يسد الموضع الخلل بين الرجلين والايضاع
سرعة السير وقال الزجاج خلالكم معناه فيما يخل بكم قال القاضي ابو محمد
وهذا ضعيف وبابه قوله فجاسوا خلال الديار وقرا مجاهد فيما حكى
النقاش عنه ولاوفضوا وهو ايضا بمعنى الاسراع ومنه قوله تعالى كانهم
الى نصب يوفضون وحكى عن الزبير انه قرا ولارفضوا قال ابو الفتح هذه من رفض
البعير اذا اسرع في مشيه رفضا ورفضانا ومنه قول حسان بن ثابت
بزجاجة رقصت بما في قعرها ∴ رقص القلوص براكب مستعجل ∴ ووقعت ولاوضعوا
بالف بعد لا في المصحف وكذلك وقعت في قوله او لاذبحنه قيل ذلك لخشونة
هجا الاولين قال الزجاج وانما وقعوا في ذلك لان الفتحة في العبرانية وكثير من
الالسنة تكتب الفا قال القاضي ابو محمد ويحتمل ان يمطل حركة اللام
فيحدث الف بين اللام والهمزة التي من اوضع وقوله يبغونكم الفتنة اي يطلبون
لكم الفتنة وقوله وفيكم سماعون قال سفين بن عيينة والحسن ومجاهد وابن
زيد معناه جواسيس يسمعون الاخبار وينقلونها اليهم ورجحه الطبري قال
النقاش بنا المبالغة يضعف هذا القول وقال جمهور المفسرين معناه وفيكم مطيعون
سماعون لهم وقوله والله عليم بالظالمين توعد لهم ولمن كان من المومنين على
هذه الصفة قوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى
جا الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة
سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسوهم وان تصبك مصيبة
يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون في هذه الاية تحقير شانهم وذلك
انه اخبر انهم قديما سعوا على الاسلام فابطل الله سعيهم ومعنى قوله من قبل ما

كان من حالهم من وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوعهم عنه في أحد وغيرها
ومعنى وقلبوا لك الأمور دبروها ظهراً لبطن ونظروا في نواحيها وأقسامها وسعوا
بكل حيلة وقرأ مسلمة بن محارب وقلبوا بالتخفيف في اللام وأمر الله الإسلام
ودعوته وقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي نزلت في الجد بن قيس وذكر أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما أمر بالغزو إلى بلاد الروم حرض الناس فقال للجد بن قيس
ائذن لي في التخلف ولا تفتني بذكر بنات الأصفر فقد علم قومي أني لا أتمالك عن
النساء إذا رأيتهن ذكر ابن إسحاق نحو هذا من القول الذي فيه فتور كثير وخلف في
الاعتذار وأسند الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا
بنات الأصفر فقال الجد بن قيس ائذن لي ولا تفتنا بالنساء وهذا منزع غير
الأول إذا نظر وهو أشبه بالنفاق والمحادة وقال ابن عباس إن الجد قال ولكني
أعينك بمالي ومأول بعض الناس قوله ولا تفتني أي لا تصعب علي حتى احتاج إلى
مواقعة معصيتك ومخالفتك فسهل علي ودعني غير ملجلج وهذا تأويل حسن
واقف مع اللفظ لكن تظاهر ما روي من بنات الأصفر وذلك معترض في هذا التأويل
وقرأ عيسى بن عمر ولا تفتني بضم التاء الأولى قال أبو حاتم هي لغة تميم والأصفر هو
الروم من عيصو بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام وكان أصفر اللون فقال
للروم بنو الأصفر ومن ذلك قول أبي سفيان أمر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني
الأصفر ومنه قول الشاعر وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم
مذكور. وذكر النقاش والمهدوي أن الأصفر رجل من الحبشة وقع ببلاد الروم
فتزوج وأنسل بنات لهن جمال وهذا ضعيف وقوله ألا في الفتنة سقطوا أي
في الذي أظهروا الفرار منه بما تبين لك وللمؤمنين من نفاقهم وصح عندكم كفرهم
وفسد ما بينكم وبينهم وسقطوا عبارة بنية على عمل وقوعهم وفي مصحف أبي سقطت
ثم قال وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وهذا توعد شديد لهم أي هي مآلهم ومصيرهم كيف
ما تقلبوا في الدنيا فإليها يرجعون وهي محيطة بهذا الوجه وقوله تعالى إن

تصبك

تصبك حسنة الآية أخبر تعالى عن معتقدهم وما هم عليه والحسنة هنا
بحسب الغزوة هي الغنيمة والظفر والمصيبة الهزم والخيبة واللفظ عام بعد
ذلك في كل محبوب ومكروه ومعنى قوله قد أخذنا أمرنا من قبل أي حزمنا نحن في
تخلفنا ونظرنا لأنفسنا وقوله تعالى قل لن يصيبنا الآية أمر الله عز وجل نبيه عليه
السلام في هذه الآية أن يرد على المنافقين ويفسد عليهم فرحهم بأن يعلمهم أن الشيء الذي
يعتقدونه مصيبة ليس كما اعتقدوه بل الجميع مما قد كتبه للمؤمنين فإما أن ظفراً وسروراً
في الدنيا وإما أن يكون ذخراً للآخرة وقرأ طلحة بن مصرف قل هل يصيبنا وقرأ طلحة
بن مصرف وأعين قاضي الري قل لن يصيبنا بشد الياء التي بعد الصاد وكسرها كذا ذكر
أبو الفتح وشرح ذلك وقال أبو الفتح قال عمرو بن شقيق سمعت أعين قاضي الري يقرأ
لن يصيبنا بالنون مشددة قال أبو حاتم ولا يجوز ذلك لأن النون لا يدخل مع لن ولو
كانت لطلحة بن مصرف لجازت لأنها مع هل قال الله تعالى هل يذهبن كيده
ما يغيظ وقوله كتب الله يحتمل أن يريد ما قضى وقدر ويحتمل أن يريد ما كتب لنا
في قرآننا وأنزله علينا من أنا إما أن نظفر بعدونا وإما أن نستشهد فندخل الجنة قال
القاضي أبو محمد وهذا الاحتمال يرجع إلى الأول وقد ذكرها الزجاج وقوله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون معناه مع سعيهم وجدهم إذ لا حول ولا قوة إلا بالله هذا
قول أكثر العلماء وهو الصحيح والذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة
عمره ومنه مظاهرته بين درعين وخلط الناس في معنى التوكل في الرزق فالأشهر
والأصح أن الرجل الذي يمكنه التحرف الحلال المحض الذي لا يدخله كراهية ينبغي أن
يستعمل منه ما يصونه ويجمله كالاحتطاب ونحوه وقد قرن الله تعالى الرزق بالسبب
ومنه وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ومنه قول النبي
عليه السلام في الطير تغدو خماصاً الحديث ومنه قوله قيدها وتوكل وذهب
بعض الناس أن الرجل القوي الجلد إذا بلغ من التوكل أن يدخل غاراً أو بيتاً ويجهل أمره
فيه ويبقى في ذكر الله متوكلاً يقول إن كان بقي لي رزق فسيأتي به الله

يكون

اظنها
إما

وان كان ذا نيه في قدم متانه ذلك حسن بالغ اعلى الدرجات وحدثني ابي رضي
الله عنه انه كان في الحرم رجل ملازم يخرج من جيبه المرة بعد المرة بطاقة ينظر
فيها ثم يصرفها وبقي على حاله حتى مات في ذلك الموضع فقرئت البطاقة فاذا فيها
مكتوب فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا **قال القاضي ابو محمد** وهذه الطريقة
لا يراها جل اهل العلم بان ينبغي ان يسعى الرجل بقدر القوة سعيا جميلا لا يواقع
فيه شبهه فان تعذر عليه جميع ذلك وخرج الى حد الاضطرار فحسن ان يسامح
في السؤال واكل الميتة وما امكنه من ذلك فهو له مباح وان صبر واحتسب نفسه
كان في اعلى رتبة عند قوم ومن الناس من يرى ان فرضا عليه ابقاء رمقه واما من يختار
الالقاء باليد والسعي ممكن فما كان ذلك من خلق الرسول ولا الصحابة ولا العلماء
والله الموفق للصواب ومن حجة من يقول بالتوكل حديث النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله يدخل الجنة سبعون الفا من امتي بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا
يسترقون وعلى ربهم يتوكلون وفي هذا الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا لعكاشة بن محصن ان يكون منهم فقيل ذلك لانه عرف من عكاشة انه معد
لذلك وقال للآخر سبقك بها عكاشة وردت له دعوة فقيل ذلك لانه
كان منافقا وقيل بل عرف منه انه لا يصلح لهذه الدرجة في التوكل **قوله
تعالى** قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل انفقوا طوعا
او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين المعنى في هذه الاية الرد على المنافقين
في معتقدهم في المومنين وازالة ظنهم ان المومنين تنزل بهم مصائب والاعلام بانها
حسنى كيف تصرفت وتربصون معناه تنتظرون والحسنيان الشهادة والظفر وقرا ابن
محيصن الا احدى الحسنيين بوصل الف احدى **قال القاضي ابو محمد** وهذه لغة وليست
بالقياس وهذا نحو قول **الشاعر** يا با المغيرة رب امر معضل **ونحو قول الآخر**
ان لم اقاتل فالبسوني برقعا **وقوله** بعذاب من عنده يريد الموت بحدثان الاسف

بل

ويحتمل ان يكون توعدا بعذاب الآخرة **وقوله** او بايدينا يريد القتل وقيل
بعذاب من عنده يريد انواع المصائب والقوارع **وقوله** فتربصوا انا معكم
متربصون وعيد وتهديد **وقوله** قل انفقوا طوعا او كرها سببها ان الجد بن
قيس حين قال ايذن لي ولا تفتني قال اني اعينك بمالي فنزلت هذه الاية فيه وهي
عامة بعده والطوع والكره يعمان كل انفاق وقرا ابن وثاب والاعمش وكرها
بضم الكاف **قال القاضي ابو محمد** ويتصل هاهنا ذكر افعال الكافر اذا كانت
برا كصلة القرابة وجبر الكسر واعانة المظلوم هل ينتفع بها ام لا فاختصار
القول في ذلك ان في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ثواب الكافر
على افعاله البرة هو في الطعمة يطعمها ونحو ذلك فهذا مقنع لا يحتاج معه الى
نظر واما ان ينتفع في الآخرة فلا دليل ذلك ان عائشة ام المومنين قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ارايت عبد الله بن جدعان اينفعه ما
كان يطعم ويصنع من خير فقال لا انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين
ودليل آخر في قول عمر رضي الله عنه لابنه ذاك العاصي بن وائل لا جزاه الله خيرا
وكان هذا القول بعد موت العاصي والحديث يطول ودليل ثالث في حديث
حكيم بن حزام على احد التاويلين في قول النبي صلى الله عليه وسلم اسلمت على ما
اسلفت لك من خير ولا حجة في امر ابي طالب وكونه في ضحضاح من نار لان ذلك
انما هو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وبانه وجده في غمرة من النار فاخرجه
ولو فرضنا ان ذلك باعماله لم يحتج الى شفاعة واما اعمال الكافر القبيحة فانها
تزيد في عذابه لا محالة وبذلك هو تفاضلهم في عذاب جهنم **وقوله** انفقوا
امر في ضمنه جزاء وهذا مستمر في كل امر معه جواب فالتقدير ان تنفقوا لن يتقبل
منكم واما اذا عري الامر من الجواب فليس تصحبه تضمن الشرط **قوله تعالى**
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلاة
الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما

يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ويحلفون
بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يحتمل ان يكون معنى الاية وما
منعهم الله من ان يقبل الا لاجل انهم كفروا فان الاولى على هذا في موضع خفض بنصبها
الفعل حين ان الخافض وان الثانية في موضع نصب مفعول من اجله ويحتمل ان يكون
التقدير وما منعهم الله قبول نفقاتهم الا لاجل كفرهم فالاولى على هذا في موضع
نصب ويحتمل ان يكون المعنى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم فالثانية في موضع
رفع فاعله وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم ان تقبل منهم نفقاتهم بالتاء وقرا حمزة
والكسائي ونافع فيما روي عنه ان يقبل منهم نفقاتهم بالياء وقرا الاعرج بخلاف عنه
ان تقبل منهم نفقتهم بالتاء وافراد النفقة وقرا الاعمش ان تقبل منهم صدقاتهم وقرات
فرقة ان نقبل منهم نفقتهم بالنون ونصب النفقة وكسالى جمع كسلان وكسلان اذا
كانت مونثته كسلى فهو لا ينصرف بوجه وان كانت مونثته كسلانة فهو ينصرف
في النكرة ثم اخبر عنهم تعالى انهم لا ينفقون نفقة الا على كراهية اذ لا يقصدون
بها وجه الله ولا محبة المومنين فلم يبق الا خوف المال وهو من كارههم لا محالة
وقوله فلا يعجبك اموالهم الاية حقر هذا اللفظ شان المنافقين وعلل اعطا الله
لهم الاموال والاولاد بارادته تعذيبهم بها واختلف في وجه التعذيب فقال
قتادة في الكلام تقديم وتاخير والمعنى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا
انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وقال الحسن الوجه في التعذيب انه بما الزمهم فيها
من اداء الزكاة والنفقة في سبيل الله قال القاضي ابو محمد فالضمير في قوله بها عائد
في هذا القول على الاموال فقط وقال ابن زيد وغيره التعذيب هو بمصائب
الدنيا ورزاياها هي لهم عذاب اذ لا يوجرون عليها وهذا القول ان كان يستغرق
قول الحسن يقوى تخصيصه بان تعذيبهم بالزام الشريعة اعظم من تعذيبهم بسائر الرزايا
وذلك لاقتران الذلة والغلبة باوامر الشريعة لهم وقوله وتزهق انفسهم يحتمل ان
يريد ويموتون على الكفر ويحتمل ان يريد وتزهق انفسهم من شدة التعذيب الذي

يناهم

يناهم وقوله وهم كافرون جملة في موضع الحال على التاويل الاول وليس يلزم ذلك
على التاويل الثاني وقوله ويحلفون الاية اخبر الله تعالى عن المنافقين انهم يحلفون
انهم من المومنين في الدين والشريعة ثم اخبر تعالى عنهم على الجملة لا على التعيين انهم ليسوا
من المومنين وانما هم يفزعون منهم فيظهرون الايمان وهم يبطنون النفاق والفرق الخوف
والفرق قد الجبان وفي المثل او فرق خير من حب قوله تعالى لو يجدون
ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما
اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى
الله راغبون الملجا من لجا يلجا اذا اوى واعتصم وقرا جمهور الناس او مغارات
بفتح الميم وقرا سعيد بن عبد الرحمن بن عوف او مغارات بضم الميم وهي الغيران في
اعراض الجبال فتح الميم من غار الشي اذا دخل كما تقول غارت العين اذا دخلت في
الحجاج وضم الميم من اغار الشي غيره اذا ادخله فهذا وجه من اشتقاق اللفظه
وقيل ان العرب تقول غار الرجل واغار بمعنى واحد فهذا وجه من اشتقاق
اللفظه وقيل ان العرب تقول غار الرجل واغار بمعنى واحد اي دخل قال الزجاج
اذا دخل الغور ويحتمل ان يكون اللفظه ايضا من هذا قال القاضي ابو محمد ويتجه
في قراة ضم الميم ان يكون من قولهم حبل مغار اي مفتول ثم يستعار ذلك في الامر المحكم
المبرم فيجي التاويل على هذا لو يجدون عصمة او امورا مرتبطة مشددة تعصمهم منكم
او مدخلا لولوا اليه وقرا جمهور الناس او مدخلا اصله مفتعل وهو بنا تاكيد
ومبالغة ومعناه السرب والنفق في الارض وما ذكرناه في الملجا والمغارات والمدخل
فسر ابن عباس رضي الله عنه وقال الزجاج المدخل معناه قوما يدخلونهم في
جملتهم وقرا مسلمة بن محارب والحسن وابن ابي اسحق وابن محيصن وابن كثير بخلاف
عنه او مدخلا بفتح الميم من دخل وقرا قتادة وعيسى بن عمر والاعمش او مدّخّلا
بتشديدهما وقرا ابي بن كعب مندخلا قال ابو الفتح هذا كقول الشاعر

ولا يدري في حيث الشمس تنسدخل قال القاضي ابو محمد وقال ابو حاتم قراة
أبي بن كعب متدخلا بتا مفتوحة وروي عن الاعمش وعيسى مدخلا بضم الميم
فهو من ادخل وقرات فرقة لولوا وقرا جد ابي عبيدة بن قرمل لوالوا من الموالاة وانكرها
سعيد بن مسلم وقال انما هو لولوا بمعنى لجوا وقرا جمهور الناس يجمحون ومعناه يسرعون
مصممين غير منثنين ومنه قول مهلهل لقد جمحت جماحا في دمائهم
حتى رأيت ذوي احسابهم خمدوا :. وقرا انس بن مالك يجمزون ومعناه يهرولون
ومنه قولهم في حديث الرجم فلما اذلقته الحجارة جمز وقوله تعالى ومنهم
من يلمزك الاية الضمير في قوله ومنهم على المنافقين واسند الطبري الى ابي سعيد
الخدري انه قال جا ابن ذي الخويصرة التميمي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم
قسما فقال اعدل يا محمد الحديث المشهور بطوله وفيه قال ابو سعيد فنزلت في
ذلك ومنهم من يلمزك في الصدقات وروى داود بن ابي عاصم ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بصدقة فقسمها وراه رجل من الانصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت الاية قال
القاضي ابو محمد وهذه نزعة منافق وكذلك روي عن غير واحد ان الاية
نزلت بسبب كلام المنافقين اذ لم يعطهم حسب اطماعهم ويلمزك معناه
يعيبك ويأخذ منك في الغيبة ومنه قول الشاعر اذا لقيتك تبدي
لي مكاشرة وان اغيب فانت العايب اللمزه وقال رؤبة
في ظل عصري باطلي ولمزي :. والهمز ايضا في نحو ذلك ومنه قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة وقيل لبعض
الاعراب اتهمز الفارة فقال انما تهمزها الهرة وقال ابو علي جعل الاكل همزا وهذه
استعارة كما استعار حسان بن ثابت الغرث في قوله وتصبح غرثى من لحوم
الغوافل :. تركيبا على استعارة الاكل في الغيبة قال القاضي ابو محمد لم يجعل
الاعرابي الهمز الاكل وانما اراد ضربها اياها بالناب والظفر وقرا جمهور الناس يلمزك بكسر
الميم وقرا ابن كثير فيما روى عنه حماد بن سلمة يلمزك بضم الميم وهي قراة اهل مكة وقراة
الحسن وابي رجا وغيرهم وقرا الاعمش يلمزك وروى ايضا حماد بن سلمة عن ابن كثير يلامزك

اظنها عابد

وهي

وهي مفاعلة من واحد لانه فعل لم يتبع من النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ولو انهم
رضوا ما اتاهم الله ورسوله الاية وصف للحال التي ينبغي ان يكون عليها المستقيمون
يقول تعالى ولو ان هولا المنافقين رضوا قسمة الله الرزق لهم وما اعطاهم على
يدي رسوله ورجوا انفسهم فضل الله ورسوله واقروا بالرغبة الى الله لكان خيرا
لهم وافضل مما هم فيه وحذف الجواب من الاية لدلالة ظاهر الكلام عليه وذلك
من فصيح الكلام والجازه قوله تعالى انما الصدقات للفقرا والمساكين
والعاملين عليها والمولفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن
السبيل وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم انما في هذه الاية حاصرة
تقتضي وقوف الصدقات على الثمانية الاصناف وانما اختلف في صورة القسمة
فقال مالك وغيره ذلك على قدر اجتهاد الامام وبحسب اهل الحاجة وقال
الشافعي وغيره هي ثمانية اقسام على ثمانية اصناف لا يخل بواحد منها الا ان
المولفة انقطعوا قال القاضي ابو محمد ويقول صاحب هذا القول لا يجزي المتصدق
ان يعطي من كل صنف اقل من ثلاثة واما الفقير والمسكين فقال الاصمعي وغيره
الفقير ابلغ فاقة وقال غيرهم المسكين ابلغ فاقة قال القاضي ابو محمد ولا طريق
الى هذا الاختلاف ولا الى الترجيح الا النظر في شواهد القران والنظر في كلام
العرب واشعارها فمن حجة الاولين قول الله عز وجل اما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر واعترض هذا الشاهد بوجوه منها ان يكون سماهم مساكين
بالاضافة الى الغاصب وان كانوا اغنيا على جهة الشفقة كما تقول لجماعة
يظلم مساكين لا حيلة لهم وربما كانوا اغنيا سير ومنها انه قد قري لمساكين
بشد السين بمعنى دباغين يعطون المسوك قاله النقاش وغيره ومنها ان يكون اضافتها
اليهم ليست باضافة ملك بل لما كانوا عاملين بها كما تقول سرج الفرس
وباب الدار ومن حجة الاخرين قول الراعي اما الفقير الذي كانت
حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد :. وقد اعترض على هذا الشاهد

بانه انما سماه فقيرا بعد ان صار لا حلوبه له واما ذكر الحلوبه بانها كانت وهذا
اعتراض يرده معنى القصيده ومقصد الشاعر فانه انما يصف سعايه انت على مال
الحي لجمعه فقال اما الفقير فاستوصل ماله فكيف بالغني مع هذه الحال وذهب
من يقول ان المسكين ابلغ فاقه الى انه مشتق من السكون وان الفقير مشتق من فقار
الظهر كانه اصيب فقاره فيه لا يجا لها حركه وذهب من يقول ان الفقير ابلغ فاقه
الى انه مشتق من فقرت البير اذا نزعت جميع ما فيها وان المسكين من السكن قال
القاضي ابو محمد ومع هذا الاختلاف فانهما صفتان تعمهما الاقلال والفاقه وينبغي
ان يبحث عن الوجه الذي من اجله جعلهما الله اثنين والمعنى فيهما واحد وقد اضطرب
الناس في هذا فقال الضحاك بن مزاحم الفقرا هم من المهاجرين والمساكين ممن لم يهاجر
وقال النخعي نحوه وقال سفين يعني لا يعطى فقرا الاعراب منها شيا قال القاضي
ابو محمد والمسكين السايل يعطى في المدينه وغيرها وهذا القول نحو كان الحال
وقت نزول الايه واما منذ زالت الهجره فاستوى الناس وتعطى الزكاه لكل متصف
بفقر وقال عكرمه الفقرا من المسلمين والمساكين من اهل الذمه ولا تقولوا الفقرا
المسلمين مساكين وقال الشافعي في كتاب ابن المنذر الفقير من لا مال له ولا حرفه
سايلا كان او متعففا والمسكين الذي له حرفه او مال ولكن لا يغنيه ذلك سايلا كان او
غير سايل وقال قتاده بن دعامه الفقير الزمن المحتاج والمسكين الصحيح المحتاج وقال
ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وابن زيد وجابر بن زيد ومحمد بن مسلمه المساكين
الذين يسعون ويسالون والفقرا هم الذين يتصاونون وهذا القول الاخير احسن
وجر لحسن ما قال في هذا وتحريره ان الفقير هو الذي لا مال له الا انه لم يذل ولا
بذل وجهه وذلك اما لتعففه مفرط واما لبلغه تكون له كالحلوبه وما اشبهها
والمسكين هو الذي يقترن بفقره تذلل وخضوع وسوال فهذه هي المسكنه فعلى
هذا كل مسكين فقير وليس كل فقير مسكينا ويقوي هذا ان الله قد وصف بني
اسرايل بالمسكنه وقرنها بالذله مع غناهم واذا تاملت ما قلناه بان انهما صنفان

موجودان

موجودان في المسلمين ويقوي هذا قوله تعالى للفقرا الذين احصروا في سبيل الله لا
يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف وقيل لاعرابي افقير
انت قال لا والله مسكين وقال النبي صلى الله عليه وسلم المسكين بهذا الطواف الذي
ترده اللقمه واللقمتان ولكن المسكين هو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق
عليه اقروا ان شيتم لا يسالون الناس الحافا فدل هذا الحديث على ان المسكين في
اللغه هو الطواف وجرى تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على
المتصاون مجرى تقديم الفقرا في الايه لمعنى الاهتمام اذ هم بحيث لم يتهمم بهم
هلكوا والمسكين يلح ويذكر بنفسه واما العامل فهو الرجل الذي يستنيبه الامام
في السعي على الناس وجمع صدقاتهم وكل من يصرف من عونه فهو لا يستغني عنه
فهو من العاملين لانه يحشر الناس على الساعي وقال الضحاك للعاملين ثمن ما عملوا
على قسمه القران وقال الجمهور لهم قدر تعبهم ومونتهم قاله مالك والشافعي في
كتاب ابن المنذر فان تجاوز ذلك ثمن الصدقه فلخلف فقيل يتم لهم ذلك من خمس
الغنيمه واختلف اذا عمل في الصدقات هاشمي فقيل يعطى منها عمالته وقيل
لم يعطاها من الخمس ولا يجوز للعامل قبول الهديه والمصانعه ممن يسعى عليه وذلك
ان فعله رده في بيت المال كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بابن اللتبيه حين
استعمله على الصدقه فقال هذا لكم وهذا اهدي لي فقال النبي عليه السلام
هلا قعدت في بيت ابيك وامك حتى تعلم ما يهدى لك واخذ الجميع منه
قال القاضي ابو محمد وما تاخذ العامله الساعي هل ياخذها قبل العمل او بعده وهل
هي اجاره او هي جعل وهل العمل معلوم او هو يتسع واما تعرف قدره بعد الفراغ
واما المولفه قلوبهم فكانوا صنفين مسلمين وكافرين مستترين قال الحسن بن
ابي كثير كان منهم ابو سفين بن حرب بن اميه والحرث بن هشام وصفوان
بن اميه وسهيل بن عمرو والعباس بن مرداس والعلا بن جاريه الثقفي
قال القاضي ابو محمد واكثرها ولا من الطلقا الذين ظاهرهم يوم الفتح الكفر ثم بقوا

يسير

نظهر من الاسلام حتى يثقه الاستيلاف في اكثرهم واستيلافهم انما كان ليجلب
الى الاسلام منفعه او تدفع عنه مضره وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه والحسن
والشعبي وجماعه من اهل العلم انقطع هذا الصنف بعزة الاسلام وظهوره وهذا
مشهور مذهب مالك قال عبد الوهاب ان احتيج اليهم في بعض الاوقات
اعطوا من الصدقه قال القاضي ابو محمد وقول عمر عندي انما هو لمعنيين فانه قال
لابي سفيان حين اراد اخذ عطايه القديم انما انت كرجل من المسلمين فان الله
قد اغنى عنك وعن ضربايك يريد في الاستيلاف واما ان يكون غير الاستيلاف جمله
وفي ثغور الاسلام فبعيد وقال كثير من اهل العلم المولفه قلوبهم موجودون
الى يوم القيمه قال القاضي ابو محمد واذا تاملت الثغور وجد فيها الحاجه الى
الاستيلاف وقال الزهري المولفه كل من اسلم من يهودي ونصراني وان كان غنيا
ومن لم يتبسط نفسه ويحبب دين الاسلام اليه واما الرقاب فقال ابن عباس
والحسن ومالك وغيره هو ابتداء العتق وعون المكاتب بما ياتي على حريته واختلف
هل يعان بها المكاتب في اثنا نجومه بالمنع والاباحه واختلف على القول باباحته
ان عجز فهل يرد ذلك من عند السيد وقيل يمضي لانه كان يوم دفعه بوجه
وقال الشافعي معنى وفي الرقاب في المكاتبين ولا يبتدا منها عتق عبد وقاله الليث
وابرهيم النخعي وابن جبير وذلك ان هذه الاصناف انما تعطى اما المنفعه للمسلمين او
لحاجه في نفسها والعبد ليس له واحده من هاتين الطريقين والمكاتب قد صار من ذي
الحاجه وقال الزهري سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يعتق منه رقاب
مسلمون ممن صلى قال ابن حبيب ويفدى منها اسارى المسلمين ومنع ذلك غيره واما
الغارم فهو الرجل يركبه دين في غير معصيه ولا سفه كذا قال العلما فهو يودى
عنه دينه وان كانت له عروض تقيم رمقه ويكفي عياله وكذلك يحمل بحماله في ديات
واصلاح من القبايل ونحو هذا وهو احد الخمسه الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تحل الصدقه لغني الا لخمسه لعامل عليها او غاز في سبيل الله او رجل تحمل

بحماله

بحماله او من اهديت له او من اشتراها بماله قال القاضي ابو محمد وقد
سقط المولفه من هذا الحديث قال ابن حبيب ولا يودى من الصدقه دين ميت ولا
يعطى منها من عليه كفاره ونحو ذلك من حقوق الله واما الغارم من عليه دين سجن
فيه وقد قيل في مذهبنا وغيره يودى دين الميت من الصدقات قاله ابو ثور واما
في سبيل الله فهو المجاهد ويجوز ان ياخذ من الصدقه ليستنفقها في غزوه وان كان غنيا
قال ابن حبيب ولا يعطى منها الحاج الا ان يكون فقيرا فيعطى لفقره وقال ابن عباس
وابن عمر واحمد واسحق يعطى منها الحاج وان كان غنيا والحج سبيل الله ولا يعطى
منها في بناء مسجد ولا قنطره ولا شرا مصحف ونحو هذا واما ابن السبيل فهو
الرجل في السفر والغربه يقدم فانه يعطى من الزكاه وان كان غنيا في بلده وسمي
المسافر ابن السبيل لملازمته السبيل كما قال للطاير ابن ماء لملازمته له ومنه
عندي قولهم ابن جلا وقد قيل فيه غير هذا ومنه قولهم بنوا الحرب وبنوا المجد ولا يعطى
بنو هاشم من الصدقه المفروضه قال ابن الماجشون ومطرف واصبغ وابن حبيب
ولا من التطوع ولا يعطى مواليهم لان مولى القوم منهم وقال ابن القسم يعطى بنو هاشم
من صدقه التطوع ويعطى مواليهم من الصدقتين ومن سال من الصدقه وقال انه معسر
فقالت فرقه يعطى دون ان يكلف بينه على فقره بخلاف حقوق الادميين مع
معه العقد فانه يكلف البينه لانها حقوق الناس يوخذ بالاحوط وايضا فالناس اذا
لهم حقوق والادمي محمولون على الغنى حتى يثبت العدم ويظهر ذلك من قوله تعالى
وان كان ذو عسره اي ان وقع فان كان ذو عسره فنظره الى ميسره فيعطى هذا ان الجهل
الغنى وقالت فرقه الرجل الصحيح الذي لا يعلم فقره لا يعطى الا ان يعلم فقره
واما ان ادعى انه غارم او مكاتب او ابن سبيل او في سبيل الله ونحو ذلك مما لم يعلم
منه فلا يعطى الا ببينه ولا لاحد وقد قيل في الغارم يبلغ عروضه وجميع ما
يملك ثم يعطى بالفقر ويعطي الرجل قرابته الفقرا وهم احق من غيرهم فان كان فيه
غايبا في موضع تقصر اليه الصلاه لجاره الفقرا اولى فان كان في غيبه لا تقصر اليه

الصلاة فقيل هو اولى من الجار وقيل الجار اولى ويعطي الرجل قرابته الذين لا تلزمه
نفقتهم وتعطي المراة زوجها وقال بعض الناس ما لم يتعود ذلك عليها ولا يعطي الرجل
زوجته اذا كانت من الغارمين والمكاتب ولا الذي يعتق من الصدقة فقال مالك
ولاؤه لجماعة المسلمين وقال ابو عبيد ولاؤه للمعتق وقال عبيد الله بن الحسن يجعل
ماله في بيت الصدقات وقال الحسن واحمد واسحق يعتق من ماله رقاب واذا
كان للرجل على معسر دين فقيل يتركه له ويقطع ذلك من صدقته وقيل لا يجزي
ذلك جملة وقيل ان كان ممن لو رفعه الى الحاكم امكن ان يؤديه جاز ذلك والا لم يجز
لانه قد توى واما ابن السبيل فهو الذي قد مر ذكره معطى الرجل الغازي وان كان
غنيا وقال اصحاب الراي لا يعطى الغازي في سبيل الله الا ان يكون منقطعا به قال
ابن المنذر وهذا خلاف ظاهر القران وحديث رسول الله اما القران فقوله وفي
سبيل الله واما الحديث فقوله الا لخمسة لغاز في سبيل الله واما صنوف المفرق
فقال مالك يفرقه على قدر الحاجة ونظر الامام يضعها في اي صنف راى وكذلك المتصدق
وقاله حذيفة بن اليمان وسعيد بن جبير وابرهيم وابو العالية وقال الطبري وقال بعض
المتاخرين اذا قسم المتصدق قسم في ستة اصناف لانه ليس ثم عامل والان المؤلفة
قد انقطعوا فان قسم الامام ففي سبعة اصناف وقال الشافعي وعكرمة والزهري
هي ثمانية اقسام لثمانية اصناف لا يخل بواحد منها واحتج الشافعي بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ساله ان الله تعالى لم يرض في الصدقات بقسم نبي ولا غيره
حتى قسمها بنفسه فجعلها ثمانية اقسام لثمانية اصناف فان كنت واحدا منها اعطيتك
قال القاضي ابو محمد والحديث في مصنف ابي داود وقال ابو ثور اذا قسمها هو
الامام لم يخل بصنف منها وان اعطى الرجل صدقته صنفا دون صنف اجزاه ذلك وقال
النخعي اذا كان المال كثيرا قسم على الاصناف كلها واذا كان قليلا اعطاه صنفا واحدا
وقالت فرقة من العلماء من له خمسون درهما فلا يعطى من الزكاة وقال الحسن وابو عبيد
لا يعطى من له اوقية وهي اربعون درهما قال الحسن وهو غني وقال الشافعي قد يكون الرجل

الذي

الذي لا قدر له غنيا بالدرهم مع سعيه وحيلته وقد يكون الرجل الذي له القدر
والعيال ضعيف النفس والحيلة فلا تغنيه الالف وقال ابو حنيفة لا ياخذ الصدقة
من له مائتا درهم ومن كان له اقل فلا باس ان ياخذ وقال سفيان الثوري لا يدفع الى
احد من الزكاة اكثر من خمسين درهما الا ان يكون غارما وقال اصحاب الراي ان اعطى
الفا وهو محتاج اجزا ذلك وقال ابو ثور يعطى من الصدقة حتى يغنى ويزول عنه اسم
المسكنة ولا باس ان يعطى الفقير الالف واكثر من ذلك وقال ابن المنذر اجمع اكثر
من نحفظ عنه من اهل العلم ان من له دار وخادم لا يستغني عنهما ان ياخذ من الزكاة
وللمعطي ان يعطيه وكان مالك يقول ان لم يكن في ثمن الدار والخادم فضلة عما يحتاج
اليه منهما جاز له الاخذ والا لم يجز واما الرجل يعطي الاخر وهو يظنه فقيرا فاذا
هو غني فانه ينتزع ذلك احدها منه فان فاتت نظر فان كان الاخذ غر واخذها
مع علمه بانها لا تحل له ضمنها على كل وجه وان كان لم يغر بل اعتقد انها تجوز
له او لم يتحقق مقصد المعطي نظر فان كان اكلها او لبسها او انتفع بها ضمنها وان
كانت تلفت لم يضمن واختلف في اجزائها على المتصدق فقال الحسن وابو عبيد تجزيه
وقال الثوري لا تجزي واهل بلد الصدقة احق بها الا ان يفضل فضلة فتنقل الى غيرها
حسب نظر الامام قال ابن حبيب في الواضحة اما المؤلفة فانقطع سهمهم
واما سبيل الله فلا باس ان يعطي الامام الغزاة اذا افل الفيء في بيت المال
قال القاضي ابو محمد وهذا الشرط فيه نظر قال ابن حبيب ويسعى للامام ان
يامر السعاة بتفرقتها بالمواضع التي جبيت فيها ولا يحمل منه شي الى الامام
الا ان يرى ذلك لحاجة او فاقة نزلت بقوم قال مالك ومن له مزرعة او شي في
ثمنه اذا باعه ما يغنيه لم يجز له اخذ الصدقة وهذه جملة من فقه الاية
كافية على شرطنا في الايجاز والله الموفق بمنه **وقوله تعالى** فريضة اي
موجبة محدودة وهي ماخوذة من الفرض في الشي بمعنى الحز والقطع لثبوت ذلك
ودوامه شبه به ما يفرض من الاحكام ونصب فريضة على المصدر ثم وصف

نفسه تعالى بصفتين مما سيبين الحكم هذه الآية لأنه صدر عن علم منه لخلقه
وحكمة منه في القسمة بينهم **قوله تعالى** ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين
آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله
ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن
له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم ۞ الضمير في قوله ومنهم عائد على المنافقين
ويؤذون لفظ يعم جميع ما كانوا يفعلونه ويقولونه في جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الأذى وخص بعد ذلك من قولهم هو أذن ويروى أن قائل هذه اللفظة نبتل بن
الحارث وكان من مردة المنافقين وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سره أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث وكان ثائر الرأس منتفش الشعر
أسفع الخدين مشوها وروي عن الحسن البصري ومجاهد أنهما تأولا أنهم أرادوا
بقولهم هو أذن أي يسمع منا معاذيرنا وتنصلنا ويقبله أي فنحن لا نبالي عن أذاه
ولا الوقوع فيه إذ هو سماع لكل ما يقال من اعتذار ونحوه فهذا تنقص بقلة الحزامة
والانخداع وروي عن ابن عباس وجماعة معه أنهم أرادوا بقولهم هو أذن أي
يسمع كل ما ينقل إليه عنا ويصغي إليه ويقبله فهذا تشك منه ووصف بأنه يسوغ
عنده الأباطيل والنمائم ومعنى أذن سماع وسمي الرجل السامع لكل قول أذنا إذ كثر
منه استعمال الأذن فهذه تسمية الشيء بالشيء إذا كان منه بسبب كما يقال للربيئة
عين وكما يقال للمسنة من الإبل التي قد بزل نابها ناب وقيل معنى الكلام ذو أذن أي ذو
سماع وقيل إن قوله أذن مشتق من قولهم أذن إلى الشيء إذا استمع **كما قال الشاعر**
وهو عدي بن زيد ۞ أيها القلب تعلل بددن إن همي في سماع وأذن وفي
التنزيل وأذنت لربها وحقت ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء
كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن ومن هذا قول **الشاعر** في سماع يأذن الشيخ له
وحديث مثل ماذي مشار **ومنه قول الآخر** صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به

وإن

وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ۞ وقرأ نافع أذْن بسكون الذال فيهما وقرأ الباقون أذُن
بضم الذال فيهما وكلهم قرؤوا بالإضافة إلى خير إلا ما روي عن عاصم وقرأ الحسن بن أبي الحسن
ومجاهد وعيسى بخلاف قل أذنٌ خيرٌ برفع خير وتنوين أذن وهذا جرى مع تأويل الحسن الذي
ذكرناه أي من يقبل معاذيركم خير لكم ورويت هذه القراءة عن عاصم ومعنى أذن خير
على الإضافة أي سماع خير وحق ويؤمن بالله معناه يصدق بالله ويؤمن للمؤمنين قيل معناه
ويصدق المؤمنين واللام زائدة كما هي في قوله تعالى ردف لكم وقال المبرد هي متعلقة
بمصدر مقدر من الفعل كأنه قال وإيمانه للمؤمنين أي وتصديقه وقيل يقال آمنت
لك بمعنى صدقتك ومنه قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا **قال القاضي أبو محمد**
وعندي أن هذه التي معها اللام في ضمنها باء فالمعنى ويصدق للمؤمنين بما يخبرونه به
وكذلك وما أنت بمؤمن لنا بما نقوله لك والله المستعان وقرأ جميع السبعة
إلا حمزة ورحمةٌ بالرفع عطفا على أذن وقرأ حمزة وحده ورحمةٍ بالخفض عطفا على خير
وهي قراءة أبي بن كعب وعبد الله والأعمش وخصص الرحمة للذين آمنوا إذ هم الذين نجوا
بالرسول وفازوا به ثم أوجب تعالى للذين يؤذون رسول الله العذاب الأليم وحتم عليهم
به **وقوله** يحلفون بالله لكم الآية ظاهر هذه الآية أن المراد بها جميع المنافقين الذين
يحلفون لرسول الله وللمؤمنين أنهم منهم في الدين وأنهم معهم في كل أمر وكل حرب
وهم في ذلك يبطنون النفاق ويتربصون الدوائر وهذا قول جماعة من أهل التأويل وقد
روت فرقة أنها نزلت بسبب رجل من المنافقين قال إن كان ما يقول محمد حقا
فأنا شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه ووقفه على
قوله فحلف مجتهدا أنه ما فعل فنزلت الآية في ذلك **وقوله** والله
ورسوله أحق أن يرضوه مذهب سيبويه أنهما جملتان حذفت الأولى لدلالة
الثانية عليها والتقدير عنده والله أحق أن يرضوه **وهذا كقول الشاعر** نحن بما
عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف ۞ ومذهب المبرد أن في
الكلام تقديما وتأخيرا وتقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله فإن كانوا

يكرهون ان يجمع الرسول مع الله في ضمير حكاه المبرد عنه وليس هذا الشي ومن مصنف
ابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما فقد غوى فجمع في ضمير وقوله عليه السلام في الحديث الاخر بئس الخطيب
انت انما ذلك لانه وقف في يعصهما فادخل العاصي في الرشد وقيل الضمير عايد على
المذكور كما قال رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد
توليع البهق ❊ وقوله ان كانوا مومنين اي على قولهم ودعواهم وقوله الم تعلموا
الاية وقوله الم تقرير ووعيد وفي مصحف ابي بن كعب الم تعلموا على خطاب النبي عليه
السلام وهو وعيد لهم وقرا الاعرج والحسن الم تعلموا بالتاء وتحادد معناه تخالف
وتشاق وهو من ان تعطي هذا حده وهذا حده وهذا او قال الزجاج هو ان يكون
هذا في حيز وهذا في حيز وقوله فان مذهب سيبويه انها بدل من الاولى وهذا
معترض بان الشي لا يبدل منه حتى يستوفي والاولى في هذا الموضع لم ياتي خبرها
بعد اذ لم يتم جواب الشرط وتلك الجملة هي الخبر وايضا فان الفا تمانع البدل وايضا
فانها في معنى الخبر الاول فيقلق البدل واذا المعطف لا يبدل فهو بدل الاشتمال
وقال غير سيبويه هي مجردة للتاكيد الاولى وقالت فرقة من النحاة هي في موضع
جر بابتدا تقديره فواجب ان له وقيل المعنى فله ان له وقالت فرقة هي ابتدا
والخبر مضمر تقديره فان له نار جهنم واجب وهذا مردود لان الابتدا بان
لا يجوز مع اضمار الخبر قاله المبرد وحكي عن ابي علي الفارسي قول يقرب معناه من معنى
القول الثالث من هذه التي ذكرنا الا انه الان على لفظه وجميع القراء على فتح ان الثانية
وحكى الطبري عن بعض نحوي البصرة انه اختار في انها كسرة الالف وذكر ابو عمرو
الداني انها قراة ابن ابي عبلة ووجهه في العربية قوي لان الفا تقتضي القطع والاستيناف
ولانه تصلح في موضعها الاسم ويصلح الفعل واذا كانت كذلك وجب كسرها قوله
عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم قل
استهزوا ان الله مخرج ما تحذرون ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل

ابالله

ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان يعف
عن طايفة منكم تعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين وقوله يحذر خبر عن
حال قلوبهم وحذرهم انما هو ان تلي سورة ومعتقدهم هل تنزل ام لا ليس يفسر في
الاية لكنه ظاهر فان حمل على مقتضى نفاقهم واعتقادهم ان ذلك ليس من عند الله فوجه
بين وان قيل انهم يعتقدون نزول ذلك من عند الله وهم منافقون مع ذلك فهذا كفر
عناد وقال الزجاج وبعض من ذهب الى التحرز من هذا الاحتمال معنى يحذر الامر
وان كان لفظه لفظ الخبر كانه يقول ليحذر وقرا ابو عمرو وجماعة معه ان تنزل
ساكنة النون خفيفة الزاي وقرا بفتح النون وتشديد الزاي الحسن والاعرج
وعاصم والاعمش وعيسى وان من قوله ان تنزل مذهب سيبويه انه يحذر
عامل فيها فهي مفعوله وقال غيره حذر انما هي من هيات النفس التي لا تتعدى
مثل فزع وانما التقدير يحذر المنافقون من ان تنزل عليهم سورة وقوله قل
استهزوا لفظه الامر ومعناه التهديد ثم ابتدا الاخبار عن انه مخرج لهم
الى حيز الوجود ما يحذرونه وفعل ذلك تبارك وتعالى في سورة براة فهي تسمى
الفاضحة لانها فضحت المنافقين وقال الطبري كان المنافقون اذا عابوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكروا اشيا من امره قالوا لعل الله لا يفشي سرنا فنزلت
الاية في ذلك قال القاضي ابو محمد وهذا يقتضي كفر العناد الذي قلناه وقوله
ولين سالتهم الاية نزلت على ما ذكر جماعة المفسرين في وديعة بن ثابت وذلك انه مع قوم
من المنافقين كانوا يسيرون في غزوة تبوك فقال بعضهم لبعض هذا يريد ان يفتح
قصور الشام وياخذ حصون بني الاصفر هيهات هيهات فوقفهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب
يريدون كنا غير مجدين وذكر ابن اسحاق ان قوما منهم تقدموا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال بعضهم كانكم والله غدا في الحبال اسرى لبني الاصفر الى نحو هذا من القول
فقال النبي عليه السلام لعمار بن ياسر ادرك القوم فقد احترقوا واخبرهم بما قالوا

ونزلت الآية وروي أن وديعة بن ثابت المذكور قال في جماعة من المنافقين ما رأيت
كقرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكثر كذبا ولا أجبن عند اللقاء فعنفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه المقالة فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب ثم أمره
بتقريرهم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون وفي ضمن هذا التقرير وعيد
وذكر الطبري عن عبد الله بن عمر أنه قال رأيت قائل هذه المقالة وديعة متعلقا
بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكبه وهو يقول إنما كنا
نخوض ونلعب والنبي يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون وذكر النقاش أن هذا
المتعلق كان عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك خطأ لأنه لم يشهد تبوك وقوله تعالى
لا تعتذروا الآية المعنى قل لهم يا محمد لا تعتذروا على جهة التوبيخ كأنه يقول لا تفعلوا
ما لا ينفع ثم حكم عليهم بالكفر فقال لهم قد كفرتم بعد إيمانكم الذي زعمتموه
ونطقتم به وقوله عن طائفة منكم يريد فيما ذكر المفسرون رجلا واحدا قيل
اسمه مخشن بن حمير قاله ابن إسحق وقال ابن هشام ويقال فيه مخشي وقال خليفة
بن خياط في تاريخه مخاشن بن حمير وذكر ابن عبد البر مخاشن الحميري وذكر
جميعهم أنه استشهد باليمامة وقد كان تاب وتسمى عبد الرحمن فدعا الله أن
يستشهد ويجهل أمره فكان ذلك باليمامة ولم يوجد جسده وذكر أيضا ابن عبد
البر مخشي بن حمير بضم الحاء وفتح الميم وسكون الياء ولم يتقن القصة وقد كان مخشن
مع المنافقين الذين قالوا إنما نخوض ونلعب فقيل كان منافقا ثم تاب توبة صحيحة وقيل
كان مسلما مخلصا إلا أنه سمع كلام المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم فعفا
الله عنه في كلا الوجهين ثم أوجب العذاب لباقي المنافقين الذين قالوا ما
تقدم وقرأ جميع السبعة سوى عاصم إن يعف بالياء وقرأ الجحدري إن يعف بالياء
المضمومة على تقدير إن يعف الله يعذب بالياء على تقدير يعذب الله طائفة بالنصب
وقرأ عاصم وزيد بن ثابت وأبو عبد الرحمن إن نعف بالنون نعذب بنون الجمع أيضا
وقرأ مجاهد إن تعف بالتاء المضمومة على تقدير إن تعف هذه الذنوب تعذب

كنا نخ

بالثاني

بالثاني أيضا قوله عز وجل المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين
هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم
ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا
وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم
الخاسرون هذا ابتداء إخبار عنهم وحكم من الله عليهم بما تضمنته الآية فقوله
بعضهم من بعض يريد في الحكم والمنزلة من الكفر وهذا نحو قولهم الأذنان من الرأس
يريدون في حكم المسح وإلا فمعلوم أنهما من الرأس ولما تقدم قبل وما هم منكم حسن
هذا الإخبار وقوله يأمرون بالمنكر يريد بالكفر وعبادة غير الله وسائر ذلك من الاثم
لأن المنافقين الذين نزلت هذه الآية فيهم لم يكونوا أهل قدرة ولا أفعال ظاهرة
وذلك بسبب ظهور الإسلام وكلمة الله عز وجل وقوله نسوا فنسيهم أي تركوه
حين تركوا نبيه وشرعه فتركهم حين لم يهدهم ولا كفاهم عذاب النار وإنما يعبر
بالنسيان عن الترك مبالغة إذا بلغ وجوه الترك الوجه الذي يقترن به نسيان وعلى
هذا يجيء ولا تنسوا الفضل بينكم ولا تنس نصيبك من الدنيا ثم حكم عليهم عز وجل بالفسق
وهو فسوق الكفر المقتضي للخلود في النار وكان قتادة يقول فنسيهم أي من الخير ولم
ينسهم من الشر وقوله وعد الله المنافقين الآية لما قيد الوعد بالتصريح بالشر صح
ذلك وحسن وإن كانت الآية وعيدا محضا والكفار في هذه الآية المعلنون وقوله هي
حسبهم أي كافيتهم وكافية جرمهم وكفرهم نكالا وجزاء فلو تمنى أحد لهم عذابا لكان
ذلك عنده حسبا لهم ولعنهم الله معناه أبعدهم عن رحمته وعذاب مقيم معناه
مؤبد لا نقلة له وقوله تعالى كالذين من قبلكم الآية أمر الله نبيه أن يخاطب بها
المنافقين فيقول لهم كالذين من قبلكم والمعنى أنتم كالذين أو مثلكم مثل الذين من قبلكم
وقال الزجاج المعنى وعدا كما وعد الذين من قبلكم فهو متعلق بوعد قال القاضي

أبو محمد وفي هذا قلق ثم قال كانوا أشد منكم وأعظم فعصوا فأهلكوا فأنتم أحرى
بالإهلاك لمعصيتكم وضعفكم والخلاق الحظ من القدر والدين وجميع حال المرء وخلاق
المرء الشيء الذي به خليق والمعنى عجلوا حظهم في دنياهم وتركوا باب الآخرة فاتبعتموهم
أنتم **قال القاضي أبو محمد** وأورد الطبري في تفسير هذه الآية قوله عليه السلام
لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب
لدخلتموه وما شاكل هذا الحديث مما يقتضي اتباع أمة محمد عليه السلام لسير
الأمم وهو معنى لا يليق بالآية جدا إذ هي مخاطبة لمنافقين كفار أعمالهم حابطة
والحديث مخاطبة لموحدين يتبعون سنن من مضى في أفعال دنياوية لا تخرج
عن الدين **وقوله** وخضتم كالذي خاضوا أي خلطتم كالذي خلطوا وهو مستعار من
الخوض في المائعات ولا يستعمل إلا في الباطل لأن التصرف في الحقائق إنما هو على ترتيب
ونظام وأمور الباطل إنما هي خوض ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم رب متخوض
في مال الله له النار يوم القيامة ثم قال تعالى أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة
يحتمل أن يراد بأولئك القوم الذين وصفهم بالشدة وكثرة الأموال والاستمتاع
بالخلاق والمعنى وأنتم أيضا كذلك يعتريكم بإعراضكم عن الحق ويحتمل أن يريد بأولئك
المنافقين المعاصرين لمحمد عليه السلام ويكون الخطاب لمحمد عليه السلام وفي ذلك
خروج من خطاب إلى خطاب غير الأول وحبط العمل وما جرى مجراه حبط حبطه
إذا بطل بعد التعب فيه وحبط البطن حبطا بفتح الباء وهو داء في البطن ومنه قوله
عليه السلام إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم **وقوله** في الدنيا معناه
إذا كان في المنافقين ما يصيبهم في الدنيا من المقت من المؤمنين وفساد أعمالهم وعصمهم
عليهم في الآخرة بأن لا تنفع ولا يقع عليها جزاء ويقوي أن الإشارة بأولئك إلى المنافقين
قوله في الآية المستقبلة ألم يأتهم فتأمله **قوله تعالى** ألم يأتهم
نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات
أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وعد
الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة
في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم يقول عز وجل
لنبيه عليه السلام ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر الأمم السالفة التي عصت الله
بتكذيب رسله فأهلكها وعاد وثمود قبيلتان وقوم إبراهيم نمرود وأصحابه وتباع
دولته وأصحاب مدين قوم شعيب والمؤتفكات أهل القرى الأربعة وقيل السبعة
التي بعث إليهم لوط عليه السلام ومعنى المؤتفكات المنصرفات والمنقلبات أفكت
فائتفكت لأنه جعل عاليها سافلها وقد جاءت في القرآن مفردة تدل على الجمع ومن هذه
اللفظة قول عمران بن حطان: **هـ** بمنطق مستبين غير ملتبس به اللسان وراي
غير مؤتفك **:** أي غير منقلب منصرف مضطرب ومنه يقال للريح مؤتفكة لتصرفها
ومنه أنى يؤفكون والإفك صرف القول من الحق إلى الكذب والضمير في قوله أتتهم رسلهم
عائد على هذه الأمم المذكورة وقيل على المؤتفكات خاصة وجعل لهم رسلا وإنما
كان نبيهم واحدا لأنه كان يرسل إلى كل قرية رسولا داعيا فهم رسل رسول
الله ذكره الطبري والتأويل الأول أعود للضمير على جميع الأمم أبين **وقوله**
بالبينات يريد بالمعجزات وهي بينة في أنفسها بالإضافة إلى الحق لا بالإضافة
إلى المكذبين ولما فرغ من ذكر المنافقين بالأشياء التي ينبغي أن تصرف عن النفاق
وتنهى عنه عقب ذلك بذكر المؤمنين بالأشياء التي ترغب في الإيمان وتنشط
إليه تلطفا منه تعالى بعباده لا رب غيره وذكرت هنا الولاية إذ لا
ولاية بين المنافقين ولا شفاعة لهم ولا يدعو بعضهم لبعض وكان المراد هنا
الولاية في الله خاصة **وقوله** بالمعروف يريد بعبادة الله وتوحيده وكل ما
اتبع ذلك **وقوله** عن المنكر يريد عن عبادة الأوثان وكل ما اتبع ذلك وذكر الطبري
عن أبي العالية أنه قال كل ما ذكر الله تعالى في القرآن من الأمر بالمعروف فهو دعا

من الشرك الى الاسلام وما ذكر من النهي عن المنكر فهي النهي عن عبادة الاوثان
والشياطين قال ابن عباس في قوله ويقيمون الصلاة هي الصلوات الخمس **قال القاضي**
ابو محمد ويحسن هذا ان تكون الزكاة المفروضة والمدح عندي بالنوافل ابلغ
اذ من يقيم النوافل احرى باقامة الفرض **وقوله** ويطيعون الله ورسوله جامع للمندوبات
والسنن في قوله سيرحمهم مدخله في الوعد مهملة لتكون النفوس تتنعم برجائه
وتفضله تعالى زعيم بالانجاز **وقوله تعالى** وعد الله المومنين الاية وعد في هذه
الاية صريحة نص في الخبر **وقوله** من تحتها اما من تحت اشجارها واما من تحت
علياتها واما تحت مجالسها بالاضافة الى مبدا كما تقول في دار ابن مجاور ربض
مستوية المكان هذه تحت هذه وذكر الطبري في قوله ومساكن طيبة عن
الحسن انه قال سألت عنها عمران بن الحصين وابا هريرة فقالا على الخبير سقطت
سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في الجنة من لؤلؤة فيه سبعون
دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في [كل] بيت سبعون سريرا
قال القاضي ابو محمد ونحو هذا مما يشبه هذه الالفاظ او يقرب منها ه‍
فاختصرتها طلب الايجاز واما قوله في جنات عدن فمعناه في جنات اقامة
وثبوت يقال عدن الشي في المكان اذا اقام به وثبت ومنه المعدن اي موضع
ثبوت الشي **ومنه قول الاعشى** وان يستضيفوا الى حلمه يضافوا الى راجح قد
عدن هذا الكلام اللغوي وقال كعب الاحبار جنات عدن هي بالفارسية
جنات الكروم والاعناب **قال القاضي ابو محمد** واظن هذا وهما اختلط [بالفردوس صح] وقال
الضحاك جنات عدن هي مدينة الجنة وعظمها فيها الانبياء والعلماء والشهداء
وائمة العدل والناس حولهم بعد والجنات حولها وقال ابن مسعود عدن هي
بطنان الجنة وسرتها وقال عطاء عدن نهر في الجنة جناته على حافتيه وقال الحسن
عدن قصر في الجنة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد او حكم عدل ومد بها صوته
قال القاضي ابو محمد والاية تأبى هذا التخصيص اذ قد وعد الله بها جميع المومنين

واما

واما قوله ورضوان من الله اكبر فروي فيه ان الله عز وجل يقول لعباده اذا
استقروا في الجنة هل رضيتم فيقولون وكيف لا نرضى يا ربنا فيقول اني ساعطيكم
افضل من هذا كله رضواني ارضى عنكم فلا اسخط عليكم ابدا اكبر
من ذا اكبر من جميع ما تقدم ومعنى الاية والحديث متفق وقال الحسن بن ابي
الحسن وصل الى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ما هو الذ عندهم واقر لاعينهم
من كل شي اصابوه من لذة الجنة **قال القاضي ابو محمد** ويظهر ان يكون قوله
تعالى ورضوان من الله اكبر اشارة الى منازل المقربين الشاربين من تسنيم والذين
يرون كما يرى النجم الغابر في الافق وجميع من في الجنة راض والمنازل مختلفة وفضل
الله تعالى متسع والفوز النجاة والخلاص ومن ادخل الجنة فقد فاز والمقربون
هم في الفوز العظيم والعبارة عندي عن حالهم بسرور وكمال اجود من العبارة
عنها بلذة واللذة مع الحاسة **قوله تعالى** يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما
قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما
نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان
يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من
ولي ولا نصير **قوله** جاهد ماخوذ من بلوغ الجهد وهي مقصود بها المكافحة
والمخالفة ويتنوع بحسب المجاهد فجهاد الكافر المعلن بالسيف وجهاد
المنافق المستتر باللسان والتعنيف والاكفهرار في وجهه ونحو ذلك
الا ترى ان من الفاظ الشرع قوله عليه السلام والمجاهد من جاهد نفسه
في طاعة الله فجهاد النفس انما هو مصابرتها واخذها بالحق وترك
الشهوات فهذا الذي يليق بمعنى هذه الاية لكنا نجلب اقوال المفسرين لتكون
معرضة للنظر قال الزجاج وهو متعلق في ذلك بالفاظ ابن مسعود امر في هذه
الاية بجهاد الكفار والمنافقين بالسيف وابيح له فيها قتل المنافقين قال

بن مسعود ان قدر والا فباللسان والا فبالقلب والا فاكفهروا في الوجه قال القاضي
ابو محمد والقتل لا يكون الا مع التجليح ومن جلح خرج عن رتبة النفاق وقال ابن
عباس المعنى جاهد المنافقين باللسان وقال الحسن ابن ابي الحسن المعنى جاهد
المنافقين باقامة الحدود عليهم قال واكثر ما كانت الحدود يومئذ تصيب
المنافقين قال القاضي ابو محمد ووجه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
المنافقين بالمدينة انهم لم يكونوا مجلحين بل كان كل مغموص عليه اذا وقف
ادعى الاسلام فكان في تركهم ابقاء وحياطة للاسلام ومخافة ان ينفر العرب اذا
سمعت ان محمدا يقتل من يظهر الاسلام وقد اوعبت هذا المعنى في صدر سورة
البقرة ومذهب الطبري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرفهم ويسترهم
واما قوله واغلظ عليهم فلفظة عامة تتصرف في الافعال والاقوال واللحظات
ومنه قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب ومنه قول النسوة لعمر ابن الخطاب
انت افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الغلظ خشن المومنين عليهم
في عتب الامر بالجلاده انهم في جهنم والمعنى هم اهل لجميع ما امرت ان تفعل
بهم والماوى حيث ياوي الانسان ويستقر وقوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا
الاية هذه الاية نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت وذلك انه كان يأتي من
قباء ومعه ابن امراته عمير بن سعد فيما قال ابن اسحق وقال غيره اسمه مصعب وقيل
غيره وهم على حمارين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمى قوما قد اعلمهم بالنفاق
وقال انهم رجس فقال الجلاس للذي كان يسير معه والله ما هؤلاء الذين سمى
محمد الا كبراؤنا وسادتنا ولئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من حمرنا هذه
فقال له ربيبه او الرجل الاخر والله انه لحق وانك لشر من حمارك ثم خشي الرجل
ان يلحقه في دينه درك فخرج واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصة
فارسل النبي عليه السلام الى الجلاس وقرره فحلف بالله ما قال فنزلت هذه الاية
والاشارة بكلمة الكفر الى قوله ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمر الى التكذيب

في قوله

في قوله هذا الكلام وقال مجاهد وكان الجلاس لما قال له صاحبه اني سأخبر
رسول الله بقولك هم بقتله ثم لم يفعل عجز عن ذلك قال فالى هذا هي الاشارة بقوله
وهموا بما لم ينالوا وقال قتادة بن دعامة نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي
بن ابي سلول وذلك ان سنان بن وبرة الانصاري والجهجاه الغفاري كسع احدهما
رجل الاخر في غزوة المريسيع فتثاوروا واصلح جهجاه بالمهاجرين وصاح
سنان بالانصار فثار الناس فهدنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر فقال
عبد الله بن ابي بن ابي سلول ما اراها والا الا قد تداعوا علينا ما مثلنا ومثلهم
الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفه فحلف انه لم يقل فنزلت
الاية مكذبة له والاشارة بكلمة الكفر الى تمثيله سمن كلبك ياكلك قال قتادة
والاشارة بهموا بما لم ينالوا الى قوله لئن رجعنا الى المدينة وقال الحسن هم المنافقون
من اظهار الشرك ومكابرة النبي عليه السلام بما لم ينالوا وقال تعالى بعد اسلامهم ولم
يقل بعد ايمانهم لان ذلك لم يتجاوز السنتهم وقوله وما نقموا الا ان اغناهم
الله ورسوله معناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفع لعبد الله بن ابي بن ابي
سلول دية كانت قد تعطلت له ذكر عكرمة انها كانت اثني عشر الفا وقيل بل كانت
للجلاس قال القاضي ابو محمد وهذا بحسب الخلاف المتقدم فيمن نزلت الاية
من اولها وتقدم لخلاف القراء في نقموا في سورة الاعراف وقراها ابو حيوة وابن
ابي عبلة بكسر القاف وهي لغة وقوله الا ان اغناهم استثناء من غير الاول كما قال
النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
فكان الكلام وما نقموا الا ما حقه ان يشكر وقال مجاهد في قوله تعالى وهموا
بما لم ينالوا انها نزلت في قوم من قريش ارادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال القاضي ابو محمد وهذا لا يناسب الاية وقالت فرقة ان الجلاس هو الذي
هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اشبه بالاية الا انه غير قوي

التشديد وحكى الزجاج ان اثنى عشر من المنافقين هموا بذلك فاطلع الله عليهم وذكر
رسول الله في اغنائهم من حيث كثرت اموالهم من الغنائم ورسول الله السبب في ذلك
وعلى هذا الحديث قال عليه السلام للانصار وكنتم عالة فاغناكم الله ثم فتح عز
وجل لهم باب التوبة رفقا بهم وتلطفا في قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم وروى
ان الجلاس تاب من النفاق فقال ان الله قد ترك لي باب التوبة فاعترف واخلص
وحسنت توبته والعذاب الاليم اللاحق لهم في الدنيا هو المقت والخوف والهجنة
عند المومنين **قوله عز وجل** ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب هذه الاية نزلت
في ثعلبة بن حاطب الانصاري وقال الحسن وفي معتب بن قشير معه واختصار
ما ذكر الطبري وغيره من امره انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله ادع الله ان يجعل لي مالا فاني لو كنت ذا مال لقضيت حقوقه وفعلت فيه الخير
فراده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه
فعاود فقال له النبي عليه السلام الا ترضى ان تكون مثل رسول الله ولو دعوت الله ان
تسير الجبال معي ذهبا لسارت فاعاد عليه حتى دعا له رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاق به المدينة فتنحى عنها
وكثرت غنمه فكان لا يصلي الا الجمعة ثم كثرت حتى تنحى بعيدا فترك الصلاة ونجم نفاقه
ونزل خلال ذلك فرض الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث مصدقين
بكتابه في اخذ زكاة الغنم فلما بلغوا ثعلبة وقرؤوا الكتاب قال هذه اخت
الجزية ثم قال لهم دعوني حتى ارى رايي فلما اتوا رسول الله واخبروه قال ويح ثعلبة
ثلاثا ونزلت الاية فيه فسمع القصة قريب لثعلبة فخرج اليه فقال ادرك امرك فقد
نزل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغب ان
يودي زكاته فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان

الله

الله امرني الا اخذ زكاتك فبقي كذلك حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ورد ثعلبة على ابي بكر ثم على عمر ثم على عثمان يرغب الى كل واحد منهم ان ياخذ منه
الزكاة فكلهم رد ذلك وابوه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثعلبة كذلك
حتى هلك في مدة عثمان وفي قوله تعالى فاعقبهم نص المعاقبة على الذنب بما هو
اشد منه **وقوله** الى يوم يلقونه يقتضي موافاتهم على النفاق ولعل الله لم يقبل
للخلفاء رجوع ثعلبة لشهادة القران عليه بالموافاة ولولا الاحتمال الذي في نفاق
معصية لوجب قبله وقرا الاعمش لنصدقن بالنون الثقيلة مثل الجماعة ولنكونن
خفيفة النون والضمير في فاعقبهم يعود على الله عز وجل ويحتمل ان يعود
على البخل المضمن في الاية ويضعف ذلك الضمير في يلقونه **وقوله** نفاقا في قلوبهم
يحتمل ان يكون نفاق كفر ويكون تقرير ثعلبة بعد هذا النص والابقاء عليه لمكان
اظهاره الاسلام وتعلقه بما فيه احتمال ويحتمل ان يكون قوله نفاقا يريد
به نفاق معصية وقلة استقامة فيكون تقرير صحيحا ويكون ترك قبول الزكاة
منه عقابا له ونكالا وهذا نحو ما روي ان عاملا كتب الى عمر بن عبد العزيز ان
فلانا يمنع الزكاة فكتب اليه ان دعه واجعل عقوبته ان لا يودي الزكاة مع
المسلمين يريد لما يلحقه من المقت في ذلك وقرا الحسن والاعرج وابو عمرو وعاصم
ونافع وسائرهم يكذبون وقرا ابو رجاء يكذبون وذكر الطبري في هذه الاية ما
تاسيسها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه كان
منافقا خالصا اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا ائتمن خان وفي حديث
اخر واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ونحو هذا من الاحاديث ويظهر من مذهب
البخاري وغيره من اهل العلم ان هذه الخلال الذميمة منافق من اتصف بها الى يوم
القيامة وروي ان عمر بن العاصي لما احتضر قال زوجوا فلانا فاني وعدته لا
القى الله بثلث النفاق وهذا ظاهر قول الحسن بن ابي الحسن وقال عطاء بن ابي رباح
قد فعل هذه الخلال اخوة يوسف ولم يكونوا منافقين بل كانوا انبياء وهذ

الاحاديث انما هي في المنافقين في عصر النبي عليه السلام الذي شهد عليهم وهي
هذه الخصال في سائر الامة معاصي لا نفاق وذكر الطبري ان الحسن رجع الى
هذا قال القاضي ابو محمد ولا محالة انها مع التوحيد والايمان بمحمد عليه
السلام معاصي لكنها من قبيل النفاق اللغوي وذكر الطبري عن فرقة انها
قالت كان العهد الذي عاهد الله عليه هؤلاء المنافقون شيئا نووه في
انفسهم ولم يتكلموا به قال القاضي ابو محمد وهذا فيه نظر وقوله الم يعلموا
الاية لفظ به تعلق من قال في الاية المتقدمة ان العهد كان من المنافقين
بالنية لا بالقول وقرا الجمهور يعلموا بالياء من تحت وقرا ابو عبد الرحمن والحسن
الم تعلموا بالتاء من فوق وهذه الاية تناسب حالهم وذلك انها تضمنت احاطة
علم الله بهم وحضره لهم وفيها توبيخهم على ما كانوا عليه من التحدث في نفوسهم
من الاجماع على انكاث الاسلام وراحة بعضهم مع بعض في جهد النبي عليه السلام
وشرعه فهي تعم المنافقين اجمع وقائل المقالة الاولى ذهب الى انها تخص
بالفرقة التي عاهدت وقوله عز وجل الذين يلمزون المطوعين من المومنين
في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم
ولهم عذاب اليم استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
وقوله الذين يلمزون رد على الضمائر في قوله يكذبون والم يعلموا ان الله يعلم سرهم
ونجواهم ويلمزون معناه ينالون بالسنتهم وقرا السبعة يلمزون بكسر الميم وقرا
الحسن وابو رجاء ويعقوب وابن كثير فيما روي عنه يلمزون بضم الميم والمطوعين
لفظة عموم في كل متصدق والمراد به الخصوص فيمن تصدق بكثير دل على ذلك
قوله عطفا على المطوعين والذين لا يجدون فلو كان الذين لا يجدون قد
دخلوا في المطوعين لما ساغ عطف الشي على نفسه وهذا قول ابي علي الفارسي
في قوله عز وجل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل

فانه قال المراد بالملائكة من عدا هذين وكذلك قال في قوله فيهما فاكهة ونخل
ورمان وفي هذا كله نظر لان الذكر ان القصد التشريف يسوغ هذا مع تجوز العرب
في كلامها واصل المطوعين المتطوعين فابدلت التاء طاء وادغم واما
المتصدق بكثير الذي كان سببا للاية فاكثر الروايات انه عبد الرحمن بن عوف تصدق
باربعة الاف وامسك مثلها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت
وفيما انفقت وقيل هو عمر بن الخطاب تصدق بنصف ماله وقيل عاصم بن عدي
تصدق بمائة وسق واما المتصدق بقليل فهو ابو عقيل الحبحاب الاراشي تصدق
بصاع من تمر وقال يا رسول الله جررت البارحة بالجرير واخذت صاعين تركت
احدهما لعيالي واتيت بالاخر صدقة فقال المنافقون ان الله غني عن صدقة هذا وقال
بعضهم ان الله غني عن صاع ابي عقيل وقيل ان الذي لمز في القليل ابو خيثمة قاله كعب
بن مالك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وتصدق عبد الرحمن بن عوف باربعة
الاف وقيل باربع مائة اوقية من فضة وقيل اقل من هذا فقال المنافقون ما هذا الا
رياء فنزلت الاية في هذا كله وقوله فيسخرون معناه يستهزئون ويستخفون
وهو معطوف على يلمزون واعترض ذلك بان المعطوف على الصلة فهو من الصلة
وقد دخل بين هذا المعطوف والمعطوف عليه قوله والذين لا يجدون وهذا
لا يلزم لان قوله والذين معطوف على الذي عمل في المطوعين وهو بمنزلة قولك كان الذي ضربت
زيدا وعمرا افضلهما وقوله سخر الله منهم تسمية للعقوبة باسم الذنب وهي عبارة
عما حل بهم من المقت والذل في نفوسهم وقوله ولهم عذاب اليم معناه مولم
وهي اية وعيد محض وقرا الجمهور والناس جهدهم بضم الجيم وقرا الاعرج وجماعة
معه جهدهم بالفتح وقيل هما بمعنى واحد وقاله ابو عبيدة وقيل هما لمعنيين
الضم في المال والفتح في تعب الجسم ونحوه عن الشعبي وقوله الذين يلمزون يصح ان
يكون خبر ابتداء تقديره هم الذين ويصح ان يكون ابتداء وخبره سخر وفي سخر معنى الدعاء
عليهم ويحتمل ان يكون خبرا مجردا عن الدعاء ويحتمل الذين ان يكون صفة جارية على

ما قبل كما ذكرت اول الترجمة **وقوله تعالى** استغفر لهم او لا تستغفر لهم يحتمل
معنيين احدهما ان يكون لفظ امر ومعناه الشرط بمعنى ان استغفرت او
لم تستغفر لن يغفر الله لهم فيكون مثل قوله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن
يتقبل منكم وبمنزلة **قول الشاعر** أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا
مقلية ان تقلت ۞ والى هذا المعنى ذهب الطبري وغيره في معنى هذه الاية
والمعنى الثاني الذي يحتمله ان يكون تخييرا كانه قال ان شئت فاستغفر وان
لا تستغفر ثم اعلمه انه لا يغفر لهم وان استغفر سبعين مرة وهذا هو الصحيح
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبيينه ذلك وذلك ان عمر بن الخطاب
سمعه بعد نزول هذه الاية يستغفر لهم فقال له يا رسول الله استغفر للمنافقين
وقد اعلمك الله انه لا يغفر لهم فقال له يا عمر ان الله خيرني فاخترت ولو علمت
اني اذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت ونحو هذا من معنى قوله لعمر في وقت
ارادة النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول وظاهر
صلاته عليه ان كفره لم يكن يقينا عنده ومحال ان يصلي على كافر ولكنه راعى
ظواهره من الاقرار ووكل سريرته الى الله وعلى هذا كان يستر المنافقين من اجل
عدم التعيين بالكفر وفي هذه الالفاظ التي قالها رسول الله رفض الزام دليل الخطاب
وذلك ان دليل الخطاب يقتضي ان الزيادة على السبعين يغفر معها وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولو علمت فجعل ذلك مما لا يعلمه ومما ينبغي ان يتعلم ويطلب علمه
من الله عز وجل ففي هذا حجة عظيمة للقول برفض دليل الخطاب واذا
ترتب كما قلنا التخيير في هذه الاية صح ان ذلك التخيير هو الذي نسخ بقوله تعالى
في سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
ان الله لا يهدي القوم الفاسقين ولمالك رحمه الله مسائل يقتضي القول
بدليل الخطاب منها قوله ان المدرك للتشهد وحده لا تلزمه احكام الامام
لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادرك ركعة من الصلاة فقد ادرك الصلاة

فاقتضى

فاقتضى دليل الخطاب ان من لم يدرك ركعة فليس بمدرك ولمالك مسائل
تقتضي رفض دليل الخطاب **منها** قول النبي صلى الله عليه وسلم في سائمة الغنم
الزكاة فدليل الخطاب ان لا زكاة في غير السائمة ومالك يرى الزكاة في غير السائمة
ومنها ان الله عز وجل يقول في الصيد ومن قتله منكم متعمدا فقال مالك الحكم
المخطي والمتعمد سواء ودليل الخطاب يقتضي غير هذا واما تمثيله بالسبعين
دون غيرها من الاعداد فلانه عدد كثيرا ما جاء غاية ومقنعا في الكثرة الا ترى
الى القوم الذين اختارهم موسى والى اصحاب العقبة وقد قال بعض اللغويين
ان التصريف الذي يكون من السين والباء والعين فهو شديد الامر من ذلك السبعة
فانها عدد مقنع هي في السموات وفي الارض وفي خلق الانسان وفي رزقه وفي
اعضائه التي بها يطيع الله وبها يعصيه وبها ترتبت ابواب جهنم فيما ذكر بعض
الناس وهي عيناه واذناه ولسانه وبطنه وفرجه ويداه ورجلاه وفي سهام
الميسر وفي الاقاليم وغير ذلك السبع والعبوس والعنبس ونحو هذا من القول
وقوله ذلك اشارة الى امتناع الغفران **وقوله** والله لا يهدي القوم الفاسقين
اما من حيث هم فاسقون واما انه لفظ عموم يراد به الخصوص فيمن يوافي على كفره
وقوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم
اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما
كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن
تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع
الخالفين هذه اية تضمنت وصف حالهم على جهة التوبيخ لهم وفي ضمنها وعيد
وقوله المخلفون لفظ يقتضي تحقيرهم وانهم الذين ابعدهم الله من رضاه وهي
امكن في هذا من ان يقال المتخلفون ولم يفرح الا منافق فيخرج من ذلك الثلاثة
واصحاب العذر ومقعد مصدر بمعنى القعود **ومثله** من كان مسرورا

بمثل مالك **وقوله** خلاف قيل معناه بعد **وانشد ابو عبيدة في ذلك**
عقب الربيع خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا ، يريد بعدهم
ومنه قول الشاعر فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى تهيأ لاخرى مثلها فكان
قد ، وقال الطبري هو مصدر خالف يخالف **قال القاضي ابو محمد** فعلى هذا
هو مفعول له والمعنى فرح المخلفون بمقعدهم لخلاف رسول الله او مصدر منصوب
في القول الاول كانه على الظرف وكراهيتهم لما ذكر هي شح اذ لا يؤمنون بالثواب في
سبيل الله فهم يضنون بالدنيا وقولهم لا تنفروا في الحر كان لان غزوة تبوك
كانت في شدة الحر وطيب الثمار والظلال قاله ابن عباس وكعب بن مالك
والناس فاقيمت عليهم الحجة بان قيل لهم فاذا كنتم تجزعون من حر القيظ فنار جهنم
هي اشد واحرى ان تجزعوا منها لو فقهتم وقرا ابن عباس وابو حيوة بخلف وذكرها
يعقوب ولم ينسبها وقرى خلف بضم الخاء ويقوي قول الطبري ان لفظة الخلاف
هي مصدر من خالف ما تظاهرت به الروايات من ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرهم بالنفر فعصوا وخالفوا وقعدوا مستاذنين وغير مستاذنين
وقال محمد بن كعب قال لا تنفروا في الحر رجل من بني سلمة وقال ابن عباس
قال رجل يا رسول الله الحر شديد فلا تنفر في الحر قاله النقاش وفي قراءة عبد
الله يعلمون بدل يفقهون وقال ابن عباس وابو رزين والربيع بن خثيم وقتادة
وابن زيد قوله فليضحكوا قليلا اشارة الى مدة العمر في الدنيا **وقوله**
وليبكوا كثيرا اشارة الى تابيد الخلود في النار فجاء بلفظ الامر ومعناه الخبر
عن حالهم ويحتمل ان يكون صفة حالهم اي هم لما هم عليه من الخطر مع الله وسوء الحال
بحيث ينبغي ان يكون ضحكهم قليلا وبكاؤهم من اجل ذلك كثيرا وهذا يقتضي
ان يكون وقت الضحك والبكاء في الدنيا على نحو قوله عليه السلام لامته لو
تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وروي ان رسول الله صلى الله عليه
لما قال هذا الكلام اوحى الله اليه يا محمد لا تقنط عبادي وجزاء نصب على المعنى

الذي تقديره وليبكوا كثيرا اذ هم معذبون جزاء **وقوله** يكسبون نص في ان
التكسب هو الذي يتعلق به العقاب والثواب **وقوله** فان رجعك الله الى
طائفة منهم رجع يستوي مجاوزه وغير مجاوزه **وقوله تعالى** [illegible]
ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم مستقبلات امره من اجل سواه وايضا فيحتمل
ان يموتوا هم قبل رجوعه وامر الله عز وجل نبيه عليه السلام بان يقول لهم
لن تخرجوا معي هي عقوبة لهم واظهار لدناءة منزلتهم وسوء حالهم وهذا هو
المقصود في قصة ثعلبة بن حاطب التي تقدمت في الامتناع من اخذ صدقته
ولا خزي اعظم من ان يكون انسان قد رفضه الشرع ورده كالجمل الاجرب
وقوله الى طائفة يعني عندي ان المراد رؤوسهم والمتشددون عليها وقع التشدد
بانها لا تخرج ولا تقاتل عدوا وكرر معنى قتال العدو لانه عظم الجهاد
وموضع بارقة السيوف التي تحتها الجنة ولولا تخصيص الطائفة لكان الكلام
فان رجعك الله اليهم ويشبه ان تكون الطائفة قد حتم عليها بالموافاة على
النفاق وعينوا للنبي عليه السلام والا كيف يترتب ان لا يصلي على موتاهم ان لم
يعينهم الله **وقوله** وماتوا وهم فاسقون نص على موافاتهم ومما يؤيد هذا
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم عينهم لحذيفة بن اليمان وكانت الصحابة
اذا رأوا حذيفة تاخر عن الصلاة على جنازة رجل تاخروا عنها وروي عن حذيفة
انه قال يوما بقي من المنافقين كذا وكذا فقال له عمر بن الخطاب انشدك
الله انا منهم فقال لا والله لا امنت منها احدا بعدك وقرا جمهور الناس
معي بسكون الياء في الموضعين وقرا عاصم فيما قال المفضل معي بحركة الياء في الموضعين
وقوله اول هو الاضافة الى وقت الاستيذان والخالفون جمع من تخلف
من نساء وصبيان واهل عذر غلب المذكر فجمع بالياء والنون وان كان ثم نساء
وهو جمع خالف وقال قتادة الخالفون النساء وهذا مردود وقال ابن عباس
هم الرجال وقال الطبري يحتمل قوله مع الخالفين ان يريد من الفاسدين فيكون ذلك

هذه صح

مأخوذًا من خلف الشيء إذا فسد ومنه خلوف فم الصائم قال القاضي
أبو محمد وهذا بابه ونظيره والأول أفصح وأجرى على اللفظة وقرأ مالك
بن دينار وعكرمة مع الخلفين وهو مقصور من الخالفين كما قال عردًا وبردًا
يريد عاردًا وباردًا وكما قال الآخر مثل النقا لبده برد الظلل يريد الظلال
قوله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره
إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم
إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وإذا أنزلت
سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا
ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
هذه الآية نزلت في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول وصلاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فروى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تقدم
ليصلي عليه جاءه جبريل فجبذه بثوبه وتلا عليه ولا تصل على أحد منهم مات
أبدًا الآية فانصرف رسول الله ولم يصل وتظاهرت الروايات أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عليه وأن الآية نزلت بعد ذلك وفي
كتاب الجنائز من البخاري من حديث جابر قال أتى رسول الله عبد الله
بن أبي بعد ما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه
من ريقه وألبسه قميصه وروي في ذلك أن عبد الله بن أبي بعث إلى
رسول الله في مرضه ورغب إليه أن يستغفر له ويصلي عليه وروي أن ابنه
عبد الله بن عبد الله جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام إليه
عمر فقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله عن الاستغفار لهم وجعل
يعدد أفعال عبد الله فقال رسول الله أخر عني يا عمر فإني خيرت ولو أعلم
أني إن زدت على السبعين غفر له زدت وفي حديث آخر أن قميصي لا يغني عنه من
الله شيئًا وإني أرجو أن يسلم بفعلي هذا ألف رجل من قومي كذا في بعض الروايات

يريد من منافقي العرب والصحيح أنه قال رجال من قومه فسكت عمر وصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله ثم نزلت هذه الآية بعد ذلك وصلى عليه النبي
لموضع إظهاره الإيمان فمحال أن يصلي عليه وهو يتحقق كفره وبعد هذا
والله أعلم عني لمن لا يصلي عليه ووقع في معاني أبي إسحاق وفي بعض كتب التفسير
فأسلم وتاب لهذه الفعلة من رسول الله وإن عنه من عبد الله ألف رجل
من الخزرج قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف قاله من لا يعرف عدد الأنصار
وقوله ولا تعجبك أموالهم الآية تقدم تفسير مثل هذه الآية والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد أمته إذ هو ما حاج ممن لا يفتنه زخارف الدنيا
ويحتمل أن يكون معنى الآية ولا يعجبك أيها الإنسان والمراد الجنس ووجه تكريرها
تأكيد هذا المعنى وإيضاحه لأن الناس كانوا يفتنون بصلاح حال المنافقين
في دنياهم وقوله وإذا أنزلت سورة الآية العامل في إذا استأذنك والسورة المشار
إليها هي براءة فيما قال بعضهم ويحتمل أن يكون إلى كل سورة فيها الأمر بالإيمان
والجهاد مع الرسول وسورة القرآن أجمع على ترك همزها في الاستعمال واختلف
هل أصلها الهمز أم لا فمن قال أصلها الهمز فهي من أسأرت إذا أبقيت له قطعة من الشيء
فالسورة قطعة من القرآن ومن قال أصلها أن لا تهمز فهي كسورة البناء وهي ما يبنى منه
شيئًا بعد شيء فهي الرتبة بعد الرتبة ومن هذا قول النابغة ألم تر أن
الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب ... وقد مضى هذا
مستوعبًا في صدر هذا الكتاب وأن في قوله أن آمنوا التقدير بأن وهي في موضع
نصب والطول في هذه الآية المال قاله ابن عباس ومعتب بن قشير ونظراؤهم
وابن إسحاق وغيرهما والإشارة بهذه الآية إلى الجد بن قيس وعبد الله بن أبي ومعتب
بن قشير ونظرائهم والقاعدون المؤمنون وأهل العذر في الجملة ومن ترك لضبط
المدينة لأن ذلك عذر وقوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف الآية تقريع
وإظهار شنعة كما يقال على وجه التعيير رضيت يا فلان بكذا والخوالف

النسا جمع خالفة هذا قول جمهور المفسرين وقال ابو جعفر النحاس يقال للرجل
الذي لا خير فيه خالفة فهذا جمعه بحسب اللفظ والمراد اخساء الناس واخلافهم
وقال النضر بن شميل في كتاب النقائض الخوالف من لا خير فيه وقالت فرقة الخوالف
جمع خالف وهو جار مجرى فوارس ونواكس وهوالك وطبع في هذه الاية مستعار
ولما كان الطبع على الصوان والكتاب مانعا منه وحفاظا عليه شبه القلب
الذي قد غشيه الكفر والضلال حتى منع الايمان والهدى منه بالصوان المطبوع
عليه ومن هذا استعارة القفل والكنان للقلب وقوله لا يفقهون معناه لا هم
يفقهون قوله تعالى لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم
وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجا المعذرون من الاعراب
ليوذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب
اليم الاية لكن استدراك بعد نفي وهو هاهنا في المعنى وذلك ان الاية السالفة
معناها ان المنافقين لم يجاهدوا والحسن بعدها لكن الرسول والمومنون
جاهدوا والخيرات جمع خيرة وهو المستحسن من كل شي وكثر استعماله في النسا
فمن ذلك قوله عز وجل فيهن خيرات حسان ومن ذلك قول الشاعر
انشده الطبري ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات
والمفلحون الذين ادركوا بغيتهم من الجنة والفلاح يأتي بمعنى ادراك البغية ومن ذلك
قول لبيد افلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريب
ويأتي بمعنى البقا ومن ذلك قول الشاعر لكل هم من الهموم سعة والمسي والصبح
لا فلاح معه اي لا بقا قال القاضي ابو محمد وبلوغ البغية تعم لفظة
الفلاح حيث وقعت فتامله واعد معناه يسر وهيا وقوله من تحتها يريد
من تحت مبانيها واعاليها والفوز حصول الانسان على امله وظفره ببغيته
ومن ذلك فوز سهام الايسار وقوله تعالى وجا المعذرون من الاعراب الاية

اختلف

اختلف المتاولون في هولا الذين جاوا اهل كانوا مومنين او كافرين فقال ابن
عباس وقوم معه منهم مجاهد كانوا مومنين وكانت اعذارهم صادقة وقال
ابن عباس وقوم معه منهم مجاهد ايضا وقرا وجا المعذرون وهي قراة الضحاك
وحميد الاعرج وابي صالح وعيسى بن هلال وقرا بعض قائلي هذه المقالة المعذرون
بشد الذال واصله المعتذرون فقلبت التا ذالا وادغمت ويحتمل المعذرون
في هذا القول معنيين احدهما المعتذرون باعذار حق والاخر ان يكون الذين
قد بلغوا اعذرهم من الاجتهاد في طلب الغزو ومعك فلم يقدروا ومنه قول
عروة بن الورد ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر وقال قتادة
وفرقة معه بل الذين جاوا كفرة وقولهم وعذرهم كذب وكل هذه الفرقة
قرا المعذرون بشد الذال فمنهم من قال اصلها المعتذرون نقلت حركة التا
الى العين وادغمت التا في الذال والمعنى معتذرون بكذب ومنهم من قال هو من التعذير
اي الذين يعذرون الغزو ويدفعون في وجه الشرع فالاية الى اخرها في هذا القول
انما وصفت صنفا واحدا في الكفر ينقسم الى اعرابي وحضري وعلى هذا القول
الاول وصفت صنفين مومنا وكافرا قال ابو حاتم وقال بعضهم سالت مسلمة
فقال المعذرون بشد العين والذال قال ابو حاتم اراد المعتذرين والتا لا
تدغم في العين لبعد المخارج وهي غلط منه او عليه قال ابو عمرو وقرا سعيد بن جبير
المعتذرون بزيادة تا وقرا الحسن بخلاف عنه وابو عمرو ونافع والناس كذبوا
بتخفيف الذال وقرا الحسن وهو المشهور عنه وابي بن كعب ونوح بن اسمعيل
كذّبوا بتشديد الذال والمعنى لم يصدقوه تعالى ولا رسوله وردوا عليه امره
ثم توعد في اخر الاية الكافرين بعذاب اليم فيحتمل ان يريد في الدنيا بالقتل والاسر
ويحتمل ان يريد في الاخرة بالنار وقوله منهم يريد ان المعذرين كانوا مومنين
ويتجه بعض الترجيح فتامله وضعف الطبري قول من قال ان المعذرين
من التعذير والحق عليه والقول منصوص ووجهه بين والله المعين وقال ابن اسحق

المعذرون نفر من بني غفار منهم خفاف بن ايماء بن رحضة قال القاضي
ابو محمد وهذا يقتضي انهم مؤمنون قوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا
على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على
المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت
لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون
يقول عز وجل ليس على اهل الاعذار الصحيحة من ضعف بدن او مرض او
زمانة او عدم نفقة اثم والحرج الاثم وقوله اذا نصحوا يريد بنياتهم واقوالهم
سرا وجهرا وقرا ابو حيوة نصحوا الله ورسوله بغير لام وبنصب الهاء من
المكتوبة وقوله ما على المحسنين من سبيل يريد من سبيل في لائمة تناط بهم
او تذنيب او عقوبة ثم اكد الرجا بقوله والله غفور رحيم وقرا ابن عباس والله
لاهل الاساءة غفور رحيم قال القاضي ابو محمد وهذا على جهة التفسير اشبه
منه على جهة التلاوة لخلافه المصحف واختلف فيمن المراد بقوله الذين لا
يجدون ما ينفقون فقالت فرقة نزلت في بني مقرن قال القاضي ابو محمد وبنو مقرن
ستة اخوة صحبوا النبي عليه السلام وليس في الصحابة ستة اخوة غيرهم
وقيل نزلت في عائذ بن عمرو المزني قاله قتادة وقيل نزلت في عبد الله
بن معقل المزني قاله ابن عباس وقوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك الاية
اختلف فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في عرباض بن سارية وقيل
نزلت في عبد الله بن مغفل وقيل في عائذ بن عمرو وقيل في ابي موسى الاشعري
ورهطه وقيل في بني مقرن وعلى هذا جمهور المفسرين وقيل نزلت في سبعة
نفر من بطون شتى فهم البكاؤون وهم سالم بن عمير ومن بني عمرو بن عوف وحرمي
بن عمرو من بني واقف وابو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بني مازن بن النجار
وسلمان بن صخر من بني المعلى وابو رعيلة عبد الرحمن بن زيد من بني حارثة وهو
الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه وعمرو بن غنمة من بني سلمة وعائذ بن عمرو

المزني وقيل عبد الله بن عمرو المزني قال هذا كله محمد بن كعب القرظي وقال
مجاهد البكاؤون هم بنو مقرن من مزينة ومعنى قوله لتحملهم اي على
ظهر يركب ويحمل عليه الاثاث وقال بعض الناس انما استحملوه النعال ذكره
النقاش عن الحسن ويحمل عليه الاثاث وقال بعض الناس بن صالح وهذا
شاذ بعيد والعامل في اذا يحتمل ان يكون قلت ويكون قوله تولوا مقطوعا ويحتمل
ان يكون العامل تولوا ويكون تقدير الكلام فقلت او يكون قوله قلت لا اجد
ما احملكم عليه بمنزلة وجدك في هذه الحال وفي الكلام اختصار والحذف
ولا بد يدل ظاهر الكلام على ما اختصر منه وقال الجرجاني في النظم ان قوله
قلت في حكم المعطوف تقديره وقلت وحزنا نصب وقرا معقل بن هارون
لنحملهم بنون الجماعة قوله تعالى انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم
اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون
يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا من
اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون قوله في هذه الاية انما السبيل حصر وانما للمبالغة فيما يريد تقديره
على نحو ذلك انما الشجاع عنترة ويقتضي هذا ان الاخذ السبيل في الشرع على غير هذه
الفرقة موجودا والسبيل قد توصل بعلى وبالى فتقول لا سبيل على فلان وغير
وصولها بعلى يقتضي صفة المتوصل اليه وقلة منعته فلذلك حسنت في
هذه الاية وليس ذلك في الى الا ترى انك تقول فلان لا سبيل له الى الامر ولا الى
طاعة الله ولا تحسن في سبه هذا على والسبيل في هذه الاية سبيل العاقبة
وهذه الاية نزلت في المنافقين المتقدم ذكرهم عبد الله بن ابي والجد بن قيس
ومعتب وغيرهم وقد تقدم تفسير نظير الاية وقوله يعتذرون اليكم
هذه المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم واشرك معه المسلمين في بعض لان
المنافقين كانوا يعتذرون ايضا الى المؤمنين ولان انبا الله ايضا حصل

للمؤمنين وقوله رجعتم من غزوة تبوك وقوله لن نؤمن لكم معناه لن نصدقكم
ولكن لفظة نؤمن يتصل بلام احيانا كما تقدم في قوله يؤمن للمؤمنين وتأتي هذه
الآية قيل في معنى عرف لا يحتاج الى اكثر من مفعولين فالضمير مفعول اول ثم
وقوله من اخباركم مفعول ثان على مذهب ابي الحسن في زيادة من في الواجب
فالتقدير قد نبأنا الله جلية من اخباركم وهو على مذهب سيبويه نعت لمحذوف
وهو المفعول الثاني تقديره قد نبأنا جلية من اخباركم وقيل نبأ بمعنى اعلم يحتاج الى
ثلاثة مفعولين فالضمير واحد ومن اخباركم ثان حسبما تقدم من القولين والثالث
محذوف يدل الكلام عليه تقديره قد نبأنا الله من اخباركم كذبا ونحوه
وحذف هذا المفعول مع الدلالة عليه جائز بخلاف الاقتصار وذلك ان
الاقتصار انما يجوز اما على المفعول الاول وتسقط الاثنان اذ هما الابتداء والخبر
واما على الاثنين الاخيرين وتسقط الاول واما ان يقتصر على المفعولين الاولين
وتسقط الثالث دون دلالة عليه فذلك لا يجوز ويجوز حذفه مع الدلالة
عليه والاشارة بقوله قد نبأنا الله الى قوله ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا
خلالكم ونحو هذا وقوله وسيرى الله عملكم توعد ومعناه وسيراه في حال وجوده
فيقع الجزاء منه عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله ثم تردون الى عالم الغيب
يريد البعث من القبور والغيب والشهادة يعمان جميع الاشياء وقوله فينبئكم
معناه التخويف ممن لا يخفى عليه خافية قوله تعالى سيحلفون بالله رجس
لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم ومأواهم جهنم
جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا
حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم قيل ان هذه الآية
من اول ما نزل في شان المنافقين في غزوة تبوك وذلك ان بعض المنافقين
اعتذروا الى النبي صلى الله عليه وسلم واستاذنوه في القعود قبل مسيره

فاذن لهم فخرجوا من عنده فقال احدهم والله ما هو الا شحمة لاول آكل فلما
خرج رسول الله نزل فيهم القرآن فانصرف رجل من القوم فقال للمنافقين في مجلس
منهم والله لقد نزل على محمد فيكم فقالوا له وما ذلك قال لا احفظ الا اني
سمعت وصفكم فيه بالرجس فقال لهم مخشي والله لوددت ان اجلد مائة جلدة
ولا اكون معكم فخرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما جاء
بك فقال وجه رسول الله تسفعه الريح وانا في الكن فروي انه ممن تاب
وقوله فاعرضوا عنهم امر بانتهارهم وعقوبتهم بالاعراض والوصم بالنفاق
وهذا مع اجمال لا مع تعيين مصرح من الله ولا من رسوله بل كان لكل واحد
منهم ميدان المغالطة مبسوطا وقوله رجس اي نتن وقذر وناهيك
بهذا الوصف محطة دنياوية ثم عطف بمحطة الآخرة فقال ومأواهم جهنم
اي مسكنهم جعل ذلك جزاء لتكسبهم المعاصي والكفر مع ان ذلك مما قدره الله
عليهم وقضاه لا رب غيره ولا معبود سواه واسند الطبري عن كعب بن مالك
انه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك جلس للناس فجاء المخلفون
يعتذرون اليه ويحلفون وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله علانيتهم
وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله وقوله يحلفون لكم لترضوا
عنهم هذه الآية والتي قبلها مخاطبة للمؤمنين مع الرسول والمعنى يحلفون لكم
مبطلين ومقصدهم ان ترضوا لا انهم يفعلون ذلك لوجه الله ولا للبر وقوله
فان ترضوا الى آخر الآية شرط يتضمن النهي عن الرضى عنهم وحكم هذه الآية يستمر
في كل مغموص عليه ببدعة ونحوها فان المؤمن ينبغي ان يبغضه ولا يرضى عنه لسبب
من اسباب الدنيا وقوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا
حدود ما انزل الله الآية الاعراب لفظة عامة ومعناها الخصوص فيمن استثناه
الله عز وجل وهذا معلوم بالوجود وكيف كان الامر واما انطلق عليهم هذا الوصف
بحسب بعدهم عن الحواضر ومواضع العلم والاحكام والشرع وهذه الآية لما

نزلت في منافقين كانوا في البوادي ولا محالة أن خوفهم هنالك أقل من خوف منافقي
المدينة فألسنتهم لذلك مطلقة ونفاقهم أنجم وأسند الطبري أن زيد بن صوحان
كان يحدث أصحابه بالعلم وعنده أعرابي وكان زيد قد أصيبت يده
اليسرى يوم نهاوند فقال الأعرابي والله إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتريبني
فقال زيد وما يريبك من يدي وهي الشمال فقال الأعرابي والله ما أدري اليمين
يقطعون أم الشمال فقال زيد صدق الله الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر
ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وأجدر معناه أحرى وأقمن والحدود هنا
السنن والأحكام ومعالم الشريعة **قوله تعالى** ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق
مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الأعراب من
يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا
إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم هذا نص في المنافقين
منهم ومعنى يتخذ في هذه الآية أن يجعل مقصده ولا ينوي فيه غير ذلك وأصل
المغرم الدين ومنه تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغرم والمأثم ولكن
أكثر استعمال المغرم فيما يؤديه الإنسان مما لا يلزمه بحق وفي اللفظة معنى اللزوم
ومنه قوله تعالى إن عذابها كان غراما أي مكروها لازما والدوائر المصائب
التي لا تخلص للإنسان منها فهي تحيط به كما تحيط الدائرة وقد يحتمل أن يشتق
من دور الزمان والمعنى ينتظر بكم ما تأتي به الأيام وتدور به ثم قال على جهة
الدعاء عليهم دائرة السوء وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فإنما هو
بمعنى إيجاب الشيء لأن الله لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته ومن هذا قوله
ويل لكل همزة وويل للمطففين فهي كلها أحكام تامة تضمنها خبره تعالى وقرأ الجمهور
من السبعة وغيرهم دائرة السوء بفتح السين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن
واختلف عنه وعن عاصم والأعمش خلاف وعنه دائرة السوء بضم السين واختلف
عن ابن كثير وقيل الفتح المصدر والضم الاسم واختلف الناس فيهما وهو اختلاف

دهم ی

٩٠

يعرف بعضه من بعض والفتح في السين يقتضي وصف الدائرة بأنها سيئة وقال
أبو علي معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فإنما هي إضافة بيان وتأكيد كما قالوا
شمس النهار ولحيا رأسه **قال القاضي أبو محمد** ولا يقال رجل سوء إلا
بفتح السين هذا قول أكثرهم وقد حكي رجل سوء بضم السين **وقد قال الشاعر**
وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما أحال على الدم ∴ ولم يختلف
القراء في فتح السين من قوله ما كان أبوك امرأ سوء **قوله تعالى** ومن الأعراب
من يؤمن بالله الآية قال قتادة هذه ثنية الله تعالى من الأعراب ويتخذ
في هذه الآية أيضا هي بمعنى يجعله مقصدا والمعنى ينوي بنفقته في سبيل
الله القربة عند الله عز وجل واستغنام دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفي
دعائه لهم خير الآخرة في النجاة من النار وخير الدنيا في أرزاقهم ومنح الله لهم
فصلوات على هذا عطف على قربات ويحتمل أن يكون عطفا على ما ينفق أي
ويتخذ بالأعمال الصالحة صلوات الرسول قربة والأول أبين وقربات جمع قربة
أو قربة بسكون الراء وضمها وهما لغتان والصلاة في هذه الآية الدعاء إجماعا
وقال بعض العلماء الصلاة من الله رحمة ومن النبي والملائكة دعاء ومن الناس عبادة
والضمير في قوله فإنها يحتمل أن يعود على النفقة وهذا في انعطاف
الصلوات على القربات ويحتمل أن يعود على الصلوات وهذا في انعطافها
على ما ينفق وقرأ نافع قربة بضم الراء واختلف عنه وعن عاصم والأعمش وقرأ
الباقون قربة بسكون الراء ولم يختلف في قربات ثم وعد تعالى بقوله سيدخلهم
الله في رحمته الآية وروي أن هذه الآية نزلت في بني مقرن من مزينة
وقاله مجاهد وأسند الطبري إلى عبد الرحمن بن معقل بن مقرن أنه قال
كنا عشرة ولد مقرن فنزلت فينا ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر
قال القاضي أبو محمد وقوله عشرة ولد مقرن يريد الستة أولاد مقرن في
لصلبه أو السبعة على ما في الاستيعاب من قول سويد بن مقرن وبنيهم لكن

هذا هو الذي في مشهور دواوين اهل العلم **قوله تعالى** والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن
حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن
نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم قال ابو موسى الاشعري
وابن المسيب وابن سيرين وقتادة السابقون الاولون من صلى القبلتين وقال
عطا السابقون الاولون من شهد بدرا **قال القاضي ابو محمد** وحولت القبلة
قبل بدر بشهرين وقال عمرو بن شرحبيل الشعبي السابقون الاولون من ادرك
بيعة الرضوان والذين اتبعوهم باحسان يريد سائر الصحابة ويدخل في هذا
التابعون وسائر الامة لكن بشريطة الاحسان وقد لزم هذا الاسم الطبقة التي
رات من راى النبي صلى الله عليه وسلم ولو قال قائل ان السابقين الاولين هم جميع
من هاجر الى ان انقطعت الهجرة لكان قولا يقتضيه اللفظ وتكون من لبيان الجنس
والذين في هذه الاية عطف على قوله والسابقون وقرا عمر بن الخطاب والحسن
بن ابي الحسن وقتادة وسلام وسعيد ويعقوب بن طلحة وعيسى الكوفي والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار برفع الراء عطفا على والسابقون وكذلك يعطف على
كلي القرائتين قوله والذين اتبعوهم باحسان وجعل الاتباع صفة للانصار
واسند الطبري ان زيد بن ثابت سمعه قراه فبعث عمر الى ابي بن كعب فساله
فقال ابي بن كعب والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
باحسان فقال عمر ما كنا الا انا قد رفعنا رفعة لا ينالها معنا — نرى صح
احد فقال ابي ان مصداق هذا في كتاب الله في اول سورة الجمعة واخرين منهم
لما يلحقوا بهم وفي سورة الحشر في قوله والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر
لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وفي سورة الانفال في قوله والذين امنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم فرجع عمر الى قول ابي وقوله هذه

الاية

الاية من التابعين وهم الذين ادركوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانه
من ذكرهم وقوله عليه السلام اللهم ارحم الانصار وابنا الانصار وابنا ابنا
الانصار فتامله وقرا ابن كثير من تحتها الانهار وقرا الباقون تحتها باسقاط
من ومعنى هذه الاية الحكم بالرضى عنهم وادخالهم الجنة وعفو ذنوبهم والحكم
برضاهم عنه في شكرهم وحمدهم على نعمه وايمانهم به وطاعتهم له جعلنا الله
من الفائزين برحمته بمنه **وقوله** وممن حولكم من الاعراب منافقون
الاية مخاطبة للنبي عليه السلام شرك معه في بعضها امته والاشارة بقوله
وممن حولكم هو الى جهينة ومزينة واسلم وغفار وعصية ولحيان وغيرهم من
القبائل المجاورة للمدينة فاخبر الله عن منافقيهم وتقدير الاية ومن اهل المدينة
قوم او منافقون هذا احسن ما حمله اللفظ ومردوا قال ابو عبيدة معناه
مرنوا عليه ولجوا فيه وقيل غير هذا مما هو قريب منه وقال ابن زيد اقاموا
عليه ولم يتوبوا كما تاب الاخرون والظاهر من معنى اللفظة ان التمرد في الشيء
او عليه انما هو اللجاج والاستهتار به والعتو على الزاجر وركوب الراس في
ذلك وهو مستعمل في الشر لا في الخير من ذلك قولهم شيطان مارد ومريد
ومن هذا سميت مراد لانها تمردت وقال بعض الناس يقال تمرد الرجل
في امر كذا اذا اجرد له وهو من قولهم شجرة مرداء اذا لم يكن عليها ورق ومنه صرح
ممرد ومنه قولهم تمرد مارد وعز الابلق ومنه الامرد الذي لا لحية له
فمعنى مردوا في هذه الاية لجوا فيه واستهتروا وعتوا على زاجرهم ثم نفى عز
وجل علم نبيه بهم على التعيين واسند الطبري عن قتادة في قوله لا تعلمهم
نحن نعلمهم قال فما بال اقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار فاذا
سالت احدهم عن نفسه قال لا ادري انت لعمري بنفسك اعلم منك باعمال الناس
ولقد تكلفت شيئا ما تكلفه الرسل قال نبي الله نوح وما علمي بما كانوا يعملون
وقال نبي الله شعيب بقية الله خير لكم ان كنتم مومنين وما انا عليكم

حفيظ وقال الله تعالى لنبيه لا تعلمهم نحن نعلمهم قال القاضي ابو محمد وقوله
سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وفي مصحف انس بن مالك سيعذبهم
بالياء والكلام على القراءتين وعيد واللفظ يقتضي ثلاثة مواطن من العذاب ولا
خلاف بين المتاولين ان العذاب العظيم الذي يردون اليه هو عذاب الاخرة
واكثر الناس ان العذاب المتوسط هو عذاب القبر واختلف في عذاب
المرة الاولى فقال مجاهد وغيره عذابهم بالقتل والجوع وهذا بعيد لان
منهم من لم يصبه هذا وقال ابن عباس ايضا عذابهم هو باقامة حدود الشرع
عليهم مع كراهيتهم فيه وقال ابن اسحق عذابهم هو همهم بظهور الاسلام
وعلو كلمته وقال ابن عباس وهو الاشهر عنه عذابهم هو فضيحتهم ووصمهم
بالنفاق وروي في هذا التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب
يوم جمعة فندد بالمنافقين وصرح وقال اخرج يا فلان من المسجد فانك منافق
واخرج انت يا فلان واخرج انت يا فلان حتى خرج جماعة منهم فرآهم عمر
يخرجون من المسجد وهو مقبل الى الجمعة فظن ان الناس انصرفوا وان الجمعة فاتته
فاختبأ منهم حياء ووصل المسجد فرأى ان الصلاة لم تنقض وفهم الامر قال
القاضي ابو محمد وفعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا انما على جهة التاديب
اجتهادا منه فيهم ولم يسلخهم ذلك من الاسلام وانما هو كما تخرج العصاة
والمتهمون ولا عذاب اعظم من هذا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا
ما يتكلم فيهم على الاجمال دون تعيين فهو ايضا من العذاب وقال قتادة وغيره
العذاب الاول هي علل وادواء اخبر الله نبيه عليه السلام انه يصيبهم بها
واسند الطبري في ذلك عن قتادة انه قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
اسر الى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين وقال ستة منهم تكفيكهم الدبيلة
سراج من نار جهنم ياخذ في كتف احدهم حتى يفضي الى صدره وستة يموتون
موتا ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان اذا مات رجل ممن يظن انه منهم نظر

الى

الى حذيفة فان صلى عليه صلى عمر عليه والا ترك وذكر لنا ان عمر قال لحذيفة
انشدك الله امنهم انا قال لا والله ولا اومن منها احدا بعدك وقال ابن
زيد في قوله سنعذبهم مرتين اما عذاب الدنيا فالاموال والاولاد لكل صنف
عذاب فهو مرتان وقرا قول الله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وقال ابن زيد ايضا المرتان هي في الدنيا
الاولى القتل والجوع والمصائب والثانية الموت اذ هو للكافر عذاب
وقال الحسن الاولى هي اخذ الزكاة من اموالهم والعذاب العظيم هو جميع ما بعد
الموت واظن الزجاج اشار اليه قوله تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ
من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم
والله سميع عليم المعنى ومن هذه الطوائف اخرون اعترفوا بذنوبهم واختلف
في تاويل هذه الاية فقال ابن عباس فيما روي عنه وابو عثمن هي في الاعراب
وهي عامة في الامة الى يوم القيمة فيمن له اعمال صالحة وسيئة فهي اية ترج
على هذا واسند الطبري في هذا عن حجاج بن ابي زينب قال سمعت ابا عثمن
يقول ما في القران اية ارجى عندي لهذه الامة من قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم
وقال مجاهد بل نزلت هذه الاية في ابي لبابة الانصاري خاصة في
شانه مع بني قريظة وذلك انه كلمهم في النزول على حكم الله ورسوله فاشار
لهم الى حلقه يريد ان النبي صلى الله عليه وسلم مذبحكم ان نزلتم فلما افتضح
تاب وندم وربط نفسه في سارية من سواري المسجد واقسم لا يطعم
ولا يشرب حتى يتوب الله عليه او يموت فمكث كذلك حتى عفا الله عنه
ونزلت هذه الاية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحله ذكر هذا
القول الطبري عن مجاهد وذكره ابن اسحق في كتاب السيرة وقال عوف وقالت
فرقة عظيمة بل نزلت هذه الاية في شان المتخلفين عن غزوة تبوك فكان

عليهم السنن التخلف بالجملة من اهل هذه المقالة واختلفوا في الصنع فقال الطبري
وغيره الاعتراف والتوبة والندم وقالت فرقة بل الصنع غزوهم فيما سلف
من غزو النبي صلى الله عليه وسلم واختلف اهل هذه المقالة في عدد القوم
الذين عنوا بهذه الاية فقال ابن عباس كانوا عشرة ربط منهم انفسهم
سبعة وبقي الثلاثة الذين خلفوا دون ربط المذكور بعد هذا وقال زيد
ابن اسلم كانوا ثمانية منهم كردم ومرداس وابو قيس وابو لبابة وقال قتادة
كانوا سبعة وقال ابن عباس ايضا فرقة كانوا خمسة وكلهم قال كان فيهم ابو
لبابة وذكر قتادة فيهم الجد بن قيس وهو فيما احفظ وهم لان الجد لم تنزل له توبة
واما قوله وآخر فهو بمعنى بآخر وهما متقاربان وعسى من الله واجبة وروي
في خبر الذين ربطوا انفسهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد
فراهم قال ما بال هؤلاء فقيل له انهم تابوا واقسموا ان لا يحلوا حتى يحلهم
رسول الله ويعذرهم فقال رسول الله وانا والله لا احلهم ولا اعذرهم
الا ان يامرني الله بذلك فانهم تخلفوا عني وتركوا الجهاد مع المومنين
وقوله خذ من اموالهم صدقة الاية روي ان ابا لبابة والجماعة التايبة التي
ربطت انفسها وهي المقصودة بقوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا جات رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما تيب عليها فقالت يا رسول الله انا نريد ان نتصدق
باموالنا زيادة في توبتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اعرض لاموالكم
الا بامر من الله فتركهم حتى نزلت هذه الاية فهم المراد بها فروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخذ ثلث اموالهم مراعاة لقوله من اموالهم فهذا هو الذي
تظاهرت به اقوال المتاولين ابن عباس رضي الله عنه وغيره وقالت فرقة
من الفقها المراد بهذه الاية الزكاة المفروضة فقوله على هذا من اموالهم ضمير
لجميع الناس وهو عموم يراد به الخصوص اذ لا يخرج من الاموال الانواع التي لا زكاة
فيها كالثياب والرباع ونحوه والضمير الذي في اموالهم ايضا كذلك عموم يراد به

خصوص

خصوص اذ يخرج منه العبيد وسواهم **وقوله** صدقة مجمل يحتاج الى تفسير
وهذا يقتضي ان الامام يتولى اخذ الصدقات وينظر فيها ومن في هذه الاية للتبعيض
هذا اقوى وجوهها **وقوله** تطهرهم وتزكيهم بها احسن ما يحمل ان يكون
هذه الافعال مسندة الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون في
موضع الحال من الضمير في خذ ويحتمل ان يكون من صفة الصدقة وهذا يترجح
حسب رفع الفعل ويكون قوله بها اي بنفسها اي يقع تطهيرهم من ذنوبهم بها
ويحتمل ان يكون تطهرهم صفة للصدقة وتزكيهم مسندا الى النبي عليه السلام
ويحتمل ان يكون حالا من الصدقة وهذا ضعيف لانها حال من نكرة وحكى
مكي ان يكون تطهرهم من صفة الصدقة **وقوله** وتزكيهم بها حالا من الضمير
في خذ **قال القاضي ابو محمد** وهذا مردود لمكان واو العطف لان ذلك يتقدر
خذ من اموالهم صدقة مطهرة ومزكيا بها وهذا فاسد المعنى ولو لم يكن في الكلام
واو العطف جاز وقرا الحسن ابن ابي الحسن تطهرهم بسكون الطا **وقوله** وصل
عليهم معناه ادع لهم فان في دعائك لهم سكونا لانفسهم وطمانينة ووقارا
فهذه عبارة عن صلاح المعتقد وحكى مكي والنحاس وغيرهما انه قال ان هذه
الاية منسوخة بقوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا **قال القاضي
ابو محمد** وهذا وهم بعيد وذلك ان ذلك في المنافقين الذين لهم حكم الكافرين
وهذه في التايبين من المتخلف الذين لهم حكم المومنين فلا تناسخ بين الايتين وقرا
ابن كثير وابو عمرو وعاصم ونافع وابن عامر ان صلواتك بالجمع وكذلك في
هود وفي المومنين وقرا حفص عن عاصم وحمزة والكساي ان صلاتك بالافراد
وكذلك قرا حمزة والكساي في هود وفي المومنين وقرا عاصم في المومنين وحدها
جمعا ولم يختلفوا في سورة الانعام وسائر الكتاب وهو المصدر افردته فرقة وجمعته
فرقة **وقوله** سميع اي سميع لدعائك عليم اي بمن يهتدي ويتوب عليه وغير
ذلك مما تقتضيه هاتان الصفتان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما نزلت هذه الآية فعل ما امر به من الاستغفار والدعاء لهم وقال ابن عباس
سكن لهم رحمة لهم وقال قتادة سكن لهم اي وقار لهم قال القاضي ابو
محمد وانما معناه ان يدعوا له النبي صلى الله عليه وسلم فانه يطيب نفسه
ويقوي رجاءه ويرى انه قد صحت وسيلته الى الله تعالى وهذا بين قوله
تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات
وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون قرأ جمهور
الناس الم يعلموا على ذكر الغائب وقرأ الحسن بن ابي الحسن بخلاف عنه الم تعلموا
على معنى قل لهم يا محمد وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب بالتاء من فوق والضمير في
يعلموا قال ابن زيد يراد به الذين لم يتوبوا من المتخلفين وذلك انهم لما تيب على بعضهم
قال الغير ما هذه الخاصة التي خصوا بها هؤلاء نزلت هذه الآية ويحتمل
ان يكون الضمير في يعلموا يراد به الذين تابوا وربطوا انفسهم وقوله هو تأكيد
لانفراد الله بهذه الامور وتحقيق لذلك لانه لو قال ان الله يقبل التوبة
لاحتمل ذلك ان يكون قبول رسوله قبولا منه فبينت الآية ان ذلك مما لا يصل
اليه نبي ولا ملك وقوله ويأخذ الصدقات معناه يأمر بها ويشرعها
كما تقول اخذ السلطان من الناس كذا اذا حملهم على ادائه وقال الزجاج معناه
ويقبل الصدقات وقد وردت احاديث في اخذ الله صدقة عبده فمنها
قوله صلى الله عليه وسلم رواه عبد الله بن ابي قتادة المحاربي عن ابن مسعود
عنه ان العبد اذا تصدق بصدقة وقعت في يد الله قبل ان تقع في يد السائل
ومنها قوله الذي رواه ابو هريرة ان الصدقة تكون قدر اللقمة يأخذها الله
بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى تكون مثل
الجبل ونحو هذا من الاحاديث التي هي عبارة عن القبول والتحفي بصدقة العبد
فقد يحتمل ان يخرج لفظه وما جرى على هذا وتعلق هذه الآية بالتي قبلها قول

التوبة

التوبة ويخصص ذلك ان قبول التوبة من الكفر يقطع به على الله عز وجل
اجماعا وهذه نازلة هذه الآية وهذه الفرقة التائبة من النفاق تائبة
من كفر واما قبول التوبة من المعاصي فيقطع ان الله تعالى يقبل من طائفة
من الامة توبتهم واختلف هل يقبل توبة الجميع واما اذا عين انسان تائب
فيرجى قبول توبته ولا يقطع بها على الله واما اذا فرضنا تائبا غير معين صحيح
التوبة فهل يقطع على الله بقبول توبته ام لا فاختلف فقالت فرقة منها الفقهاء
والمحدثون وهو كان مذهب ابي رضي الله عنه يقطع على الله بقبول توبته لانه
تعالى اخبر بذلك وعلى هذا يلزم ان يقبل توبة جميع التائبين وذهب ابو المعالي
وغيره من الائمة الى ان ذلك لا يقطع به على الله تعالى بل يقوى فيه الرجاء ومن
حجتهم ان الانسان اذا قال في الجملة رب اغفر لمن ظلمني ثم جاءه من قد سبه واذاه
فله تعقب حجته والغفران العموم يصدق في غيره ولا يلزم الغفران لكل ظالم
قال القاضي ابو محمد ونحو هذا من القول والقول الاول ارجح والله الموفق
للصواب وقوله عن عباده هي بمعنى من وكثيرا ما يتوصل في موضع واحد بهذه
وهذه تقول لا صدقة الا عن غنى ومن غنى وفعل ذلك فلان من اشره وبطره
وعن اشره وبطره وقوله الم يعلموا تقرير والمعنى حق لهم ان يعلموا وقوله
وقل اعملوا الآية صيغة امر متضمنها الوعيد وقال الطبري المراد بها الذين
اعتذروا من المتخلفين وتابوا قال القاضي ابو محمد والظاهر ان المراد بها
الذين اعتذروا ولم يتوبوا وهم المتوعدون وهم الذين في ضمن قوله الم يعلموا
الا على الاحتمال الثاني من ان الآيات كلها في الذين خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا ومعنى فسيرى الله اي موجودا معرضا للجزاء عليه بخير او بشر واما
الرسول والمؤمنون فرؤيتهم رؤية حقيقة لا تجوز وقال ابن المبارك
رؤية المؤمنين هي شهادتهم على المرء بعد موته وهي ثناؤهم عند الجنائز
وقال الحسن ما معناه انهم حذروا من فراسة المؤمن التي قال فيها النبي

اليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله **وقوله** وستردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يريد البعث من القبور
والغيب والشهادة معناه ما غاب وما شوهد وهي حالتان تعم
كل شي **وقوله** فينبئكم عباده عن حضور الاعمال واظهارها والجزاء
عليها وهذا وعيد **قوله تعالى** واخرون مرجون لامر الله
اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا
ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل
وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون **وقوله** واخرون
عطف على قوله اولا واخرون وقرا نافع والاعرج وابن نصاح وابو جعفر
وطلحة والحسن واهل الحجاز مرجون من ارجى دون همز وقرا ابو عمرو وعاصم
واهل البصرة مرجؤن من ارجا يرجي بالهمز واختلف عن عاصم وهما لغتان
ومعناهما التاخير ومنه المرجية لانهم اخروا الاعمال اي اخروا حكمها
ومراتبها وانكر المبرد ترك الهمز في معنى التاخير وليس كما قال والمراد
بهذه الاية فيما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن
اسحق الثلاثة الذين خلفوا وهم هلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع
العامري وكعب بن مالك ونزلت هذه الاية عليهم وقيل انها نزلت
في غيرهم من المنافقين الذين كانوا معرضين للتوبة مع بنائهم مسجد الضرار
وعلى هذا يكون الذين اتخذوا باسقاط واو العطف بدلا من اخرون او خبر ابتداء
وتقديره هم الذين فالاية على هذا فيها فتح لهم واستدعا الى الايمان والتوبة
وعليم معناه بمن يهدي الى الرشد وحكيم فيما ينفذه من تنعيم من يشاء وتعذيب
من يشاء لا رب غيره ولا معبود سواه قرا عاصم وعوام القراء والناس في كل قطر
الا بالمدينة والذين اتخذوا وقرا اهل المدينة نافع وابو جعفر وشيبة وغيرهم
الذين اتخذوا باسقاط الواو وكذلك في مصحفهم قاله ابو حاتم وقال الزهراوي

وكفرا صح

هي

هي قراءة ابن عامر وهي في مصاحف اهل الشام بغير واو فاما من قراها بالواو فذلك
عطف على قوله واخرون اي ومنهم الذين اتخذوا واما من قراها باسقاطها فرفع
الذين بالابتداء واختلف في الخبر فقيل الخبر لا تقم فيه ابدا قاله الطهاوي وحكاه
باضمار اما في اول الاية واما في اخره بتقدير لا تقم في مسجدهم وقيل الخبر لا يزال
بنيانهم قاله النحاس وهو افصح وقد ذكرت كون الذين بدلا من اخرون انفا وقال
المهدوي الخبر محذوف تقديره معذبون او نحوه واما الجماعة المراد بالذين
اتخذوا فهم منافقو بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف واسند الطبري عن ابن اسحق
عن الزهري وغيره انه قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك حتى
نزل بذي اوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان اصحاب مسجد الضرار
قد كانوا اتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي
العلة والحاجة والليلة المطيرة وانا نريد ان تاتينا فتصلي لنا فيه فقال اني على
جناح سفر وحال شغل ولو قد قدمنا ان شاء الله اتيناكم فصلينا لكم فيه
فلما قفل ونزل بذي اوان نزل عليه القران في شان مسجد الضرار فدعا رسول
الله مالك بن الدخشم ومعن بن عدي او اخاه عاصم بن عدي فقال انطلقا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه فانطلقا مسرعين ففعلا وحرقاه
بنار في سعف وذكر النقاش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
لهدمه وتحريقه عمار بن ياسر ووحشيا مولى المطعم بن عدي وكان بانوه
اثني عشر رجلا خذام بن خالد ومن داره اخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن
حاطب ومعتب بن قشير وابو حبيبة بن الازعر وعباد بن حنيف اخو
سهل بن حنيف وجارية بن عامر وابناه مجمع بن جارية وهو كان امامهم
وحلف لعمر بن الخطاب في خلافته انه لم يشعر بامرهم وزيد بن جارية ونبتل
بن الحرث وبحزج وهو من بني ضبيعة وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت
وبحزج منهم هو الذي حلف لرسول الله ما اردت الا الحسنى والتوسعة

والتوسعة علينا وعلى من ضعف او عجز عن المسير الى مسجد قباء وقرا ابن ابي
عبلة ما اردنا الا الحسنى والآية تقتضي شرح شي من هذه المساجد
فروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وقت الهجرة بنى
مسجدا في بني عمرو بن عوف وهو مسجد قباء وقيل وجده مبنيا قبل وروده
وقيل وجده موضع صلاة فبناه وتشرف القوم بذلك فحسدهم من جيرانهم رجال
من بني عمهم من بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف فكان فيهم نفاق وكان موضع
مسجد قباء مربطا لحمار امراة من الانصار اسمها لية فكان المنافقون يقولون
والله لا نصبر على الصلاة في مربط حمار لية ونحو هذا من الاقوال وكان ابو
عامر عبد عمرو المعروف بالراهب منهم وكانت امه من الروم فكان يتعبد في
الجاهلية فسمي بالراهب وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا نظيرا
وقريبا من عبد الله بن أبي بن سلول فلما جا الله بالاسلام نافق ولم يزل
مجاهرا بذلك فسماه رسول الله الفاسق ثم خرج في جماعة من المنافقين فحزب
على رسول الله الاحزاب فلما ردهم الله بغيظهم اقام ابو عامر بمكة مظهرا العداوة
فلما فتح رسول الله مكة هرب الى الطايف فلما اسلم اهل الطايف خرج هاربا
الى الشام يريد قيصر مستنصرا به على رسول الله وكتب الى قومه المنافقين منهم
ان ابنوا مقاومة لمسجد قبا وتحقيرا له فاني ساتي بجيش من الروم اخرج به محمدا
واصحابه من المدينة فبنوه وقالوا سياتي ابو عامر ويصلي فيه ويتخذه متعبدا
ويسر به ثم ان ابا عامر هلك عند قيصر ونزل القرآن في امر مسجد الضرار فذلك قوله
وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر وقولهم سياتي ابو عامر وقرا
الاعمش للذين حاربوا الله **وقوله** ضرارا اي داعية للتضار من جماعتين فلذلك
قال ضرارا وهو في الاكثر مصدر ما يكون من اثنين وان كان المصدر اللازم
لذلك مفاعلة كما قال سيبويه ونصب ضرارا وما بعده على المصدر في موضع
الحال وجوز ان يكون على المفعول من اجله **وقوله** بين المومنين يريد بين الجماعة

مسجدا لي

التي

التي كانت تصلي في مسجد قباء فان من جاور مسجدهم كانوا يصرفونه اليه وذلك
داعية الى صرفه عن الايمان وقيل اراد بقوله بين المومنين جماعة مسجد رسول الله
وهذا يحسن الخلاف في المسجد المؤسس على التقوى وسياتي ذلك قال النقاش
يلزم من هذا ان لا يصلي في كنيسة ونحوها لانها بنيت على شر من وهذا كله وقد
قيل في هذا لا تقم فيه ابدا **قال القاضي ابو محمد** وهذا تفقه غير قوي والارصاد
الاعداد والتهيئة والذي حارب الله ورسوله هو ابو عامر الفاسق **وقوله** من
قبل يريد في غزوة الاحزاب وغيرها والحالف المراد في قوله ليحلفن هو خذج
ومن حلف من اصحابه وكسرت الالف من قوله انهم لكاذبون لان الشهادة
في معنى القول واسند الطبري عن سفين انه جا ليصلي في مسجد بني غاضرة
فوجد الصلاة قد فاتته فقيل له ان مسجد بني فلان لم يصل فيه بعد فقال لا احب
ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او ريا وسمعة فهو في حكم
مسجد الضرار لما هدم واحرق اتخذ مزبلة يرمى فيه الاقذار والقمامات
قوله تعالى لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان
تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس
بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار
فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ۝ روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما نزلت لا تقم فيه ابدا كان لا يمر بالطريق التي فيها المسجد وهذا النهي انما
هو لان الناس بمسجد الضرار قد كانوا لما دعوا رسول الله وقالوا انا بنينا مسجدا
للضرورات والسيل الحايل بيننا وبين قومنا فنريد ان تصلي لنا فيه وتدعوا بالبركه
فهم رسول الله بالمشي معهم الى ذلك واستدعى قميصه لينهض فنزلت لا تقم
فيه ابدا **وقوله** لمسجد قيل ان اللام لام قسم وقيل لام الابتدا كما تقول لزيد احسن
الناس فعلا وهي مقتضية تاكيدا وقال ابن عباس وفرقة من الصحابة والتابعين
المراد بالمسجد الذي اسس على التقوى هو مسجد قباء ويروى عن ابن عمر وابي

سعيد وزيد بن ثابت انه مسجد رسول الله بالمدينة ويليق القول الاول
بالقصة الا ان القول الثاني روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
نظر مع الحديث واسند الطبري في ذلك عن ابي سعيد الخدري انه قال
اختلف رجل من بني خدرة ورجل من بني عمرو بن عوف فقال الخدري هو
مسجد الرسول وقال الاخر هو مسجد قباء فاتيا رسول الله فسالاه فقال
هو مسجدي هذا وفي الاخر خير كثير الى كثير من الاثار في هذا عن ابي بن
كعب وسهل بن سعد **قال القاضي ابو محمد** ومسجد رسول الله
كان في بقعة نخل وقبور مشركين ومربد ليتيمين كانا في حجر اسعد بن زرارة
وبناه رسول الله ثلاث مرات الاولى بالسميط وهي لبنة امام لبنة والثانية
بالصعيدة وهي لبنة ونصف في عرض الحائط والثالثة بالانثى والذكر
وهي لبنتان تعرض عليها لبنتان وكان في طوله سبعون ذراعا وكان عمده النخل
وكان عريشا يكف في المطر وعرض على رسول الله بنيانه ورفعه فقال لا بل
يكون عريشا كعريش اخي موسى كان اذا قام ضرب راسه في سقفه وكان
رسول الله ينقل فيه اللبن على صدره ويقال ان اول من وضع في اساسه
حجرا رسول الله ثم وضع ابو بكر حجرا ثم وضع عمر ثم وضع عثمان حجرا ثم رمى الناس
بالحجارة فتفال بذلك بعض الصحابة في امر الخلافة فصدق فاله **وقوله**
من اول يوم قيل معناه منذ اول يوم وقيل معناه من تاسيس اول
يوم وانما دعا الى هذا الاختلاف ان من اصول النحويين ان من لا تجر
بها الازمان وانما تجر بمنذ تقول ما رايته منذ شهر او سنة او يوم ولا
تقول من شهر ولا من سنة ولا من يوم فاذا وقعت من في الكلام وهي تلي
زمنا فيقدر مضمر يليق ان تجره من **كقول الشاعر** لمن الديار بقنة
الحجر اقوين من حجج ومن دهر ويروى من شهر رواية فقد رواه من مر
حجج ومن مر دهر ولما كان اول يوم يوما وهو اسم زمن احتاجوا فيه

حجرا مع

الى

الى تقديره من تاسيس وحسن عندي ان يستغني في هذه الاية عن تقدير
وان تكون من تجر لفظة اول لانها بمعنى البداءة كانه قال من مبتدا الايام وهي
هنا تقوم مقام المري في البيت المتقدم وهي كما تقول جئت من قبلك ومن بعدك
وانت لا تريد بهذه اللفظتين الا معنى الزمن وقد حكي لي هذا الذي اخترته
عن بعض ائمة النحو ومعنى ان تقوم فيه اي بصلاتك وعبادتك وقرا جمهور الناس
ان تقوم فيه فيه رجال بكسر الهاء وقرا عبد الله بن زيد ان تقوم فيه فيه بضم الهاء
الثانية على الاصل وتحسنه تحسين تكرار لفظ واحد وقال قتادة وغيره الضمير
عائد على مسجد الرسول والرجال جماعة الانصار وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لهم يا معشر الانصار اني رايت الله اثنى عليكم بالطهور فما
ذا تفعلون قالوا يا رسول الله انا راينا جيراننا يتطهرون بالماء **قال القاضي
ابو محمد** يريدون الاستنجاء بالماء ففعلنا نحن ذلك فلما جاء الاسلام لم
ندعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تدعوه اذا وقال عبد الله
بن سلام وغيره ما معناه ان الضمير عائد على مسجد قباء والمراد بنو عمرو بن عوف
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال المقالة المتقدمة لبني عمرو بن
عوف والاول اكثر واختلف اهل العلم في الافضل من الاستنجاء بالماء او
بالحجارة فقيل هذا وقيل هذا ورات فرقة من اهل العلم الجمع بينهما فتنقى بالحجارة
ثم يتبع بالماء وحدثني ابي رضي الله عنه انه بلغه انه بلغه ان بعض علماء القيروان
كانوا يتخذون في متوضاتهم احجارا في تراب ينقون بها ثم يستنجون بالماء اخذا
بهذا القول **قال القاضي ابو محمد** وانما يتصور الخلاف في البلاد التي يمكن
فيها ان تنقى الحجارة وابن حبيب لا يجيز الاستنجاء بالحجارة حيث يوجد الماء
وهو قول شاذ فيه وقرا جمهور الناس يتطهروا وقرا طلحة بن مصرف والاعمش
يطهروا بالادغام وقرا علي بن ابي طالب المتطهرين بالتاء واسند الطبري عن
عطاء انه قال احدث قوم من اهل قباء الاستنجاء بالماء فنزلت الاية فيهم وروي

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منهم عويم بن ساعدة ولم يسم احد منهم
غير عويم **وقوله** افمن أسس بنيانه الآية استفهام بمعنى تقرير وقرأ نافع وابن
عامر وجماعة أُسِّسَ بنيانُه على بناء أسس للمفعول ورفع بنيان فيهما وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وجماعة أَسَّسَ بنيانَه على بناء الفعل للفاعل
ونصب بنيان فيهما وقرأ عمارة بن حنيفا رواه يعقوب الاول على بناء الفعل
للمفعول والثاني على بناء للفاعل والآية تتضمن معادلة بين شيئين فاما بين
البنائين واما بين البانيين فالمعادلة الاولى هي بعد من اسس وقرأ نصر بن
عاصم افمن أُسُّ بنيانه على اضافة أُسّ الى البنيان وقرأ نصر بن عاصم ايضا
وابو حيوة اساس بنيانه وقرأ نصر بن عاصم ايضا على وزن فُعُل بضم الفاء والعين
وهو جمع اساس كقذال وقذل حكى ذلك ابو الفتح وذكر ابو حاتم ان هذه
القراءة لنصر انما هي أُسُس بهمزة مفتوحة وسين مفتوحة وسين مضمومة
على الجمع بالاضافة الى البنيان وقرأ نصر بن علي ايضا اساس على جمع اس
والبنيان مصدر بمعنى يبني بناء وبنيانا وهو كالغفران والطغيان فسمي به
المبني مثل الخلق اذا اريد به المخلوق وقيل هو جمع واحده بنيانة واستشهد
في ذلك ابو علي: كبنيانة القاري موضع رحلها وآثار نسعيها من
الدف ابلق: وقرأ الجمهور على تقوى وقرأ عيسى بن عمر على تقوًى بتنوين الواو
حكى هذه القراءة سيبويه وردها الناس قال ابو الفتح قياسها ان تكون الفها
للالحاق كارطى ونحوه واما المراد بالبنيان الذي أسس على التقوى والرضوان
فهو في ظاهر اللفظ وقول الجمهور المسجد المذكور قبل وتطرد فيه الخلاف
المتقدم وروي عن عبد الله بن عمر انه قال المراد بالمسجد المؤسس على التقوى
وهو مسجد رسول الله والمراد بانه أسس على تقوى من الله ورضوان هو مسجد
قباء واما البنيان الذي أسس على شفا جرف هار فهو مسجد الضرار بالجماع
والشفا الحاشية والشفير والجرف حول البير ونحوه مما جرفته السيول

والندوة والبلى وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو والكسائي وجماعة جرُف بضم
الراء وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وجماعة جرْف بسكون الراء واختلف عن عاصم
وهما لغتان وقيل الاصل ضم الراء وتخفيفها بعد ذلك مستعمل وهار معناه
متهدم منهال وهو من هار يهور ويقال هار يهار وتهير واصله هاير
وهاور فقيل قلبت راؤه قبل حرف العلة فجاء هار او هاري يصنع به ما
يصنع بقاض وغاز وعلى هذا يقال في حال النصب هاريا ومثله في يوم راح
اصله رايح ومثله شاكي السلاح اصله شايك السلاح **ومثله قول العجاج**
لاث به الاشاء والعبري: اصله لايث: **ومنه قول الشاعر**
خفضوا اسنتهم فكل ناله: على الحرا الوجهين كانه من نعى ينعى والمراد انهم
يقولون يا ثارات فلان ويحتمل ان يريد انهم نائع اي عاطش **قال** عمرو بن
شبيم: والاسل النياعا: وقيل في نايع ان حرف العلة حذف وحده فـ
على هذا يجري بوجوه الاعراب فيقال جرف هارٌ ورايت جرفا هارًا وبجرف
هارٍ واختلف القراء في امالة هار وآنهار وتاسيس البنا على تقوى انما هو بحسن
النية فيه وقصد وجه الله تعالى واظهار شرعه كما صنع في مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم وفي مسجد قباء والتاسيس على شفا جرف هار انما هو بفساد
النية وقصد الرياء والتفريق بين المؤمنين فهذه تشبيهات صحيحة بارعة
وخير في هذه الآية تفضيل ولا شركة بين الامرين في خير الا على معتقد باني
مسجد الضرار بحسب المعتقد صح التفضيل **وقوله** فانهار به في نار جهنم
الظاهر منه ومما صح من خبرهم وهدم رسول الله مسجدهم انه خارج مخرج
المثل اي مثلها ولا الضارين المنافقين في قصدهم معصية الله وحصولهم من
ذلك على سخطه كمن ينهار بنيانه في نار جهنم اقتضب الكلام اقتضابا ما دل
عليه ظاهره وقيل بل ذلك حقيقة وان ذلك المسجد بعينه انهار في نار جهنم
قاله قتادة وابن جريج وروي عن جابر بن عبد الله وغيره انه قال رايت الدخان

تفوح منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي في بعض الكتب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم راه حين انهار حتى بلغ الارض السابعة ففزع لذلك رسول
الله وروي انهم لم يصلوا فيه اكثر من ثلاثة ايام اكملوه يوم الجمعة وصلوا
فيه الجمعة وليلة السبت وانهار يوم الاثنين **قال القاضي ابو محمد** وهذا كله
باسناد لين وما قدمناه اصوب واصح وكمل البني امره والصلاة فيه
من قبل سفر رسول الله الى تبوك الى ان نهى صلى الله عليه وسلم **وقوله** والله
لا يهدي القوم الظالمين طعن عليهم ولا المنافقين واشارة اليهم والمعنى لا يهديهم
من حيث هم ظالمون او يكون المراد الخصوص فيمن يوافي على ظلمه واسند الطبري
عن خلف بن ياسين انه قال رايت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القران
فرايت فيه مكانا يخرج منه الدخان وذلك زمن ابي جعفر المنصور رحمة الله
عليه وروى شبيها بهذا او نحوه عن ابن جريج اسنده الطبري **قوله تعالى**
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران ومن اوفى
بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
الضمير في بنيانهم عائد على المنافقين البانين للمسجد ومن شركهم في غرضهم
وقوله الذي بنوا تاكيد وتصريح بامر المسجد ورفع للاشكال والريبة الشك
وقد يسمى ريبة فساد المعتقد واضطرابه والاعتراض في الشي والتخبط فيه
والحزازة من اجله وان لم يكن شكا فقد يرتاب من لا يشك ولكنها في
معتاد اللغة تجري مع الشك ومعنى الريبة في هذه الاية امر يعم الغيظ
والحنق ويعم اعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يودي كله الى الريبة في
الاسلام فمقصد الكلام لا يزال هذا البنيان الذي هدم لهم يبقي في قلوبهم
حزازة واثر سوء وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا وفسرها السدي بالكفر

قال

قيل افكفر مجمع بن جارية قال لا ولكنها حزازة **قال القاضي ابو محمد**
ومجمع رحمه الله مقسم انه ما علم باطن القوم ولا قصد سوءا والاية انما عنت
لعمر مجمع
من ابطن سوءا فليس مجمع منهم ويحتمل ان يكون المعنى لا يزالون مريبين بسبب
بنيانهم الذي اتضح فيه نفاقهم وجملة هذا ان الريبة في الاية تعم معاني كثيرة يأخذ
كل منافق منها بحسب قدره من النفاق وقرا ابن عباس كثير وابو عمرو والكسائي
الا ان تقطع قلوبهم بضم التاء وبنا الفعل للمفعول وقرا ابن عباس وحمزة وعاصم
بخلاف عنه الا ان تقطع قلوبهم بفتح التاء على انها فاعلة وقرا الحسن بن ابي
الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب الى ان تقطع على معنى الى ان يموتوا وقرا
بعضهم الى ان تقطع وقرا ابو حيوة الا ان يقطع بالياء مضمومة وكسر الطاء
ونصب القلوب اي بالقتل واما على القراءة الاولى فقيل بالموت قاله ابن
عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم وقيل بالتوبة وليس هذا بالظاهر الا ان
تاول ان يتوبوا توبة نصوحا يكون معها من الندم والحسرة على الذنب ما تقطع
القلوب هما وفكرة وفي مصحف ابن مسعود ولو قطعت قلوبهم وكذلك قراها
اصحابه وحكاها ابو عمرو وان قطعت بتخفيف الطاء وفي مصحف ابي حتى الممات
وفيه حتى تقطع **وقوله** ان الله اشترى من المومنين انفسهم الاية نزلت في
البيعة الثالثة وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي اناف فيها رجال الانصار
على السبعين وكان اصغرهم سنا عقبة بن عمرو وذلك انهم اجتمعوا مع رسول
الله عند العقبة فقالوا اشترط لك ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة
فاشترط رسول الله حمايته مما يحمون منه انفسهم واشترط لربه التزام
الشريعة وقتال الاسود والاحمر في الدفع عن الحوزة فقالوا ما لنا على ذلك
فقال الجنة فقالوا نعم ربح البيع لا نقيل ولا نقال وفي بعض الروايات ولا
نستقيل فنزلت الاية في ذلك ثم الاية بعد ذلك عامة في كل من جاهد في
سبيل الله من امة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة وقال بعض العلما

ما من مسلم الا ولله في عنقه هذه البيعة وفي بها او لم يف في الحديث ان فوق كل
بر بر حتى يبذل العبد دمه فاذا فعل ذلك فلا بر فوق ذلك وهذا تمثيل من الله
عز وجل جميل صنعه بالمبايعة ان نفع من نفيسين تقصر منهما وتملك صحيح وهذه
القصة وهب الله عباده انفسهم واموالهم ثم امرهم ببذلها في ذاته ووعدهم
على ذلك ما هو خير منها فهذا غاية التفضل ثم شبه القصة بالمبايعة واسند
الطبري عن كثير من اهل العلم انهم قالوا اثامن الله تعالى في هذه الاية عباده
فاغلى لهم وقاله ابن عباس والحسن ابن ابي الحسن وقال ابن عيينة معنى الاية اشترى
منهم انفسهم الا يعملوها الا في طاعة واموالهم الا ينفقوها الا في سبيل
الله **قال القاضي ابو محمد** والاية على هذا اعم من القتل في سبيل الله ومبايعة
الخلفاء وهي منتزعة من هذه الاية كان الناس يعطون الخلفاء طاعتهم
ونصائحهم وجدهم ويعطيهم الخلفاء عدلهم ونظرهم والقيام بامورهم وحكي
الى رضي الله عنه انه سمع ابا الفضل بن الجوهري يقول على المنبر
ناهيك من صفقة البائع فيها رب العلى والثمن الجنة المأوى والواسطة محمد
المصطفى **وقوله** يقاتلون في سبيل الله مقطوع ومستأنف وذلك ماول
سفين بن عيينة واما على تاويل الجمهور ان الشرا والبيع انما هو مع المجاهدين
فهو في موضع الحال وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وابو عمرو والحسن
وقتادة وابو رجا وغيرهم فيقتلون على البنا للفاعل ويقتلون على البنا للمفعول
وقرا حمزة والكسائي والنخعي وابن وثاب وطلحة والاعمش بعكس ذلك والمعنى
واحد اذ الغرض ان المومنين يقاتلون فيوجد فيهم من يقتل وفيهم من يقتل
وفيهم من يجتمع له ذلك وفيهم من لا يقع له واحدة منهما وليس الغرض ان يجتمع
ولا بد لواحد واحد واذا اعتبر هذا كان **وقوله** وعدا عليه حقا مصدر
موكد لان ما تقدم من الاية هو في معنى الوعد فجاء هو موكدا لما تقدم
من قوله بان لهم الجنة وقال المفسرون يظهر من قوله في التوراة والانجيل والقران

ان كل

ان كل امة امرت بالجهاد ووعدت عليه **قال القاضي ابو محمد** ويحتمل ان
ميعاد امة محمد تقدم ذكره في هذه الكتب **وقوله** ومن اوفى بعهده من
الله استفهام على جهة التقرير اي لا احد اوفى بعهده من الله **وقوله** فاستبشروا
فعل جا فيه استفعل بمعنى افعل وليس هذا من معنى طلب الشي كما تقول استوقد
نارا واستهدى مالا واستدعى نصرا بل هو كعجب واستعجب ثم وصف تعالى
ذلك البيع بانه الفوز العظيم اي انه الحصول على الحظ الاغبط من حط الذنوب
ودخول الجنة بلا حساب **قوله عز وجل** التائبون العابدون الحامدون
السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر
والحافظون لحدود الله وبشر المومنين ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم هذه
الاوصاف هي من صفة المومنين الذين ذكر الله انه اشترى منهم وان نعت
هذه الصفات لما جاءت مقطوعة في ابتداء اية على معنى هم التائبون ومعنى الاية
على ما تقتضيه اقوال العلما والشرع انها اوصاف الجملة من المومنين ذكرها
لتستبق اليه اهل التوحيد حتى يكونوا في اعلى رتبة والاية الاولى مستقلة
بنفسها لتقع تحت تلك المبايعة كل موحد قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي
العليا وان لم يتصف بهذه الصفات التي في هذه الاية الثانية او باكثرها
وقالت فرقة بل هذه الاوصاف جات على جهة الشرط والايتان مرتبطتان
فلا يدخل في المبايعة الا المومنون الذين هم على هذه الاوصاف ويبذلون انفسهم
في سبيل الله واسند الطبري في ذلك عن الضحاك بن مزاحم ان رجلا ساله
عن قول الله تعالى ان الله اشترى الاية وقال الرجل الا احمل على المشركين فاقاتل
حتى اقتل فقال الضحاك ويلك اين الشرط التائبون العابدون الاية وهذا القول
تحرج وتضييق والله اعلم والاول اصوب والشهادة ماحية لكل ذنب الا لمظالم
العباد وقد روي ان الله تعالى يحمل عن الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنه

ختم الله لنا بالحسنى وقالت فرقة ارتفع التائبين انما هو على الابتداء وما بعده صفة
الى قوله الآمرون فانه خبر الابتداء او كانه قال هم الآمرون وهذا احسن الا ان معنى
الآية يتفصل من معنى التي قبلها وذلك قلق وقرا مثله وفي مصحف عبد الله بن مسعود
التائبين العابدين الى آخرها ولذلك وجهان احدهما الصفة للمؤمنين على اتباع
اللفظ والآخر النصب على المدح والتائبون لفظ يعم الرجوع من الشر الى الخير كان ذلك
من كفر او معصية والرجوع من حال الى ما هي احسن منها وان لم تكن الاولى شرا
وهكذا كانت توبة النبي صلى الله عليه وسلم واستغفاره سبعين مرة في اليوم
والتائب هو المقلع عن الذنب العازم على التمادي في الاقلاع النادم على ما
سلف والتائب عن ذنب يسمى تائبا وان اقام على غيره الا ان يكون من نوعه فليس
بتائب والتوبة ونقضها دائبا اخير من الاصرار ومن تاب ثم نقض واتى على
النقض فان ذنوبه الاولى تبقى عليه لان توبته منها علم الله انها منقوضة ويحتمل الامر
غير ذلك والله اعلم وقال الحسن في تفسير الآية التائبون معناه من الشرك والعابدون
لفظ يعم القيام بعبادة الله والتزام شرعه وملازمة ذلك والمثابرة عليه
والدوام والعابد هو المحسن الذي فسر رسول الله في قوله أن تعبد الله كأنك
تراه الحديث وبادنى عبادة يؤديها المرء المسلم يقع عليه اسم عابد ويحصل في
ادنى رتبة وعلى قدر زيادته والعبادة يحصل الوصف والحامدون
معناه الذاكرون لله باوصافه الحسنى في كل حال وعلى السراء والضراء وحمده لانه
اهل لذلك وهو اعم من شكره اذ الشكر انما هو عن النعم الخاصة بالشاكر
والسائحون معناه الصائمون وروي عن عائشة انها قالت سياحة هذه الامة
الصيام اسنده الطبري وروي انه من كلام النبي عليه السلام وفي الحديث
ان لله ملائكة سياحين مشائين في الآفاق يبلغوني صلاة امتي علي وروي الحديث
صياحين بالصاد من الصياح والسياحة في الارض ماخوذة من السيح وهو الماء
الجاري على الارض الى غير غاية وكان بعض الناس وهو في كتاب النقاش السائحون

هم

هم الجائلون بافكارهم في قدرة الله وملكوته وهذا قول حسن وهي من افضل
العبادات ومن ذلك قول معاذ بن جبل اقعد بنا نؤمن ساعة وروي ان بعض
العباد اخذ القدح ليتوضأ لصلاة الليل فادخل اصبعه في اذن القدح وقعد
يفكر حتى طلع الفجر فقيل له في ذلك فقال ادخلت اصبعي في اذن القدح فتذكرت
قول الله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل وفكرت كيف اتلقى الغل وبقيت
في ذلك ليلي اجمع وروي امر الرجل في مسجد الاقدام والشعر الذي انشده هم
ما ذكره والراكعون الساجدون هم المصلون الصلوات الخمس كذا قال اهل العلم
ولكن لا يختلف في ان من يكثر النوافل هو ادخل في الاسم واعرق في الاتصاف
وقوله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هو امر فرض على امة محمد باجماله
ثم يفترق الناس فيه على التعيين فاما ولاة الامر والرؤساء فهو فرض عليهم في كل
حال واما سائر الناس فهو فرض عليهم بشروط منها ان لا يلحقه مضرة وان يعلم
ان قوله يسمع ويعمل به ونحو هذا ثم من تحمل العدو في ذات الله مشقة فهو اعظم
اجرا واسند الطبري عن بعض العلماء انه قال حيث ما ذكر الله الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فهو الامر بالاسلام والنهي عن الكفر **قال القاضي ابو محمد**
ولا شك انه تأول هذا وهو احرى لما تأول ما دونه فتعميم اللفظ اولى واما
هذه الواو التي في قوله والناهون ولم يتقدم في واحد من الصفات قبل فقيل معناها
الربط بين هاتين الصفتين وهي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ هما من غير
قبيل الصفات الاول **قال القاضي ابو محمد** لان الاولى فيما يخص المرء وهاتان
فيما بينه وبين غيره وحسن الربط بينهما للتلازم بينهما وتناسبهما وقيل هي زائدة
وهذا قول ضعيف لا معنى له وقيل هي واو الثمانية لان هذه الصفات
ثامنة في الرتبة ومن هذا قوله في ابواب الجنة وفتحت وقوله وثامنهم كلبهم
ومن هذا قوله ثيبات وابكارا **قال القاضي ابو محمد** على ان هذه تعترض حتى
لا يلزم ان تجيء واو ثمانية لانها فرق بين صفتين تعم المجموعة لجميع النساء ولا

يصح ان يكن ثيبات ابكارا فهي فاصلة ضرورة وواو الثمانية قد ذكرها
ابن خالويه في مناظرته لابي علي الفارسي في معنى قوله وفتحت ابوابها وانكرها ابو علي
وحدثني ابي رضي الله عنه عن الاستاذ النحوي ابي عبد الله الكفيف المالقي وكان
ممن استوطن غرناطة واقرأ فيها في مدة ابن حبوس انه قال هي لغة فصيحة لبعض
العرب من شانهم ان يقولوا اذا عدوا واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة
وثمانية تسعة عشرة فهكذا هي لغتهم ومتى جاء في كلامهم امر ثمانية ادخلوا
الواو **وقوله** والحافظون لحدود الله لفظ عام تحته التزام الشريعة والانتهاء عما
نهى الله عنه في كل شيء وفي كل فرض **وقوله** وبشر المومنين هل هو لفظ عام امر
به النبي عليه السلام ان يبشر امته جميعا بالخير من الله وقيل بل هذه الفاظ
خاصة لمن لم يغز اي لما تقدم في الجهة وعد المجاهدين وفضلهم امر ان يبشر ساير
الناس ممن لم يغز فان الايمان مخلص من النار والحمد لله رب العالمين **وقوله تعالى**
ما كان للنبي الاية تقتضي التانيب ومنع الاستغفار للمشركين مع الياس
عن ايمانهم اما بموافاتهم على الكفر وموتهم ومنه قول عمر في العاصي بن وايل لا جزاه
الله خيرا واما بنص من الله على احد كابي لهب وغيره فيمتنع الاستغفار له
وهو حي واختلف المفسرون في سبب هذه الاية فقال الجمهور ومداره على ابن
المسيب وعمرو بن دينار نزلت في شان ابي طالب وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخل عليه حين احتضر فوعظه وقال اي عم قل لا اله الا
الله كلمة احاج لك بها عند الله وكان بالحضرة ابو جهل وعبد الله بن
ابي امية فقالا له اترغب يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فقال ابو
طالب يا محمد والله لولا اني اخاف ان تعير بها ولدي من بعدي لاقررت بها
عينك ثم قال انا على ملة عبد المطلب ومات على ذلك اذ لم يسمع منه النبي ما
قال العباس فنزلت انك لا تهدي من احببت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فكان يستغفر له حتى نزلت هذه

الاية

الاية فترك رسول الله الاستغفار لابي طالب وروي ان المومنين لما راوا
رسول الله يستغفر لابي طالب جعلوا يستغفرون لموتاهم فلذلك دخلوا في
التانيب والنهي والاية على هذا ناسخة لفعل النبي عليه السلام اذ افعاله
في حكم الشرع وقال فضيل بن عطية وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما فتح مكة اتى قبر امه ووقف عليه حتى سخنت عليه الشمس وجعل يرغب
في الاستغفار لها فلم يوذن له فاخبر اصحابه انه اذن له في زيارة قبرها ومنع
ان يستغفر لها فما رئي باكيا اكثر من يومئذ ونزلت الاية في ذلك وقالت
فرقة انما نزلت بسبب قول رسول الله عليه السلام في المنافقين والله لازيدن
على السبعين وقال ابن عباس وقتادة وغيرهما انما نزلت الاية بسبب جماعة
من المومنين قالوا نستغفر لموتانا كما استغفر ابرهيم عليه السلام لابيه فنزلت
الاية في ذلك وعلى كل قول فعوده النهي عن الاستغفار للمشركين موضع اعتراض
بقصة ابرهيم عليه السلام فنزل رفع ذلك الاعتراض في الاية التي بعدها
وقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم اي سكانها وعمرتها والاستغفار للمشرك الحي جائز اذ يرجى اسلامه
ومن هذا قول ابي هريرة رضي الله عنه رحم الله رجلا استغفر لابي هريرة
ولامه قيل له ولابيه قال لا ان ابي مات كافرا وقال عطاء ابن ابي رباح
الاية في النهي عن الصلاة على المشركين والاستغفار هنا يراد به الصلاة
قوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه
فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لاواه حليم وما كان الله ليضل قوما
بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك
السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير المعنى
لا حجة ايها المومنون في استغفار ابرهيم الخليل لابيه فان ذلك لم يكن الا
عن موعدة واختلف في ذلك فقيل عن موعدة من ابرهيم في ان يستغفر لابيه

وذلك قوله سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وقيل عن موعدة من أبيه له في انه سيؤمن فكان ابرهيم قد قوي طمعه في ايمانه فحمله ذلك على الاستغفار له حتى نهي عنه وقرأ طلحة وما يستغفر ابرهيم وروي عنه وما استغفر ابرهيم وموعدة مفعلة من الوعد واما تبيينه انه عدو لله قيل ذلك بموت آزر على الكفر وقيل ذلك بانه نهي وهو حي وقال سعيد بن جبير ذلك كله يوم القيمة وذلك ان ابرهيم يلقاه فيعرفه ويتذكر قوله له سأستغفر لك ربي فيقول له الزم حقوي فلن ادعك اليوم لشيء فيلزمه حتى ياتي الى الصراط فيلتفت اليه فاذا هو قد مسخ ضبعا فاتبرأ منه حينئذ وربط الاستغفار بالآخرة ضعيف **قوله** ان ابرهيم لاواه حليم ثنا من الله تعالى على ابرهيم والاواه قال ابن مسعود هو الدعاء وقيل هو الذي يتضرع وقيل هو الموقن قاله ابن عباس وقيل هو الفقيه وقيل هو الرحيم قاله ابن مسعود ايضا وقيل هو المومن التواب وقيل هو المسبح وقيل هو الكثير الذكر لله وقيل هو التلاء وقيل هو الذي يقول من خوفه ابدا اواه ويكثر ذلك وروي ان ابا ذر سمع رجلا يكثر ذلك في طوافه فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعه فانه اواه والتأوه التفجع الذي يكثر حتى ينطق به الانسان معه باوه ويقال اوه فمن الاول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال في بيع او شراء انكره عليه اوه ذلك الربا بعينه ومن الثاني **قول الشاعر** فاوه لذكراها اذا ما ذكرتها ومن بعد ارض بيننا وسماء ومن هذا المعنى **قول المثقب العبدي** اذا ما قمت ارحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين ويروى أهة ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم اوه لافراخ محمد وحليم معناه صابر محتمل عظيم العقل والحلم العقل **وقوله** وما كان الله ليضل قوما الآية معناه التأنيس للمومنين وقيل ان بعضهم خاف على نفسه من الاستغفار للمشركين دون اذن من الله تعالى فنزلت الآية مونسة

قال القاضي ابو محمد

أي

اي ما كان الله بعد ان هدى الى الاسلام وانقذ من النار ليحبط ذلك ويضل اهله لمواقعتهم ذنبا لم يتقدم منه نهي عنه فاما اذا بين لهم ما يتقون من الامور ويجتنبون من الاشياء فحينئذ من واقع بعد النهي استوجب العقوبة وقيل ان هذه الآية انما نزلت بسبب قوم من اصحاب رسول الله كانوا غيبا فحولت القبلة فصلوا قبل ان يصلهم ذلك الى بيت المقدس وآخرين شربوا الخمر بعد تحريمها قبل ان يصل اليهم فخافوا على انفسهم وتكلموا في ذلك فنزلت الآية والقول الاول اصوب واليق بالآية وذهب الطبري الى ان قوله يحيي ويميت اشارة الى انه يجب ايها المومنون الا تجزعوا من عدو وان كثر ولا تهابوا احدا فان الموت المخوف والحياة المحبوبة انما هي بيد الله **قال القاضي ابو محمد** والمعنى الذي قال صحيح في نفسه ولكن قوله ان القصد بالآية انما هو لهذا او نحوه بعيد والظاهر في هذه الآية انما هو لما نص في الآية المتقدمة نعمته وفضله على عبيده في انه متى من عليهم بهدايته بفضله اسبغ من ان يحبط ويضلهم قبل ان تقع منهم معصية ومخالفة امر اتبع ذلك باوصاف فيها تمجيد الله تعالى وتعظيمه وبعث النفوس على ادمان شكره والاقرار بعبوديته **قوله تعالى** لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين التوبة من الله تعالى رجوعه بعبده من حالة الى ارفع منها فقد يكون في الاكثر رجوعا من حالة المعصية الى حالة الطاعة وقد يكون رجوعا من حالة طاعة الى اكمل منها وهذه توبته في هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لانه رجع به من حاله قبل تحصيل الغزوة واجرها وتحمل مشقاتها الى حاله بعد ذلك كله

وأما توبته على المهاجرين والانصار فحالها معرضة لان يكون من تقصير في
طاعة وجد في الغزو ونصرة الدين واما توبته على الفريق الذي كاد ان يزيغ فرجوع
من حالة محطوطة الى حال غفران ورضى واتبعوه معناه دخلوا في امره
واتبعا له ولم يرغبوا بانفسهم عن نفسه **وقوله** في ساعة العسرة يريد
في وقت العسرة فان الساعة منزلة المدة والوقت والزمن وان كان عرف
الساعة في اللغة انه لما قل من الزمن كالقطعة من النهار الا ترى قوله عليه السلام
في رواح يوم الجمعة في الساعة الاولى وفي الثانية الحديث فهي هنا تجوز وكان
ان يريد بقوله في ساعة العسرة التي وقع فيها عزمهم وانقيادهم لتحمل المشقة اذ
السفرة كلها تبع لتلك الساعة وبها وفيها يقع الاجر على الله وترتبط النية
فمن اعتزم على الغزو وهو معسر فقد اتبع في ساعة عسرة ولو اتفق ان يطرأ لهم غنى
في سائر سفرهم لما اختل كونهم متبعين في ساعة عسرة والعسرة الشدة
وضيق الحال والعدم ومنه قوله تعالى وان كان ذو عسرة وهذا هو جيش العسرة
الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه
عثمان ابن عفان رضي الله عنه بالف جمل والف دينار وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قلب الدنانير بيده وقال وما على عثمان ما عمل بعد هذا وجاء ايضا
رجل من الانصار بسبع مائة وسق من تمر وقال مجاهد وقتادة ان العسرة
بلغت بهم في تلك الغزوة وهي تبوك الى ان قسموا التمرة بين الرجلين ثم كان النفر
ياخذون التمرة الواحدة فيمصها احدهم ويشرب عليها الماء ثم يفعل كلهم بها
ذلك قال عمر بن الخطاب واصابهم في بعضها عطش شديد حتى جعلوا ينحرون
الابل ويشربون ما في كروشها من الماء ويعصرون الفرث حتى استسقى لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرفع يديه يدعو فما رجعهما حتى انسكبت سحابة فشربوا وادخروا
ثم ارتحلوا فاذا السحابة لم تخرج عن العسكر وحينئذ قال رجل من المنافقين وهل
هذه السحابة مرت وكانت الغزوة في شدة الحر وكان الناس كثيرا فقل

الساعه صح

الظهر

الظهر فجاءتهم العسرة من جهات ووصل رسول الله الى اوائل بلاد العدو وهم
فصالحه اهل اذرح وايلة وغيرها على الجزية ونحوها وانصرف واما الزيغ
الذي كادت قلوب فريق ان تواقعه فقيل همت فرقة بالانصراف لما لقوا
من المشقة والعسرة وقاله الحسن وقيل زيغها انما كان بظنون لها ساءت في
معنى عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على تلك الغزوة لما رأته من شدة
العسرة وقلة الوفر وبعد الشقة وقوة العدو المقصود وقرا جمهور
السبعة وابو بكر عن عاصم تزيغ بالتاء من فوق على لفظ القلوب وروي عن
ابي عمرو انه كان يدغم الدال في التاء وقرا حمزة وحفص عن عاصم والاعمش
والجحدري يزيغ بالياء على معنى جمع القلوب وقرا ابن مسعود من بعد ما زاغت
قلوب فريق وقرا ابي بن كعب من بعد ما كادت تزيغ واما كاد فيحتمل ان
يرتفع بها ثلاثة اشياء اولها واقواها القصة والشان هذا مذهب سيبويه
ويرتفع القلوب على هذا بتزيغ والثاني ان يرتفع بها ما يقتضيه ذكر المهاجرين
والانصار اولا ونقدر ذلك القوم فكانه قال من بعد ما كاد القوم تزيغ
قلوب فريق منهم والثالث ان يرتفع بها القلوب ويكون في قوله تزيغ ضمير
القلوب وجاز ذلك تشبيها بكان في قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وايضا
فلان هذا التقديم للخبر يراد به التاخير وشبهت كاد بكان للزوم الخبر لها
قال ابو علي ولا يجوز ذلك في عسى ثم اخبر عز وجل انه تاب على هذا الفريق
وراجع به وانس باعلامه للامة بانه رؤوف رحيم والثلاثة هم
كعب بن مالك وهلال بن امية الواقفي ومرارة بن الربيع العامري ويقال
ابن ربيعة ويقال ابن ربعي وقد خرج حديثهم البخاري ومسلم وهو في السيرة
لذلك اختصرنا سوقه وهم الذين تقدم فيهم وآخرون مرجون ومعنى خلفوا
اخروا وترك امرهم لم يقبل منهم معذرة ولا رد عليهم فكانهم خلفوا عن
عن المعتذرين وقيل معنى خلفوا تركوا عن قبول العذر وليس بتخلفهم عن الغزو

ويقوى ذلك من اللفظ جعله حتى إذا ضاقت غاية للتخلف ولم يكن ذلك عن تخليفهم
عن الغزو وإنما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر وقرأ الجمهور
خُلِّفوا بضم الخاء وشد اللام المكسورة وقرأ عكرمة بن هارون المخزومي وزر
بن حبيش وعمرو بن عبيد وأبو عمرو أيضا خَلَفوا بفتح الخاء واللام غير مشددة
وقرأ أبو مالك خُلِفوا بضم الخاء وتخفيف اللام المكسورة وقرأ أبو جعفر محمد بن علي
وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد وأبو عبد الرحمن خالفوا والمعنى قريب من التي قبلها
وقال أبو جعفر ولو خلفوا لم يكن لهم ذنب وقرأ الأعمش وعلى الثلاثة المخلفين
وقوله بما رحبت معناه برحبها كأنه قال على ما هي في نفسها رحبة فما مصدرية
وضاقت عليهم أنفسهم استعارة لأن الهم والغم ملأها وظنوا في هذه
الآية بمعنى أيقنوا وحصل علما لهم **وقوله** ثم تاب عليهم ليتوبوا لما كان هذا
القول في تعديد نعمه بدأ في ترتيبه بالجهة التي هي عن الله عز وجل ليكون ذلك
منبها على تلقي النعمة من عنده لا رب غيره ولو كان القول في تعديد ذنب لكان
الابتداء بالجهة التي هي عن المذنب كما قال تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ليكون
هذا أشد تقريرا للذنب عليهم وهذا من فصاحة القرآن وبديع نظمه ومعجز
اتساقه وبيان هذه الآية ومواقع ألفاظها إنما يكمل مع مطالعة حديث الثلاثة
الذين خلفوا في الكتب التي ذكرنا وإنما عظم ذنبهم واستحقوا عليه ذلك لأن الشرع
يطلبهم من الجد فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم فيه إذ هم أسوة وحجة
للمنافقين والطاعنين إذ كان كعب من أهل العقبة وصاحباه من أهل بدر وفي
هذا ما يقتضي أن الرجل العالم والمقتدى به أقل عذرا في السقوط من سواه وكتب
الأوزاعي رحمه الله إلى المنصور أبي جعفر في آخر رسالة له واعلم أن قرابتك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله عليك إلا عظما ولا طاعته
إلا وجوبا ولا الناس فيما خالف ذلك منك إلا إنكارا والسلام ولقد
أحسن القاضي التنوخي ⁘ والعيب يعلق بالكبير كبير ⁘ وفي بعض طرق

الثلاثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الليلة التي تيب عليهم في بيت أم
سلمة وكانت لهم صالحة فقال لها رسول الله يا أم سلمة تيب على كعب وصاحبيه
فقالت يا رسول الله ألا أبعث إليهم فقال إذا يحطمكم الناس سائر الليلة
ويمنعونكم النوم **وقوله** يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
هذا الأمر بالكون مع أهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين نفعهم الصدق وذهب
بهم عن منازل المنافقين فجاء هذا الأمر اعتراضا في أثناء الكلام إذ في القصة ما
يجب التنبيه على امتثاله وقال ابن جريج وغيره الصدق في هذه الآية هو
صدق الحديث وقال نافع والضحاك ما معناه أن اللفظ أعم من صدق
الحديث وهو بمعنى الصحة في الدين والتمكن في الخير كما تقول العرب عود صدق
وقالت هذه الفرقة كونوا مع محمد وأبي بكر وعمر وأخيار المهاجرين الذين صدقوا
الله في الإسلام ومع في هذه الآية تقتضي الصحبة في الحال والمشاركة في
الوصف المقتضي للمدح وقرأ ابن مسعود وابن عباس وكونوا من الصادقين
وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن مسعود رضي الله عنه يتأوله
في صدق الحديث وروي عنه أنه قال الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل
اقرءوا إن شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين **قوله
تعالى** ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن
رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا
نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا
ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم
ليجزيهم أحسن ما كانوا يعملون هذه معاتبة للمؤمنين من أهل يثرب
وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف عن رسول الله في غزوه وقوة الكلام تعطي
الأمر بصحبته أنى توجه غازيا وبذل النفوس دونه واختلف المتأولون

فقال قتادة كان هذا الالزام خاصا مع النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب النفير
الى العدو اذا خرج هو بنفسه ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء وقال ابن زيد
بن اسلم كان هذا الامر والالزام في قلة الاسلام والاحتياج الى اتصال
الايدي ثم نسخ عند قوة الاسلام بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة قال
القاضي ابو محمد وهذا كله في الانبعاث الى غزو العدو وعلى الدخول للاسلام
اما اذا الم العدو بجهة فيتعين على كل احد القيام بذبه ومكافحته
قوله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه فمعناه لا يختار رسول الله صلى الله
عليه وسلم مشقة ويجود بنفسه في سبيل الله فيقع منهم شح على انفسهم
ويكون زعما دخل هو فيه ثم تعال المر لم يكن لهم التخلف عن رسول الله بقوله ذلك
بانهم الاية والنصب التعب ومنه قول النابغة كليني لهم يا اميمة ناصب
اي ذي نصب ومنه قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا والمخمصة
مفعلة من خموص البطن وهو ضموره واستعير ذلك لحالة الجوع اذ الخموص ملازم
له ومن ذلك قول الاعشى تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن
خمائصا ومنه اخمص القدم والخمصانة من النساء قوله ولا يطئون
موطئا اي ولا يسيرون من الارض منتهى موذيا للكفار وذلك هو الغايظ
وفي المدونة كما لا يتوضا من موطي من قول ابن مسعود قوله ولا ينالون من
عدو نيلا لفظ عام لقليل ما يصنعه المومنون بالكفرة من اخذ مال او ايراد هوان
وكثيره والنيل مصدر نال ينال وليس من قولهم نلته انوله نولا او نوالا ومن قال
هو منه وبدلت الواو يا لخفتها هنا وهذا ضعيف والطبري قد ذكر نحوه
وضعفه وقال ابن ذلك المعروف من كلام العرب قوله ولا ينفقون الاية
قدم الصغيرة للاهتمام اي اذا كتبت الصغير فالكبيرة احرى والوادي ما بين
الجبلين كان فيه ما او لم يكن وجمعه اودية وليس في كلام العرب فاعل وافعلة الا
في هذا وحده وفي الحديث ما ازداد قوم من اهليهم في سبيل الله بعدا الا

ازدادوا

ازدادوا من الله قربا قوله عز وجل وما كان المومنون لينفروا
كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين قالت فرقة
سبب نزول هذه الاية ان المومنين الذين كانوا بالبوادي سكانا ومبعوثين
لتعلم الشرع لما سمعوا قول الله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من
الاعراب الاية اهمهم ذلك فنفروا الى المدينة الى رسول الله خشية ان يكونوا مذ نبين
في التخلف عن الغزو فنزلت هذه الاية في نفرهم ذلك وقالت فرقة سبب
هذه ان المنافقين لما نزلت الايات في المتخلفين قالوا هلك اهل البوادي فنزلت هذه
مقيمة لعذر اهل البوادي قال القاضي ابو محمد فيجي قوله ما كان لاهل المدينة
ومن حولهم عموم في اللفظ والمراد به في المعنى الجمهور والاكثر وتجي هذه
الاية مبينة لذلك مطردة الالفاظ متصلة المعنى من قوله تعالى ما كان
لاهل المدينة الى قوله يحذرون بين في اخر الاية العموم التي في اولها اذ هو معرض
ان يتناول فيه الا يتخلف بشر والتفقه هو من النافرين والانذار هو منهم والضمير
في رجعوا لهم ايضا وقالت فرقة هذه الاية ليست في معنى الغزو وانما
سببها ان قبايل من العرب لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر
بالسنين اصابتهم مجاعة وشدة فنفروا الى المدينة لمعنى المعاش فكادوا
ان يفسدوها وكان اكثرهم غير صحيح الايمان وانما اضرعه الجوع فنزلت
الاية في ذلك فقال وما كان من صفة الايمان ان ينفر مثل هذا النفير
اي ليس هو لا مومنين وقال ابن عباس ما معناه ان هذه الاية مختصة
بالبعوث والسرايا والاية المتقدمة ثابتة الحكم مع خروج رسول الله
في الغزو وهذه ثابتة الحكم مع تخلفه اي يجب اذا تخلف الا ينفر
الناس كافة فيبقى هو مفردا وانما ينبغي ان تنفر طايفة وتبقى طايفة

لتتفقه هذه الباقية في الدين ولينذروا النافرين اذا رجع النافرون اليهم
وقالت فرقة هذه الاية ناسخة لكل ما ورد من الزام الكافة النفير والقتال
والضمير في قوله ليتفقهوا عائد ايضا على هذا التاويل على الطائفة المتخلفة مع النبي
صلى الله عليه وسلم وهو على القول الاول في ترتيبنا هذا عائد على الطائفة النافرة
وكذلك يترتب عوده بحسب الاقوال على هذه ومع بعضها على هذه والجمهور
على ان التفقه انما هو بمشاهدة رسول الله وصحبته وقالت فرقة يشبه ان يكون
التفقه في الغزو وفي السرايا لما يرون من نصرة الله لدينه واظهاره العدد القليل
من المومنين على الكثير من الكافرين وعلمهم بذلك صحة دين الاسلام ومكانته من
الله تعالى ورجحه الطبري وقواه والاحتجاج ايضا وفي الضمير في قوله ولينذروا
عائد على المتفقهين بحسب الخلاف والانذار عام للكفر والمعاصي والحذر منها
كذلك وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الاية
قيل ان هذه الاية نزلت قبل الامر بقتال الكفار كافة فهي من التدريج الذي كان
في اول الاسلام قال القاضي ابو محمد وهذا قول يضعفه ان هذه
الاية من اخر ما نزل من القران وقالت فرقة انما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربما تجاوز قوما من الكفار غازيا لقوم اخرين ابعد منهم فامر الله تعالى بغزو الادنى
فالادنى الى المدينة وقالت فرقة الاية مبينة صورة القتال كافة وهي مترتبة
مع الامر بقتال الكفار كافة ومعناها ان الله تبارك وتعالى امر فيها المومنين ان يقاتل
كل فريق منهم الجنس الذي يصاقبه من الكفرة وهذا هو القتال لكلمة الله ورد
الناس الى الاسلام واما اذا مال العدو الى صقع من اصقاع المسلمين ففرض
على كل من اتصل به من المسلمين كفاية عدو ذلك الصقع وان بعدت الدار ونات
البلاد وقال قائلوا هذه المقالة نزلت الاية مشيرة الى قتال الروم بالشام
لانهم كانوا يومئذ العدو الذي يلي ويقرب اذ كانت العرب قد عمها الاسلام
وكانت العراق بعيدة ثم لما اتسع نطاق الاسلام توجه الفرض في قتال الفرس

والديلم

والديلم وغيرهما من الامم وسال ابن عمر رجل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم
وقال الحسن عليك بالروم والديلم قال القاضي ابو محمد يعني في زمنه
ذلك وقاله علي بن الحسين وقال ابن زيد المراد بهذه الاية وقت نزولها العرب
فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقرا جمهور الناس غلظة
بكسر الغين وقرا المفضل عن عاصم والاعمش غلظة بفتحها وقرا ابو عبد الرحمن
السلمي وابان بن تغلب وابن ابي عبلة غلظة بضمها وهي قراءة ابي حيوة ورواها
المفضل عن عاصم ايضا وقال ابو حاتم وروينا الوجوه الثلاثة عن ابي
عمرو وفي هاتين القراءتين شذوذ وهي لغات ومعنى الكلام وليجدوا فيكم
خشونة وباسا وذلك مقصود به القتال ومنه العذاب الغليظ وغليظ
القلب وغلاظ شداد في صفة الزبانية وغلظت علينا كربة في حفر
الخندق والحفر ذلك ثم وعد تعالى في اخر الاية وحض على التقوى التي هي ملاك
الدين والدنيا وبها يلقى العدو وقد قال بعض الصحابة انما تقاتلون الناس باعمالكم
واقلها هم المحذرون في طرق الحق ووعد تعالى انه مع اهل التقوى ومن كان الله معه
فلن يغلب قوله عز وجل واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم
زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما
الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون
اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
هذه الاية نزلت في شان المنافقين والضمير في قوله فمنهم عائد على المنافقين
وقولهم ايكم زادته هذه ايمانا يحتمل ان يكون لمنافقين مثلهم ويحتمل
ان يكون لقوم من قراباتهم من المومنين يستنيمون اليهم ويثقون بسترهم عليهم
ويطمعون في ردهم الى النفاق ومعنى ايكم زادته هذه ايمانا الاستخفاف
والتحقير لشان السورة كما تقول اي غريب في هذا واي دليل في هذا

عز وجل الرد عليهم والحكم بما يهدم لبسهم ومعاندتهما رحمة الله ورضوانه
والزيادة في الايمان كحط للناس وتطويل وتخليص القول فيه ان الايمان الذي هو
نفس التصديق ليس مما يقبل الزيادة والنقص في نفسه وانما تقع الزيادة في المصدق
به فاذا انزلت سورة من الله تعالى حدث للمومنين بها تصديق خاص لم يكن قبل
فزاد ذلك فيما صدقوا به من قبل فتصديقهم بما تضمنته السورة من اخبار
وامر ونهي امر زايد على الذي كان عندهم قبل فهذا وجه من زيادة الايمان ووجه
اخر ان السور ربما تضمنت دليلا او تنبيها عليه فيكون المومن قد عرف
الله بعدة ادلة فاذا انزلت السورة زادت في ادلته فهذه ايضا جهة
اخرى من الزيادة وكلها خارجة عن نفس التصديق اذا حصل تاما فانه ليس
يبقى فيه موضع زيادة ووجه اخر من وجوه الزيادة ان الرجل ربما عارضه
شك يسير او لاحت له شبهة مشغبة فاذا انزلت السورة ارتفعت
تلك الشبهة واستراح منها فهذه ايضا زيادة في الايمان اذ يرتقي اعتقاده
عن مرتبة معارضة تلك الشبهة الى الخلوص منها واما على قول من سمى
الطاعات ايمانا وذلك مجاز عند اهل السنة فتترتب الزيادة بالسورة اذ تتضمن
اوامر ونواهي واحكاما وهذا الحكم من تعلم العلم في معنى زيادة الايمان ونقصانه
الى يوم القيامة فان تعلم الانسان العلم بمنزلة نزول سورة القران والذين في قلوبهم
مرض هم المنافقون وهذا التشبيه وذلك ان السالم المعتقد المنشرح الصدر
بالايمان يشبه الصحيح والفاسد المعتقد يشبه المريض فهي العبارة مجاز
فصيح لان المرض والصحة انما هي خاصة بالاعضا فهي في المعتقدات مجاز والرجس
في هذه الاية عبارة عن حالهم التي جمعت معنى الرجس في اللغة وذلك ان الرجس في
اللغة يجي بمعنى القذر ويجي بمعنى العذاب وحال هاولاء المنافقين هي قذر
وهي عذاب عاجل كفيل بالاجل وزيادة الرجس الى رجسهم هو عمههم في الكفر وخبطهم
في الضلال بعا فيهم الله على الكفر والاعراض بالختم على قلوبهم والختم ما نادى عليهم

واذا

اصل موضع

واذا كفروا بسورة فقد زاد كفرهم فذلك زيادة رجس الى رجسهم **وقوله**
اولا يرون انهم يفتنون الاية قرا الجمهور اولا يرون بالياء على معنى اولا يرى المنافقون
وقرا حمزة وحده اولا ترون بالتاء على معنى اولا ترون ايها المومنون فهذا تنبيه
للمومنين وقرا ابن مسعود وابي بن كعب والاعمش اولا ترى اي انت يا محمد وروى
عن الاعمش ايضا انه قرا اولم يروا وذكر عنه ابو حاتم اولم تروا وقال مجاهد يفتنون
معناه يختبرون بالسنة والجوع وحكى عنه النقاش انه قال مرضة او مرضتين
وقال الحسن بن ابي الحسن وقتادة يختبرون بالامر بالجهاد والذي يظهر مما قبل
الاية ومما بعدها ان الفتنة والاختبار انما هي بكشف الله تعالى اسرارهم وافشايه
عقايدهم فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برويته ثم لا يتوبون
واما الجهاد والجوع فلا يترتب معهما ما ذكرناه فمعنى الاية على هذا فلا يزدجر
هاولا الذين تفتضح سرايرهم كل سنة مرة او مرتين بحسب واحد واحد
ويعلمون ان ذلك من عند الله فيتوبون ويذكرون وعد الله ووعيده واما
الاختبار بالمرض فهو في المومنين وقد كان الحسن **ينشد** افي كل عام مرضة
ثم نقهة فحتى متى حتى متى والى متى وقالت فرقة معنى يفتنون بما
يشيعه المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاكاذيب فكان
الذين في قلوبهم مرض يفتتنون في ذلك وحكى الطبري هذا القول عن حذيفة
وهو قريب من المعنى **قوله عز وجل** واذا ما انزلت سورة نظر
بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم
لا يفقهون لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمومنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم هذه الضمير في قوله بعضهم عايد على المنافقين والمعنى
واذا ما انزلت سورة فيها فضيحة اسرارهم نظر بعضهم الى بعض على جهة
التقرير يفهم من تلك النظرة التقرير هل معكم من ينقل عنكم هل يراكم من

أحد حين تدبرون أموركم وقوله ثم انصرفوا معناه عن طريق الاهتداء وذلك
حين ما بين لهم كشف أسرارهم والإعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لا محالة
تعجب وتوقف ونظر فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة لذلك فهم إذ
يصممون على الكفر ويرتبكون فيه كأنهم انصرفوا عن تلك الحال التي كانت مظنة
النظر الصحيح والاهتداء او ابتدى ما لفعل المسند اليهم اذ هو بعد تدبر على
ما قد بيناه وقوله صرف الله قلوبهم يحتمل أن يكون دعاء عليهم ويحتمل أن
يكون خبرا أي استوجبوا ذلك بأنهم قوم لا يفقهون أي لا يفهمون عن الله
ولا عن رسوله وأسند الطبري في تفسير هذه الآية عن ابن عباس أنه قال
لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فإن قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن
قولوا قضينا الصلاة قال القاضي أبو محمد وهذا النظر الذي في هذا لأنه
هو إيماء وحكى الطبري عن بعضهم أنه قال نظر في هذه الآية موضع قال وقوله
لقد جاءكم مخاطبة للعرب في قول الجمهور وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم
في ذلك إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه من الأغراض والفصاحة وشرفوا به
غابر الأيام وقال الزجاج هي مخاطبة لجميع العالم والمعنى لقد جاءكم
رسول من البشر والأول أصوب وقوله من أنفسكم يقتضي مدحا لنسب
النبي صلى الله عليه وسلم وأنه من صميم العرب وشرفها وينظر إلى هذا المعنى
قوله عليه السلام إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة
واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم ومنه قوله عليه السلام
إني من نكاح ولست من سفاح معناه أن نسبه صلى الله عليه وسلم إلى آدم
عليه السلام لم يكن النسل فيه إلا من نكاح ولم يكن فيه زنى وقرأ عبد الله بن
قسيط المكي من أنفسكم من النفاسة ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن
فاطمة رضي الله عنها ذكر أبو عمرو أن ابن عباس رواها عن النبي عليه السلام
وقوله ما عنتم معناه عنتكم فما مصدرية وهي ابتداء وعزيز خبر مقدم ويجوز

ان

أن يكون ما عنتم فاعلا بعزيز وعزيز صفة للرسول وهذا أصوب من الأول
والعنت المشقة وهي هنا لفظة عامة أي ما شق عليكم من كفر وضلال
بحسب الحق ومن قتل وإسار وامتحان بسبب الحق واعتقادكم أيضا معه
وقال قتادة المعنى عنت مؤمنيكم قال القاضي أبو محمد وتعميم عنت الجميع
أوجه وقوله حريص عليكم يريد على إيمانكم وهداكم وقوله رؤوف معناه مبالغ
في الشفقة قال أبو عبيدة الرأفة أرق الرحمة وقرأ رؤف دون مد الأعمش وأهل
الكوفة وأبو عمرو ثم خاطب النبي عليه السلام بعد تقريره عليهم هذه النعمة
فقال فإن تولوا يا محمد أي أعرضوا بعد هذه الحال المتقررة التي من الله عليهم
بها فقل حسبي الله معناه وأعمالك حسب قولك من التفويض إلى الله والتوكل
عليه وللجد في قتالهم وليست بآية موادعة لأنها من آخر ما نزل وخصص
العرش بالذكر إذ هو أعظم المخلوقات وقرأ ابن محيصن العظيم برفع الميم
صفة للرب وروت عن ابن كثير وهاتان الآيتان لم توجد حين جمع المصحف
إلا في حفظ خزيمة بن ثابت ووقع في البخاري أو أبي خزيمة فلما جاء بهما تذكرها
كثير من الصحابة وقد كان زيد يعرفها ولذلك قال فقدت آيتين من
آخر سورة التوبة ولو لم يعرفها لم يدر هل فقد شيئا أم لا فإنما ثبتت الآية بالإجماع
لا بخزيمة وحده وأسند الطبري في كتابه قال كان عمر لا يثبت آية في
المصحف إلا أن يشهد عليها رجلان فلما جاء خزيمة بهاتين الآيتين قال والله لا
أسألك عليهما بينة أبدا فإنه هكذا كان صلى الله عليه وسلم قال القاضي
أبو محمد يعني صفة النبي صلى الله عليه وسلم التي تضمنتها هذه الآية
وهذا والله أعلم قاله عمر بن الخطاب في مدة أبي بكر حين الجمع الأول وحينئذ
فقدت الآيتان ولم يجمع من القرآن شيء في خلافة عمر وخزيمة بن ثابت
هو المعروف بذي الشهادتين وعرف بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أمضى شهادته وحده في ابتياع فرس وحكم بها لنفسه صلى الله عليه

لم صح

وسلم

وهذا خصوص لرسول الله عليه السلام ۞ وذكر النقاش عن ابي ابن
كعب انه قال اقرب القران عهدا بالله تعالى هاتان الايتان لقد جاكم رسول
الى اخر السورة ۞

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم

تفسير سورة يونس عليه السلام هذه السورة مكية قال مقاتل الا
ايتين وهي قوله فان كنت في شك نزلت بالمدينة وقال الكلبي هي مكية الا
قوله ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به نزلت في اليهود بالمدينة وقالت
فرقة نزلت من اولها نحو من اربعين اية بمكة وباقيها بالمدينة **قوله عز
وجل** الر تلك ايات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل
منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون
ان هذا لسحر مبين تقدم في اول سورة البقرة ذكر الاختلاف في فواتح السور
وتلك الاقوال كلها تترتب هنا وفي هذا الموضع قول يختص به قال ابن
عباس وسالم بن عبد الله وابن جبير والشعبي الر وحم ون هو الرحمن
قطع اللفظ في اوائل هذه السورة واختلف عن نافع في امالة الراء والقياس
ان لا تمال وكذلك اختلف القرا وعلة من امال الراء ان يدل بذلك على انها اسم
للحرف وليست بحرف واما الحرف را **وقوله** تلك قيل هي بمعنى هذه وقيل
يشبه ان يتصل المعنى بتلك دون ان نقدرها بمعنى هذه والنظر في هذه
اللفظة انما يترتب على الخلاف في فواتح السور فتدبره والكتاب قال مجاهد
وقتادة المراد به التوراة والانجيل وقال مجاهد ايضا وغيره المراد به القران
وهو الاظهر والحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قال تعالى هذا ما لدي عتيد اي معتد
ويمكن ان يكون حكيم بمعنى ذي حكمة فهو على النسب قال الطبري هو
مثل اليم بمعنى مولم وقال هو الذي احكمه الله وبينه **قال القاضي ابو محمد**
رضي الله عنه فساق قولين على انهما واحد **وقوله** اكان للناس عجبا الاية قال

١١٠

ابن عباس وابن جريج وغيرهما سبب هذه الاية ان قريشا استبعدوا ان يبعث الله
رسولا من البشر وقال الزجاج انما عجبوا من اخباره انهم يبعثون من القبور لان
النذارة والبشارة تضمنتا ذلك وكثر كلامهم في ذلك حتى قال بعضهم اما وجد
الله من يبعث الا يتيم ابي طالب ونحو هذا من الاقاويل التي احصرتها السير بها فنزلت
الاية **وقوله** اكان تقرير والمراد بالناس قالوا هذه المقالة وعجبا خبر كان واسمها
ان اوحينا وفي مصحف ابن مسعود اكان للناس عجب وجعل الخبر في قوله ان اوحينا
والاول اصوب لان الاسم معرفة والخبر نكرة وهذا القلب لا يصح ولا يجي الا
شاذا **ومنه قول حسان** يكون مزاجها عسل وماء ولفظة العجب هنا
ليست بمعنى التعجب فقط بل معناه اوصل انكارهم وتعجبهم الى التكذيب وقرات
فرقة الى رجل بسكون الجيم وفسر الوحي وقسمه على النذارة للكافرين والبشارة
للمومنين والقدم هنا ما قدم واختلف في المراد بها هنا فقال ابن عباس ومجاهد
والضحاك والربيع بن انس وابن زيد هي الاعمال الصالحة من العبادات وقال
الحسن بن ابي الحسن وقتادة هي شفاعة محمد عليه السلام وقال ابن زيد بن
اسلم وغيره هي المصيبة بمحمد صلى الله عليه وسلم في موته وقال ابن عباس
ايضا وغيره هي السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ وهذا اليق الاقوال
بالاية ومن هذه اللفظة **قول حسان** لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا
في طاعة الله تابع **وقول ذي الرمة** لكم قدم لا ينكر الناس انها مع
الحسب العادي طمت على البحر ومن هذه اللفظة قول النبي صلى الله عليه
وسلم في صفة جهنم حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط اي بما قدم
لها من خلقه هذا على ان الجبار اسم الله تعالى ومن جعله اسم جنس كانه اراد
الجبارين من بني ادم فالقدم على هذا التاويل الجارحة والصدق في هذه
الاية بمعنى الصلاح كما يقول رجل صدق ورجل سوء **وقوله** قال
الكافرون يحتمل ان يكون تفسيرا لقوله اكان للناس ان اوحينا الى بشر عجبا فقال

الكافرون عنه كذا وكذا وذهب الطبري إلى أن في الكلام حذفًا يدل الظاهر
عليه تقديره فلما أنذر وبشر قال الكافرون كذا وكذا وقرأ جمهور الناس وهي
قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر إن هذا لسحر وقرأ مسروق بن الأجدع وابن
جبير والباقون من السبعة وابن مسعود وأبو رزين ومجاهد وابن وثاب وطلحة
والأعمش وعيسى بن عمر بخلاف وابن محيصن وابن كثير بخلاف عنه إن هذا لساحر
والمعنى متقارب وفي مصحف أبي قال الكافرون ما هذا إلا سحر مبين وقرأ الأعمش
ما هذا إلا ساحر مبين وقولهم في الإنذار والبشارة سحر إنما هو بسبب أنه
أنه فرق بذلك كلمتهم وحال بين القريب وقريبه فأشبه ذلك ما يفعله الساحر
فظنوه من ذلك الباب **قوله عز وجل** إن ربكم الله الذي خلق السموات
والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه
ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون إليه مرجعكم جميعًا وعد الله حقًا إنه
يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هذه ابتداء دعاء إلى
عبادة الله عز وجل وإعلام بصفاته والخطاب فيها لجميع الناس وخلق السموات
والأرض هو على ما تقرر أن الله عز وجل خلق الأرض ثم استوى إلى السماء وهي دخان
فخلقها ثم دحى الأرض بعد ذلك **وقوله** في ستة أيام قيل هي من أيام الآخرة
وقال الجمهور وهو الصواب بل من أيام الدنيا وذلك في التقدير لأن الشمس
وجريها لم يتقدم حينئذ وقول النبي صلى الله عليه وسلم في خلق الله المخلوقات
إن الله تعالى ابتدأ يوم الأحد كذا ويوم كذا كذا إنما هو على أن يقدر ذلك
الزمان وبعكس اليه الخرية من حيث أنه اثر سبت اليوم والليلة والمشهور أن
الله ابتدأ الخلق يوم الأحد ووقع في بعض الأحاديث في كتاب مسلم وفي الدلائل
أن البداءة وقعت يوم السبت وذكر بعض الناس أن الحكمة في خلق الله تعالى
هذه الأشياء في مدة ممدودة وفي القدرة أن يقول كن فيكون إنما هي

ليعلم

ليعلم عباده التؤدة والتماهل في الأمور وهذه مما لا يوصل إلى تعليله وعلى
هذا هي الأجنة في البطون وخلق الثمار وغير ذلك والله عز وجل قد جعل لكل
شيء قدرًا وهو أعلم بوجه الحكمة في ذلك **وقوله** ثم استوى على العرش قد تقدم
القول فيه في المص **وقوله** يدبر الأمر يصح أن يريد بالأمر اسم الجنس من الأمور ويصح
أن يريد الأمر الأمر الذي هو مصدر أمر يأمر وتدبيره لا إله إلا هو الانفراد
لأنه قد أحاط بكل رويته علمًا وقال مجاهد يدبر الأمر معناه يقضيه وحده

إنما هو صح

وقوله ما من شفيع إلا من بعد إذنه رد على العرب في اعتقادها أن الأصنام
تشفع لها **وقوله** ذلكم إشارة إلى الله تعالى أي هذا الذي هذه صفاته
فاعبدوه ثم قررهم على هذه الآيات والعبر فقال أفلا تذكرون أي فيكون
التذكر سبب الاهتداء واختصار القول في قوله ثم استوى على العرش هو إما
أن يكون استوى بقهره وغلبته وإما أن يكون استوى بمعنى استولى إن صحت اللفظة
في اللسان فقد قيل **في قول الشاعر** قد استوى بشر على العراق من غير سيف
ودم مهراق **ق** إنه بيت مصنوع وإما أن يكون فعلًا في العرش سماه استوا
واستيعاب القول قد تقدم **وقوله** إليه مرجعكم جميعًا الآية إنباء بالبعث
من القبور وهي من الأمور التي جوزها العقل وأثبت وقوعها الشرع **وقوله**
جميعًا حال من الضمير في مرجعكم ووعد الله نصب على المصدر وكذلك قوله حقًا
وقال أبو الفتح حقًا نعت وقرأ الجمهور إنه بكسر الألف على القطع والاستئناف وقرأ
أبو جعفر بن القعقاع والأعمش وسهل بن شعيب وعبد الله أنه بفتح الألف
وموضعها النصب على تقدير لأنه قال الفراء موضعها رفع على تقدير حقًا أنه
قال القاضي أبو محمد ويجوز عندي أن يكون أنه بدلًا من قوله وعد الله قال أبو الفتح
إن شئت قدرت لأنه يبدأ الخلق أي من قدرته هذا فهو غني عن إخلاف الوعد
وإن شئت قدرت وعد الله وعدًا حقًا أنه ولا يعمل فيه المصدر الذي هو وعد
الله لأنه قد وصفه وذلك تمامه وقطع عمله وقرأ ابن أبي عبلة حق بالرفع

ثم ابدا او جره انه **وقوله** يبدا الخلق يريد النشاة الاولى والاعادة
هي البعث من القبور وقرا طلحة يبدئ الخلق بضم اليا وكسر الدال **وقوله**
ليجزي هي لام كي والمعنى ان الاعادة انما هي ليقع الجزا على الاعمال **وقوله** بالقسط
اي بالعدل في رحمتهم وحسن جزايهم **وقوله** والذين كفروا ابتدا والحميم
الحار المسخن وهو فعيل بمعنى مفعول ومنه الحمام والحمة **ومنه قول المرقش**
في كل يوم لها مقطرة فيها كبا معد وحميم ٭ وحميم النار فيما ذكر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا ادناه الكافر من فيه تساقطت فروة راسه وهو
كما وصفه تعالى يشوي الوجوه **قوله تعالى** هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق
يفصل الايات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات
والارض لايات لقوم يتقون هذا استمرار على وصف ايات الله والتنبيه
على صنعته الدالة على الصانع وهذه الاية تقتضي ان الضيا اعظم من النور وانها
حسب الشمس والقمر ويلحق ها هنا اعتراض وذلك انا وجدنا الله تعالى مثل
هداه ولطفه بخلقه بالنور فقال الله نور السموات والارض وهذا يقتضي
ان النور اعظم هذه الاشيا وابلغها في الشروق والا فلم ترك التشبيه بالاعلى
الذي هو الضيا وعدل الى الاقل الذي هو النور فالجواب عن هذا والانفصال
ان يقول ان لفظة النور احكم وابلغ في قوله الله نور السموات والارض وذلك
لو اريد به نور محسوس بالعين كالقمر فلم يبق الا انه تعالى شبه هداه ولطفه
الذي نصبه لقوم يهتدون وقوم اخرين يضلون معه بالنور الذي هو ابدا موجود في
الليل واثنا الظلم ولو شبهه بالضيا لوجب ان لا يضل احد اذ كان الهدى
يكون مثل الشمس التي لا تبقى معها ظلمة فمعنى الاية ان الله تعالى قد جعل هداه في الكفر
كالنور في الظلام فيهتدي قوم ويضل اخرون ولو جعله كالضيا لوجب ان لا يضل
احد وبقي الضيا على هذا الانفصال ابلغ في الشروق كما اقتضته ايتنا هذه والله

عز وجل

عز وجل هو ضيا السموات والارض ونورها وقيومهما ويحتمل ان يعترض الانفصال
والله المستعان **وقوله** وقدره منازل يريد البروج المذكورة في غير
هذه الاية واما الضمير الذي رده على القمر وقد تقدم ذكر الشمس معه فيحتمل
ان يريد بالضمير القمر وحده لانه المراعى في معرفة عدد السنين والحساب عند العرب
ويحتمل ان يريدهما معا بحسب انهما يتصرفان في معرفة عدد السنين والحساب لكنه
اجتزى بذكر الواحد كما قال والله ورسوله احق ان يرضوه **وكما قال الشاعر**
رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني ٭ قال الزجاج **وكما**
قال الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف **وقوله**
لتعلموا المعنى قدر هذين النيرين منازل لكي تعلموا بها عدد السنين والحساب
رفقا بكم ورفعا للالتباس في معايشكم وتجرتكم واجاراتكم وغير ذلك مما يضطر
فيه الى معرفة التواريخ **وقوله** ما خلق الله ذلك الا بالحق اي للفايدة لا للعب
والاهمال فهي اذا الحق ان يكون كما هي وقرا ابن كثير ايضا وعاصم والباقون والاعرج
وابو جعفر وشيبة واهل مكة والحسن والاعمش نفصل بنون العظمة **وقوله**
لقوم يعلمون انما خصهم لان نفع التفصيل فيهم ظهر وعليهم اضا وان كان
التفصيل انما وقع مجملا للكل معدا ليحصله الجميع وقرا جمهور السبعة وقد
رويت عن ابن كثير ضيا وقرا ابن كثير وحده فيما روي عنه ضيا بهمزتين
واصله ضيا فقلبت اليا همزة لوقوعها بين الفين قال ابو علي وهي غلط
وقوله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار الاية انه اعتبار وتنبيه ولفظه
الاختلاف تعم تعاقب الليل والنهار وكونهما خلفة وما يتعاورانه من
الزيادة والنقص وغير ذلك من اختلافهما بسير الشمس وبحسب اقطار الارض
وقوله وما خلق الله في السموات والارض لفظ عام لجميع المخلوقات والايات
العلامات والدلايل وخصص القوم المتقين تشريفا لهم اذ الاعتبار فيهم يقع
ونسبتهم الى هذه الاشيا المنظور فيها افضل من نسبة من لم يهتد ولا اتقى

قوله عز وجل ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا
بها والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في
جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قال ابو عبيده وتابعه القتبي وغيره
يرجو في هذه الاية بمعنى يخاف واحتجوا ببيت ابي ذويب
اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل وحكى
المهدوي عن بعض اهل اللغة وقال ابن سيده هو الفرا ان لفظة الرجا اذا
جات منفية فانها تكون بمعنى الخوف وحكى عن بعضهم انها تكون بمعناها في كل
موضع يدل عليه قراين ما بعده وما قبله فعلى هذا التاويل معنى الاية ان الذين
لا يخافون لقانا وقال ابن زيد هذه الاية في الكفار وقال بعض اهل العلم
الرجا في هذه الاية على بابه وذلك ان الكافر المكذب بالبعث لا يرجو
رحمة في الاخرة ولا يحسن ظنا بانه يلقى الله ولا له في الاخرة امل اذ لو كان
له فيها امل لقارنه لا محالة خوف وهذه الحال من الخوف المقارن هي
القايدة الى النجاة والذي اقول ان الرجا في كل موضع على بابه وان بيت الهذلي
معناه لم يرج فقد لسعها فهو يبني عليه ويتصبر اذ يعلم انه لا بد منه وقوله
ورضوا بالحياة الدنيا يريد كانت اخر همهم ومنتهى غرضهم واسند الطبري
عن قتادة انه قال في تفسير هذه الاية اذا شيت رايت هذا الموصوف
صاحب دنيا لها يغضب ولها يرضى ولها يفرح ولها يهتم ويحزن فكان
قتادة صورها في العصاة ولا يترتب ذلك الا مع تاول الرجا على بابه اذ قد يكون
العاصي المجلح مستوحشا من اخرته فاما على التاويل الاول فمن لا يخاف لقا
الله فهو كافر وقوله واطمانوا بها يحتمل في معنى القناعة بها والرفض لغيرها
لان الطمانينة بالشي هي زوال التحرك الى غيره وقوله والذين هم عن اياتنا

غافلون

غافلون يحتمل ان يكون ابتدا اشارة الى فرقة اخرى من الكفار وهاولا على هذا
التاويل اصل صفتهم انهم ليسوا اهل دنيا بل غفلة فقط ثم ختم عليهم بالنار
وجعلها ماواهم وهو حيث ياوي الانسان ويستقر ثم جعل ذلك بسبب كسبهم
واجتراحهم وفي هذه اللفظة رد على الجبرية ونص على تعلق العقاب
بالتكسب الذي للانسان وقوله تعالى ان الذين امنوا الاية لما قرر تبارك
وتعالى حال الفرقة الهالكة عقب ذلك بذكر حالة الفرقة الناجية ليسمع
الطريقان ويرى الناظر فرق ما بين الهدى والضلال وهذا كله لطف مستعان
وقوله يهديهم لا يترتب ان يكون معناه يرشدهم الى الايمان لانه قد
قررهم مومنين فانما الهدى في هذه الاية على احد وجهين اما ان يريد انه
يديمهم ويثبتهم كما قال يا ايها الذين امنوا امنوا فانما معناه اثبتوا واما ان يريد انه
يرشدهم الى طرق الجنان في الاخرة وقوله بايمانهم يحتمل ان يريد بسبب
ايمانهم ويكون ذلك مقابلا لقوله قبل ماواهم النار بما كانوا يكسبون ويحتمل ان
يكون الايمان هو نفس الهدى اي يهديهم الى طرق الجنة بنور ايمانهم قال مجاهد
يكون لهم ايمانهم نورا يمشون به ويتركب هذا التاويل على ما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان العبد المومن اذا قام من قبره للحشر يمثل له رجل جميل الوجه
طيب الرايحة فيقول من انت فيقول انا عملك الصالح فيقوده الى الجنة وبعكس
هذا في الكافر ونحو هذا مما اسنده الطبري وغيره وقوله تجري من تحتهم
الانهار يريد من تحت علياتهم وغرفهم وليس التحت الذي هو بالمماسة
بل يكون الى ناحية من الانسان كما قال تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وكما
قال حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي وقوله دعواهم الاية الدعوى
بمعنى الدعا يقال دعا الرجل وادعى بمعنى واحد قاله سيبويه وسبحانك
اللهم تقديس وتسبيح وتنزيه لجلاله عن كل ما لا يليق به وقال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه في ذلك هي كلمات رضيها الله تعالى لنفسه وقال طلحة

بن عبيد الله قلت يا رسول الله ما معنى سبحان الله فقال معناها تنزيها الله من
السوء وقد تقدم ذكر خلاف النحاة في اللهم وحكى عن بعض المفسرين انهم راوا
ان هذه الكلمة انما يقولها المومن في الجنة عندما يشتهي الطعام فانه اذا راى
طايرا او غير ذلك قال سبحانك اللهم فنزلت تلك لا اراده بين يديه فوق ما
اشتهى رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة **وقوله** تحيتهم فيها سلام يريد تسليم
بعضهم على بعض والتحية ماخوذة من تمني الحياة للانسان والدعا لها يقال
حياه تحية ومنه قول **زهير بن جناب** من كل ما نال الفتى قد نلته
الا التحية ∴ يريد دعا الناس للملوك بالحياة وقد سمي الملك تحية بهذا
التدريج ومنه قول **عمرو بن معدي كرب** اسير بها الى ابي قابوس
حتى انيخ على تحيته بجندي ∴ اراد على مملكته وقال بعض العلماء وتحيتهم
يريد تسليم الله عز وجل عليهم والتسليم ماخوذ من السلامة **وقوله** وآخر
دعواهم يريد وخاتمة دعائهم في كل موطن وكلامهم شكر الله تعالى وحمده على
سابغ نعمه وكانت بدايتهم بالتنزيه والتعظيم وقرا جمهور الناس ان الحمد
لله وهي عند سيبويه ان المخففة من الثقيلة وقرا ابن محيصن وبلال بن ابي بردة
ويعقوب وابو حيوة ان الحمد لله وهي على الوجهين رفع على خبر الابتدا قال
ابو الفتح هذه القراة تدل على ان قراة الجماعة هي ان المخففة من الثقيلة بمنزلة
قول الاعشى في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل
وقوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم
اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان
الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قايما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم
يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون هذه الاية نزلت
في دعا الرجل على نفسه او ماله او ولده ونحو هذا فاخبر الله تعالى انه لو
فعل مع الناس في اجابته الى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في اجابته

ا/

الى الخير لاهلكهم ثم حذف بعد ذلك من القول جملة يتضمنها الظاهر تقديرها
فلا يفعل ذلك ولكن نذر الذين لا يرجون لقاءنا فاقتضب القول وتوصل الى هذا
المعنى بقوله فنذر الذين لا يرجون فتامل هذا التقدير تجده صحيحا واستعجالهم
نصب على المصدر والتقدير مثل استعجالهم وقيل التقدير تعجيلا مثل استعجالهم
وهذا اقرب من الاول وقيل ان هذه الاية نزلت في قولهم اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما وقيل نزلت في قولهم ايتنا بما تعدنا
وما جرى مجراه وقرا جمهور القراء لقضي على بناء الفعل للمفعول ورفع الاجل
وقرا ابن عامر وحمزة وعوف وعيسى بن عمر ويعقوب لقضى على بناء الفعل للفاعل
ونصب الاجل وقرا الاعمش لقضينا والاجل في هذا الموضع اجل الموت ومعنى قضي
في هذه الاية اكمل وفرغ منه **قال ابو ذويب** وعليهما مسرودتان
قضاهما داود او صنع السوابغ تبع ∴ **وانشد** ابو علي في هذا ∴∴
قضيت امورا ثم غادرت بعدها بوايق في اكمامها لم تفتق ∴ وتعدى قضى
في هذه الاية بالى لما كان في معنى وفرغ تعدى بالى وتعدى باللام **ومن ذلك**
قول جرير ∴ الان فقد فرغت الى نمير فهذي حين صرت لها عذابا ∴ ومن
الاخر قوله عز وجل سنفرغ لكم ايها الثقلان وقرا الاعمش فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا ويرجون في هذا الموضع على بابها والمراد الذين لا يوقنون بالبعث فهم
لا يرجون لقا الله والرجا ابدا مقترن بخوف والطغيان الغلو في الامر وتجاوز الحد
والعمه الخبط في ضلال فهذه الاية نزلت ذامة لخلق ذميم هو في الناس يدعون
في الخير فيريدون تعجيل الاجابة ثم يحملهم احيانا سو الخلق على الدعا في الشر فلو عجل
لهم لهلكوا **وقوله تعالى** واذا مس الانسان الضر الاية هذه الاية ايضا
عتاب على سو الخلق من بعض الناس ومضمنه النهي عن مثل هذا والامر بالتسليم
الى الله والضراعة اليه في كل حال والعلم بان الخير والشر منه لا رب غيره
وقوله لجنبه في موضع حال كانه قال مضطجعا ويجوز ان يكون حالا من

ضمير الفاعل في دعانا والعامل فيه دعا وهما معنيان متباينان والضر لفظ
عام لجميع الامراض والرزايا في النفس والمال والاحبة هذا قول اللغويين وقيل
هو مختص برزايا البدن الهزال والمرض **وقوله** مر يقتضي ان نزولها في الكافر ثم
هي بعد تتناول كل من دخل تحت معناها من كافر وعاص فمعنى الاية مر في
اشراكه بالله وقلة توكله عليه **وقوله** زين ان قدرناه من الله تعالى فهو خلقه
الكفر لهم واختراعه في نفوسهم محبة اعمالهم الفاسدة ومثابرتهم عليها وان
قدرناه من الشيطان فهو بمعنى الوسوسة والمخادعة ولفظة التزيين قد جاءت في
القران بهذين المعنيين من فعل الله تعالى ومرة من فعل الشياطين **قوله عز
وجل** ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات
وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع
الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم هذه الاية وعيد
للكفار وضرب امثال لهم اي كما فعل هؤلاء كذلك يفعل بكم كما فعل
بهم **وقوله** وما كانوا ليؤمنوا اخبار عن قسوة قلوبهم وشدة كفرهم وقرا جمهور
الناس السبعة وغيرهم نجزي بنون الجماعة وفرقة يجزي بالياء على معنى يجزي
الله وخلائف جمع خليفة **وقوله** لننظر معناه لنبين في الوجود ما علمناه ازلا
لكن جرى القول على طريق المجاز والفصاحة من المجاز وقرا يحيى بن الحرث وقال
رايتها في الامام مصحف عثمان لنظر بادغام النون في الظاء وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ان الله تعالى انما جعلنا خلفا لينظر كيف عملنا فاروا الله حسن
اعمالكم في السر والعلانية وكان ايضا يقول قد استخلفت يا ابن الخطاب فانظر
كيف تعمل واحيانا كان يقول قد استخلفت يا ابن ام عمر **وقوله** واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات الاية هذه الاية نزلت في قريش لان بعض كفارهم قال هذه م

المقالة على معنى ساهلنا يا محمد واجعل هذا الكلام الذي هو من قبلك على
اختيارنا واحل ما حرمته وحرم ما حللته ليكون امرنا حينئذ واحدا وكلامنا
متصلا فذم الله هذه الصيغة وذكرهم بانهم يقولون هذه الايات البينات ووصفهم
بانهم لا يؤمنون بالبعث ثم امر الله نبيه ان يرد عليهم بالحق الواضح وان يسلم ويتبع
حكم الله ويعلم بخوفه ربه واليوم العظيم يوم القيامة **قوله عز وجل** قل لو شاء
الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون هذا
من كمال الحجة اي هذا الكلام ليس من قبلي ولا من عندي وانما هو من عند الله ولو
شاء ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به وادراكم بمعنى اعلمكم يقال دريت
بالامر وادريت به غيري وهذه قراءة الجمهور وقرا ابن كثير في بعض ما روي عنه
ولادراكم به وهي لام تاكيد دخلت على ادرى والمعنى على هذا ولاعلمكم به من
غير طريقي وقرا ابن عباس وابن سيرين وابو رجاء والحسن ولا ادراتكم به وقرا
ابن عباس ايضا وشهر بن حوشب ولا انذرتكم به وخرج الفراء قراءة ابن عباس
والحسن على لغة لبعض العرب منها قولهم لبات بمعنى لبيت ومنها قول امراة منهم
رثات زوجي بابيات يريد رثيت وقال ابو الفتح انما هي ادريتكم قلبت الياء الفا
لانفتاح ما قبلها وروى قطرب ان لغة عقيل في اعطيتك اعطاتك قال
ابو حاتم قلبت الحسن الياء الفا كما في لغة بني الحرث بن كعب السلام علاك ثم قال
فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اي الاربعين سنة قبل بعثه عليه السلام ويريد
لم تجربوني في كذب ولا تكلمت في شيء من هذا افلا تعقلون ان من كان على هذه
الصفة لا يصح منه كذب بعد ان كلا عمره وتقاصر امله واشتدت حنكته
وخوفه لربه وقرا الجمهور بالبيان في لبثت وقرا ابو عمرو لبث بادغام الثاء

في النار **وقوله** فمن أظلم الآية جاءني هذه الآية التوقيف عن عظم جرم المفتري
على الله بعد تقدم التنصل من ذلك فاتسق القول واطردت فصاحته **وقوله**
فمن أظلم استفهام وتقرير أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا او من كذب
بآياته بعد بيانها وذلك أعظم جرم على الله وأكثرها استشهادا في الحاد به قدر
انه لا يفلح اهل الجرم ويحسن معناه يظهر ببعيته **وقوله** ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم الآية الضمير في يعبدون عائد على الكفار من قريش الذين تقدمت
مجاورتهم وما لا يضرهم ولا ينفعهم هي الأصنام **وقولهم** هؤلاء شفعاؤنا
هو مذهب النبلاء منهم فأمر الله نبيه أن يقررهم ويوبخهم أتنبئون الله تعالى
بأنباء من السموات والأرض لا يعلمها هو وذكر السموات لأن من العرب
من يعبد الملائكة والشعرى وبحسب هذا الجنس يقولون هؤلاء ولا ويل ذلك
يجوز في الأصنام التي لا تعقل وفي التوقيف على هذا أعظم غلبة لهم ولا يمكنهم
الا ان يقولوا لا نفعل ولا نقدر وذلك لهم لازم من قولهم هؤلاء شفعاؤنا
وسبحانه استيناف تنزيه لله عز وجل وقرأ ابو عمرو وعاصم وابن عامر هنا
عما يشركون بالياء على الغيبة وفي حرفين في النحل وحرف في الروم وحرف في النمل
وذكر ابو حاتم انه قراها كذلك نافع والحسن والأعرج وابن القعقاع وشيبة
وحميد وطلحة والأعمش وقرأ ابن كثير ونافع هنا وفي النمل فقط تشركون بالتاء
على مخاطبة الحاضر وقرأ حمزة والكسائي الخمسة الأحرف بالتاء وهي قراءة ابي
عبد الرحمن **قوله عز وجل** وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا
انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين
واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله
اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون قالت فرقة المراد آدم كان امة
وحده ثم اختلف الناس بعده وفي امر ابنيه وقالت فرقة المراد آدم

ونبوه

ونبوه من لدن نوح وله الى قبل احد ابنيه الاخر وقالت فرقة المراد ما كان الناس
الا امة واحدة في الضلالة والجهل بالله فاختلفوا فرقا في ذلك بحسب الجهالة
ويحتمل ان يكون المعنى كان الناس صنفا واحدا بالفطرة معدا للاهتداء
واستيفاء القول في هذا متقدم في سورة البقرة في قوله كان الناس امة واحدة
وقرأ الحسن بن ابي الحسن وابو جعفر ونافع وشيبة وابو عمرو لقضي بينهم بضم
القاف وكسر الضاد وقرأ عيسى بن عمر لقضى بفتحها على الفعل الماضي **وقوله** ولولا
كلمة سبقت من ربك يريد قضاءه وتقديره لبني آدم بالآجال الموقتة ويحتمل
ان يريد الكلمة في امر القيامة وان العقاب والثواب انما يكون حينئذ **وقوله**
عز وجل ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه الآية يريدون بقولهم آية من ربه
تضطر الناس الى الايمان وهذا النوع من الآيات لم يأت بها نبي قط ولا هي
المعجزات المعجزات اضطرارية وانما هي معرضة للنظر ليهتدي قوم ويضل آخرون
وقوله فقل انما الغيب لله ان شاء فعل وان شاء لم يفعل لا يطلع على غيبه في ذلك
احد **وقوله** فانتظروا وعيد وقد صدقه الله تعالى بنصره محمدا عليه السلام
قال الطبري في بدر وغيره **وقوله تعالى** واذا اذقنا الناس الآية المراد بالناس
في هذه الآية الكفار وهي بعد تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله عند
زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه وذلك في الناس كثير والرحمة
هنا بعد الضراء كالمطر بعد القحط والامن بعد الخوف والصحة بعد المرض
ونحو هذا مما لا ينحصر والمكر الاستهزاء والطعن عليها من الكفار واطراح الشكر
والخوف من العصاة ووصف مكر الله تعالى بالسرعة وان كان الاستدراج
يمهلهم لانه متيقن به واقع لا محالة وكل آت قريب وقال ابو حاتم قرأ ان رسلنا
بضم السين الجمهور وخففا السين الحسن وابن ابي اسحق وابو عمرو وقال اسرع من
سرع ولا يكون من اسرع يسرع حكى ذلك ابو علي ولو كان من اسرع لكان شاذا
وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نار جهنم لهي اسود من القار وما

حفظ للنبي صلى الله عليه السلام فليس بشاذ وقرا الحسن والاعرج ونافع وقتاده
ومجاهد يمكرون بياء وقرا ابو جعفر وشيبة وابو رجاء وابن ابي اسحق وابن كثير وابن
محيصن تمكرون بتاء على المخاطبة وهي قراءة اهل مكة وشبل وابي عمرو وعيسى
وطلحة وعاصم والاعمش والجحدري وايوب بن المتوكل وروينا ايضا عن نافع والاعرج
قال ابو حاتم قال ايوب بن المتوكل في مصحف ابي يا ايها الناس ان الله اسرع
مكرا وان رسله لديكم يكتبون ما تمكرون قوله عز وجل هو الذي يسيركم
في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها
ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله
مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين هذه الاية تتضمن
تعديد النعمة فيما هي بسبيله من ركوب الناس البحر وركوبه وقت حسن الظن
به للجهاد والحج متفق على جوازه وكذلك لضرورة المعاش بالصيد فيه
او بتصرف التجر واما ركوبه لطلب الغنى والاستكثار فمكروه عند الاكثر
وغاية مبيحه ان يقول وتركه احسن واما ركوبه في ارتجاجه فمكروه
ممنوع وفي الحديث من ركب البحر في ارتجاجه فقد برئت منه الذمة وقال
النبي عليه السلام لا اركبه ابدا وقرا جمهور القراء من السبعة وغيرهم يسيركم
قال ابو علي وهو تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية لان العرب تقول
سرت الرجل وسيرته ومنه قول الهذلي فلا تجزعن من سيرة انت
سرتها فاول راض سيرة من يسيرها ؛ وعلى هذا البيت اعتراض حتى
لا يكون شاهدا في هذا وهو ان يجعل الضمير كالظرف كما تقول سرت الطريق وهذه
قراءة الجمهور من سير وكذلك هي في مصحف ابن مسعود وفي مصحف ابي شيخ وقال
عوف بن ابي جميلة قد كان يقرا ينشركم فغيرها الحجاج بن يوسف يسيركم قال بعض
ان اهل الشام كانوا يقرؤون ينشركم فنظروا في مصحف ابن عفان فوجدوها
يسيركم فاول من كتبها كذلك الحجاج وقرا ابن كثير من بعض طرقه يسيركم

من

من اسار وقرا ابن عامر وحده من السبعة ينشركم بفتح الياء وضم الشين من النشر
والبث وهي قراءة زيد بن ثابت والحسن وابي العالية وابي جعفر وعبد الله بن
جبير بن المطعم وابي عبد الرحمن وشيبة وروي عن الحسن انه قرا ينشركم بضم
الياء وكسر الشين وقال هي قراءة عبد الله قال ابو حاتم اظنه غلط والفلك
جمع فلك وليس باسم واحد للجمع والمفرد ولكنه فعل جمع على فعل ومما يدل على ذلك
قولهم فلكان في التثنية وقراءة ابي الدرداء وام الدرداء في الفلكي على وزن فعلي بياء نسب
وذلك كقولهم اشقري وكدواري في دوار الدهر وكقول الصلتان انا الصلتاني
ومما يدل على ذلك قولهم فلكان في التثنية وقوله وجرين علامة قليل العدد
وقوله بهم خروج من الحضور الى الغيبة وحسن ذلك لان قوله كنتم في الفلك
هي بالمعنى المعقول حتى اذا حصل في السفن والريح اذا افردت فعرفها ان تستعمل
في العذاب والمكروه لاكنها لا تحسن في البحر ان تكون الا واحدة متصلة لا
نشر افنيت المفردة بالطيب فخرجت عن ذلك العرف وبرع المعنى وقرا ابن ابي
عبلة جاءتهم ريح عاصف والعاصف الشديدة من الريح يقال اعصفت الريح
وقوله وظنوا على بابه في الظن لكنه ظن غالب مفزع بحسب انه في محذور
وقوله دعوا الله اي نسوا الاصنام والشركاء وجردوا الدعاء لله وذكر
الطبري في ذلك عن بعض العلماء حكاية قول العجم هيا شراهيا ومعناه يا حي يا قيوم
قال الطبري جواب قوله حتى اذا كنتم في الفلك جاءتها ريح عاصف وجواب
ولما وظنوا انهم قد احيط بهم دعوا الله مخلصين قوله عز وجل
فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون يبغون يفسدون
ويكفرون والبغي التعدي والاعمال الفاسدة واكد ذلك بقوله بغير الحق ثم
ابتدا بالزجر وذم البغي او جلوظ وقوله متاع الحياة رفع وهذه قراءة الجمهور
وذلك على خبر الابتداء والمبتدا بغيكم ويصح ان يرتفع متاع على خبر ابتداء مضمر

تقديره ذلك متاع او هو متاع وخبر البغي قوله على انفسكم وقرا حفص عن عاصم
وهرون عن ابن كثير وابن ابي اسحق متاع بالنصب وهو مصدر في موضع الحال
من البغي وخبر البغي على هذا محذوف تقديره مذموم او مكروه او نحو هذا ولا يجوز
ان يكون الخبر قوله على انفسكم لانه كان يحول بين المصدر وما يعمل فيه اجنبي ويصح
ان ينتصب متاع بفعل مضمر تقديره تمتعون متاع الحياة الدنيا وقرا ابن ابي اسحق
متاعا الحياة بالنصب فيهما ومعنى الاية انما بغيكم وافسادكم مضر لكم وهو
في حالة الدنيا ثم تلقون عقابه في الاخرة قال سفين بن عيينة انما بغيكم على انفسكم
متاع الحياة الدنيا اي تعجل لكم عقوبته في الحياة الدنيا وعلى هذا قالوا البغي
يصرع اهله **قال القاضي ابو محمد** رضي الله عنه وقالوا الباغي مصروع قال الله
تعالى ومن بغي عليه لينصرنه الله وقرات فرقة فينبئكم على ضمير الغائب والمراد
الله عز وجل **قوله عز وجل** انما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السما
فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها
وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها
حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون المعنى انما تمثيل
تفاخر الحياة الدنيا وزينتها بالمال والبنين اذ مصير ذلك الى الفنا كمطر نزل من
السما فاختلط ووقف ههنا بعض القرا على معنى فاختلط الما بالارض ثم استانف
به نبات الارض على الابتدا والخبر المقدم ويحتمل على هذا ان يعود الضمير في به على
الما او على الاختلاط الذي يتضمنه القول ووصلت فرقة فرفع النبات على ذلك بقوله
اختلط اي اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الما **وقوله** مما ياكل الناس
يريد الزرع والاشجار ونحو ذلك **وقوله** والانعام يريد سائر العشب المرعي
واخذت الارض لفظة كثرت في مثل هذا كقوله خذوا زينتكم والزخرف
التزين بالالوان وقد يجي الزخرف بمعنى الذهب اذ الذهب منه وقرا مروان
بن الحكم وابو جعفر والشعبي وشيبة ومجاهد والجمهور وازينت اصله

تزينت

تزينت سكنت التا لتدغم فاحتيج الى الف الوصل وقرا ابن مسعود والاعمش وابي
بن كعب وتزينت وهذه اصل قراة الجمهور وقرا الحسن وابو العالية والشعبي
ونصر بن عاصم وعيسى وازينت على معنى حضرت زينتها كما تقول احصد الزرع
وقرات فرقة وازيانت على مثال افعالت وقال عوف بن ابي جميلة كان اشياخنا
يقرونها وازيانت النون شديدة والف ساكنة قبلها وهي قراة ابي عثمن النهدي
وقرات فرقة وازيانت وهي لغة منها **قول الشاعر** اذا ما الهوادي بالعبيط
احمارت **:** وقرات فرقة وازاينت والمعنى في هذا كله ظهرت زينتها
وقوله وظن اهلها على بابها والضمير في عليها عايد على الارض والمراد ما فيها من نعمة
ونبات وهذا الكلام فيه تشبيه جملة امر الحياة الدنيا بهذه الجملة الموصوفة
احوالها وحتى غاية وهي حرف ابتدا لدخولها على اذا ومعناها متصل الى قوله
قادرون عليها ومن بعد ذلك بدا الجواب والامر الاتي واحد الامور كالريح
والصر والسموم ونحو ذلك وتقسيمه ليلا او نهارا تنبيه على الخوف وارتفاع
الامن في كل وقت وحصيدا فعيل بمعنى مفعول عبر بحصيد عن التالف الهالك
من النبات وان لم يهلك بحصاد اذ الحكم فيها واحد وكان الاخبار عنه حرق قبل
او انه **وقوله** كان لم تغن اي كان لم تنعم ولم تنضر ولم تعمر بغضارتها وقرا
قتادة يغن بالياء من تحت يعني الحصيد وقرا مروان كان لم تتغن بتاءين مثل
تتفعل والمغاني المنازل المعمورة ومنه **قول الشاعر** وقد نغنى به ونرى
عصورا بها يقتدننا الخرد الخدالا وفي مصحف ابي بن كعب
كان لم تغن بالامس وما كان الله ليهلكها الا بذنوب اهلها وقرا ابو الدرداء لقوم
يتذكرون ومعنى الاية التحذير من الاغترار بالدنيا اذ هي معرضة للتلف
وان يصيبها ما اصاب هذه الارض المذكورة بموت او غيره من رزايا الدنيا
وخص المتفكرين بالذكر تشريفا للمنزلة وليقع التسابق الى هذه الرتبة **قوله
عز وجل** والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط مستقيم

للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من
الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون نصب هذه الآيات الدعاء الى الشرع عام في كل بشر والهداية التي
هي الارشاد مختصة بمن قدر ايمانه والسلام قيل هو اسم الله عز وجل فالمعنى يدعوا
الى داره التي هي الجنة واضافها اليه هي اضافة ملك الى مالك وقيل السلام بمعنى
السلامة اي من دخلها ظفر بالسلامة وامن الفناء والآفات وهذه زيادة في
المعتزلة وقد وردت في دعوة الله عباده احاديث منها رؤيا النبي عليه السلام
اذ راى في نومه جبريل وميكائيل ومثلا دعوة الله ومحمدا الداعي والملة المدعو
اليها والجنة التي هي ثمرة الغفران لما دبه يدعوا الناس ملك الى منزله وقال قتادة
في كلامه على هذه الآية ذكر لنا ان في التوراة مكتوبا يا باغي الخير هلم ويا باغي
الشر اقصر وقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة الآية قالت فرقة
هي الجمهور الحسنى الجنة والزيادة النظر الى الله عز وجل وروي في نحو ذلك حديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم رواه صهيب وروي هذا القول عن ابي بكر الصديق
وحذيفة وابي موسى الاشعري وعامر بن سعد وعبد الرحمن بن ابي ليلى وروي
عن علي ابن ابي طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وقالت فرقة
الحسنى هي الحسنة والزيادة هي تضعيف الحسنات الى سبعمائة فدونها
حسبما ورد في نص الحديث وتفسير قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء وهذا
قول يعضده النظر ولولا عظم القائلين بالقول الاول لترجح هذا القول وطريق
ترجيحه ان الآية تتضمن اقترانا بين ذكر عمال الحسنات وعمال السيئات فوصف
المحسنين بان لهم على احسانهم حسنى وزيادة من جنسها مبالغة اذ هي عشرة
وقال الطبري الحسنى عام في كل حسنى فهي تعم جميع ما قيل ووعد الله في جميعها
بالزيادة ويؤيد ذلك قوله اولئك اصحاب الجنة ولو كان معنى الحسنى الجنة

لكان

لكان في الكلام تكرير المعنى على ان هذا ينفصل عنه بانه وصف المحسنين بان
لهم الجنة وانهم لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ثم قال اولئك اصحاب الجنة على
جهة المدح لهم اي اولئك مستحقوها واصحابها حقا وباستيجاب ويرهق معناه
يغشى مع علية وتضييق والقتر الغبار المسود ومنه قول الشاعر
متوج برداء الملك يتبعه موج ترى فوقه الرايات والقترا وقرا الحسن
وعيسى بن عمر والاعمش وابو رجا قتر بسكون التاء وقوله والذين كسبوا
السيئات الآية اختلف النحويون في رفع الجزاء ثم هو فقالت فرقة التقدير لهم
جزاء سيئة بمثلها وقالت فرقة التقدير جزاء سيئة كائن بمثلها وقالت فرقة
التقدير جزاء سيئة مثلها والباء زائدة ويتوجه ان يكون رفع الجزاء على الابتداء وخبره
في الذين لان الذين معطوف على قوله للذين احسنوا فكانه قال وللذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها وعلى الوجوه الاخر فقوله والذين كسبوا رفع بالابتداء ويعم السيئات
ها هنا الكفر والمعاصي فمثل سيئة الكفر التخليد في النار ومثل سيئة المعاصي
مصروف الى مشيئة الله تعالى والعاصم المنجي والمجير ومنه قوله الى جبل يعصمني
من الماء واغشيت كسيت ومنه الغشاوة والقطع جمع قطعة وقرا ابن
كثير والكسائي قطعا من الليل بسكون الطاء وقرا الباقون بفتح الطاء والقطع
الجزء من الليل ومنه قوله فاسر باهلك بقطع من الليل وهذا يراد به الجزء
من زمن الليل وفي هذه الآية يراد الجزء من سواده ومظلما نعت لقطع ويجوز
ان يكون حالا من الذكر الذي في قوله من الليل فاذا كان نعتا فكان حقه ان
يكون قبل الجملة ولكن قد يجي بعدها وتقدير الجملة قطعا استقر من الليل مظلما
على نحو قولك وهذا كتاب انزلناه مبارك ومن قرا قطعا على جمع قطعة
فنصب مظلما على الحال من الليل والعامل في الحال من اذ هي العامل في ذي
الحال وقرا ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم وقرا ابن
ابي عبلة قطع من الليل مظلم بحرك الطاء قطع قوله عز وجل

ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم
وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن
عن عبادتكم لغافلين هنالك تتلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم
الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والحسن
وشيبه وغيرهم نحشرهم بالنون وقرات فرقة يحشرهم بالياء والضمير في يحشرهم
عايد على جميع الناس محسنين ومسيئين ومكانكم نصب على تقدير الزموا مكانكم
وذلك مقترن بحال شدة وخزي ومكانكم في هذا الموضع من اسما الافعال
التي معناها قفوا واسكتوا وهذا خبر من الله تعالى عن حاله تكون لعبدة
الاوثان يوم القيامه يومرون بالاقامة في موقف الخزي مع اصنامهم
ثم ينطق الله الاصنام بالتبري منهم **وقوله** وشركاؤكم اي الذين تزعمون
انتم انهم شركا لله فاضافهم اليهم لان كونهم شركا انما هو بزعمهم ولا **وقوله**
فزيلنا بينهم معناه فرقنا في الحجة والمذهب وهو من زلت الشي عن الشي
ازيله وهو من تضعيف مبالغة لا تعديه وكون مصدره زيلا تزيلا يدل على ان
زيل انما هو فعل لا فيعل لان مصدره كان يجي على فيعلة وقرات فرقة فزايلنا
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الكفار اذا راوا العذاب وتقطعت
بهم الاسباب قيل لهم اتبعوا ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد هاولا
فتقول الاصنام والله ما كنا نسمع ولا نعقل وما كنتم ايانا تعبدون
فيقولون والله لاياكم كنا نعبد فتقول الالهه فكفى بالله شهيدا الايه
وظاهر هذه الايات ان محاورتهم انما هي مع الاصنام دون الملائكة وعيسى
بن مريم بدليل القول لهم مكانكم انتم وشركاؤكم ودون فرعون ومن عبد
من الجن بدليل قولهم ان كنا عن عبادتكم لغافلين وهاولا لم يغفلوا قط عن عبادة
من عبدهم وانتم رفع بالابتدا والخبر مهانون او موبخون ونحوه ان يكون انتم تاكيد
للضمير الذي في الفعل المقدر الذي هو قفوا وشهيدا نصب على التمييز وقيل

على

للحال وان هذه عند سيبويه هي مخففة موجبة حرف ابتدا ولزمتها اللام
فرقا بينها وبين ان النافيه وقال الفرا ان بمعنى ما واللام بمعنى الا وهنالك
نصب على الظرف قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر تبلوا
بالبا واحده بمعنى تختبر وقرا حمزه والكسائي تتلوا بالتا نقطتين من فوق
بمعنى تتبع ان تطلب وتتبع ما اسلفت من اعمالها ويصح ان يكون بمعنى تقرا كتبها
التي تدفع اليها وقرا يحيى بن وثاب وردوا بكسر الرا والجمهور ردوا الى الله
ردوا الى عقاب ما لكهم وشديد باسه فهو مولاهم في الملك والاحاطة لا في الرحمه
والنصره ونحوه **قوله عز وجل** قل من يرزقكم من السما والارض ام
من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد
الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم
لا يومنون هذا توقيف وتوبيخ واحتجاج ولا محيد عن التزامه ومن السما
يريد بالمطر ومن الارض يريد بالانبات ونحو ذلك ويملك السمع والابصار
لفظ يعم جملة الانسان ومعظمه حتى ان ما عداها تبع ويخرج الحي من الميت
الجنين من النطفه والطاير من البيضه والنبات من الارض اذ له نمو شبيه
بالحياة ويخرج الميت من الحي مثل البيضه من الطاير ونحو ذلك وقد تقدم
ما سلف العلماء القول في هذه المعاني ويدبر الامر عام لهذا وغيره من جميع
الاشيا وذلك استقامة الامور كلها على ارادته عز وجل وليس تدبيره بفكره
وروية وتغييرات تعالى عن ذلك فسيقولون الله لا مندوحة لهم عن ذلك
ولا يمكنهم المباهته بسواه فقد اقروا اذ لك فقل افلا تتقون في افترائكم وجعلكم
الاصنام الهه **وقوله تعالى** فذلكم الله ربكم الايه يقول فهذا الذي هذه
صفاته ربكم الحق الذي يستوجب العباده والالوهيه واذا كان ذلك
فتشريك غيره ضلال وغير حق وعبادته الترك سو وهذه المعاني تفوق كل

بفسر براعة وايجازا ووضوحا وحكمت هذه الاية بانه ليس بين الحق والضلال
منزلة ثالثة في هذه المسالة التي هي توحيد الله تعالى وكذلك هو الامر في نظايرها
وهي مسايل الاصول التي الحق فيها في طرف واحد لان الكلام فيها انما هو في تقرير
وجود ذات كيف هي وذلك بخلاف مسايل الفروع التي قال الله تعالى فيها لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال النبي عليه السلام الحلال بين والحرام بين
وبينهما امور متشابهات والحق في هذه الطرق نزلان المتعبدين انما طلبوا بالاجتهاد
لا بعين في كل نازلة ويدلك على ان الحق في طرفين اختلاف الشرايع بتحليل وتحريم
في شي واحد والكلام في مسايل الفروع انما هو في احكام طارية على وجودات
متقررة لا اختلاف فيها وانما الاختلاف في الاحكام المتعلقة بالمشرع **وقوله** فانى
تصرفون تقريرا كما قال فاين تذهبون ثم قال كذلك حقت كلمة ربك على الذين
فسقوا انهم لا يومنون اي كما كانت صفات الله كما وصف وعبادته واجبة
كما تقرر وانصرافهم لا كما قدر عليهم وكسبوا كذلك حقت وقرا ابن كثير وابو
عمرو وعاصم وحمزة والكساي هنا وفي اخر السورة كلمة على الافراد الذي يراد
به الجمع كما يقال للقصيدة كلمة تعبيرا عن وعيد الله تعالى بكلمه وقرا نافع وابن
عامر في الموضعين المذكورين كلمات وهي قراة ابي جعفر وشيبة بن نصاح
وهذه الاية اشارة الى الكفار من حتم الله تعالى كفره وقضى بخلوده وقرا ابن
ابي عبلة انهم بكسر الالف **قوله عز وجل** قل هل من شركايكم من
يبدا الخلق ثم يعيده قل الله يبدا الخلق ثم يعيده فانى توفكون قل هل من
شركايكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان
يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا
ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيا ان الله عليم بما تفعلون هو ايضا توقيف على
قصور الاصنام وعجزها وتنبيه على قدرة الله عز وجل ويبدا الخلق يريد انشا
الانسان اول مرة واعادته هي البعث من القبور وتوفكون معناه تصرفون

وتحرمون

وتحرمون تقول العرب ارض مافوكة اذا لم يصبها مطر فهي بمعنى الخيبة
والقلب كما قال والموتفكة اهوى **وقوله تعالى** قل هل من شركايكم
من يهدي الاية يهدي الى الحق يريد يبين طرق الصواب ويدعو الى
العدل ويفصح بالايات ونحو هذا ووصف الاصنام بانها لا تهدي
الا ان تهدى ونحن نجدها لا تهتدي وان هديت فوجه ذلك انه عامل
في العبارة عنها معاملتهم في وصفها باوصاف من يعقل وذلك مجاز
وموجود في كثير من القران ذكر ذلك ابو علي الفارسي والذي اقول ان قراة حمزة
والكساي تحتمل ان يكون المعنى امن لا يهدي احدا الا ان يهدى ذلك
الاحد بهداية من عند الله واما على غيرها من القراات التي مقتضاها امن
لا يهتدي الا ان يهدى فيتجه المعنى على ما تقدم لابي علي الفارسي وفيه تجوز
كثير وقال بعضهم هي عبارة عن انها لا تنتقل الا ان تنقل ويحتمل ان يكون ما
ذكر الله من تسبيح الجمادات هو اهتداوها ويحتمل ان يكون الاستثنا
في اهتدايها الى مدة اكرة الكفار يوم القيامة حسب ما مضى في هذه السورة
وقراة حمزة والكساي من يهدي بفتح اليا وسكون الها وقرا نافع وابو عمرو وشيبة
والاعرج وابو جعفر يهدي بسكون الها وتشديد الدال وقرا ابن كثير وابن عامر
يهدي بفتح اليا والها وهذه افصح القراات نقلت حركة التا من يهتدي الى الها
وادغمت التا في الدال وهذه رواية ورش عن نافع وقرا عاصم في رواية حفص يهدي
بفتح اليا وكسر الها وشد الدال اتبع الكسرة الكسرة وقرا عاصم في رواية ابي بكر يهدي
بكسر اليا والها وشد الدال وهو ايضا اتباع وقال مجاهد الله يهدي من
الاوثان وغيرها ما شا وهذا ضعيف وقرا يحيى بن الحرث الذماري الا ان يهدا
بفتح الها وشد الدال ووقف القرا فما لكم ثم يبتدا كيف تحكمون **وقوله** وما يتبع
اكثرهم الاية اخبر عن فساد طريقتهم وضعف نظرهم وانه ظن ثم بين
منزلة الظن من المعارف وبعده من الحق والطرح في هذه الاية على بابه في انه

معرفة المعلوم على ما هو به وهذه الشروط لا يغني الظن من الحق شيئا واما
في طريق الاحكام التي تعبد الناس بظواهرها فيغني في تلك الحقائق وبعرف من
طريق الخبر والشهادة انما هي مظنونة وكذلك التهم في الشهادات وغيرها
يغني وليس المراد في هذه الاية هذا النمط وقرا جمهور الناس يفعلون وقرا
عبد الله بن مسعود تفعلون على مخاطبة الحاضرة **قوله عز وجل** وما
كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين هذا نفي قول من قال
من قريش ان محمدا افترى القران وينسبه الى الله تعالى وعبر عن ذلك بهذه
الالفاظ التي تتضمن تشنيع قولهم واعظام الامر كما قال تعالى وما كان لنبي ان يغل
وكما قال حكاية عن عيسى عليه السلام ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ونحو هذا
مما يعطي المعنى والقرائن والبراهين استحالته ويفترى معناه يختلق وينشأ كان
المرء يفريه من حديثه اي يقطعه ويسمه بسمة فهو مشتق من فريت اذا
قطعت لاصلاح وتصديق نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر وقال
الزجاج هو خبر كان مضمرة والتقدير ولكن كان تصديق الذي بين يديه
وقوله الذي بين يديه يريد التوراة والانجيل والذي بين اليد هو المتقدم
المسمى وقالت فرقة في هذه الاية ان الذي بين يديه هو اشراط الساعة
وما ياتي من الامور وهذا خطا والامر بالعكس كتاب الله تعالى بين يدي تلك
اما ان الزجاج خلط فقال الضمير يعود على الاشراط والتقدير ولكن تصديق
الذي بين يدي القران وهذا ايضا قلق وقيام البرهان على قريش حسبما كان
في ان يصدق القران ما في التوراة والانجيل مع ان الاتي بالقران ممن يقطعون
انه لم يطالع تلك الكتب ولا هي في بلده ولا في قومه وتفصيل الكتاب هو
تبيينه ولا ريب فيه يريد هو في نفسه على هذه الحالة وان ارتاب مبطل

فذلك

فذلك لا يلتفت اليه **وقوله** ام يقولون افتراه الاية ام هذه ليست
بالمعادلة لالف الاستفهام التي في قولك ازيد قام ام عمرو وانما هي التي
تتوسط الكلام ومذهب سيبويه انها بمنزلة الالف وبل لانها تتضمن
استفهاما واضرابا عما تقدم وهي كقوله انها لابل ام شاء وقالت فرقة
في ام هذه هي بمنزلة الف الاستفهام ثم عجزهم في قوله قل فاتوا بسورة
مثله فالسورة ماخوذة من سور البناء وهي من القران هذه القطعة التي لها
مبدا وختم والتحدي في هذه الاية وقع بجهتي الاعجاز اللتين في القران
احدهما النظم والرصف والايجاز والجزالة والاخرى المعاني من
الغيب لما مضى ولما يستقبل وحين تحداهم بعشر مفتريات انما تحداهم
بالنظم وحده هكذا قول جماعة من المتكلمين وفيه عندي نظر وكيف يجيء التحدي
بمماثلة في الغيوب ردا على قولهم افتراه وما وقع التحدي في الايتين هذه
وايه العشر الا بالنظم والرصف وما الزموا قط اتيانا بغيب لان التحدي
بالاعلام بالغيوب كقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وكقوله لتدخلن
المسجد الحرام ونحو ذلك من غيوب القران فبين ان البشر مقصر عن ذلك
واما التحدي بالنظم فبين ايضا ان البشر مقصر عن نظم القران اذ الله عز
وجل قد احاط بكل شيء علما فاذا ترتبت اللفظة من القران علم بالاحاطة اللفظة
التي هي اليق بها في جميع كلام العرب حتى كمل القران على هذا النظام الاول
فالاول والبشر مع ان نفرض احدهم العالم محفوف بنسيان وجهل وغلط
وافات بشرية فمحال ان يمشي في اختياره على الاولى فالاولى ونحن نجد
العربي ينقح قصيدته وهي الحوليات فيبدل فيها ويقدم ويؤخر ثم تدفع تلك
القصيدة الى افصح منه فيزيد في التنقيح ومذهب اهل الصرفة مكسور
بهذا الدليل فما كان قط في العالم الامر كان فيه تقصر ومن فصحاء العرب
هذا القدر من القران وانما عنت له لصحة نظرها وخلوص سليقتها ولم

يعرف بعضهم كلام بعض ويميزه من غيره كفعل الفرزدق في ابيات جرير والجارية
في شعر الاعشى وقول الاعرابي في عرفجكم فقطع ونحو ذلك مما اذا تتبع بان
والقدر المعجز من القران ما جمع الجهتين اطراد النظم والسرد وتحصيل المعاني
وتركيب الكثير منها في اللفظ القليل فاما مثل قوله تعالى مدهامتان وقوله
ثم نظر فلا يصح التحدي بالاتيان بمثله ولكن بانتظامه واتصاله يقع العجز عنه
قوله مثله صفة للسورة والضمير عائد على القران المتقدم الذكر كانه قال
فاتوا بسورة مثل القران اي في معانيه والفاظه وخلطت فرقة في قوله
مثله من جهة اللسان كقول الطبري ان ذلك على المعنى ولو كان على اللفظ
لقال مثلها وهذا وهم بين لا يحتاج اليه وقرا عمرو بن فايد بسورة مثله على
الاضافة قال ابو الفتح بسورة كلام مثله قال ابو حاتم امر عبد الله الاسود
ان يسئل عمرا عن اضافة بسورة او تنوينها فقال لي عمرو كيف شئت **قوله**
من استطعتم احالة على شركائهم وحجتهم وغير ذلك وهو كقوله في
الاية الاخرى لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا وهذا اشد
اقامة لنفوسهم واصح تعجيزا لهم **قوله عز وجل** بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به وربك اعلم بالمفسدين
وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم
من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون المعنى ليس الامر كما قالوه
في انه مفترى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وهذا اللفظ يحتمل معنيين احدهما
ان يريد بما الوعيد الذي توعدهم الله على الكفر وتاويله على هذا يريد به ما يؤول
اليه امره كما هو في قوله هل ينظرون الا تاويله والاية بجملتها على هذا التاويل
تتضمن وعيدا والمعنى الثاني انه اراد بل كذبوا بهذا القران العظيم المنبي

بالغيوب الذي لم يتقدم لهم به معرفة ولا احاطوا بعلم غيوبه وحسن نظمه
ولا جاءهم تفسير ذلك وبيانه والذين من قبلهم يريد من سلف من امم الانبياء
قال الزجاج كيف في موضع نصب على خبر كان ولا يجوز ان يعمل فيه انظر لان
ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه وهذا قانون النحويين لانهم عاملوا كيف في كل
مكان معاملة الاستفهام المحض في قولك كيف زيد ولكيف تصرفات غير هذا
تحل محل المصدر الذي هو كيفية وتخلع معنى الاستفهام وتحتمل هذا الموضع
ان يكون منها ومن تصرفاتها قولهم كن كيف شئت وانظر قول البخاري كيف كان
بدء الوحي فانه لم يستفهم وذكر الفعل المسند الى العاقبة لما كانت بمعنى المال
ونحوه وليس تانيثها حقيقيا **قوله تعالى** ومنهم من يومن به الاية الضمير في
منهم عائد على قريش ولهذا الكلام معنيان قالت فرقة معناه من هولاء القوم
من سيومن في المستقبل ومنهم من حتم الله انه لا يومن به ابدا وقالت فرقة
معناه ومن هولاء القوم من هو مومن بهذا الرسول الا انه يكتم ايمانه ويعلم ان
نبوة محمد واعجاز القران حق حفظا لرياسته او خوفا من قومه كالفتية الذين
خرجوا الى بدر مع الكفار فقتلوا وانزل فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم
وكالعباس ونحو هذا ومنهم من ليس بمومن وفايدة الاية على هذا التاويل التفريق
لكلمة الكفار واضعاف نفوسهم وان يكون بعضهم على وجل من بعض وفي قوله وربك
اعلم بالمفسدين تهديد ووعيد **قوله** وان كذبوك الاية منابذة لهم ومتاركة
وفي ضمنها وعيد وتهديد وهذه الاية نحو قوله قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة
وقال كثير من المفسرين منهم ابن زيد هذه الاية منسوخة بالقتال لان هذه
مكية وهذا صحيح **قوله تعالى** ومنهم من يستمعون اليك جمع يستمعون على
معنى من لا على لفظها ومعنى الاية ومن هولاء الكفار من يستمع الى ما ياتي به
من القران باذنه ولكنه حين لا يومن ولا يحصل فكانه لا يسمع ثم قال على جهة
التسلية للنبي عليه السلام فانت يا محمد تريد ان تسمع الصم اي لا تكترث

بذلك وقوله ولو كانوا لا يعقلون معناه ولو كانوا في اشد حالات الاصم
الذي لا يسمع شيئا جاهل فذلك لا يكون في الاغلب الا مع فساد العقل والدماغ
فلا سبيل ان يعقل حجة ولا دليلا ابدا ولم هذه بمعنى ان وهذا توقيف للنبي عليه
السلام اي ان تلزم نفسك هذا وقوله ومنهم من ينظر اليك الاية هي اخت الاولى في
المعنى وجا ينظر على لفظ من واذا جا الفعل على لفظها فجائز ان يعطف عليه اخر
على المعنى واذا جا اولا على معناها فلا يجوز ان يعطف باخر على اللفظ لان الكلام
ملتبس حينئذ وهذه الاية اخت الاولى في المعنى كانه قال ومنهم من ينظر اليك
ببصره لكنه لا يعتبر ولا ينظر ببصيرته فهو لذلك كالاعمى فهون ذلك عليك
افتريد ان تهدي العمي والهداية اجمعها هي بيد الله تعالى عز وجل قوله
عز وجل ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ويوم
يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا
مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون قرات فرقة ولكن الناس بتخفيف لكن
ورفع الناس وقرات فرقة ولكن مشددة لكن ونصب الناس وظلم
الناس لانفسهم انما هو بالتكسب منهم الذي قارن لخلق الله تعالى لافعالهم
وعرف لكن اذا كانت مثقلة واوان تثقل واذا عريت من الواو ان تخفف وقد يخرم
هذا وقال الكوفيون قد يدخل اللام في خبر لكن المشددة على حد دخولها في
ان ومنع من ذلك البصريون وقوله تعالى ويوم يحشرهم الاية وعيد بالحشر
وخزيهم فيه وتعارفهم في التلاوم بعضهم لبعض ويوم ظرف ونصبه يصح
بفعل مضمر تقديره واذكر يوم ويصح ان ينتصب بالفعل الذي يتضمنه قوله
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار ويصح نصبه بيتعارفون والكاف من
قوله كان يصح ان تكون في معنى الصفة لليوم ويصح ان يكون قوله كان لم يلبثوا
في موضع الحال من الضمير في يحشرهم وخص النهار بالذكر لان ساعاته وقسمه

منهم صح

معروفة

معروفة بينة للجميع فكان هاولا يحتقرون قبله ما لبثوا اذ كل امد طويل اذا انقضى
فهو واليسير سوا واما قوله يتعارفون فيحتمل ان يكون معادلا لقوله ويوم
يحشرهم كانه اخبر انهم يوم الحشر يتعارفون وهذا التعارف على جهة التلاوم
والخزي من بعضهم لبعض ويحتمل ان يكون في موضع حال من الضمير في نحشرهم ويكون
معنى التعارف كالذي قبله ويحتمل ان يكون حالا من الضمير في يلبثوا ويكون التعارف
في الدنيا ويجي معنى الاية ويوم نحشرهم للقيامة ينقطع المعرفة بينهم
والاسباب ويصير تعارفهم في الدنيا كساعة من النهار لا قدر لها وبنحو
هذا المعنى فسر الطبري وقرا السبعة وجمهور الناس نحشرهم بالنون وقرا
الاعمش فيما روي عنه يحشرهم بالياء وقوله قد خسر الذين كذبوا
الى اخرها حكم على المكذبين بالخسران وفي اللفظ اغلاظ على المحشورين واظهار
لما هم عليه من الغرر مع الله وهذا على ان الكلام اخبار من الله تعالى وقيل
انه من كلام المحشورين على جهة التوبيخ لانفسهم وقوله واما نرينك
الاية اما شرط وجوابه فالينا والرويه في قوله نرينك رويه بصر وقد عدي
الفعل بالهمزة فلذلك تعدى الى مفعولين احدهما الكاف والاخر بعض والاشارة
بقوله بعض الذي الى عقوبة الله لهم نحو بدر وغيرها ومعنى هذه الاية الوعيد
بالرجوع الى الله تعالى اي ان اريناك عقوبتهم او لم نركها فهم على كل حال
راجعون الينا الى الحساب والعذاب ثم مع ذلك والله شهيد من اول خلقهم
على جميع اعمالهم وثم هاهنا لترتيب الاخبار لا لترتيب القصص في انفسها
واما هي ان زيدت عليها ما ولاجلها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت
ان وحدها لم تجز وقوله عز وجل ولكل امة رسول فاذا جا رسولهم
قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شا الله لكل امة اجل اذا جا
اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله ولكل امة رسول

ف

على امر

اخبار مثل قوله تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا
بلى وقال مجاهد وغيره المعنى فاذا جا رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم
صير قوم للجنة وقوم للنار فذلك القضا بينهم بالقسط وقيل المعنى فاذا جاهم
رسولهم في الدنيا وبعث صاروا من حكم الله بالعذاب لقوم والمغفرة لاخرين
لغاياتهم فذلك قضا بينهم بالقسط وقرن بعض المتاولين هذه الاية بقوله وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا وذلك يتفق اما بان تحمل معذبين في الاخرة واما
ان تحمل القضا بينهم حيث يصح استثنا الاتيان **وقوله** ويقولون متى هذا
الوعد اي يستبعدون الضمير في يقولون يراد به الكفار وسوالهم عن الوعد
تحرير منهم في الحجة اي هذا العذاب الذي يوعدنا حدد لنا وقته لنعلم الصدق
في ذلك من الكذب وقال بعض المفسرين قولهم هذا على جهة الاستخفاف وهذا
لا يظهر من اللفظ ثم امره تعالى ان يقول لهم لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا
ما شا الله المعنى قل لهم يا محمد ردا للحجة اي لا املك لنفسي من دون الله ضرا ولا نفعا
ولا انا الا في قبضة سلطانه وبغض الحاجة الى لطفه فاذا لست هكذا فاحرى
الا اعرف غيبه ولا اتعاطى شيئا من امره ولكن لكل امة اجل انفرد الله
تعالى بعلم حده ووقته فاذا جا ذلك الاجل في موت او هلاك امة لم يتاخروا
ساعة ولا امكنهم التقدم عن حد الله عز وجل وقرا ابن سيرين اجالهم بالجمع
وقوله عز وجل قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل
منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل
للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك احق
هو قل اي وربي انه لحق وما انتم بمعجزين المعنى قل يا ايها الكفرة المستعجلون
عذاب الله عز وجل ارايتم ان اتاكم عذابه ليلا وقت المبيت يقال بيت
القوم القوم اذا طرقوهم ليلا بالحرب اي طرقوها او نهارا الكم منه منجا او
به طاقة فماذا تستعجلون منه وانتم لا قبل لكم به وما اشد و[illegible]

ويجوز

ويجوز ان تكون ماذا بمنزلة ما ذا بمنزلة اسم واحد في موضع رفع بالابتدا
وخبره الجملة التي بعده وضعف هذا ابو علي وقال انما يجوز ذلك على تقدير
اضمار في يستعجل وحذفه كما قال كله لم اصنع وزيد ضربت قال ويجوز
ان تكون ماذا في حال نصب بيستعجل والضمير في منه يحتمل ان يعود على الله
عز وجل ويحتمل ان يعود على العذاب **وقوله** اثم اذا ما وقع الاية اذا وقع
العذاب وعاينتموه امنتم حينيذ وذلك غير نافعكم بل جوابكم الان وقد كنتم
تستعجلونه مكذبين به وقرا طلحة بن مصرف اثم بفتح الثا وقال الطبري
في قوله اثم بضم الثا ان معناه اهنالك وليست ثم التي تاتي بمعنى العطف **قال
القاضي ابو محمد** والمعنى صحيح على اثم المعروفة ولكن اطباقه على لفظ
التنزيل هو كما قلنا وما ادعاه الطبري غير معروف والان عند بعض النحاة
اسم فعل ماض دخلت عليه الالف واللام على حدها في قوله الحمار اليجدع
ولم يتعرف بذلك الا التعريف ولكنها لفظة متضمنة معنى حرف
التعريف ولذلك بنيت على الفتح لتضمنها معنى الحرف ولوقوعها موقع
المبهم لان معناه هذا الوقت وقراها الاعمش وابو عمرو وعاصم والجمهور
الان بالمد والاستفهام على حد التوبيخ وكذلك الان وقد عصيت وقراها
باستفهام بغير مد طلحة والاعرج **وقوله تعالى** ثم قيل للذين ظلموا الاية
هذا الوعيد الاعظم بالخلود لاهل الظلم الاخص الذي هو ظلم الكفر لا ظلم
المعصية **وقوله** هل تجزون توقيف وتوبيخ ونصت هذه الاية على ان الجزا
في الاخرة هو على تكسب العبد **وقوله** ويستنبئونك معناه يستخبرونك
وهي على هذا تتعدى الى مفعولين احدهما الكاف والاخر في الابتدا والخبر
وقيل هو بمعنى يستعلمونك فهي على هذا تحتاج الى مفعولين ثلاثة احدهم
الكاف والابتدا والخبر يسد مسد المفعولين واحق هو قيل الاشارة الى
الشرع والقران وقيل الى الوعيد وهو اظهر وقرا الاعمش الحق هو بمدة وبلام

التعريف وقوله إي هي لفظة تتقدم القسم وهي بمعنى نعم ويجيء بعدها حرف
القسم وقد لا يجيء تقول إي وربي وإي ربي وما هم بمعجزين معناه مفلتين وهذا الفعل
أصله التعدية بحرف لكن كثر فيه حذف المفعول حتى قالت العرب أعجز فلان
إذا ذهب في الأرض فلم يقدر عليه قوله عز وجل ولو أن لكل نفس
ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق
ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون هذا إخبار للكفار
في سياق إخبارهم أن ذلك الوعد حق وأسروا لفظة تجيء بمعنى أخفوا وهي حينئذ
من السر وتجيء بمعنى أظهروا وهي حينئذ من أسارير الوجه قال الطبري المعنى
وأخفاها رؤساؤها ولا الكفار الندامة عن سفلتهم ووضعائهم قال القاضي
أبو محمد بل هو عام في جميعهم وألا استفتاح وتنبيه ثم أوجب أن جميع ما
السموات والأرض ملك لله تعالى قال الطبري يقول فليس لهذا الكافر
يومئذ شيء يفتدي به وربط الآيتين هكذا يتجه على بعد وليس هذا من فصيح
المقاصد وقوله ولكن أكثرهم لا يعلمون قيده بالأكثر لأن بعض الناس
يؤمن فهم يعلمون حقيقته وعد الله تعالى وأكثرهم لا يعلمون فهم لأجل ذلك
يكذبون وقوله هو يحيي يريد يحيي من النطفة ويميت بالأجل وجعل
المرجع إليه بالحشر يوم القيامة وفي وجوه هذه الآيات ما يستدعي الإيمان
وإجابة دعوة الله وقرأ ترجعون بالتاء من فوق الأعرج وأبو عمرو وعاصم
ونافع والناس وقرأ عيسى بن عمر يرجعون بالياء من تحت واختلف عن الحسن
قوله عز وجل يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء
لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون هذه الآية خوطب بها جميع العالم والموعظة
القرآن لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بزجر ويرقق ويوعد ويعد وهذه

صفة

صفة للكتاب العزيز وقوله من ربكم يريد لم يختلقها محمد ولا غيره بل هي من
عند الله تعالى وما في الصدور يريد به الجهل والعتو عن النظر في آيات الله ونحو
هذا مما يدافع الإيمان وجعله موعظة بحسب الناس أجمع وجعله هدى
ورحمة بحسب المؤمنين فقط وهذا تفسير صحيح المعنى إذا تؤمل ما وجهه
وقوله قل بفضل الله وبرحمته الباء متعلقة بمحذوف استغني عن ذكره يدل عليه
قوله وهدى ورحمة قال بعض المتأولين وهو هلال بن يساف وقتادة والحسن
وابن عباس الفضل الإسلام والرحمة القرآن أبو سعيد الخدري الفضل القرآن
والرحمة جعلهم من أهله وقال زيد بن أسلم والضحاك الفضل القرآن والرحمة
الإسلام وقالت فرقة الفضل محمد عليه السلام والرحمة القرآن ولا وجه
عندي لشيء من هذا التخصيص إلا أن يستند شيء منه إلى النبي عليه السلام
وأما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه أن الفضل هو هداية الله تعالى إلى
دينه والتوفيق إلى اتباع الشرع والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها
جزاء على التشرع بالإسلام والإيمان ومعنى الآية قل يا محمد لجميع الناس
بفضل الله وبرحمته فليقع الفرح منكم لا بأمور الدنيا وما يجمع من حطامها
فالمؤمنون يقال لهم فليفرحوا وهم متلبسون بعلة الفرح وسببه ومحصلون
لفضل الله منتظرون لرحمته والكافرون يقال لهم بفضل الله ورحمته فليفرحوا
على معنى أن لو اتفق لكم أو لو سعدتم بالهداية إلى تحصيل ذلك وقرأ أبي بن كعب
وابن القعقاع وابن عامر والحسن على ما زعم هارون وروي عن النبي عليه السلام
فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فيهما على المخاطبة وهي قراءة جماعة من السلف كبيرة
وعن أكثرهم خلاف وقرأ السبعة سوى ابن عامر وأهل المدينة والأعرج
ومجاهد وابن أبي إسحاق وقتادة وطلحة والأعمش وروي عن الحسن فيما زعم
مبارك وقد روي عن مبارك عن الحسن بالتاء من فوق فيهما وبالياء فيهما على ذكر الغائب
وقرأ أبو التياح وأبو جعفر وقتادة بخلاف عنه وابن عامر بالياء في الأولى

وقال صح

وبالتاء في الآخرة وقرأ الحسن ابن أبي الحسن وجماعة من السلف ورويت عن
النبي عليه السلام بالتاء في الأولى وبالياء في الآخرة ورويت عن ابن التياح
وإذا تأملت وجوه ذلك بانت على مهيع الفصيح من كلام العرب ولذلك
كثر الخلاف من كل قارئ وفي مصحف أبي بن كعب فبذلك فافرحوا وأما
من قرأ فلتفرحوا فأدخل اللام في أمر المخاطب وذلك على لغة قليلة حكى ذلك
المهدوي وقال أبو حاتم وغيره الأصل في كل أمر إدخال اللام إذ كان النهي بحرف
فكذلك الأمر وإذ كان أمر الغائب بلام قال أبو الفتح إلا أن العرب رفضت
إدخال اللام في أمر المخاطب لكثرة تردده وقرأ أبو التياح والحسن بكسر
اللام من فليفرحوا فإن قيل كيف أمر الله بالفرح في هذه الآية وقد ورد
ذمه في قوله فرح فخور وفي قوله لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين قيل
إن الفرح إذا ورد مقيدا في خير فليس بمذموم وكذلك هو في هذه الآية
وإذا ورد مقيدا في شر أو مطلقا لحقه ذم إذ ليس من أفعال الآخرة
بل ينبغي أن يغلب على الإنسان حزنه على دينه وخوفه لربه وقوله
مما يجمعون يريد مال الدنيا وحطامها الفاني المردي في الآخرة قوله
عز وجل قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا
قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب
يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه
المخاطبة لكفار العرب الذين جعلوا البحائر والسوائب والنصيب
من الحرث والأنعام وغير ذلك مما لم يأذن به الله وإنما اختلقوه برأيهم
أنزل لفظة فيها تجوز وإنزال الرزق إما أن يكون في ضمن إنزال المطر بالمآل أو
نزول الأمر به الذي هو ظهور الأثر في الحلال ومنه المخترع ثم أمر الله نبيه
بتوقيفهم على أحد القسمين وهم لا يمكنهم ادعاء إذن الله تعالى في ذلك فلم
يبق إلا أنهم افتروه وهذه الآية نحو قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي

اخرج

أخرج لعباده ذكر ذلك الطبري عن ابن عباس وقوله وما ظن الذين يفترون
آية وعيد لما تحقق عليهم بتقسيم الآية التي قبلها أنهم مفترون على الله عظم
في هذه الآية جرم الافتراء أي ظنهم في غاية الرداءة بحسب سوء أعمالهم
ثم ثنى بما يخاف الفضل على الناس في الإمهال لهم مع الافتراء والعصيان
والإمهال داعية إلى التوبة والإنابة ثم استدرك ذكر من لا يرى حق الإمهال
ولا يشكره ولا يبادر فيه على جهة الذم لهم والآية بعد هذا تعم جميع فضل
الله وجميع تقصير الخلق في شكره لا رب غيره قوله عز وجل وما تكون
في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا
إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا
أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون مقصد الآية وصف إحاطة الله
تعالى بكل شيء ومعنى اللفظ وما تكون يا محمد والمراد هو وغيره في شأن من
جميع الشؤون وما تتلو منه الضمير عائد على شأن أي فيه وبسببه من قرآن
ويحتمل أن يعود الضمير على جميع القرآن ثم عم بقوله ولا تعملون من عمل وفي قوله
إلا كنا عليكم شهودا تحذير وتنبيه وتفيضون معناه تأخذون وتنهضون
بجد يقال أفاض الرجل في سيره وفي حديثه ومنه الإفاضة في الحج ومفيض
القداح ويحتمل أن كان عن بالهمزة ويعزب معناه يغيب حتى يخفى قالوا
للبعيد عازب ومنه قول الشاعر عوازب لم تسمع نبوح مقامه
ولم تر نارا تم حول مجرم ∴ وقيل للغائب عن أهله عازب حتى قالوه
لمن لا زوجة له وفي الحديث أن بيت سعد بن خيثمة كان يقال له بيت العزاب
وقرأ جمهور السبعة والناس يعزب بضم الزاي وقرأ الكسائي وحده منهم
يعزب بكسرها وهي قراءة ابن وثاب والأعمش وطلحة بن مصرف قال أبو حاتم
القراءة بالضم والكسر لغة والمثقال الوزن وهو اسم لا صفة كمعطار

حتى ع

ويضراب والذر صغار النمل جعلها الله تعالى مثالا اذ لا يعرف في الحيوان
في الحيوان المتعدي المتناسل المشهور النوع والمواضع اصغر منه وقرا جمهور
الناس واكثر السبعة ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء عطفا على ذرة في موضع
خفض لكن منع من ظهوره امتناع الصرف وقرا حمزة وحده ولا اصغر ولا
اكبر عطفا على موضع قوله من مثقال لان التقدير وما يعزب عن ربك مثقال ذرة
والكتاب المبين اللوح المحفوظ كذا قال بعض المفسرين ويحتمل ان يريد تحصيل
الكتبة ويكون القصد ذكر الاعمال المذكورة قبل وتقديم الاصغر في الترتيب جري
على قولهم القمرين والعمرين ومنه قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
والقصد بذلك تنبيه الاقل وان الحكم المقصود اذا وقع على الاقل فاحرى ان يقع
على الاعظم والا استفتاح وتنبيه واولياء الله هم الذين والوه بالطاعة
والعبادة وهذه يعطي ظاهرها ان من امن واتقى فهو داخل في اولياء الله وهذا
هو تقتضيه الشريعة في الولي وانما نبهنا هذا التنبيه حذرا من الصوفية
وبعض الملحدين في الولي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل
من اولياء الله فقال الذين اذا راوا ذكر الله وهذا وصف لازم
للمتقين لانهم يخشعون ويخشعون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا
انه قال اولياء الله قوم تحابوا في الله واجتمعوا في ذلك انه لم تجمعهم قرابة ولا
مال يتعاطونه **وقوله** لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يحتمل ان يكون في الاخرة
اي لا يهتمون بهما ولا يخافون عذابا ولا عقابا ولا يحزنون لذلك ويحتمل ان يكون
ذلك في الدنيا اي لا يخافون احدا من اهل الدنيا ولا من اعراضها ولا يحزنون
على ما فاتهم منها والاول اظهر والعموم في ذلك يصح لا يخافون في الاخرة جملة
ولا في الدنيا الخوف الدنياوي وهو في فوت امالها وزوال منازلها وكذلك
في الحزن وذكر الطبري عن جماعة من العلماء مثل ما في الحديث في الاولياء
انهم الذين اذا راهم احد ذكر الله وروي فيهم حديث ان اولياء الله هم قوم

يتحابون

يتحابون في الله ويجعل لهم يوم القيامة منابر من نور وتنير وجوههم فهم
في عرصة القيامة لا يخافون ولا يحزنون وروى عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم
الانبياء والشهداء لمكانهم من الله قالوا ومن هم يا رسول الله قال قوم تحابوا
بروح الله على غير ارحام ولا اموال الحديث ثم قرا الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون **وقوله** الذين امنوا يصح ان يكون في موضع نصب على
البدل من الاولياء ويصح ان يكون في موضع رفع على الابتداء على تقدير هم الذين
وكثيرا ما يفعل ذلك بنعت ما عمل فيه اذا طال بعد خبرها ويصح ان يكون
الذين ابتداء وخبره في قوله لهم البشرى **وقوله** وكانوا يتقون لفظ عام في
تقوى الشرك والمعاصي **قوله عز وجل** لهم البشرى في الحياة الدنيا
وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم
ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون
اما بشرى الاخرة فهي بالجنة قولا واحدا وتلك هي الفضل الكبير الذي
في قوله وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا واما الدنيا
فتظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الرويا الصا (لحة)
يراها المومن او ترى له روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو
الدرداء وعمران بن حصين وابن عباس وابو هريرة وعبد الله بن عمرو
وغيرهم على انه سيل عن ذلك ففسره بالرويا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
في صحيح مسلم انه قال لم يبق من المبشرات الا الرويا الصالحة وروي
عن ام كرز الكعبية انه قال ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقال
قتادة والضحاك البشرى في الدنيا هي ما يبشر به المومن عند موته وهو حي
عند المعاينة **قال القاضي ابو محمد** ويصح ان تكون بشرى الدنيا ما في

القران من الجنات المشرقات ويقوي ذلك قوله في هذه الاية لا تبديل
لكلمات الله وان كان ذلك كله يعارضه قول النبي عليه السلام هي
الرويا الا ان قلنا ان النبي عليه السلام اعطى مثالا من البشرى وهي تعم جميع
البشر **وقوله** لا تبديل لكلمات الله يريد لا خلف لمواعده ولا رد في امره
وقد احتج بذلك عبد الله بن عمر على نحو غير هذا وجعل التبديل المنفي في الالفاظ
وذلك انه روي ان الحجاج بن يوسف خطب فاطال خطبته حتى قال ان
عبد الله بن الزبير قد بدل كتاب الله فقال عبد الله بن عمر انك لا تطيق ذلك
انت ولا ابن الزبير لا تبديل لكلمات الله فقال له الحجاج لقد اعطيت علما لما
انصرف اليه في خاصته سكت عنه وقد روي هذا النظر عن ابن عباس في
غير مقاولة الحجاج ذكره البخاري **وقوله** ذلك هو الفوز العظيم اشارة
الى النعيم الذي به وقعت البشرى **وقوله** ولا يحزنك الاية هذه الاية تسلية
لمحمد عليه السلام المعنى ولا يحزنك يا محمد ويهمك قولهم اي قول كفار قريش
ولفظة القول تعم جحودهم واستهزاهم وخداعهم وغير ذلك ثم ابتدا الموجب
ان العزة لله جميعا اي فهم لا يقدرون لك على شي ولا يوذونك الا بما شا الله
وهو القادر على عقابهم لا يعازه شي وقف على الاية وعيدهم وكسر ان في الابتدا
ولا ارتباط لها بالقول المتقدم لها وقال ابن قتيبة لا يجوز فتح ان في
هذا الموضع وهو كفر وقوله هو كفر غلو وكان وجه الخروج على تقدير لاجل
ان العزة لله **وقوله** هو السميع اي لجميع ما يقولونه العليم بما في نفوسهم من
ذلك وفي ضمن هذه الصفات تهديد ثم استفتح بقوله الا ان لله من في
السموات ومن في الارض اي بالملك والاحاطة وغلب من يعقل في قوله
من اذ له ملك الجميع ما فيها ومن فيها واذا جاءت العبارة بما فذلك تغليب للكثرة
اذ الاكثر من المخلوقات لا يعقل فمن تقع للصنفين مجموعهما وما كذلك
ولا تقع ما لما يعقل اذا تجرد من الصفات والاحوال الاخرى لو ذكرت

لك

لك قوله في مسلة فاردت ان تسال عن قايلها الجوز في كلام العرب ان يقولها
قال هذا القول هذا مما لا يتقلده من يفهم كلام العرب **وقوله** وما يتبع
يصح ان يكون ما استفهاما بمعنى التقرير والتوقيف نظر المخاطب ويعمل يدعون
في قوله شركا ويصح ان تكون نافية ويكون مفعول يتبع محذوفا تقديره حقيقة
او برهانا او يعمل يدعون في قوله شركا ويصح ان تكون نافية ويعمل يتبع في
شركا على معنى انهم لا يتبعون شركا حقا ويكون مفعول يدعون محذوفا وفي هذا
الوجه عندي تكلف وقرا ابو عبد الرحمن السلمي تدعون بالتاء من فوق وهي قراءة
غير متجهة **وقوله** ان نافية ويخرصون معناه يحدسون ويخمنون فلا يقولون
بقياس ولا نظر وقرات فرقة ولا يحزنك من احزن وقرات فرقة ولا يحزنك
من حزن **قوله عز وجل** هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو
الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون
على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع
في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون لما
نص عظمة الله تعالى في الاية المتقدمة عقب ذلك في هذه بالتنبيه على
افعاله لتبين النظر المحكوم بما قبل **وقوله** لتسكنوا اي على ان النهار
للحركة والتصرف وكذلك هو في الوجود وذلك ان حركة الليل متعذرة
بفقد الضوء **وقوله** والنهار مبصرا مجاز لان النهار لا يبصر ولكنه ظرف
للابصار وهذا موجود في كلام العرب اذ المقصود في ذلك مفهوم ومن ذلك
قول ذي الرمة لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنايم
وليس هذا من باب لابن كعيشة راضية ونحوها وانما ذلك في المعنى مثل
قول الشاعر اما النهار ففي قيد وسلسلة والليل في بطن منحوت من الساج
فجعل النهار والليل لهما ابن لها ليس وليس يريد الا انه هو فيهما كذلك وهذا

البيت لسبعون كان بيت في خشبة الشعر وعلى ان هذا البيت قد ينشد
اما النهار بالنصب وفي هذه الالفاظ ايجاز واحالة على ذهن السامع لان العبرة
ان الليل مظلم يسكن فيه والنهار مبصر يتصرف فيه فذكر طرف من هذا والطرف
الاخر من الجهة الثانية ودل المذكور على المتروك وهذا كما في قوله تعالى ومثل
الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع **وقوله** يسمعون يريد يسمعون الصم في
قالوا الكفار العرب وذلك قول طائفة منهم الملائكة بنات الله والاية
تعم كل من قال نحو هذا القول كالنصارى ومن يمكن ان يعتقد ذلك من الكفرة
وسبحانه مصدر معناه تنزيها وبراءة من ذلك فسره بهذا النبي عليه السلام
وقوله هو الغني صفة على الاطلاق اي لا يفتقر الى شيء بجهة من الجهات والولد
جزء مما هو عنه غني واذا سمي انسان غنيا فذلك مجاز بل هو فقير وان كان غنيا عند
ما ليس منه مغافرة في بعض الجهات دون بعض والحق هو قول الله تعالى انتم الفقراء
الى الله **وقوله** له ما في السموات اي بالملك والاحاطة والحلول ان ما فيه
والسلطان الحجة وكذلك معناه حيث تكرر من القران ع وقفهم موبخا بقوله
اتقولون على الله ما لا تعلمون **وقوله** قل ان الذين يفترون على الله الكذب
الاية هذا توعد لهم بانهم لا يظفرون ببغية ولا يبقون في نعمة اذ هذه حال
من يصير الى العذاب وان نعم في دنياه يسيرا **وقوله** متاع مرفوع على خبر
ابتداء اي ذلك متاع او هو متاع او على الابتداء بتقدير لهم متاع **وقوله** ثم الينا
مرجعهم الى اخر الاية توعد **قوله عز وجل** واتل عليهم نبا نوح اذ قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت
فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون
تقدم في الاعراف الكلام على لفظة نوح والمقام وقوف الرجل لكلام او خطبة
او نحوه والمقام بضم الميم اقامته ساكنا في موضع او بلد ولم يقرا هنا بضم الميم
وتذكيره وعظه وزجره والمعنى يا قوم ان كنتم تستصعبون حالي ودعاي

١٣٠

لكم الى الله فاني لا ابالي عنكم لتوكلي على الله تعالى فافعلوا ما قدرتم
عليه وقرا السبعة وجمهور الناس الحسن وابن ابي اسحق وعيسى فاجمعوا من
اجمع الرجل على الشيء اذا عزم عليه **ومنه قول الشاعر** هل اغدون يوما وامري
مجمع ه **ومنه قول الاخر** اجمعوا امرهم بليل فلما اصبحوا اصبحت لهم
ضوضاء ⁖ ومنه الحديث ما لم يجمع مكثا **ومنه قول ابن ابي ذويب**
ذكر الورود بها فاجمع امره شوقا واقبل حينه يتتبع ⁖ وقرا نافع فيما
روى عنه الاصمعي وهي قراءة الاعرج وابي رجاء وعاصم الجحدري والزهري
والاعمش وكلهم ولا نصب الشركاء فاجمعوا بفتح الميم من جمع اذا ضم شيئا
الى شيء وامركم يريد به قدرتكم وحيلكم ويؤكد هذه القراءة قوله تعالى
فتولى فرعون فجمع كيده ونصب قوله شركاءكم يحتمل ان يعطف على قوله امركم
وهذا على قراءة فاجمعوا بالوصل واما قراءة من قرا فاجمعوا بقطع الالف فنصب
الشركاء بفعل مضمر كانه قال وادعوا شركاءكم فهو من باب قول **الشاعر**
شراب البان وتمر واقط ه **ومن قول الاخر** رايت زوجك في الوغى
متقلدا سيفا ورمحا ه **ومن قول الاخر** علفتها تبنا وماء باردا
حتى شتت همالة عيناها ه وفي مصحف ابي بن كعب فاجمعوا امركم
وادعوا شركاءكم قال ابو علي وقد ينتصب الشركاء بواو مع كما قالوا جاء البرد
والطيالسة وقرا ابو عبد الرحمن والحسن وابن ابي اسحق وعيسى وسلام ويعقوب
وابو عمرو فيما روي عنه وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير في اجمعوا وعطف
على الضمير قبل تاكيده لان الكاف والميم في امركم نابت مناب انتم المؤكد للضمير
ولطول الكلام ايضا وهذه العبارة احسن من ان يطول الكلام بغير ضمير ويصاب
مرتفع بالابتداء والخبر مقدر تقديره وشركاؤكم فليجمعوا امرهم وقرات فرقة وشركائكم
بالخفض على العطف على الضمير في قوله امركم تقديره وامر شركائكم فهو **كقول الشاعر**
اكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد في الليل نارا ه اي وكل نار والمراد بالشركاء

في هذه الاية الانداد من دون الله فاما فهم اليهم اذ هم جعلوا لهم شركا بزعمهم
وقوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي ملتبسا مشكلا منه وقوله عليه السلام
في الهلال فان غم عليكم ومنه **قول الراجز** بل لو شهدت الناس اذ تكموا
بغمة لو لم تفرج غموا اه **وقوله** ثم اقضوا الي معناه انفذوا وامضوا كم نحو
وقرا السري بن يعمر ثم افضوا بالفاء وقطع الالف ومعناه اسرعوا وهو ماخوذ
من الارض الفضاء اي اسلكوا الي بكيدكم واخرجوا معي وفي الي سعة وجلية
وقوله ولا تنظرون اي لا تؤخروني والنظرة التاخير **قوله عز وجل** فان
توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه
فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين المعنى فان لم تقبلوا على دعوتي وكفرتم بها
وتوليتم عنها والتولي اصله بالبدن ويستعمل في الاعراض عن المعاني يقول اني ما لم
لم اسالكم اجرا على ذلك الا ما لا ينفع منكم قطعي او تقصير بارادتي وانما اجري
على الذي بعثني وقرا نافع وابو عمرو وحفص عنه اجري بسكون الياء وقرا اجري بفتح
الياء الاعرج وطلحة بن مصرف وعيسى وابو عمرو وقال ابو حاتم هما لغتان والقراءة
بالاسكان في كل القران ثم اخبرهم بان الله امره بالاسلام والدين الحنيفي الذي
هو توحيد الله والعمل بطاعته **وقوله** فكذبوه الاية اخبار من الله عن
حال قوم نوح المكذبين له وفي ضمن ذلك الاخبار توعد للكفار بمحمد عليه
السلام وضرب المثال لهم اي انتم بحال هؤلاء من التكذيب فستكونون
بحالهم من النقمة والتعذيب والفلك السفينة والمفسرون واهل الاثار
مجمعون على ان سفينة نوح كانت واحدة والفلك لفظ الواحد منه ولفظ
الجمع مستو وليس به وقد مضى شرح هذا في الاعراف وخلائف جمع خليفة
وقوله فانظر مخاطبة للنبي عليه السلام يشاركه في معناها جميع الخلق
وفي هذه الاية انه اغرق جميع من كذب بايات الله التي جاء بها نوح وهي

مقتضية

صح رسله

مقتضية ايضا انه انذرهم فكانوا منذرين فلو كانوا جميع الارض كما قال
بعض الناس لا يستوي نوح ومحمد عليه السلام في البعث الى اهل الارض
ويرد ذلك قول النبي عليه السلام اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي الحديث
ويترجح بهذا النظر ان بعثة نوح والغرق انما كان في اهل صقع لا في جميع الارض
قوله عز وجل ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات
فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين
ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا
قوما مجرمين الضمير في قوله من بعده عائد على نوح عليه السلام والضمير في
قومهم عائد على الرسل ومعنى هذه الايات كلها ضرب المثل لحاضري محمد عليه
السلام اي كما حل بهؤلاء يحل بكم والبينات المعجزات والبراهين الواضحة والضمير
في قوله كانوا وفي ليؤمنوا عائد على قوم الرسل والضمير في كانوا عائد على قوم نوح
هذا قول بعض المتاولين وقال بعضهم بل يعود الثلاثة على قوم الرسل على
معنى انهم بادروا رسلهم بالتكذيب كلما جاء رسول ثم لجوا في الكفر وتمادوا
فلم يكونوا ليؤمنوا بما سبق به تكذيبهم وقال يحيى بن سلام من قبل معناه من
قبل العذاب وفي هذا القول بعد ويحتمل اللفظ عندي معنى اخر وهو ان
تكون ما مصدرية والمعنى فكذبوا رسلهم فكان عقابهم من الله ان لم يكونوا ليؤمنوا
بتكذيبهم من قبل اي من سببه ومن جراه ويؤيد هذا التاويل قوله
كذلك نطبع وقال بعض العلماء عقوبة التكذيب الطبع على القلوب
وقرا جمهور الناس نطبع بالنون وقرا العباس بن الفضل يطبع بالياء و**قوله**
كذلك اي هكذا فعلنا بهؤلاء ثم ابتدا كذلك نطبع اي كفعلنا هذا
والمعتدين هم الذين تجاوزوا طورهم واجترحوا ما لا يجوز لهم وهي هاهنا
في الكفر والضمير في بعدهم عائد على الرسل والضمير في ملائه عائد على فرعون
والملا الجمع الجماعة من قبيل او اهل مدينة ثم يقال للاشراف والاعيان من

القبيلة او الملوك ملا اى هم يقومون مقام الملا وعلى هذا الحد هى فى قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قريش فى بدر اولئك الملا وكذلك هى فى قوله
تعالى ان الملا ياتمرون بك واما فى هذه الاية فهى عامة لان بعثة موسى وهارون
كانت الى فرعون وجميع قومه من شريف ومشروف وقد مضى فى المص ذكر ما
بعث اليهم فيه والايات البراهين والمعجزات وما فى معناها **وقوله**
فاستكبروا اى تعظموا وكفروا بها ومجرمين معناه يرتكبون ما لم يبح الله ويجسرون
من ذلك على الخطر الصعب **قوله عز وجل** فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح
الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء
فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين يريد اية العصا واليد ويدل على ذلك
قولهم عنها هذا لسحر ولم يقولوا ذلك الا عنهما ولا يتعاطوا الا مقاومة
العصا وهى معجزة موسى عليه السلام التى وقع عجز المعارض فيها وقرا جمهور
الناس لسحر مبين وقرا سعيد بن جبير والاعمش لساحر مبين ثم حكى عن موسى انه
وقفهم ووبخهم بقوله اتقولون للحق لما جاءكم ثم اختلف المتاولون فى قوله
اسحر هذا فقالت فرقة هو حكاية من موسى عنهم على معنى ان قولهم كان
اسحر هذا ثم اختلف فى معنى قول قوم فرعون اسحر هذا فقال بعضهم قالوه
كل مستفهم جاهل بالامر فهو يسال عنه وهذا التاويل يضعفه ما
ذكر الله عنهم من انهم صمموا على انه سحر بقولهم ان هذا لسحر مبين وقال بعضهم
بل قالوا ذلك على معنى التعظيم للسحر الذى راوه بزعمهم كما تقول لفرس تراه
يجيد الجرى افرس هذا على معنى التعجب منه والاستغراب وانت قد علمت
انه فرس وقالت فرقة غير هاتين ليس ذلك حكاية من موسى عنهم بل القول
الذى حكاه عنهم مقدر تقديره اتقولون للحق لما جاءكم سحر او نحو هذا من
التقدير ثم ابتدا فوقفهم بقوله اسحر هذا على جهة التوبيخ ثم اخبرهم عن الله

تعالى

تعالى ان الساحرين لا يفلحون ولا يظفرون ببغية ومثل هذا التقدير المحذوف
على هذا التاويل موجود فى كلام العرب ومثله **قول ذى الرمة**
فلما لبسن الليل او حين نصبت له من خذا اذانها وهو جانح ∴ يريد
او حين قارب ذلك ومنه قول الله تعالى فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءوا
وجوهكم المعنى بعثناهم ليسوءوا ومثل هذا كثير شائع **وقوله تعالى** قالوا
اجئتنا الاية المعنى قال قوم فرعون لموسى اجئتنا لتصرفنا وتلوينا وتردنا
عن دين ابائنا يقال لفت الرجل عنق الاخر اذا لواه ومنه قولهم التفت
فانه افتعل من لفت عنقه اذا لواه **ومنه قول رؤبة** لفتا وتهزيعا
سواء اللفت ∴ وقرا السبعة سوى ابى عمرو وفيه اختلف عنه وتكون
لكما الكبرياء بالتاء من فوق وهى قراءة جمهور الناس وقرا الحسن بن ابى الحسن فيما زعم خارجة
واسمعيل ويكون لكما بالياء من تحت وروى عن ابى عمرو وعن عاصم وهى قراءة
ابن مسعود والكبرياء مصدر مبالغ من الكبر والمراد به فى هذا الموضع
الملك وكذلك قال فيه مجاهد والضحاك واكثر المتاولين لانه اعظم
الدنيا ومنه **قول الشاعر** وهو ابن الرقاع ∴ سوددا غير فاحش
لا يداه تجبارة ولا كبرياؤه ∴ **وقوله** مؤمنين اى مصدقين
قوله عز وجل وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر
ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره
المجرمون خبر ان فرعون قال لحكمته ومتصرفيه ائتونى بكل ساحر هذه
قراءة جمهور الناس وقرا طلحة بن مصرف وابن وثاب وعيسى بكل سحار
على المبالغة قال ابو حاتم لسنا نقرا سحار الا فى سورة الشعراء وروى
انهم اتوه بسحرة الفرما وغيرها من بلاد مصر حسب ما قد ذكر قبل
فى غير هذه الاية فلما ورد السحرة باستعدادهم للمعارضة خيروا موسى

كما ذكر في غير هذه الآية فقال لهم من امر الله القوا ما انتم ملقون وقوله تعالى
فلما القوا الآية المعنى فلما القوا حبالهم وعصيهم وخيلوا بها وظنوا انهم
قد ظهروا قال لهم موسى هذه المقالة وقرا السبعة سوى ابي عمرو به السحر
وهي قراءة جمهور الناس وقرا ابو عمرو ومجاهد واصحابه وابن القعقاع به السحر
بالف استفهام ممدودة قبل السحر فاما من قرا السحر بغير الف استفهام قبله
فما في موضع رفع على الابتدا وهي بمعنى الذي وصلتها قوله جئتم به والعائد الضمير
في به وخبرها السحر ويؤيد هذه القراءة والتاويل ان في مصحف ابن مسعود
ما جئتم به سحر وكذلك قراها الاعمش وفي قراءة ابي بن كعب ما اتيتم به سحر
والتعريف هنا في السحر ارتب لانه قد تقدم منكرا في قولهم ان هذا لسحر
فجا هنا بلام العهد كما تقول في اول الرسالة سلام عليك وفي اخرها والسلام
عليك ويجوز ان تكون ما استفهاما في موضع رفع بالابتدا وجئتم به الخبر والسحر
خبر ابتداء مضمر تقديره هو السحر ان الله سيبطله ووجه استفهامه هذا
هو التقرير والتوبيخ ويجوز ان تكون ما في موضع نصب على معنى اي شي جئتم به والسحر
مرتفع على خبر الابتدا تقدير الكلام اي شي جئتم به هو السحر ان الله سيبطله
واما من قرا بالف الاستفهام والمد قبل السحر فما استفهام رفع بالابتداء
وجئتم به الخبر وهذا على جهة التقرير وقوله السحر استفهام ايضا
كذلك وهو بدل من الاستفهام الاول ويجوز ان تكون ما في موضع نصب بفعل
مضمر وتفسيره ما جئتم به تقديره اي شي جئتم به السحر وقوله ان الله
سيبطله ايجاب عن عدة من الله تعالى وقوله ان الله لا يصلح عمل المفسدين
يصح ان يكون من كلام موسى عليه السلام ويصح ان يكون ابتدا خبر من الله تعالى
وقوله ويحق الله الحق الآية يحتمل ان يكون من كلام موسى ويحتمل ان يكون
من اخبار الله عز وجل ويكون ذلك كله من كلام موسى اقرب وهو الذي
ذكر الطبري واما قوله بكلماته فمعناه بكلماته السابقة الازلية في

الوعد

[illegible] المجرمون

الوعد بذلك قال ابن سلام بكلماته بقوله لا تخف انك انت الاعلى وبمعنى
ولو كره المجرمون والمجرم المجترئ الراكب للخطر وقوله عز وجل فما آمن
لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم وان فرعون
لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه
توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين المعنى فما صدق موسى ولفظة آمن تتعدى
بالبا وتتعدى باللام وفي ضمن المعنى البا واختلف المتاولون في عود الضمير الذي
في قومه فقالت فرقة هو عائد على موسى في اول ابتعثه انه لم يومن به الا فتيان
وشباب اكثرهم اولو آباء وكانوا تحت خوف من فرعون ومن ملا بني
اسرائيل والضمير في ملايهم عائد على الذرية وتكون الفا على هذا التاويل عاطفة جملة
على جملة لا مرتبة وقال بعض القائلين بعوده الضمير على موسى ان معنى الآية ان
قوما ادركهم موسى ولم يومنوا وانما آمن ذرياتهم بعد هلاكهم لطول
الزمان قاله مجاهد والاعمش وهذا قول غير واضح واذا آمن قوم بعد آبائهم
فلا معنى لتخصيصهم باسم الذرية وايضا فما روي من اخبار بني اسرائيل لا يعطي
هذا وهيئة قوله فما آمن يعطي تقليل المومنين لانه نفى الايمان ثم اوجبه
للبعض ولو كان الاكثر مومنا لاوجب الايمان اولا ثم نفاه عن الاقل وعلى هذا
الوجه يتخرج قول ابن عباس في الذرية انه القليل لا انه اراد ان لفظة
الذرية هي بمعنى القليل كما ظن مكي وغيره وقالت فرقة انما سماهم ذرية لان
امهاتهم كانت من بني اسرائيل واباوهم من القبط فكان يقال لهم الذرية كما قيل
لفرس اليمن الابنا وهم الفرس المنتقلون مع وهرز بسعاية سيف بن ذي يزن
والامر كله في السير وقال السدي كانوا سبعين اهل بيت من قوم فرعون
ومما يضعف عود الضمير على موسى عليه السلام ان المعروف من اخبار بني اسرائيل
انهم كانوا قوما قد تقدمت فيهم النبوات وكانوا في مدة فرعون قد نالهم

ذلك شرط وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبيا فلما جاءهم موسى عليه
السلام اصفقوا عليه واتبعوه ولم يحفظ ان طائفة من بني اسرائيل كفرت به
فكيف تعطي هذه الاية ان الاقل منهم كان الذي امن فالذي يترجح بحسب هذا ان
الضمير عائد على فرعون ويؤيد ذلك ايضا ما تقدم من محاورة موسى ورده عليهم
وتوبيخهم على قولهم هذا سحر فذكر الله ذلك عنهم ثم قال فما امن لموسى الا ذرية من
قوم فرعون الذين هذه اقوالهم فروي في ذلك انه امنت زوجة فرعون وخازنه
وامراة خازنه وشباب من قومه قاله ابن عباس والسحرة ايضا فانهم معدودون
في قوم فرعون وتكون القصة على هذا التاويل بعد ظهور الاية والتعجيز بالعصا وتكون الفا
مرتبة للمعاني التي عطفت ويعود الضمير في ملئهم على الذرية ولا يعتقد الفراء
وغيره عود الضمير على موسى خبطوا في عود الضمير في ملئهم فقال بعضهم ذكر
فرعون وهو الملك فيعم ذكر الجماعة والجنود كما تقول جاء الخليفة وسار الملك
وانت انما تريد جيوشه معه وقال الفراء المعنى على خوف من ال فرعون وملئهم
وهو من باب واسأل القرية وهذا التنظير غير جيد لان اسقاط المضاف
في قوله واسأل القرية هو سائغ بسبب ما يعقل من ان القرية لا تسأل ففي
الظاهر دليل على ما اضمر واما هاهنا فالخوف من فرعون متمكن لا يحتاج
معه الى اضمار اما انه ربما احتج بان الضمير المجموع في ملئهم يقتضي ذلك والخوف
انما يكون من الافعال والاحداث التي للجثث ولكن لكثرة استعماله اضيف
الى الاشخاص وقوله ان يفتنهم بدل من فرعون وهو بدل الاشتمال فان
في موضع خفض ويصح ان يكون في موضع نصب على المفعول من اجله وقرا الحسن
والجراح ونبيح ان يفتنهم بضم الياء ثم اخبر عن فرعون بالعلو في الارض
والاسراف في الافعال والقتل والدعاوي ليبين عذر الخائفين وقوله تعالى
وقال موسى اي الكافرين الله احكاية قول موسى لجماعة بني اسرائيل مؤنسا
لهم ونادبا الى التوكل على الله الذي بيده النصر ومسألة التوكل متشعبة

والناس

والناس فيها مختلفون والذي اقول ان التوكل الذي امر به هو مقرون بسبب
جميل على مقتضى الشرع وهو الذي في قوله عليه السلام راس المتوكلين وقد سبب
عمره كله وكذلك السلف كله فان شذ متوكل فترك السبب جملة فهي رتبة
رفيعة ما لم يشرف بها الى حد قتل نفسه واهلاكها كمن يدخل غارا خفيا يتوكل
فيه فهذا ونحوه مكروه عند جماعة من العلماء وما روي من اقدام عامر بن
عبد قيس على الاسد ونحو ذلك كله ضعيف والصحيح منه قد ان يشهد له
وللمسلمين اجمعين قال الله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من
ربكم وقال قيل وعلى الله فتوكلوا وقول النبي عليه السلام في مدح السبعين
الفا من امته وعلى ربهم يتوكلون ليس فيه انهم يتركون التسبب جملة واحدة
ولا يحفظ عن عكاشة انه ترك التسبب بل كان يغزو ويأخذ سهمه
والمعنى بهذا انه ترك التسبب في الغذاء وانما ترك التسبب في الطب
فسهل ويتركه من الناس من جبل عليه دون نية وحسبة فكيف من حسنت
وقال لهم ان كنتم امنتم مع علمه بايمانهم على وجه اقامة الحجة وتنبيه
الانفس واثارة الانفة كما تقول ان كنت رجلا فقاتل تخاطب بذلك رجلا
تريد اقامة نفسه وقوله ان كنتم مسلمين يريد اهل طاعة مستسلمين فاما
قد ذكر الاسلام فيه زيادة معنى ثم ذكر انه اجاب بنو اسرائيل بنية التوكل
على الله والنطق بذلك ثم دعوا في ان لا يجعلهم فتنة للظلمة والمعنى لا تنزل بنا بلاء
بايديهم او بغير ذلك مدة محاربتنا لهم فيفتتنون بذلك ويعتقدون ان هلاكنا كنا
انما هو بقصد منك لسوء ديننا وصلاح دينهم وانهم اهل الحق قاله مجاهد
وغيره فهذا الدعاء يتضمن دفع فصلين احدهما القتل او البلاء الذي توقعه
المؤمنون والاخر ظهور الشرك باعتقاد اهله انهم اهل الحق وفي ذلك فساد
الارض ونحو هذا المعنى قول النبي عليه السلام بئس الميت ابو امامة ليهود
والمشركين يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ويحتمل اللفظ من التاويل وقد قاله

فمن قرأ فان المعنى لا يفتنهم ويبتليهم بقتلنا وإذا أيتنا فيتعذبهم على ذلك في الآخرة
وفي هذا التأويل قلق وبأي الآية تبين **قوله عز وجل** وأوحينا إلى موسى وأخيه
أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال
موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا
عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
روي أن فرعون أخاف بني إسرائيل وهدم لهم مواضع كانوا اتخذوها للصلاة
ونحو هذا فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتخذا وتخيرا لبني إسرائيل بمصر بيوتا قال
مجاهد مصر في هذه الآية الإسكندرية ومصر ما بين البحر إلى أسوان والإسكندرية
من أرض مصر وتبوّءا معناه كما قلنا تخيرا وهي لفظة مستعملة في الأماكن وما يشبهها
بها **ومن ذلك قول الشاعر** لها أمرها حتى إذا ما تبوّأت بأخفافها مرعى تبوّأ
مضجعا. وهذا البيت للراعي وبه سمي الراعي **ومنه قول امرئ القيس**
يتبوّؤن مقاعدا لقتالهم كليوث غاب ليلهن زئير. وقرأ الناس
تبوّءا بهمزة على تقدير تبوّءا وقرأ حفص في رواية هبيرة تبوّيا وهذا التسهيل
ليس بقياس ولو جرى على القياس لكان بين الهمزة والألف **وقوله** قبلة قيل
معناه مساجد قاله ابن عباس والربيع والضحاك والنخعي وغيرهم قالوا خافوا فأمروا
بالصلاة في بيوتهم وقيل يقابل بعضها بعضا قاله سعيد بن جبير والأول أصوب
وقيل معناه موجهة إلى القبلة قاله ابن عباس ومن هذا حديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال خير بيوتكم ما استقبل به القبلة **وقوله** وأقيموا الصلاة خطاب
لبني إسرائيل وهذا قبل نزول التوراة لأنها لم تنزل إلا بعد إجازة البحر **وقوله**
وبشر المؤمنين أمر لموسى عليه السلام وهذا غير متمكن **وقوله تعالى** وقال موسى
الآية غضب من موسى على القبط ودعا عليهم فقدم للدعاء تعديد نعم الله عليهم
وكفرهم بها وآتيت معناه أعطيت وملكت وتكرر قوله ربنا استغاثة

كما يقول الداعي يا الله يا الله **وقوله** ليضلوا احتمل أن تكون لام كي على بابها
على معنى آتيتهم الأموال إملاء لهم واستدراجا فكان الإتيان لكي يضلوا ويحتمل أن تكون
لام الصيرورة والعاقبة كما قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
والمعنى آتيتهم ذلك فصار أمرهم إلى كذا وروي عن الحسن أنه قال هو دعاء عليهم
ويحتمل أن يكون المعنى على جهة الاستفهام أي ربنا ليضلوا فعلت ذلك وفي هذا تقرير
الشنعة عليهم وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والحسن والأعرج
وشيبة وأبو جعفر ومجاهد وأبو رجاء وأهل مكة ليضلوا بفتح الياء على معنى
ليضلوا في أنفسهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي والأعمش وقتادة وعيسى والحسن
والأعرج بخلاف عنهما ليضلوا بضم الياء على معنى ليضلوا غيرهم وقرأ الشعبي ليضلوا
بكسر الياء وقرأ الشعبي أيضا وغيره اطمُس بضم الميم وقرأت فرقة اطمِس بكسر
الميم وهما لغتان طمس يطمس ويطمُس قال أبو حاتم قراءة الناس بكسر الميم والضم
لغة مشهورة ومعناه عفّ وغيّر وهو من طموس الأثر والعين وطمس الوجه
منه ومنه **قول كعب بن زهير** من كل نضّاخة الذفرى إذا عرقت عرضتها
طامس الأعلام مجهول. وروي أنهم حين دعا موسى بهذه الدعوة رجع سكرهم
حجارة ودراهمهم ودنانيرهم وحبوبهم من الأطعمة رجعت حجارة قاله محمد
بن كعب القرظي وقتادة وابن زيد وقال مجاهد وغيره معناه أهلكها
ودمرها وروي أن الطمسة كانت من آيات موسى التسع **وقوله** اشدد على
قلوبهم بمعنى اطبع واختم عليهم بالكفر قاله مجاهد والضحاك ولما أشار عمر بن
الخطاب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أسرى بدر شبهه بموسى
في دعائه على قومه في هذه الآية وبنوح في قوله لا تذر على الأرض من الكافرين
ديارا **وقوله** فلا يؤمنوا مذهب الأخفش وغيره أن الفعل منصوب عطفا على
قوله ليضلوا وقيل هو منصوب في جواب الأمر وقال الفراء والكسائي هو مجزوم
على الدعاء ومنه قول **الأعشى** فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني إلا وأنفك راغم

وجعل رويه العذاب نهايه وغايه هو لعلمه من قبل الله ان المومن عند رويه العذاب
لا ينفعه ايمانه في ذلك ولا يخرجه من كفره ثم اجاب الله هذه الدعوه في فرعون نفسه
وقال ابن عباس العذاب هنا الغرق وقرا الناس دعوتكما وقرا السلمي والضحاك دعواتكما
وروى ابن جريج ومحمد بن علي والضحاك ان الدعوه لم تظهر اجابتها الا بعد اربعين سنه
وحينيذ كان امر الغرق قال القاضي ابو محمد واعلم ان دعاهما صادف مقدورا وهذا
معنى اجابه الدعا وقيل لهما لا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي في ان تستعجلا قضاي فان
وعدي لا خلف له وقوله دعوتكما ولم يتقدم الدعا الا لموسى وروى ان هرون كان
يومن على دعا موسى قاله محمد بن كعب القرظي فلذلك نسبت اليهما وقيل كنا عن الواحد
بلفظ التثنيه كما قال قفا نبك ونحو هذا وهذا ضعيف لان الايه تتضمن
بعد مخاطبتهما في غير شي قال علي بن سليمان قول موسى ربنا دال على انهما دعوا
معا وقوله فاستقيما اي على ما امرتما به من الدعا الى الله وامرا بالاستقامه وهما عليها
للادامه والتمادي وقرا نافع والناس تتبعان بشد التا والنون على النهي وقرا
ابن عامر وابن ذكوان تتبعان بخفيف التا وشد النون وقرا ابن ذكوان ايضا
تتبعان بشد التا وخفيف النون وكسرها وقرات فرقه تتبعان بتخفيفها وسكون
النون رواه الاخفش الدمشقي عن اصحابه عن ابن عامر فاما النون وهي النون الثقيله
حذفت معها نون التثنيه للجزم كما حذف معها الضمه في لتفعلن حيث بني الفعل
معها على الفتح وانما كسرت هذه النون الثقيله بعد الف التثنيه في نحو هذه الايه
وما اشبهها لشبهها بنون الرجلان والزيدان في الوقوع بعد الف التثنيه واما
تخفيفها فيصح ان تكون الثقيله خففت ويصح ان تكون نون التثنيه ويكون الكلام
خبرا معناه الامر اي لا ينبغي ان تتبعا قال ابو علي وان شيت جعلته حالا
من استقيما كانه قال غير متبعين قال القاضي ابو محمد رضي الله عنه والعطف
يمانع هذا فتامله قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرايل البحر فاتبعهم
فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي

امنت

امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ايه وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون
قرا الحسن بن ابي الحسن وجوزنا بشد الواو وطرح الالف ويشبه عندي
ان يكون جاوزنا كتب في بعض المصاحف بغير الف وتقدم القول في صوره جوازهم
البحر في البقره والاعراف وقرا جمهور الناس فاتبعهم لانه يقال تبع واتبع بمعنى
واحد وقرا قتاده والحسن فاتبعهم بشد التا قال ابو حاتم القراه فاتبع بقطع
الالف لانها تتضمن الادراك واتبع بشد التا هي طلب الاثر سوا ادرك او لم
يدرك وروى ان بني اسرايل الذين جاوزوا البحر كانوا ستمايه الف وكان يعقوب
قد استقر اولا بمصر في نيف عن السبعين من ذريته فتناسلوا حتى بلغوا وقت موسى العدد
المذكور وروى ان فرعون كان في ثمان مايه الف ادهم حاشى ما يشبهها من الوان
الخيل ويروى اقل من هذه الاعداد وهذا كله يضعف والذي تتقصيه الفاظ
القران ان بني اسرايل كان لهم جمع كثير في نفسه قليل بالاضافه الى جمع فرعون
المتبعين وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو والكوفيون وجماعه وعدوا على مثال
عزا غزوا وقرا الحسن وقتاده وعدوا على مثال علا علوا وقوله ادركه
الغرق اي في البحر وروي في ذلك ان فرعون لما انتهى الى البحر وجده قد انفرق
ومشى فيه بنوا اسرايل قال لقومه انما انفلق بامري وكان على فرس ذكر فبعث
الله جبريل على فرس انثى وديق فدخل بها البحر ولج فرس فرعون وراه وحثت
الجيوش خلفه فلما راى الانفراق يثبت له استمر وبعث الله ميكاييل يسوق
الناس حتى حصل جميعهم في البحر فانطبق عليهم حينيذ فلما عاين فرعون قال ما حكي
عنه في هذه الايه وقرا جمهور الناس انه بفتح الالف ويحتمل ان يكون في موضع
نصب ويحتمل ان يكون في موضع خفض على اسقاط البا وقرا حمزه والكسايي وابو عمرو
انه بكسر الالف اما على اضمار الفعل اي امنت فقلت انه واما على ان تم الكلام
في قوله امنت ثم ابتدا ايجابا وروي عن النبي عليه السلام ان جبريل عليه السلام

قال ما ابغضت احدا قط بغضي لفرعون ولقد سمعته يقول آمنت الآية فأخذت
من حال البحر فملأت فمه مخافة ان تدركه الرحمة رحمه الله وفي بعض الطرق ان يقول لا اله
الا الله فتلحقه الرحمة **قال القاضي ابو محمد** فانظر الى كلام فرعون ففيه مجمجة
وتلعثم ولا عذر لاحد في جهل هذا وانما العذر فيما لا سبيل الى علمه كقول علي رضي
الله عنه اهللت باهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم والحال الطين كذا
في العرب المصنف وغيره والأثر في هذا كثير مختلف اللفظ والمعنى واحد
وفعل جبريل عليه السلام هو يشبه ان يكون لانه اعتقد تجويز المغفرة للتائب وان
عاين ولم يكن عنده قبل اعلام من الله تعالى ان التوبة عند المعاينة غير نافعة **وقوله**
آلآن وقد عصيت الآية قال ابو علي اعلم ان لام المعرفة اذا دخلت على كلمة اولها
الهمزة فخففت الهمزة فان في تخفيفها وجهين احدهما ان تحذف وتلقى حركتها على
اللام وتقر همزة الوصل فيقال الحمر وقد حكى ذلك سيبويه وحكى ابو عثمان عن ابي
الحسن ان ناسا يقولون لحمر فيحذفون الهمزة التي للوصل فمن ذلك **قول الشاعر**
وقد كنت تخفي حب سمرا حقبة فبح لان منها بالذي انت بائح وقرا نافع
في رواية ورش لم يختلف عنه آلان بمد الهمزة وفتح اللام وقرا الباقون آلآن
بمد الهمزة الأولى وسكون اللام وهمز الثانية وقرأت فرقة آلان بقصر الهمزة وفتح
اللام وتخفيف الثانية وقرا جمهور الناس آلآن بقصر الاولى وسكون اللام وهمزة
الثانية وقراءة التخفيف في الهمزة تترتب على ما ذكر ابو علي فتامله فان القول
هي على لغة من يقول الحمر وهذا على جهة التوبيخ له والاعلان بالنقمة منه وهذا
اللفظ يحتمل ان يكون مسموعا لفرعون من قول ملك موصل عن الله او كيف شاء
الله ويحتمل ان يكون هذا الكلام معنى حاله وصورة خزيه وهذه الآية نص
في رد قوله المعاني **وقوله تعالى** فاليوم ننجيك الآية يقوي ما ذكرناه من انها
صورة الحال لان هذه الالفاظ انما يظهر انها قيلت بعد غرقه وسبب هذه
المقالة على ما روي ان بني اسرائيل بعد عندهم غرق فرعون وهلاكه لعظمه عندهم

وكذ

وكذب بعضهم ان يكون فرعون يموت فنجي على نجوة من الارض حتى رآه جميعهم
ميتا كأنه ثور احمر وتحققوا غرقه وقرأت فرقة فاليوم ننجيك وقالت فرقة
معناه من النجاة اي من غمرات البحر والماء وقال جماعة معناه نلقيك على نجوة من
الارض وهي ما ارتفع منها ومنه **قول اوس بن حجر** فمن بعقوته كمن بنجوته
والمستكن كمن يمشي بقرواح ه وقرا يعقوب ننجيك بسكون النون وتخفيف
الجيم وقرا ابي بن كعب ننحيك بالحاء المشددة من التنحية وهي قراءة محمد بن
السميفع اليماني ويزيد البربري وقالت فرقة معنى ببدنك بدرعك وقالت
فرقة معناه بشخصك وقرات فرقة بندائك اي بقولك آمنت الى اخر الآية
ويشبه ان يكتب بندائك بغير الف في بعض المصاحف ومعنى الآية انا نجعلك
آية مع ندائك الذي لا ينفع وقرات فرقة خلفك اي لمن اتا بعدك وقرات
فرقة خلقك المعنى ليجعلك الله آية له في عباده ثم بين عز وجل العظة لعباده
بقوله وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون وهذا خبر في ضمنه توعد
قوله عز وجل ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون
يوم القيمة صح
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك
لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات
الله فتكون من الخاسرين المعنى ولقد اخترنا لبني اسرائيل احسن اختيار
واحللناهم من الاماكن احسن محل ومبوأ صدق اي يصدق فيه ظن قاصده
وساكنه واهله ويعني هذه الآية احلالهم بلاد الشام وبيت المقدس
قاله قتادة وابن زيد وقيل بلاد مصر والشام قاله الضحاك والاول اصح بحسب
ما حفظ من انهم لم يعودوا الى مصر على انه في القرآن كذلك واورثناها بني اسرائيل
يعني ما ترك القبط من جنات وعيون وغير ذلك ومن يحتمل ان يكون واورثناها
معناه الحالة من النعمة وان لم يكن في قطر واحد **وقوله** فما اختلفوا حتى

جاءهم العلم يحتمل معنيين احدهما فما اختلفوا في نبوة محمد وانتظاره حتى جاءهم ما كان
علمهم وامره فاختلفوا حينئذ وهذا التخصيص هو الذي وقع في كتب المتاولين كلهم
وهو تاويل يحتاج الى سند والتاويل الثاني الذي يحتمله اللفظ ان بني اسرائيل لم يكن لهم
اختلاف على موسى في اول حاله فلما جاءهم العلم والاوامر وعرفوها اختلفوا فمعنى
الاية على هذا مذمة لذلك الصدر من بني اسرائيل ثم اوجب الله بعد ذلك انه يقضي بينهم
ويفصل بعقاب من يعاقب ويرحم من يرحم **وقوله تعالى** فان كنت في شك
الاية قال بعض المتاولين وروي ذلك عن الحسن ان ان نافية بمعنى ما والجمهور على ان
ان شرطية والصواب في معنى الاية انها مخاطبة للنبي عليه السلام والمراد بها
سواه من كل من يمكن ان يشك او يعارض وقال قوم الكلام بمنزلة قولك ان كنت
ابني فبرني وليس هذا المثال جيدا وانما مثال هذه قوله تعالى لعيسى أأنت قلت
للناس وروي ان رجلا سال ابن عباس عما يحيك في الصدور من الشك فقال له ما
نجا من ذلك احد ولا النبي عليه السلام حتى انزل عليه فان كنت في شك مما انزلنا اليك
وذكر الزهراوي ان هذه المقالة انكرت ان يقولها ابن عباس وبذلك اقول لان الخواطر
التي لا ينجو منها احد هي خلاف الشك الذي يحال فيه على الاستشفاء بالسؤال
والذين يقرؤون الكتاب من قبلك هم من اسلم من بني اسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الاية انا لا اشك
ولا اسأل وقرأ فسل بغير همز الحسن وابو جعفر واهل المدينة وابو عمرو وعيسى
وعاصم وقرأ الجمهور عظيم بالهمز قال ابو حاتم قرأنا بالهمز ثم جزم الله الخبر بقوله
لقد جاءك الحق من ربك واللام في لقد لام قسم والممترين معناه الشاكين الذين
يحتاجون في اعتقاداتهم الى المماراة فيها **وقوله** مما انزلنا اليك يريد به من
ان بني اسرائيل لم يختلفوا في امره الا من بعد مجيئه هذا قول اهل التاويل
قاطبة وهذا هو الذي يشبه ان ترتجى ازالة الشك فيه من قبل اهل الكتاب
ويحتمل اللفظ ان يريد بما انزلنا جميع الشرع ولكنه بعيد بالمعنى لان ذلك لا يعرف

ونزول

ونزول الشك فيه الا بادلة العقل الا بالسماع من مؤمني بني اسرائيل **وقوله** ولا
تكونن من الذين كذبوا بايات الله الاية مما خوطب بها النبي عليه السلام
والمراد سواه ولهذا فائدة ليست في مخاطبة الناس به وذلك شدة التخويف لانه اذا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من مثل هذا فغيره من الناس اولى
ان يحذر ويتقي على نفسه **قوله عز وجل** ان الذين حقت عليهم كلمات ربك
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية امنت
فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ومتعناهم الى حين هذا تحذير مردود اعلام بسوء حالها ولا المحتوم عليهم
والمعنى ان الله اوجب لهم سخطه في الازل وخلقهم لعذابه فلا يؤمنون ولو جاءهم
كل بيان وكل وضوح الا في الوقت الذي لا ينفعهم فيه الايمان كما صنع فرعون واشباهه
من الحلو وذلك وقت المعاينة وفي ضمن الالفاظ التحذير من هذه الحال وبعث الكل
على المبادرة الى الايمان والفرار من سخط الله تعالى وقرا ابو عمرو وعاصم والحسن وابو
رجاء كلمة بالافراد وقرا نافع واهل المدينة كلمات بالجمع وقد تقدم ذكر هذه
الترجمة **وقوله** فلولا كانت قرية امنت الاية في مصحف ابي وابن مسعود
فهلا والمعنى فيهما واحد واصل لولا في الكلام التحضيض او الدلالة على منع امر
لوجوب غيره فاما هذه فبعيدة عن هذه الاية لكنها من جملة التي هي للتحضيض
وحقيقة التحضيض انها ان يكون المحضض يريد من المخاطب فعل الشيء الذي يحضه عليه
وقد تجيء لولا وليس من قصد المخاطب ان يحض المخاطب على فعل ذلك الشيء فيكون حينئذ
لمعنى توبيخ **كما قال جرير** لولا الكمي المقنعا ⁘ وذلك انه لم يقصد حضهم
على عقر الكمي كقولك لرجل قد وقع في امر صعب هلا تحرزت وهذه الاية من
هذا القبيل ومفهوم من معنى الاية نفي ايمان اهل القرى ومعنى الاية فهلا امن اهل
قرية وهم على مهل لم يتلبس العذاب بهم فيكون للايمان نفعا لهم في هذه الحال
ثم استثنى قوم يونس فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع وكذلك رسمه النحويون

اجمع وهو حسب المعنى متصل لان تقديره ما امن اهل قرية الا قوم يونس والنصب في
قوله الا قوم هو الوجه وكذلك ادخله سيبويه في باب ما لا يكون فيه الا النصب
وكذلك مع انقطاع الاستثناء ويشبه الاية قول النابغة الا الاواري
وذلك هو علم لفظ الاية وقالت فرقة تجوز فيه الرفع وهذا مع اتصال الاستثناء
وقال المهدوي والرفع على البدل من قرية وروي في قصة قوم يونس ان القوم لما
كفروا اوحى الله اليه ان انذرهم بالعذاب لثالثة ففعل فقالوا هو رجل لا
يكذب فارقبوه فان اقام بين اظهركم فلا عليكم وان ارتحل عنكم فهو نزول العذاب
لا شك فلما كان الليل تزود يونس وخرج عنهم فاصبحوا فلم يجدوه فتابوا ودعوا
الله وامنوا ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد من الناس والبهائم
والعذاب منهم فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل وروي على ميل وقال ابن
جبير غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فرفع الله عنهم العذاب فلما مضت
الثالثة وعلم يونس ان العذاب لم ينزل قال كيف انصرف وقد وجدوني
في كذب فذهب مغاضبا كما ذكر الله في غير هذه الاية وذهب الطبري الى
ان قوم يونس خصوا من بين الامم بان تيب عليهم من بعد معاينة العذاب وذكر
ذلك عن جماعة من المفسرين وليس كذلك والمعاينة التي لا تنفع التوبة معها
هي تلبس العذاب او الموت بشخص الانسان كقصة فرعون واما قوم يونس
فلم يصلوا هذا الحد وقرا الحسن وطلحة بن مصرف وعيسى بن عمر وابن وثاب
والاعمش يونس بكسر النون وفيه للعرب ثلاث لغات ضم النون وفتحها
وكسرها وكذلك في يوسف وقوله الى حين يريد الى اجالهم المفروضة
في الازل وروي ان قوم يونس بنينوى من ارض الموصل ويقتضي ذلك قول النبي
عليه السلام لعداس حين قال له انه من اهل نينوى من قرية الرجل الصالح
يونس بن متى الحديث الذي في السير لابن اسحق قوله عز وجل ولو شاء
ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما

كان

كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل
انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون
المعنى ان هذا الذي تقدم انما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشيئته فيهم
ولو شاء الله لكان الجميع مؤمنا فلا تاسف انت يا محمد على كفر من لم يؤمن بك وادع
ولا عليك فالامر محتوم افتريد انت ان تكره الناس بادخال الايمان في قلوبهم
وتضطرهم الى ذلك والله عز وجل قد شاء غيره فهذا التاويل الاية عليه محكمة
اي ادع وقاتل من خالفك وايمان من امن مصروف الى المشيئة وقالت فرقة
المعنى افانت تكره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الايمان وزعمت ان هذه الاية في صدر
الاسلام وانها منسوخة باية السيف والاية على كلا التاويلين رادة على
المعتزلة وقوله كلهم جميعا تاكيد وهو من فصيح الكلام وجميعا حال مؤكدة
ونحوه قوله لا تتخذوا الهين اثنين وقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا
باذن الله الاية رد الى الله تعالى الحول والقوة له في ايمان من يؤمن وكون الرجس على
الكفار وقرا عاصم في رواية ابي بكر ونجعل الرجس بنون العظمة وقرا الباقون
وحفص عن عاصم ويجعل بالياء وقرا الاعمش ويجعل الله الرجس والرجس يكون
بمعنى العذاب كالرجز ويكون بمعنى القذر والنجاسة كالركس ذكره ابو علي
هنا وغيره وهو في هذه الاية بمعنى العذاب ولا يعقلون يريد ايات الله وحجج
الشرع ومعنى الاذن في هذه الاية الارادة والتقدير لذلك فهو العلم والتمكين
وقوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات الاية هذه الاية امر للكفار بالا عتبار
والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع وغير ذلك من ايات السموات وافلاكها
وكواكبها وسحابها ونحو ذلك والارض ونباتها ومعادنها وغير ذلك المعنى
انظروا في ذلك بالواجب فهو ينهيكم الى المعرفة بالله والايمان بوحدانيته وقرا
ابو عبد الرحمن والعامة بالبصرة قل انظروا بكسر اللام وقرا نافع واهل المدينة
بضم اللام ثم اعلم في اخر الاية ان النظر في الايات والسماع من النذر وهم

الانبيا لا تغني الا بمشيئة الله وان ذلك غير نافع لقوم قد قضى الله انهم لا يومنون
وهذا على ان تكون ما نافية ويجوز ان تعد استفهاما على جهة التقرير الذي في
ضمنه نفي وقوع الغنا وفي الاية على هذا توبيخ لحاضري رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المشركين وقوله الايات والنذر حصر طرق تعريف الله تعالى عباده
ويحتمل ان تكون ما في قوله وما تغني مفعولة لقوله انظروا معطوفة على قوله
ماذا اي تاملوا قدر غنا الايات والنذر عن الكفار اذا قبلوا ذلك كفعل
قوم يونس فانه يرفع العذاب في الدنيا والاخرة وينجي من المهلكات فالاية على
هذا تحريض على الايمان ويجوز اللفظ على هذا التاويل انما هو في قوله لا يومنون
قوله عز وجل فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا
اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا ننجي
المومنين قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المومنين هذا
وعيد وحض على الايمان اي اذا جاء الكفر حل بهم العذاب واذا امنوا نجوا
هذه سنة الله في الامم الخالية فهل عند هولاء غير ذلك وهو استفهام بمعنى
التوقيف وفي قوله قل انتظروا مهادنة ما وهي من جملة ما نسخه القتال
وقوله ثم ننجي رسلنا الاية لما كان العذاب لم تحصر مدته وكان النبي والمومنون
بين اظهر الكفرة وقع التصريح بان عادة الله سلفت بانجاء رسله ومتبعيهم
فالتخويف على هذا اشد وكلهم قرا ننجي بشد الجيم الا الكساي وحفصا
عن عاصم فانهما قرا ننجي بسكون النون وخفيف الجيم وقرا عاصم في سورة
الانبيا في بعض ما روي عنه نجي بضم النون وحذف الثانية وشد الجيم كان
النون ادغمت فيها وهي قراة لا وجه لها ذكر ذلك الزجاج وحكى ابو
حاتم نحوها عن الاعمش وخط المصحف في هذه اللفظة ننج بجيم مطلقة
دون ياء وكذلك قرا الكساي في سورة مريم ثم ننجي الذين اتقوا بسكون النون

وخفيف

وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون وشد الجيم والكاف في قوله كذلك يصح ان تكون
في موضع رفع ويصح ان تكون في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف وقوله تعالى
قل يا ايها الناس الاية مخاطبة عامة للناس اجمعين الى يوم القيامة يدخل تحتها
كل من اتصف بالشك في دين الاسلام وهذه الاية يشبه نظامها المحرر وفاق
مدل عليها هذا الظاهر الوجيز والمعنى ان كنتم في شك من ديني فانتم لا تعبدون
الله فاقتضت فصاحة الكلام وايجازه اختصار هذا كله ثم صرح بمعبوده وخص من اوصافه
الذي يتوفاكم لما فيها من التذكير بالموت وقرع النفوس والمصير الى الله
بعده والفقد للاصنام التي كانوا يعتقدونها ضارة ونافعة قوله عز
وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشا
من عباده وهو الغفور الرحيم المعنى قيل لي كن من المومنين وان اقم وجهك للدين
ثم جاءت العبارة بهذا الترتيب والوجه في هذه الاية بمعنى المنحى والمقصد
اي اجعل طريقك واعمالك للدين والشرع وحنيفا معناه مستقيما على قول
من قال الحنف الاستقامة وجعل تسمية المعوج القدم احنف على جهة
التفاول ومن قال الحنف الميل جعل حنيفا ها هنا مائلا عن حال الكفرة
وطريقهم وحنيفا نصب على الحال وقوله ولا تدع هو عطف على اقم وهذا
الامر والمخاطبة للنبي عليه السلام اذا كانت هكذا فاحرى ان يحذر من ذلك
غيره وما لا ينفع ولا يضر هو الاصنام والاوثان والظالم الذي يضع الشي في
غير موضعه وقوله وان يمسسك الله بضر الاية مقصود هذه الاية ان
الحول والقوة لله ويبين ذلك للناس بما يحسونه من انفسهم والضر لفظ جامع
لكل ما يكرهه الانسان كان ذلك في حاله او في بدنه وهذه الاية مظهرة
فساد حال الاصنام لان كل مميز ذي تمييز يعرف يقينا انها لا تكشف ضرا

ولا تجلب نفعا **وقوله** وان يردك بخير لفظ تام العموم وخصص النبي عليه السلام الفقه بالذكر في قوله من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وهذا على جهة التشريف للفقه **وقوله** وهو الغفور الرحيم ترجية وبسط ووعد ما **وقوله عز وجل** قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين هذه مخاطبة لجميع الكفار مستمرة مدى الدهر والحق هو القران والشرع الذي جاء به محمد فمن اهتدى اي اتبع الحق واذعن له فانما يسعى لنفسه ولانه موجب لها رحمة الله ويدفع عذابه ومن ضل اي حاد عن طريق الحق ولم ينظر بعين الحقيقة وكفر بالله عز وجل **وقوله** وما انا عليكم بوكيل اي لست باخذكم ولا بد بالايمان وانما انا مبلغ وهذه الاية منسوخة بالقتال **وقوله** واتبع ما يوحى اليه معناه اتبع ما رسمه لك شرعك وما اعلمك الله به من نصرته لك واصبر على شقاء الرسالة وما ينالك في الله من الاذى **وقوله** حتى يحكم الله وعد للنبي عليه السلام بان يغلبهم كما وقع تقتضيه قوة اللفظ وهذا الصبر منسوخ بالقتال وهذه السورة مكية وقد تقدم هذا في اولها ○

ذكر صح

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

تفسير سورة هود عليه السلام

هذه السورة مكية الا قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك وقوله اولئك يؤمنون به ونزلت في ابن سلام واصحابه **وقوله** ان الحسنات يذهبن السيئات نزلت في نبهان التمار وهذه الثلاث مدنية قاله مقاتل على ان الاولى تشبه المكي واذا اردت بهود اسم السورة لم تصرف كما تفعل اذا سميت امراة بعمرو وزيد واذا اردت سورة هود صرفت **قوله عز وجل** الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا

تعبدوا

تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ٥ تقدم استيعاب القول في الحروف المقطعة في اوائل السور وتخصيص هذا بان قيل ان الرحمن فرقت حروفه فيها وفي حم وفي ن والقلم و الر مرتفع على خبر الابتداء ان كانت الحروف اشارة الى حروف المعجم كانت الحروف المبتدا او مرتفع على الخبر ان كان اسما على غير ذلك هذا الكتاب والمراد بالكتاب القران واحكمت معناه اتقنت واجيدت شبه ما تحكم الامور المتقنة الكاملة وبهذه الصفات كان القران في الاول ثم فصل بتقطيعه وتبيين احكامه واوامره على محمد عليه السلام ثم على ما بها وهذه طريقة الاحكام والتفصيل اذ الاحكام صفة ذاتية والتفصيل انما هو بحسب من يفصل له والكتاب باجمعه محكم مفصل والاحكام الذي هو ضد النسخ والتفصيل الذي هو خلاف الاجمال انما يقال مع ما ذكرناه باشتراك وحكى الطبري عن بعض المتاولين احكمت بالامر والنهي وفصلت بالحلال والحرام ونحو هذا من التخصيص الذي هو صحيح المعنى ولكن لا يقتضيه اللفظ وقال فصلت معناه فسرت وقرا عكرمة والضحاك والجحدري وابن كثير فيما روي عنه ثم فصلت بفتح الصاد والفاء واللام ويحتمل معنيين احدهما فصلت اي نزلت الى الناس كما تقول فصل فلان بسفره ونحو هذا المعنى والثاني فصلت بين المحق والمبطل من الناس ومن لدن معناه من عند احدثت الغاية كذلك قال سيبويه وفيها لغات يقال لدن ولدن بسكون الدال وفتح اللام وقرئ بهما من لدن ويقال لدي بفتح اللام وضم الدال دون نون ويقال لد ابدال من نونه مقصورا ويقال لد بدال المحذوفة مسونة حكى ذلك ابو عبيدة وحكيم اي محكم وخبير اي خبير بالامور لجمع ان لا تعبدوا ان في موضع نصب اما على اضمار فعل واما على تقدير بان واسقاط الخافض وقيل على البدل من موضع الايات وهذا معترض ضعيف

لأنه لا موضع للآيات، وإن نظر موضع الجملة فهو رفع، ويحتمل أن يكون في
موضع رفع على تقدير تفصيله ألا تعبدوا، وقيل على البدل من لفظ الآيات
قوله إنني لكم منه نذير وبشير أي من عقابه وثوابه، وإذا أطلقت هاتان
اللفظتان فالنذارة في المكروه والبشارة في المحبوب، وقدم النذير لأن التحذير من
النار هو الأهم، وأن معطوفة على التي قبلها، ومعنى الآية استغفروا ربكم أي اطلبوا
مغفرته لكم، وذلك بطلب دخولكم في الإسلام، ثم توبوا من الكفر أي انسلخوا
منه واندموا على سالفه، وثم مرتبة لأن الكافر أول ما ينيب فإنه في طلب مغفرة
ربه، فإذا تاب وتجرد من الكفر تم إيمانه. وقرأ الجمهور يمتعكم بشد التاء، وقرأ ابن
محيصن يمتعكم بسكون الميم وتخفيف التاء، وفي كتاب أبي حاتم أن هذه القراءات
بالنون، وفي هذا نظر. ومتاعا مصدر جار على غير الفعل المتقدم مثل قوله والله أنبتكم
من الأرض نباتا، وقيل نصبه بتعدي يمتعكم لأنك تقول متعت زيدا ثوبا.
ووصف المتاع بالحسن إنما هو لطيب عيش المؤمن برجائه في الله عز وجل **وقوله**
وفرحه بالتقرب إليه بمفترضاته، والسرور بمواعيده، والكافر ليس في شيء من
هذا. وأما من قال إن المتاع الحسن هو فوائد الدنيا وزينتها فيضعف لأن الكفرة
يشاركون في ذلك أعظم مشاركة. والأجل المسمى هو أجل الموت، ومعناه أن الأجل
مسمى لكل واحد، فهذا ظاهر الآية، واليوم الكبير على هذا هو يوم القيامة.
ويحتمل الآية أن يكون التوعد بتعجيل العذاب إن كفروا، والوعد بتمتيعهم إن
آمنوا، فيشبه مقالة نوح عليه السلام، واليوم الكبير على هذا يوم بدر ونحوه،
والجهلة في أي الأمرين يكون إنما هي بحسب البشر، والأمر عند الله تعالى معلوم
محصل، والأجل واحد. **قوله** ويؤت كل ذي فضل أي ثواب فضله وجزاءه،
ويحتمل أن يعود الضمير على الله عز وجل، أي يؤتي الله فضله كل ذي فضل وعمل
صالح من المؤمنين، وعلى هذا المعنى ما وعد به تعالى من تضعيف الحسنة بعشر
أمثالها، ومن التضعيف العظيم لمن شاء، وهذا التأويل تأوله ابن مسعود

وقال

وقال ويل لمن غلبت آحاده عشراته، ويحتمل قول ابن مسعود أن يكون موافقا
للمعنى الأول. وقرأ الجمهور وإن تولوا بفتح التاء واللام، فبعضهم قال معناه الغيبة
أي فقل لهم إني أخاف عليكم، وقال بعضهم معناه وإن تتولوا فحذفت إحدى التاءين
كلاهما على مخاطبة الحاضر. وقرأ اليماني وعيسى بن عمر وإن تولوا بضم التاء واللام
وفتح الواو، وقرأ الأعرج تولوا بضم التاء واللام وإسكان الواو. **قوله** فإني أخاف
عليكم عذاب يوم كبير توعد بيوم القيامة، ويحتمل أن يريد يوما من أيام الدنيا كبدر
وغيره. **قوله** إلى الله مرجعكم توعد، وهو يؤيد أن اليوم الكبير يوم القيامة
لأنه توعد به، ثم ذكر الظرف والمهيع من الرجوع إلى الله، والمعنى إلى عقاب الله
وجزائه لكم رجوعكم، وهو القادر الذي لا يضره شيء ولا يجير عليه مجير ولا
ينفع من قضائه واقية. **قوله** على كل شيء عموم يراد به الخصوص دون ما لا
يوصف الله تعالى بالقدرة عليه من المحالات وغيرها التي هي أشياء. **قوله تعالى**
ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم
يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور وما من دابة في الأرض إلا على
الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين. قيل إن هذه
الآية نزلت في الكفار الذين كانوا إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطامنوا
وثنوا صدورهم كالمستتر وردوا إليه ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم
تباعدا منهم وكراهية للقائه، وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه أو عن الله تعالى، فنزلت
الآية في ذلك، فصدورهم على هذا منصوبة بيثنون. وقيل هي استعارة للغل والحقد
الذي كانوا ينطوون عليه، كما تقول فلان يطوي كشحه على عداوة ويثني صدره
عليها، فمعنى الآية ألا إنهم يسرون العداوة ويتكتمون بها ليخفى في ظنهم عن الله
وهو تعالى حين تغشيهم ثيابهم وإبلاغهم في التستر يعلم ما يسرون. وقرأ سعيد
بن جبير يثنون بضم الياء والنون من أثنى، وقرأ ابن عباس ليثنوني، وقرأ ابن عباس
أيضا ومجاهد وابن يعمر وابن أبزى ونصر بن عاصم والجحدري وابن إسحاق وأبو

وزر بن علي وعلي بن الحسين وابو جعفر محمد بن علي ويزيد بن علي وجعفر بن محمد وابو
الاسود والضحاك «تثنوني صدورهم» برفع الصدور وهو يحتمل المعنيين
المتقدمين في «يثنون» ووزنها تفعوعل بناء مبالغة لتكرار الامر كما تقول اعشوشبت
الارض واحلولت الدنيا وغير ذلك وحكى الطبري عن ابن عباس في هذه القراءة ان
هذه الآية نزلت في ان قوما كانوا لا يأتون النساء والحدث الا ويتغشون ثيابهم
كراهية كراهية ان يفضوا بفروجهم الى السماء وقال ابن عباس فيما روى ابن عيينة
«تثنوني» تقديرها تفعوعل بنون بعد الواو وقال ابو حاتم هذه القراءة
غلط لا تتجه وقرا نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وابن ابي اسحق «تثنون» بثاء مثلثة بعدها
نون مفتوحة بعدها واو مكسورة وقرا ايضا هما ومجاهد فيما روى عنه «تثنئن»
بهمزة بدل الواو وهاتان مشتقتان من الثن وهو العشب المثني بسهولة فشبه صدورهم
به اذ هي مجيبة الى هذا الانطواء على المكر والخدع واصل تثنون تثنونن سكنت
النون الاولى ونقلت حركتها الى الواو التي قبلها وادغمت في النون التي بعدها
واما تثنئن فاصلها تثنان مثل تحمار فالتقى ساكنان كما قالوا احمأر وابياض
والضمير في «منه» عائد على الله تعالى هذا هو الاشهر الاجزل في المعنى وعلى بعض التأويلات
يمكن ان يعود على محمد عليه السلام و«يستغشون» معناه يجعلونها اغشية
واعطية ومنه قول الخنساء: ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة
اتغشى فضل اطماري ۝ وقرا ابن عباس على حين «يستغشون» ومن هذا الاستعمال
قول النابغة: على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما اصح والشيب
وازع ۝ و«ذات الصدور» ما فيها والذات تتصرف في الكلام على وجوه هذا
احدها قول العرب الذئب مغبوط بذي بطنه اي بالذي فيه من النفخ وكقول
ابي بكر الصديق رضي الله عنه انما هو ذو بطن بنت خارجة والذات التي هي حقيقة
الشيء ونفسه قلقلة في هذا الموضع ويحتمل ان يفرق بين ذي بطنه وبين الذات
وانما يجمع بينهما المعنى وقوله «وما من دابة» الآية تمادي وصف الله تعالى في قوله

نعلم

نعلم ما يسرون وما يعلنون والدابة ما دب من الحيوان والمراد جميع الحيوان
الذي يحتاج الى رزق ويدخل في ذلك الطائر والهوام وغير ذلك كلها دواب ومنه
قال الاعشى: نيافٌ كغصن البان ترتج ان مشت دبيب قطا البطحاء في
كل منهل ۝ وقال علقمة بن عبدة: لطرهن دبيب ۝ وفي حديث
ابي عبيدة فاذا انه مثل الظرب يريد من حيوان البحر وخصصه بقوله
في الارض انما هو لانه الاقرب لحسهم والطائر والعائم انما هو في الارض وما مات
من الحيوان قبل ان يتغذى فقد اغتذى في بطن امه ولو بوجه ما وهذه الآية تعطي
ان الرزق كل ما صح الانتفاع به خلافا للمعتزلة في قولهم انه الحلال المتملك وقوله
على الله ايجاب تفضل لانه تعالى لا يجب عليه شيء عقلا و«المستقر» صلب الاب
والمستودع بطن الام وقيل المستقر المأوى والمستودع القبر وهما على هذا
ظرفان وقيل المستقر المأوى والمستودع القبر ما حصل موجودا من الحيوان
والمستودع ما سيوجد بعد قال القاضي ابو محمد والمستقر على هذا
مصدر استقر وليس بمفعول كمستودع لان استقر لا يتعدى وقوله
في كتاب اشارة الى اللوح المحفوظ وقال بعض الناس هذا مجاز وهي اشارة
الى علم الله قال القاضي ابو محمد وهذا ضعيف وحمله على الظاهر اولى وقوله
عز وجل «وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على
الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة
ليقولن ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون» قال اكثر اهل التفسير الايام هي ايام الدنيا وقالت فرقة
هي من ايام الآخرة يوم من الف سنة قاله كعب الاحبار والاول ارجح واحرى
ذكر السموات عن ذكر ما فيها اذ كل ذلك خلق في تلك الستة والخلف في
الاحاديث في ذكر بداءة الخلق وروى ابو هريرة فيما روى الطبري ان

الظرب الجبل الصغير حاشية

من

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيده وقال خلق الله التربة يوم السبت
والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثا والنور يوم
الاربعا وبث الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة ونحو
هذا في كتاب مسلم وفي كتاب الدلائل لثابت وكان خلق ادم في يوم الجمعة لا يعتد
به اذ هو بشر كساير بنيه ولو اعتد به لكانت الايام سبعة خلاف ما في كتاب
الله وروي عن كعب الاحبار انه قال بدا الله خلق السموات والارض يوم
الاحد وفرغ الجمعة وخلق ادم في اخر ساعة منه ونحو هذا في حديث اوس
ان البداة في يوم الاحد وفرغ يوم الجمعة وخلق ادم في اخر ساعة منه ونحو
هذا وخلق تعالى هذه المخلوقات في ستة ايام مع قدرته على خلقها في لحظة نهجا
لطريق التودة والتمهل في الاعمال ليحكم البشر اعمالهم وروي عن ابن عباس انه قال
انه قال كان العرش على الما وكان الما على الريح وقوله ليبلوكم متعلق بخلق
والمعنى ان خلقه اياها كان لهذا وقال بعض الناس هو متعلق بفعل مضمر تقديره
اعلم بذلك ليبلوكم ومقصد هذا القايل ان هذه المخلوقات لم تكن ليبتلي البشر
وقرا عيسى الثقفي ولين قلت بضم التا وقرا الجمهور قلت بفتح التا ومعنى الاية
الله عز وجل هذه صفاته وهولا بكفرهم في حيز ان قلت لهم انكم
مبعوثون من بعد الموت كذبوا وقالوا هذا سحر اي هذا انا اقض منهم اذ كل مفطور
يقر بان الله خالق السموات والارض فهم من جملة المقرين بهذا وهم مع ذلك منكرون
ما هو ايسر منه وهو البعث من القبور اذ البداة اعسر من الاعادة واذ خلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس واللام في لين موذنة بان اللام في ليقولن
لام قسم لا جواب شرط وقرا الحسن والاعرج وابو جعفر وشيبة وفرقة من
السبعة سحر وقرات فرقة ساحر وقد تقدم وقوله تعالى ولين اخرنا عنهم
الاية المعنى ولين تاخر العذاب الذي توعدتهم به عنهم لقالوا ما هذا الحابس لهذا
العذاب على جهة التكذيب والامة في هذه الاية المدة كما قال وادكر بعد

يوم

امة

امة قال الطبري سميت بذلك المدة لانها تمضي فيها امة من الناس وتحدث
اخرى فهي على هذا المدة الطويلة ثم استفتح الاخبار عن ان هذا العذاب
ياتي لا يرده شي ولا يصرفه وحاق معناه حل واحاط وهي مستعملة في المكروه ويوم
منتصب بقوله مصروفا قوله عز وجل ولين اذقنا الانسان منا
رحمة ثم نزعناها منه انه ليوس كفور ولين اذقناه نعما بعد ضرا مسته ليقولن
ذهب السيات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اوليك
لهم مغفرة واجر كبير اذقنا هاهنا استعارة لان الرحمة تعم هاهنا
جميع ما ينتفع به من مطعوم وملبوس وجاه وغير ذلك والانسان هاهنا اسم
الجنس والمعنى ان هذه الخلق في سجية الناس ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرايع والايمان
الى الصبر والعمل الصالح وهداية ويوس وكفور بناان للمبالغة وكفور هاهنا
هي من كفر النعمة والمعنى انه ييس ويتسخط ولو نظر الى نعمة الله الباقية عليه
في عقله وحواسه وغير ذلك من نعمه لم يرد ذلك فان اتفق ان يكون هذا في كافر ايضا
بالشرع صح ذلك لكن ليس من لفظ الاية وقال بعض الناس في هذه الاية الانسان
انما يراد به الكافر وحمله على ذلك لفظة كفور وهذا عندي مردود لان صفة
الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضي لفظة الانسان والنعما تشمل الصحة
والمال ونحو ذلك والضرا من الضر وهو ايضا شامل وقد يكثر استعمال الضرا فيما
يخص البدن ولفظة ذهب السيات عني تقتضي بطرا وجهلا لان ذلك انعام من
الله واعتقادات ذلك اتفاقا او بسعد من الاعتقادات الفاسدة والاولى فيها
من يعتقد ان ذهابها بانعام من الله وتفضل ثم ذلك والسيات كل ما يسو
في الدنيا وقرات فرقة لفرح بكسر الرا وقرات فرقة لفرح بضمها
وهذا الفرح مطلق فلذلك ذم اذ الفرح انهمال النفس ولا ياتي الفرح في القران ممدوحا
الا مقيدا انه في خير وقوله تعالى الا الذين صبروا هذا الاستثنا متصل على ما
قدمناه ان الانسان عام يراد به الجنس ومن قال انه مخصوص بالكافر قال هاهنا ان

الناس

ذلك

الاستثنا منقطع وهذا قول ضعيف من جهة المعنى واما من جهة اللفظ فجيد
ولذلك قاله من النحاة قوم واستثنى الله تعالى من الماشين على سجية الانسان هولاء
الذين حملتهم الاديان على الصبر ومثابرة عبادة الله ٥ وليس شي من ذلك
في سجية البشر وانما حمل على ذلك الخوف والرجاء لدار الاخرة والصبر والعمل الصالح
لا ينفع الا مع هداية وايمان ووعد تعالى اهل هذه الصفة تحريضا عليها وحضا بالمغفرة
للذنوب والتفضل بالاجر والنعيم قوله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
وضايق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله
على كل شي وكيل ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ٥ سبب هذه الاية ان كفار قريش قالوا
يا محمد لو تركت سب الهتنا وتسفيه ابائنا لجالسناك واتبعناك وقالوا ايت بقران
غير هذا او بدله ونحو هذا من الاقوال فخاطب الله تعالى نبيه عليه السلام على هذه
السورة من المخاطبة ووقفه بها توقيفا رادا على اقوالهم ومبطلا لها وليس المعنى
انه عليه السلام هم بشي من ذلك فزجر عنه فانه لم يرد قط ترك شي مما اوحي اليه
ولا ضاق صدره وانما كان يضيق صدره باقوالهم وافعالهم وبعدهم عن الايمان
ولعلك هاهنا بمعنى التوقيف والتقرير وما يوحى اليه هو القران والشريعة والدعا
الى الله كان في ذلك سب الهتهم وتسفيه ابائهم وغيره ويحتمل ان يكون النبي عليه
السلام قد عظم عليه ما يلقى من الشدة فمال الى ان يكون من الله تعالى [اذن] في مساهلة الكفار
بعض المساهلة ونحو هذا من الاعتقادات التي تليق به صلى الله عليه وسلم كما جا
اية الموادعة وعبر بضايق دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع تارك وان كان ضيق
اكثر استعمالا لانه وصف لازم وضايق وصف عارض فهو الذي يصلح هنا والضمير
في به عايد على البعض ويحتمل ان يعود على ما او على موضع يصل على تقدير كراهة ان
او والكنز هاهنا المال وهذا هو طلبهم اية تضطر الى الايمان وهذا غير فعل الله في بعث
الانبيا بايات اضطرار وانما بعثهم بايات النظر والاستدلال ولم يجعل اية الاضطرار الا

للامم

للامم التي قدر تعذيبها لكفرها بعد اية الاضطرار كالناقة لثمود ثم انسه تعالى
بقوله انما انت نذير اي هذا القدر هو الذي فوض اليك والله تعالى بعد ذلك هو الوكيل
الممضي لايمان من شا ولكفر من شا قوله تعالى ام يقولون الاية هذه ام التي عند
سيبويه بمعنى بل والف الاستفهام كانه اضرب عن الكلام الاول واستفهم في الثاني
على معنى التقرير كقولهم انها لابل ام شا والافترا اخص من الكذب ولا يستعمل
الا فيما بهت به المرء وكابر وجا بامر عظيم منكر ووقع التحدي في هذه الاية
بعشر لانه قيدها بالافترا فوسع عليهم في القدر لتقوم الحجة غاية القيام اذ قد
عجزهم في غير هذه الاية بسورة من مثله دون تقييد فهي مماثلة تامة في غيوب القران
ونظمه ووعده ووعيده وعجزوا في هذه الاية بان قيل لهم عارضوا القدر منه
بعشرة امثاله في التقدير والغرض واحد واجعلوه مفترى لا يبقى لكم الا
نظمه فهذه غاية التوسعة وليس كلفهم عشر سور بعشر لان هذه انما كانت تجي [المعنى]
معارضة سورة بسورة مفتراة ولا يبالي عن تقديم نزول هذه ويويد هذا النظر
ان التكليف في اية البقرة انما هو بسبب الريب ولا يزيل الريب الا العلم بانهم لا
يقدرون على المماثلة التامة وفي هذه الاية انما التكليف بسبب قولهم افتراه
فكلفوا نحو ما قالوا ولا يطرد هذا في اية يونس وقال بعض الناس هذه
مقدمة في النزول على تلك ولا يصح ان يعجزوا في واحدة فيكلفوا عشرة
والتكليفان سوا ولا يصح ان تكون السورة الواحدة مفتراة واية سورة يونس
في تكليف سورة مترتبة على قولهم افتراه وكذلك اية البقرة وانما ريبهم بان
القران مفترى وقايل هذا القول لم يلحظ الفرق بين التكليفين في كمال المماثلة مرة
ووقوفها على النظم مرة ومن من قوله من استطعتم يراد به الالهة والاصنام
والشياطين وكل ما كانوا يعظمونه وقوله ان كنتم صادقين يعني ان القران
مفترى قوله عز وجل فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله
وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم

اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار
وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون لهذه الآية تأويلان احدهما
ان يكون المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم للكفار اي فان لم يستجب من تدعونه من دون
الله الى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليها فاذعنوا حينئذ واعلموا انه من عند
الله ويأتي قوله فهل انتم مسلمون متمكنا والثاني ان يكون مخاطبة من الله تعالى
للمؤمنين اي فان لم يستجب الكفار الى ما دعوا اليه من المعارضة فاعلموا ان ذلك من
عند الله وهذا على معنى دوموا على علمكم لانهم كانوا عالمين بذلك قال مجاهد قوله
تعالى فهل انتم مسلمون هو لاصحاب محمد عليه السلام وقوله تعالى بعلم الله
يحتمل معنيين احدهما باذنه وعلى علم منه والثاني انه انزل بما علمه الله تعالى من الغيوب
وكانه اراد اعلموا ما لله وقوله فهل انتم مسلمون تقرير قوله تعالى من كان
يريد الحياة الدنيا الآية قالت فرقة ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الكفرة
هذا قول قتادة والضحاك وقال مجاهد هي في الكفرة وفي اهل الرياء من المؤمنين
والى هذا ذهب معاوية حين حدثه شفي بن ماتع الاصبحي عن ابي هريرة عن قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجل المتصدق وفي المجاهد المقتول وفي القائم بالقرآن
ليله ونهاره كل ذلك رياء انهم اول من تسعر بهم النار يوم القيامة فلما حدثه شفي بهذا
بهذا الحديث بكى معاوية وقال صدق الله ورسوله وتلا من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها الى قوله وباطل ما كانوا يعملون فاما من ذهب الى انها في الكفرة
فمعنى قوله يريد يقصد ويعتمد اي هي وجهه ومقصده لا معتقد له غيرها
فالمعنى من كان يريد باعماله الدنيا فقط اذ لا يعتقد آخرة فان الله يجازيه على
حسن اعماله في الدنيا بالنعم والحواس وغير ذلك فمنهم مضيق عليه ومنهم موسع
له ثم حكم بعد ذلك بانهم لا يحصل لهم يوم القيامة الا النار ولا يكون لهم حال سواها
فاستقام على هذا المعنى لفظ الآية وهو عندي ارجح التأويلات بحسب تقدم ذكر
الكفار المناقضين في القرآن فاما قصد بهذه الآية اولئك واما من ذهب الى انها في

العصاة من المؤمنين فمعنى يريد عنده يحب ويؤثر ويفضل وان كان له مقصد
آخر بمعنى فان الله يجازيه على تلك الاعمال الحسان التي لم يعملها الا للنعم في الدنيا
ثم يأتي قوله ليس لهم بمعنى ليس يجب لهم او يحق لهم الا النار وجائز ان يتغمدهم الله
برحمته وهذا هو ظاهر الفاظ ابن عباس وسعيد بن جبير وقال انس بن مالك
هي في اهل الكتاب ومعنى هذا ان اهل الكتاب الكفرة يدخلون في هذه الآية لا انها
ليست في غيرهم وقرأ جمهور الناس نوف بنون العظمة وقرأ طلحة بن ميمون ابن
مهران يوف بياء الغائب ويبخسون معناه يعطون اقل من حقهم وحبط معناه
بطل وسقط ومنه قوله عليه السلام يقتل حبطا او يلم وهي مستعملة في فساد
الاعمال والضمير في قوله فيها عائد على الدنيا في الاولين وفي الثالثة عائد على الآخرة
وقرأ جمهور الناس وباطل بالرفع على الابتداء والخبر وقرأ ابي وابن مسعود وباطلا
بالنصب قال ابو حاتم ثبتت في اربعة مصاحف والعامل فيه يعملون وما زائدة
التقدير وباطلا كانوا يعملون والباطل كلما يقتضي ذاته ان لا تنال به غاية في ثواب
ونحوه قوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه
ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
اختلف المتأولون في المراد بقوله افمن فقالت فرقة المراد بذلك المؤمنون بمحمد عليه
السلام وقالت فرقة المراد محمد عليه السلام خاصة وقال علي المراد بذلك محمد
والمؤمنون جميعا وكذلك اختلف في المراد بالبينة فقالت فرقة المراد بذلك القرآن
اي على جلية بسبب محمد عليه السلام والهاء في البينة للمبالغة كهاء علامة ونسابة
وكذلك اختلف في المراد بالشاهد فقال ابن عباس وابراهيم النخعي ومجاهد
والضحاك وابو صالح وعكرمة هو جبريل وقال الحسن بن علي هو محمد عليه السلام
وقال مجاهد ايضا هو ملك وكله الله بحفظ القرآن ويحتمل ان يريد بهذه الالفاظ
جبريل وقال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هو لسان النبي عليه السلام

[illegible] ابن عباس رضي الله عنه والحسن وقتادة [illegible]

وقالت فرقة هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه وروي ذلك عنه وقالت فرقة هو الانجيل
وقالت فرقة هو القران وقالت فرقة هو اعجاز القران ويتصرف قوله يتلوه على معنيين
بمعنى يقرؤه وبمعنى يتبعه ويتصرف بحسب الخلاف المذكور في الشاهد ولكن ترتيب
الاية اطراد كل قول وما يحتمله فاذا قلنا ان قوله افمن يراد به المؤمنون فان جعلنا بعد ذلك
البينة محمدا عليه السلام صح ان يترتب الشاهد الانجيل ويكون يتلوه بمعنى يقرؤه
لان الانجيل يقرا فيه والمعونة فيه وان يترتب الملك ويكون الضمير في منه عائدا على الرب
وان يترتب علي بن ابي طالب ويكون يتلوه بمعنى يتبعه ويكون الضمير في منه عائدا على
البينة التي هي هنا محمد عليه السلام وان يترتب القران ويكون يتلوه بمعنى يتبعه
ويعود الضمير في منه على الرب وان جعلنا البينة القران على ان افمن هم المؤمنون صح ان
يترتب الشاهد محمدا عليه السلام وصح ان يترتب الانجيل وصح ان يترتب شاهد
الاعجاز ويكون يتلوه بمعنى يتبعه ويعود الضمير في منه على القران واذا جعلنا افمن للنبي
عليه السلام كانت البينة القران وترتب الشاهد لسان النبي عليه السلام وترتب
الانجيل والملك وترتب علي بن ابي طالب وترتب الاعجاز ويتاول يتلوه بحسب الشاهد
كما قلنا ولكن هذا القول يضعف قوله اولئك فانا اذا جعلنا قوله افمن للنبي وحده فلم
نجد في الاية مذكورين يشار اليهم باولئك ويحتاج في الاية الى تجوز وتشبيه بقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا طلقتم النساء وشبهه ليس بالقوي والاوضح في الاية
في الاول ان يكون قوله افمن للمؤمنين او للمؤمنين والنبي معهم بان لا يترتب الشاهد بعد
ذلك يراد به النبي اذ قدرناه داخلا في قوله افمن ولما تركناه من بسط هذا الترتيب
يخرجها الذي يبرعه فتامله وقرا جمهور الناس كتاب بالرفع وقرا الكلبي
وغيره كتاب بالنصب فمن رفع قدر الشاهد والانجيل معناه يقرا القران او محمدا
حسبما اول او الانجيل ومن قبل الانجيل كتاب موسى اذ في الكتابين ذكر القران وذكر
محمد ونصح ان يقدر الرافع الشاهد القران ونطرد الالفاظ بعد ذلك ومن نصب
كتاب قدر الشاهد جبريل عليه السلام اي يتلوا القران ~~يتلوا القران جبريل ومن~~

قبل

قبل القران كتاب موسى وهما اعتراض بين الكلام فقال من قبله كتاب موسى او كتاب
بالنصب على القراءتين والضمير في قبله عائد على القران فلم يذكر الانجيل وهو قبله
بينه وبين كتاب موسى لان القران ما انفصل اليه الا عن التوراة باذكار المليين
مجمعة اياها من عند الله والانجيل ليس كذلك لان اليهود تخالف فيه فكان
الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الطائفتين اولى وهذا يجري مع قول الجن انا
سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ومع قول النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج
من مشكاة واحدة فانما اختص الانجيل من جهة ان مذهبهم فيه مخالف لحال القران
والتوراة ونصب اماما على الحال من كتاب موسى والاحزاب هاهنا يراد به جميع الامم
وروى سعيد بن جبير عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما
من احد يسمع بي من هذه الامة ولا من اليهود والنصارى ثم لا يؤمن بي فيدخل النار الا
قال سعيد فقلت اين مصداق هذا في كتاب الله حتى وجدت في هذه الاية وكنت
اذا سمعت حديثا عن النبي عليه السلام طلبت مصداقه في كتاب الله والراجح
عندي من الاقوال في هذه الاية ان يكون افمن للمؤمنين او لهم وللنبي معهم اذ قد تقدم
ذكر الذين ليس لهم في الاخرة الا النار فعقبت ذكرهم بذكر ضدهم والبينة القران
وما تضمن والشاهد محمد عليه السلام او جبريل اذا دخل النبي في قوله افمن او
الانجيل والضمير في يتلوه للبينة وفي منه للرب تعالى والضمير في قوله قبله للبينة ايضا
وغير هذا مما ذكرته ايضا وغير هذا مما ذكرته انفا محتمل وقرا الجمهور في مرية
بكسر الميم وقرا السلمي وابو رجاء وابو الخطاب السدوسي في مرية بضم الميم وهما لغتان
في الشك والضمير في منه عائد على كون الكفرة موعدهم النار وسائر الاية بين وفي
هذه الاية معادلة محذوفة يقتضيها ظاهر اللفظ تقديره افمن كان على بينة
من ربه كمن كفر بالله وكذب انبياءه ونحو هذا في معنى الحذف قوله عز وجل ولو ان
قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكان هذا القران ومن
فاقسم لو شئ اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا **والسلم**

التقدير لو رددناه ولم يصغ اليه قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا
لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا وهم بالاخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون
الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
قوله ومن استفهام بمعنى التقرير وكانه قال لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا
والمراد بهم الكفرة الذين يدعون مع الله الها اخر ويفترون في غير ما شي وقوله اولئك
يعرضون على ربهم عبارة عن الاشادة والتشهير بخزيهم والا فكل بشر معروض على الله يوم
القيامة وقوله ويقول الاشهاد قالت فرقة يريد الشهداء من الانبياء والملائكة
فيجي قوله هؤلاء الذين كذبوا على ربهم اخبارا عنهم وشهادة عليهم وقالت فرقة الاشهاد
بمعنى المشاهدين ويريد جميع الخلائق وفي ذلك اشادة بهم وروي في نحو هذا
حديث انه لا يخزى احد يوم القيامة الا ويعلم ذلك الجميع من شهد المحشر فيهم كما
فيجي قوله هؤلاء على هذا التاويل استفهاما عنهم وتثبيتا فيهم كما تقول اذا رايت
مجرما قد عوقب اهذا هو الذي فعل كذا وكذا وان كنت قد علمت ذلك وقوله
الا استفتاح كلام واللعنة الابعاد والذين نعت للظالمين ويحتمل الرفع على تقدير
هم الذين ويصدون يحتمل ان يقدر متعديا على معنى يصدون الناس ويمنعونهم من سبيل
الله ويحتمل ان يقدر غير متعد على معنى يصدون هم اي يعرضون وسبيل الله دينه
ويبغونها معناه يطلبون لها كما تقول ابغيتك خيرا او شرا اي طلبته لك وعوجا
على هذا مفعول ويحتمل ان يكون المعنى ويبغون السبيل على عوج اي هم لا يهتدون ابدا
فعوجا على هذا مصدر في موضع الحال والعوج الانحراف والميل المؤدي الى [illegible]
وكرر قوله هم على جهة موضع الفصل لان الفصل انما يكون بين معرفتين او معرفة ونكرة
تقارب المعرفة لانها تفصل بين ان يكون ما بعدها صفة او خبرا وعلامة للخبر
ومعجزين معناه مفلتين لا يقدر عليهم وخص ذكر الارض لان تصرف ابن ادم ومنعته

انما

انما هو فيها وهي قصاراه لا يستطيع النفوذ منها وقوله وما كان لهم
من دون الله من اولياء يحتمل معنيين احدهما ان ينفي ان يكون لهم ولي او ناصر كائنا
ما كان والثاني ان يقصد وصف الاصنام والالهة بانهم لم يكونوا اولياء على حقيقة
وان كانوا يعتقدون انهم اولياء اخبر انهم يضاعف لهم العذاب يوم القيامة
اي يشدد حتى يكون ضعفي ما كان ويضاعف فعل مستانف وليس بصفة وقوله
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون يحتمل خمسة اوجه احدها ان
يصف هؤلاء الكفار بهذه الصفة على معنى ان الله ختم عليهم بذلك فهم لا يسمعون
سماعا ينتفعون به ولا يبصرون كذلك والثاني ان يكون وصفهم بذلك من اجل
بغضهم في النبي عليه السلام فهم لا يستطيعون ان يحملوا انفسهم على السمع منه
والنظر اليه وينظر الى هذا احتشاء الطفيل ابن عمرو اذنيه بالكرسف [illegible] قريش
وقت الحديبية ان يسمعوا ما ينقل اليهم من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
ردهم عن ذلك مشيختهم والثالث ان يكون وصف لتلك الاصنام والالهة
التي يدعونها على التاويل المقدم ان يكونوا اولياء وما في هذه الوجوه الثلاثة نافية والرابع
ان يكون التقدير يضاعف لهم العذاب بما كانوا فحذف الجار وتكون ما مصدرية وهذا
قول فيه تحامل قاله الفراء وقرنه بقوله اجازيك ما صنعت بي والخامس
ان يكون ما ظرفية اي ان العذاب يضاعف لهم مدة استطاعتهم السمع والبصر وقد
اعلمت الشريعة انهم لا يموتون فيها ابدا فالعذاب اذا دائم ابدا وقدم السمع في
هذه الاية على البصر لان حاسته اشرف من حاسة البصر اذ عليه تنبني في الاحكام
معرفة دلالات الاسماء اذ هو كاف في اكثر المعقولات دون البصر اي عن [illegible]
قوله عز وجل اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ۞ خسروا انفسهم بوجوب العذاب
عليهم ولا خسران اعظم من خسران النفس وضل معناه تلف ولم يجدوه حيث املوه

ولا جرم لفظة مركبة من لا ومن جرم بنيتا ومعنى لا جرم حق هذا مذهب
سيبويه والخليل وقال بعض النحويين معناها لا بد ولا شك ولا محالة وقد
روي هذا عن الخليل وقال الزجاج لا رد عليهم ولما تقدم من كل ما قبلها
وجرم معناه لسب اي كسب فعلهم انهم في الاخرة هم الاخسرون وموضع ان على
مذهب سيبويه رفع وموضعها على مذهب الزجاج نصب وقال الكسائي في
معناها لا صد ولا منع فكان جرم على هذا من معنى القطع يقال جرمت اي قطعت وهو
على مذهب الزجاج من الكسب ومنه قول الشاعر جريمة ناهض في راس نيق ترى
لعظام ما جمعت صليبا ... وجريمة القوم كاسبهم واما قول الشاعر
ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ... فيحتمل الوجهين
ويختلف معنى البيت وفي لا جرم لغات يقول بعض العرب لا ذا جرم وبعضهم لا ان ذا جرم
وبعضهم لا عن ذا جرم وبعضهم لا جر حذفوا الميم لكثرة استعماله واخبتوا
معناه خشعوا قاله قتادة وقيل انابوا قاله ابن عباس وقيل اطمانوا قاله مجاهد
وقيل خافوا قاله ابن عباس ايضا وهذه الاقوال بعضها قريب من بعض واصل اللفظ من
الخبت وهو البراح القفر المستوي من الارض فكان المخبت في القفر قد انكشف
واستسلم وبقي دون منعة فشبه المتذلل الخاشع بذلك وقيل انما اشتق منه لاستوائه
وطمانينته قوله الى ربهم والفريقان الكافرون والمومنون شبه الكافر بالاعمى
وبالاصم وشبه المومن بالبصير وبالسميع فهو على تمثيل مثالين وقال بعض المتاولين
التقدير كالاعمى الاصم والبصير السميع ودخلت واو العطف كما تقول جائني زيد العاقل
والكريم وانت تريده بعينه فهو على هذا تمثيل مثال واحد ومثلا نصب على التمييز
ويجوز ان يكون حالا قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير
مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملا الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي
وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين هذه الاية فيها تمثيل
لقريش وكفار العرب واعلام ان محمدا عليه السلام ليس ببدع من الرسل وروي

ان

ان نوحا عليه السلام اول رسول الى الناس وروي ان ادريس اول نبي بعث من بني
ادم الا انه لم يرسل فرسالة نوح انما كانت الى قومه كسائر من تقدم من الانبيا
واما الرسالة العامة فلم تكن الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وقرا نافع وابن عامر وعاصم
وحمزة اني بكسر الالف وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي اني بفتح الالف فالكسر على
اضمار القول المعنى قال لهم اني لكم نذير مبين وقوله الا تعبدوا متعلق بارسلنا اي
ارسلنا نوحا بان لا تعبدوا الا الله واعترض اثناء الكلام بقوله اني لكم نذير وفتح
الالف على اعمال ارسلنا في ان اي باني لكم نذير قال ابو علي وفي هذه القراءة خروج
من الغيبة الى المخاطبة قال القاضي ابو محمد وفي هذا نظر وانما هي
حكاية مخاطبته لقومه وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة الى مخاطبة ولو كان
الكلام ان انذرهم او نحوه لصح ذلك والنذير المحذر من المكاره قوله الا تعبدوا
الا الله ظاهره في انهم كانوا يعبدون الاوثان ونحوها وذلك بين في غير هذه الاية
واليم معناه مولم ووصف به اليوم وحقه ان يوصف به العذاب تجوزا اذ العذاب
في اليوم فهو كقولهم نهار صائم وليل قائم والملا الجمع والاكثر من القبيلة
والمدينة ونحوه ويسمى الاشراف ملا ادهم عدة الدهر والسادة ومدده في
الاراء والامور والجماعة كسرة ملا ولما قال لهم نوح اني نذير قالوا ما نراك الا
بشرا مثلنا اي والله تعالى لا يبعث رسولا من البشر فجاءوا بالجائر على الله تعالى
والاراذل جمع ارذل وقيل جمع اراذل واراذل جمع رذل وكان اللازم على هذا ان
يقال الاراذل واذا انبثت الناس جمع صبور فالحري ان الاراذل من موضع اسمها فيها
وهم سفلة الناس ومن لا خلاق له ولا يبالي ما يقول ولا ما يقال له وقرا الجمهور
بادي الراي بيا دون همز من بدا يبدو ونصبه يكون من بدا مستهلا وقرا ابو عمرو
وعيسى الثقفي بادئ الراي من بدا يبدا وبين القراتين اختلاف في المعنى
نعطيه التدبر فتركت التطويل ببسطه والعرب تقول اما بادي الراي فاني
احمد الله واما بادي بغير همز فيها وقال الراجز

أضحى لخالي شبهي بادي بدي ° وصار للفحل لساني ويدي ° وقال الآخر
وقد علتني ذرأة بادي بدي ° وقرأ الجمهور بهمز الرائي ° وقرأ أبو عمرو بترك همزه وبادي
نصب على الظرف وصح أن يكون اسم الفاعل ظرفا كما يصح في قريب ونحوه وهو قليل وفاعل
معا قبل ابدا على معنى واحد وفي المصدر نحو لك جهد نفسي احدث [illegible] والتعلق
قوله بادي الرأي يحتمل ستة أوجه أحدها أن يتعلق بنراك أي وما نراك بأول
نظر وأقل فكرة وذلك هو بادي الرأي إلا ومتبعوك أراذلنا والثاني أن يتعلق بقوله اتبعك
أي وما نراك اتبعك بادي الرأي إلا الأراذل ثم يحتمل على هذا قوله بادي الرأي معنيين
أحدهما أن يريد اتبعك في ظاهر أمرهم وعسى أن بواطنهم ليست معك والثاني
والثاني أن يريد اتبعوك بأول نظر بالرأي البادي دون تعقب ولو تثبتوا لم يتبعوك
وفي هذا الوجه ذم الرأي الغير مروي والوجه الثالث من يتعلق قوله بادي الرأي
أن يتعلق بقوله أراذلنا أي الذين هم أراذلنا بأول نظر فيهم وببادي الرأي يعلم ذلك
منهم ويحتمل أن يكون قولهم بادي الرأي وصفا منهم لنوح أي تدعي عظيما وأنت مكشوف
الرأي لا حصافة لك ونصبه على الحال أو على الصفة لبشر ويحتمل أن يكون اعتراضا
في الكلام مخاطبة لمحمد عليه السلام ويجيء هذا جميعه أشبه معان وبحور التعلق
في هذا الوجه بقال ومعنى وما نرى لكم علينا من فضل أي ما من شيء تستحقون به الاتباع
والطاعة قالوا بل نظنكم كاذبين فيحتمل أنهم ظنوا نوحا وحده بهذا الخطاب ويكون من
باب قوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ويحتمل أن خاطبوا نوحا ومن آمن معه من
قومه أي إنكم كاذبون في تصديقكم هذا الكاذب في قولكم إنه نبي مرسل قوله
عز وجل قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت
عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا
على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما
تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون هذه الآية كأنه
قال أرأيتم إن هداني الله واصطفاني وأجاركم على الهدى وأنتم له كارهون له معرضون

عنه

عنه واستفهامه في هذه الآية أولا وثانيا على جهة التقرير وعبارة نوح عليه السلام
كانت بلغته دالة على المعنى القائم بنفسه وهو هذا المفهوم من هذه العبارة
العربية فبهذا استقام أن يقال قال كذا وكذا إذ الأقوال إنما أفادت المعنى القائم
بالنفس وقوله على بينة أي على أمر جلي والهاء في بينة للمبالغة كعلامة ونسابة
وآتاني الرحمة هو هدايته للبينة والمشار إليه بهذا كله النبوة والشرع
وقوله من عنده تأكيدا قال بعضهم بخاصية ونحوه وفائدته رفع الاشتراك
ولو بالاستعارة وقرأ جمهور الناس فعميت ولذلك وجهان من المعنى أحدهما خفيت
يوم ذلك يقال للسحاب العماء لأنه يخفي ما فيه كما يقال له الغمام لأنه يغمه وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم أين كان الله قبل أن يخلق الأشياء قال في عماء المعنى الثاني
أن يكون الإرادة فعميتم أنتم عنها لكنه قلب كما تقول العرب أدخلت القلنسوة في رأسي
ومنه قول الشاعر ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه وسائره باد إلى الشمس
أجمع ° قال أبو علي وهذا مما يقلب إذ ليس فيه إشكال وفي القرآن فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله وقرأ حفص وحمزة والكسائي فعميت بضم العين وشد الميم
على بناء الفعل للمفعول وهذا يحتمل من الإخفاء ويحتمل القلب المذكور وقرأ الأعمش
وغيره فعماها عليكم قال أبو حاتم روى الأعمش عن ابن وثاب وعميت والواو
خفيفة ° وقوله أنلزمكموها يريد إلزام جبر كالقتال ونحوه وأما إلزام
الإيجاب فهو حاصل وقال النحاس معناه أنوجبها عليكم وقوله في ذلك خطأ
وفي قراءة أبي بن كعب أنلزمكموها من شطر أنفسنا ومعناه من تلقاء أنفسنا °
وروي عن ابن عباس أنه قرأ ذلك من شطر قلوبنا وقوله يا قوم لا أسألكم عليه
مالا الآية الضمير في عليه عائد على التبليغ وقوله وما أنا بطارد الذين آمنوا
يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء الذين بادروا إلى الإيمان به نظير ما اقترح
قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرد أتباعه بمكة الذين لم يكونوا من قريش
وقوله إنهم ملاقو ربهم تنبيه على العودة إلى الله ولقاء جزائه المعنى فيوصلهم

ان حقهم عندي ان طردتهم وصفهم بالجهل في مثل هذا الاقتراح ونحوه
(قوله) ويا قوم من ينصرني من الله الاية هو استفهام بمعنى تقرير وتوقيف اي لا ناصر
مدفع عني عقاب الله ان طردتهم بالطرد عن الخير الذي قبلوه ثم وقفهم بقوله افلا تذكرون
وعرض عليهم النظر المودي الى صحة هذا الاحتجاج (قوله عز وجل) ولا
اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري
اعينكم لن يوتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح
قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين (قوله)
ولا اقول عطف على قوله لا اسالكم عليه مالا ومعنى هذه الاية اني لا اموه عليكم
ولا اتعاطى غير ما اهلني الله له فلست اقول عندي خزائن الله يريد القدرة التي يوجد
بها الشي بعد حال عدمه وقد يمكن ان يكون من الموجودات كالرياح والماء ونحوه مما
هو كثير بالخزائن لله تعالى له فان سمي ذلك على جهة التجوز تجوزا فيشبه الاثر كما
روي في امر ريح عاد انه فتح عليهم من الريح قدر حلقة الخاتم ولو كان قدر منخر الثور
لاهلك الارض وروي ان الريح عتت على الملائكة الموكلين بقدرها فلذلك وصفها
الله بالعتو وقال ابن عباس وغيره عتت على الخزان فهذا ونحوه يقتضي ان ثم خزائن
ثم قال ولا اعلم الغيب ثم لحط عن هاتين قال ولا اقول اني ملك وظاهر هذه
الاية فضل الملك على البشر وعلى النبي منهم وهي مسالة اختلاف وظواهر القران على
ما قلناه وان احتمل قوله ولا اقول اني ملك على حد ان لو قال ولا اقول اني كوكب
ونحوه من الطريقة التفضيل ولكن الظاهر ما ذكرناه وتزدري اصله تزتري تفتعل
من زرى يزري ومعنى تزدري تحتقر والخير هنا يظهر فيه انه خير الاخرة اللهم الا
ان يكون ازدراؤهم من جهة الفقر فيكون الخير المال وقد قال بعض المفسرين حيث ما ذكر
الله الخير في القران فهو المال وفي هذا الكلام تحامل والذي يشبه ان يقال انه حيث ما
ذكر الخير فان المال يدخل فيه (قوله) الله اعلم بما في انفسهم تسليم لله تعالى
اي لست احكم عليهم بشي من هذا وانما الحكم عليهم بذلك ويخرج حكمه الى خيرا لوجود الله

تعالى

تعالى الذي يعلم ما في نفوسهم ويجازيهم بذلك وقال بعض المتاولين هي رد على
قولهم اتبعك اراذلنا على ما ظهر منهم حسب ما تقدم في بعض تاويلات الاية
انفا فالمعنى لست احكم عليهم بان لا يكون لهم خير بظنكم بهم ان بواطنهم ليست
كظواهرهم الله عز وجل اعلم بما في نفوسهم ثم قال اني اذا لو فعلت ذلك لمن الظالمين
الذين يضعون الشي في غير موضعه (قوله تعالى) قالوا يا نوح الاية معناه قد
طال منك هذا الجدال وهو المراجعة في الحجة والمخاصمة والمقابلة بالاقوال حتى
تقع الغلبة وهو ماخوذ من الجدل وهو شدة الفتل ومنه خيل مجدول
اي محكم ومنه قيل للصقر اجدل لشدة بنيته وقتل اعطافه والجدال فعال مصدر
فاعل جي على فعال وفيعال ومفاعلة فتركت الياء من فيعال ورفضت ومن الجدال ما
هو محمود وذلك اذا كان الجدال مع كافر حربي في منعته ونطمع بالجدال ان يهتدي
ومن ذلك هذه الاية ومنه قوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن الى غير ذلك من
الامثلة ومن الجدال ما هو مكروه وهو ما يقع بين المسلمين بعضهم في بعض في طلب
علل الشرائع وتصور ما لم يخبر الشرع به من قدرة الله تعالى وقد نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك وكرهه العلماء والله المستعان وقرا ابن عباس قد جادلتنا فاكثرت
جدلنا بغير الف وبفتح الجيم ذكره ابو حاتم والمراد بقولهم بما تعدنا العذاب والهلاك
والمفعول الثاني لتعدنا مضمر تقديره بما تعدناه ولما كان الكلام يقتضي العذاب كان ان
يستعمل فيه الوعيد (قوله عز وجل) انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين
ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه
ترجعون ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون المعنى
ليس ذلك بيدي ولا الي توقيته وانما ذلك بيد الله وهو الاتي به ان شاء واذا شاء
ولستم من المنفلتين من يد ولا تعتصمون منه وانما انتم في قبضة القدرة ونحو
ذلك الهلكة وليس نصحي لكم بنافع ولا ارادتي الخير لكم مغنية اذا كان الله تعالى قد
اراد بكم الاغواء والاضلال والاهلاك والشرط الثاني اعتراض من الكلام وفيه

بلاغة في اقتران الارادتين وان اراد البشر غير مغنيه وتعلق هذا الشرط هو نحو
وتعلق الاخر هو بلا ينفع والنصح هو سد ثلم الراي للمنصوح ورقيعه وهو ماخوذ
من نصح الثوب اذا خاطه والمنصح الابرة والخيط يقال له منصح ونصاح وقالت
فرقة معنى قوله يغويكم يضلكم من قولهم غوى الرجل يغوى ومنه قول الشاعر
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما واذا كان هذا
معنى اللفظة ففي الاية حجة على المعتزلة القائلين ان الضلال انما هو من العبد وقالت
فرقة معنى قوله يغويكم يهلككم والغوى المرض والهلاك وفي لغة طي اصبح فلان
غاويا اي مريضا والغوى بشم الفصيل قاله يعقوب في الاصلاح وقيل فقده اللبن
حتى يموت جوعا قاله الفرا وحكاه الطبري يقال منه غوي يغوى وحكى الزهراوي انه
الذي قطع عنه اللبن حتى كاد يهلك بعد فاذا كان هذا معنى اللفظة زال موضع
النظر بين اهل السنة والمعتزلة ومعنى الاحتجاج عليهم بما هو ابين من هذه الاية
كقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه الاية ونحوها وحكى رحمه الله اعتقاد المعتزلة
تعلقا وحجة بالغة بهذا التاويل ورد عليه وافرط حتى انكر ان يكون الغوى بمعنى
الهلاك موجودا في لسان العرب وقوله هو ربكم تنبيه على المعرفة بالخالق
واليه ترجعون اخبار في ضمنه وعيد وتخويف وقوله تعالى ام يقولون افتراه الاية
قال الطبري وغيره من المتاولين والمولفين في التفسير ان هذه الاية اعتراض في
قصة نوح وهي في شان محمد عليه السلام مع كفار قريش وذلك انهم قالوا افترى
القران وافترى هذه القصة عن نوح فنزلت الاية في ذلك وهذا لو صح بسند وجب
الوقوف عنده والا فهو يحتمل ان يكون في شان نوح عليه السلام ويبقى اتساق
الاية مطردا ويكون الضمير في قوله افتراه عايدا الى العذاب الذي توعدهم به او على جميع
اخباره واوقع الافترا على العذاب من حيث يقع على الاخبار به والمعنى ام يقولون افتراه
الكفرة افترى نوح هذا التوعد بالعذاب واراد الارهاب علينا بذلك ثم يطرد ما في
الاية على هذا وام هي التي بمعنى بل يقولون والاجرام مصدر اجرم يجرم اذا جنا فقال

جرم واجرم بمعنى ومن ذلك قول الشاعر طريد عشيرة ورهين ذنب
بما جرمت يدي وجنى لساني قوله عز وجل واوحي الى نوح انه لن يؤمن من
قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ۞ قرا ابو البرهسم واوحى بفتح
الهمزة على اسناد الفعل الى الله عز وجل انه بكسر الهمزة وحمل النوح هذا بعد ان طال
عليه كفر القرن بعد القرن وكان ياتيه الرجل بابنه فيقول يا بني لا تصدق هذا الشيخ
فهكذا عهد الي وجدي كذا ابا مجنونا رواه عبيد بن عمير وغيره وهذه الاية
التي استنوحا عليه السلام من قومه فروي انه لما اوحي اليه ذلك دعا فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وتبتئس من البوس ورنه تفتعل ومعناه
لا تحزن نفسك ومنه قول الشاعر وهو لبيد بن ربيعة
في ماتم كنعاج صارة يبتئسن بما لقينا ۞ صارة موضع وفي امر نوح عليه السلام
تدافع في ظاهر الايات والاحاديث ينبغي ان يلخص القول فيه وذلك ان ظاهر
امره انه عليه السلام دعا على الكافرين عامة من جميع الامم ولم يخص قوما دون غيرهم
وتظاهرت الروايات وكتب التفاسير بان الغرق نال جميع اهل الارض وعم الماء
جميعها قاله ابن عباس وغيره ويوجب ذلك امر نوح بحمل الازواج من الحيوان
ولولا خوف فناء اجناسها من جميع الارض ما كان ذلك فلا يتفق لنا ان نقول ان الله لم يكن
في الارض غير قوم نوح في ذلك الوقت لانه يحتاج ان يكون نوح قد بعث الى جميع
الناس وقد صح ان هذه الفضيلة خاصة لمحمد عليه السلام بقوله اوتيت
خمسا لم يؤتهن احد قبلي فلا بد ان يكون كثير من الامم كان في ذلك الوقت واذا كان
ذلك فلم استحقوا العقوبة في جميعهم ونوح لم يبعث الى كلهم وما نقدر
هنا ان الله تعالى قد بعث اليهم رسلا قبل نوح فكفروا بهم واستمر كفرهم لولا
~~ان الله تعالى قد بعث اليهم رسلا قبل نوح~~ وايا خذ الحديث بطوبا ان نوحا هو
اول الرسل الى اهل الارض ولا يمكن ايضا ان نقول هذا نوادون رسالة وحد حد

في القرآن وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والتأويل المخلص من هذا كله
هو أن تقول إن نوحا عليه السلام هو أول رسول بعث إلى كفار من أهل
الأرض ليصلح الخلق وبالغ في التبليغ وتحمل المشقة من الناس حسب ما ثبت في
الحديث ثم تقول إنه بعث إلى قومه خاصة بالتبليغ والدعاء والتنبيه وثَمّ في
أمم في الأرض كثير لم يكلف القول لهم فتصح الخاصة لمحمد عليه السلام ثم تقول
إن الأمم التي لم تبعث ليخاطبها إذ كانت كحال الغرق وعبادة الأوثان وكانت الأدلة
على الله تعالى منصوبة معرضة للنظر وكانوا متمكنين من النظر من جهة إدراكهم
وكان الشرع ببعث نوح موجودا مستقرا فقد وجب عليهم النظر وصاروا
بتركه كحال من يحجر تعذيبه فإن هذا رسول مبعوث وإن كان لم يبعث
إليهم معينين ألا ترى أن لفظ الآية إنما هو وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
أي حتى نوجد فلا أن بعثة الأنبياء إلى قوم مخصوصين إنما هو في معنى القتال
والشدة وأما من جهة بذل النصيحة وقبول من آمن فالناس أجمع في ذلك سواء
ونوح قد لبث ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو إلى الله فغير ممكن أن لم تبلغ نبوته
القريب والبعيد وحق تعذيب الكل بالغرق بعد بعثه رسولا وهو نوح عليه
السلام ولا تعارض مع هذا التأويل شيء من الحديث ولا الآيات والله
الموفق للصواب قوله تعالى واصنع الفلك عطف على قوله فلا تبتئس
والفلك السفينة وجمعها أيضا فلك وليس هو لفظ للواحد والجمع وإنما فُعْلٌ
وجمع على فُعْل من حيث جاز أن يجمع فَعَل على فُعْل كأسَد وأُسْد جاز أن
يجمع فُعْل على فُعْل وظاهر لفظ الجمع فيها كظاهر لفظ الواحد وليس به تدرجة
التكسير أي إذا ناديت يا منصور تريد يا منصور رخمت على لغة من يقول يا حار
بالضم كانت ضمة الصاد من اللفظ نفسه الأصلي وليست هي التي للحركة قوله
بأعيننا يمكن فيما يتناول أن يريد بمرأى منا وتحت إدراك فتكون عبارة عن الإدراك
والرعاية والحفظ ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير كما قال تعالى

فنعم

فنعم القادرون فرجع معنى الأعين في هذه الآية وغيرها إلى معنى عين في
قوله ولتصنع على عيني وذلك كله عبارة عن الإدراك وإحاطته بالمدركات
وهو تعالى منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره ويحتمل قوله
بأعيننا أي بملائكتنا الذين جعلناهم عيونا على مواضع حفظك ومعونتك
فيكون الجمع على هذا التأويل للتكثير وقرأ طلحة بن مصرف بأعينّا مدغمة
قوله ووحينا معناه تعليمنا صورة العمل بالوحي وروي في ذلك أن نوحا
عليه السلام لما جهل كيفية صنع السفينة أوحى الله إليه أن اصنعها على
مثال جؤجؤ الطائر إلى غير ذلك مما علمه نوح من عملها فقد روي أيضا
أنها كانت مربعة الشكل طولها في السماء صيغة الأعلى وأن العرض
إنما كان للحفظ لا لسرعة الجري والحديث الذي تضمن أنها جؤجؤ الطائر
أصح ومعناه الظاهر لا يبالي كانت مربعة لم تكن فلكا بل كانت وعاء
فقط وقد وصفها الله بالجري في الموج وفي الحديث كان زان سفينة
نوح عليه السلام جبريل والزان القيم بعمل السفن ومن فسر قوله ووحينا
أي بأمرنا لك فذلك ضعيف لأن قوله واصنع الفلك مغن عن ذلك والذين
ظلموا هم قومه الذين أعرضوا عن الهداية حتى عمتهم النقمة قال ابن جريج
وهذه الآية تقدم الله فيها إلى نوح ألا يشفع فيهم قوله عز وجل
ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا
نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب
مقيم حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل قوله
ويصنع حكاية حال الاستقبال الذي خلالها وقع مرورهم وقال ابن عباس
صنع نوح الفلك ببقاع دمشق وأخذ عودها من لبنان وعودها من الشمشار
وهو البقص وروي أن عودها من الساج وأن نوحا اغترسه حتى كبر

التقدير

في اربعين سنة وروي ان طول السفينة الف ذراع ومايتا ذراع وعرضها ستمايه
ذراع ذكره الحسن ابن ابي الحسن وقيل طولها ثلثمايه ذراع وعرضها خمسون
ذراعا وطولها في السما ثلاثون ذراعا ذكره قتاده وروي عن هذا ما لم يثبت
فاحضرت ذكره وذكر الطبري حديث احيا عيسى ابن مريم لسام بن نوح
وسواله اياه عن امر السفينة فذكر انها كانت ثلث طبقات طبقة للناس
وطبقة للبهايم وطبقة للطير الى غير ذلك في حديث طويل والملا ههنا الجماعة
وسخروا معناه استجهلوه وهذا الاستجهال ان كان الامر كما روي انهم لم
يكونوا قبل راوا سفينة ولا كانت فوجه الاستجهال واضح وبه تظاهرت
التفاسير وان كانت السفاين حينيذ معروفة فاستجهلوه في ان صنعها في
بر بعيد عن الماء من البحر وروي انهم كانوا يقولون له صرت نجارا بعد النبوه
ومن قوله فانا نسخر منكم قال الطبري يريد في الاخره ويحتمل الكلام بل هو الارجح
ان يريد انا نسخر منكم الان اي نستجهلكم لعلمنا بما انتم عليه من الغرر مع
الله والكون بمدرج عذابه ثم جا قوله فسوف تعلمون تهديدا والسخر الاستجهال
مع استهزا ومصدره سخري بضم السين والمصدر من السخره والسخري بسخري
بكسرها والعذاب المخزي هو الغرق والمقيم هو عذاب الاخره ويحل الزهراوي انه
يقرا ويحل بضم الحا ويقرا ويحل بكسرها بمعنى يجب ومن في موضع نصب بتعلمون
وجايز ان يكون تعلمون بمثابة تعرفون في التعدي الى مفعول واحد وجايز ان يكون التعدي
الى مفعولين واقتصر على الواحد وقوله تعالى حتى اذا جا امرنا الاية الامر هنا يحتمل
ان يكون واحد الامور ويحتمل ان يكون مصدر امر فمعناه امرنا للماء بالفوران او
للسحاب بالارسال وللملايكة بالتصرف في ذلك التنور فقالت فرقة وهي الاكثر
منهم ابن عباس ومجاهد وغيرهما هو تنور الخبز الذي يوقد فيه وقالت فرقة كانت هذه
امارة جعلها الله لنوح اي اذا فار التنور فاركب في السفينة ويشبه ان يكون
وجه الامارة ان مستوقد النار اذا فار بالماء فغيره اشد واحرى بذلك

وروي

وروي انه كان تنور ادم عليه السلام خلص الى نوح فكان يوقد فيه وقال النقاش
اسم المستوقد التنور بكل لغة وذكر نحو ذلك ابن قتيبة في الادب عن ابن
عباس وهذا بعيد وقيل ان موضع تنور نوح كان بالهند وقيل كان في موضع مسجد
الكوفة وقيل كان في ناحية الكوفة قاله الشعبي ومجاهد وقيل كان في الجهة
الغربية من قبلة المسجد بالكوفة وقال ابن عباس وعكرمة التنور وجه الارض
يقال له تنور الارض وقال ابن عباس وعكرمة التنور وجه الارض يقال له تنور
الارض وقال قتاده التنور اعالي الارض وقالت فرقة التنور عين بناحية الجزيرة
وقال الحسن ابن ابي الحسن التنور مجتمع ما السفينة فار منه الما وهي بعد في
اليبس وقالت فرقة هو الفجر المعنى اذا طلع الفجر فاركب في السفينة وهذا قول
روي عن علي بن ابي طالب الا ان التصريف يضعفه وكان يلزم ان التنور وقالت فرقة
الكلام مجاز وانما غلبة الما وظهور العذاب كما قال النبي عليه السلام
لشدة الحرب حمي الوطيس ايضا مستوقد النار فلا فرق بين حمي وفار
الوطيس والتنور وقرا حفص عن عاصم من كل زوجين اثنين بتنوين كل
وقرا الباقون من كل زوجين باضافة كل الى الزوجين فمن قرا بالتنوين حذف
المضاف اليه التقدير من كل حيوان او نحوه واعمل احمل في زوجين وجا قوله
اثنين تاكيدا كما قال الاهين اثنين ومن قرا بالاضافة فاعمل احمل في قوله
اثنين وجا قوله زوجين بمعنى العموم اي من كل ما له ازدواج هذا معنى
قوله من كل زوجين قاله ابو علي وغيره ولو قدرنا المعنى احمل من كل زوجين
حاصلين اثنين لوجب ان يحمل من كل نوع اربعه والزوج يقال في مشهور كلام
العرب للواحد مما له ازدواج فيقال هذا زوج هذا وهما زوجان وهذا هو
المهيع في القران في قوله تعالى وجل ثمانية ازواج ثم فسرها وكذلك هو في
قوله تعالى واسطلوا الزوجين الذكر والانثى قال ابو الحسن الاخفش في
كتاب الحجه وقد يقال في كلام العرب للاثنين زوج ومن ذلك قول لبيد

والوطيس هو ... ابن ... م

من كل مخلوق نظيل عصيه زوج عليه كله وقراءها وهكذا يا حدها
العدد نون والزوج ايضا في كلام العرب النوع كقوله وانبتنا فيها من
كل زوج بهيج وقوله تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها الى غير ذلك
وروي في قصص هذه الاية ان نوحا عليه السلام كان ياتيه انواع الحيوان
فيضع يمينه على الذكر ويساره على الانثى وروي ان اول ما ادخل في السفينة
الذر واخر ما ادخل الحمار فتمسك الشيطان بذنبه فزجره نوح فلم ينبعث
فقال ادخل ولو كان معك الشيطان قال ابن عباس زلت هذه الكلمة عن
لسانه فدخل الشيطان حينئذ وكان في كوثل السفينة اي عند مؤخرها وقيل
كان على ظهرها وروي ان نوحا عليه السلام اذاه نتن الزبل والعذرة
فاوحى الله اليه ان امسح على ذنب الفيل ففعل فخرج من الفيل وقيل من انفه خنزير
فكفى نوحا واهله ذلك الاذى وهذا يقتضي ان نوع الخنازير لم يكن قبل
ذلك وروي ان الفار اذى الناس في السفينة بقرض حبالها وغير ذلك
فامر الله نوحا ان يمسح على جبهة الاسد ففعل فعطس فخرج منه هر وهرة
فكفياهم الفار وروي ايضا ان الفار خرج من انف الخنزير وهذا كله قصص
لا يصح الا لو استند والله اعلم كيف كان **قوله** واهلك عطف على ما عمل فيه احمل
والاهل هنا القرابة بشرط من امن منهم خصصوا بذلك تشريفا ثم ذكر من
امن وليس من الاهل واختلف في الذي سبق عليه القول فقيل هو ابنه يام
وقال النقاش اسمه كنعان وقيل هي امراته والعة هكذا اسمها بالعين غير
منقوطة وقيل هو عموم فيمن لم يؤمن من اهل نوح وعشيرته والقول هاهنا
معناه القول بانه يعذب **وقوله** ومن امن عطف على قوله واهلك ثم قال
اخبارا عن حالهم وما امن معه الا قليل واختلف في ذلك القليل فقالوا
كانوا ثمانين رجلا وثمانين امراة وقيل كان جميعهم ثلاثة وثمانين وقيل كانوا
ثمانين في الكل قاله السدي وقيل عشرة وقيل ثمانية قاله قتادة وقيل سبعة

والله اعلم

والله اعلم وقيل كان في السفينة جرهم وقيل لم ينج من الغرق الا عوج بن
عنق وكان في السفينة مع نوح ثلاثة من بنيه سام وحام ويافث وغرق يام
وروي عن النبي عليه السلام انه قال سام ابو العرب وحام ابو الحبش
ويافث ابو الروم **قوله تعالى** وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها
ومرساها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى
نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى
جبل يعصمني من الماء المعنى وقال نوح حين امر بالحمل في السفينة لمن امن معه
اركبوا فيها فانث الضمير اذ هي سفينة لان الفلك المذكور مذكر وفي
مصحف ابي على اسم الله وقوله بسم الله يصح ان يكون في موضع الحال
من الضمير الذي في قوله اركبوا كما تقول خرج زيد بثيابه وبسلاحه اي اركبوا
متبركين بالله تعالى ويكون قوله مجراها ومرساها ظرفين اي وقت
اجرائها وارسائها كما تقول العرب الحمد لله سرارك واهلال الهلال وخفوق
النجم ومقدم الحاج فهذه ظرفية زمان والعامل في هذا الظرف ما في قوله
بسم الله من معنى الفعل ويصح ان يكون قوله بسم الله في موضع خبر
ومجراها ومرساها ابتداء مصدر كانه قال اركبوا فيها فان ببركة
الله اجراءها وارساءها وتكون هذه الجملة على هذا في موضع الحال من
الضمير في قوله فيها ولا يصح ان يكون حالا من الضمير في قوله اركبوا لانه لا
عائد في الجملة يعود عليه وعلى هذا التاويل قال الضحاك ان نوحا كان
اذا اراد جري السفينة قال بسم الله مجراها واذا اراد وقوفها قال بسم الله
مرساها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر وابن
عامر مجراها ومرساها بضم الميمين على معنى اجرائها وارسائها وهي قراءة
مجاهد وابي رجاء والحسن والاعرج وشيبة وجمهور الناس ومن ذلك
قول لبيد وعمرت حرسا قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

وقرا عاصم والكسائي وحفص عن عاصم مجراها بفتح الميم وكسر الراء وضم
الميم في مرساها ه وقرا الاعمش وابن مسعود مجراها ومرساها بفتح الميمين
وذلك من الجري والرسو وهذه ظرفية مكان ومن ذلك قول عنترة
فصبرت نفسا عند ذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع واختار
الطبري قراءة مجراها ومرساها بفتح الميم الاول وضم الثانية ورجحها بقوله
تعالى وهي تجري ولم يقل تجرى وهي قراءة ابن مسعود انصار رواها عنه ابو
وائل ومسروق وقرا ابن وثاب وابو رجاء العطاردي والنخعي والجحدري
والكلبي والضحاك ابن مزاحم ومسلم بن جندب واهل الشام مجريها ومرسيها
وهما على هذه القراءة صفتان لله تعالى غايته ما تقدم ذكره في قوله بسم الله ه
قوله تعالى وهي تجري بهم الآية روي ان السما امطرت بجميعها حتى لم
يكن في الهوا جانب الا مطر فيه وتفجرت الارض كلها بالنبع فهكذا كان التقاء
الماءين وروي ان الما علا على الجبال واعالي الارض اربعين ذراعا وقيل
خمسة عشر ذراعا واشار الزجاج وغيره الى ان الما انطبق ما بين الارض
والسما فصار الكل كالبحر وهذا ضعيف وابن كان الموج كالجبال على هذا
ثم استقامت حياة من في السفينة على هذا وقرابة قربه ابنه على امامه
الابن الى نوح وهذا قول من يقول هو ابنه لصلبه وقد قال قوم انه ابن
قريب له ودعاه بالبنوة حنانا منه وتلطفا وقرا ابن عباس ابنه
بسكون الها وهذا على لغة لازد السراة ومنه قول الشاعر
ونضواي مشتاقان له أرقان ه وقرا السدي ابناه قال ابو الفتح ذلك
على الندا والندبة فرفى الى ذلك على جهة الندبة محكية وقرا عروة بن
الزبير وعلي ابن ابي طالب ابنها وتاولوا ذلك انه كان ابن امراته الكافرة
اذ قد تقدم ذكرها في قوله واهلك وعلى هذه القراءة يدخل يابني ومن
كان كانت حاضنته فيه وسياتي ذكر هذا بعد وقرا علي ابن ابي طالب

وعروة

وعروة ابن الزبير ايضا وابو جعفر وجعفر ابن محمد ابنه على تقدير ابنها
فحذف الالف تخفيفا وهي لغة ومنها قول الشاعر
اما تقود بها شاة فتأكلها او ان تبيعها في بعض الاراكيب
وانشد ابن الاعرابي على هذا
فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لو اني
يريد بلهفا وخطا النحاس ابا حاتم في حذف هذه الالف وليس كما قال
وقرا وكيع بن الجراح ونادى نوح ابنه بضم التنوين قال ابو حاتم هي لغة سوء
لا تعرف قوله في معزل الى ناحية فيحتمل ان يريد في معزل في الدين ويحتمل
ان يريد في معزل بعد عن السفينة واللفظ يعمهما وقال مكي في المشكل
ومن قال معزل بكسر الزاي اراد الموضع ومن قال معزل بفتحها اراد المصدر
فلم يصح الا ما قراه ولكن يقتضي ذلك لفظه وقرا السبعة يا بني بكسر
اليا المشددة وهي ثلاث ياءات اولها يا التصغير وحقها السكون والثانية
لام الفعل وحقها ان تكسر بحسب يا الاضافة اذ ما قبل الاضافة مكسور
والثالثة يا الاضافة فحذفت يا الاضافة اما لسكونها وسكون الراء
واما اذ هي بمثابة التنوين في الاعلام وهو يحذف في الندا فكذلك يا
الاضافة والحذف فيها كثير في كلام العرب تقول يا غلام ويا غلامي
وبقي الكسرة دالة ثم ادغمت اليا الساكنة في اليا المكسورة وقد روى
ابو بكر وحفص عن عاصم ايضا يا بني بفتح الياء المشددة وذكر ابو حاتم
ان المفضل رواها عن عاصم ولذلك وجهان احدهما ان يبدل من يا الاضافة
الفا وهي لغة مشهورة تقول يا غلاما ويا عينا فانفتحت اليا التي قبل الالف
ثم حذفت الالف استخفافا ولسكونها وسكون الراء من قوله اركب والوجه
الثاني ان الياءات لما اجتمعت استثقل اجتماع المماثلة فخفف ذلك ه
الاستثقال بالفتح اذ هو اخف الحركات هذا مذهب سيبويه وعلى هذا
حمل قوله عليه السلام وحواري الزبير ه وروى عن ابن كثير انه قرا يا

سوره لقمن يا بني لا تشرك بحذف يا الاضافه وسكن الياء حفصه وقرا الثانيه
يا بني انها قراه الجماعه وقرا الثالثه يا بني اقم ساكنه كالاولى وقوله
ولا تكن مع الكافرين يحتمل ان يكون نهيا محضا مع علمه بانه كافر ويحتمل ان يكون
خفي عليه كفره فناداه الا يبقى مع الكفره وهو مومن فيهلك بهلاكهم والاول
ابين قوله عز وجل قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم
من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سما اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل
بعدا للقوم الظالمين ٥ ط ابن نوح ازدلك المطر والماء على العادة وقوله
لا عاصم قيل فيه انه على لفظه فاعل وقوله الا من رحم يريد الا الله الراحم
فمن كنايه عن اسم الله تعالى المعنى لا عاصم اليوم الا الذي رحمنا فمن في موضع
رفع وقيل قوله الا من رحم استثنا منقطع كانه قال لا عاصم اليوم موجود لكن
من رحم الله موجود وحسن هذا من جهه المعنى ان نفي العاصم يقتضي نفي المعصوم
فهو حاصل بالمعنى واما من جهه اللفظ فمن في موضع نصب على حد قول النابغه
٥ الا الاواري ٥ ولا يجوز ان تكون في موضع رفع على حد قول الشاعر
وبلده ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس ٥ اذ هذان انيس ذلك الموضع
القفر والمعصوم هنا ليس بعاصم بوجه وقيل عاصم معناه ذو اعتصام
فعاصم على هذا في معنى معصوم ويجي الاستثنا مستقيما ومن في موضع رفع واليوم
ظرف وهو متعلق بقوله من امر الله او بالخبر الذي تقديره كائن اليوم ولا
يصح تعلقه بعاصم لانه كان يجي منونا لا عاصما اليوم يرجع الى اصل النصب
لئلا يرجع فلانه اشبه شيا ولحذا واما القانون ان يكون الشيان واحدا الا
وما عملت فيه ومثال النحويين في هذه المسئله لا امرا يوم الجمعه لك
فان اعملت في يوم لك قلت لا امر وبينهما يريد بين نوح وابنه فكان الابن ممن غرق
وقوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك الايه بنا الفعل للمفعول ابلغ في التعظيم والخبر وت
وكذلك بنا الافعال بعد ذلك في ساير الايه ٥ وروي ان اعرابيا سمع هذه

الايه

الايه فقال هذا كلام القادرين والبلع هو تجريع الشي وازدراده فشبه
قبض الارض للماء وتشربه بذلك واخرجت من مجاز التشبيه واضاف الماء اليها
اذ هو عليها وحاصل فيها والسما في هذه الايه اما السما المظله واما السحاب ب
والاقلاع عن الشي تركه ٥ والمعنى اقلعي عن الامطار ٥ وغيض نقص
واكثر ما يجي فيما هو بمعنى مجفوف كقوله وغيض الماء وكقوله وما تغيض
الارحام وما تزداد ٥ واكثر المفسرين على ان ذلك في الحيض كذلك قول
الاسود بن يعفر ما غيض من بصري ومن اجلادي ٥ وذلك ان
الانسان الهرم انما ينقصه بخفوف وقضافه وقوله وقضي الامر اشاره
الى جميع القصه بعث الماء واهلاك الامم وانجا اهل السفينه وروي ان نوحا
عليه السلام ركب في السفينه من عين وردة بالشام اول يوم من رجب وقيل
في العاشر منه وقيل في الخامس عشر وقيل في السابع عشر واستوت السفينه
على الجودي في ذي الحجه واقامت على الجودي شهرا وقيل له اهبط في يوم عاشورا
فصامه وصامه من معه من ناس ووحوش ٥ وذكر الطبري عن ابن
اسحق ما يقتضي انه اقام على الماء نحو السنه ٥ وذكر ايضا حديثا عن النبي
عليه السلام ان نوحا ركب في السفينه اول يوم من رجب وصام الشهر
اجمع وجرت بهم السفينه الى يوم عاشورا ففيه ارست على الجودي فصامه
نوح ومن معه وروي ان نوحا لما طال مقامه على الماء بعث الغراب ليأتيه
بخبر كمال الغرق فوجد جيفه طافيه فبقي عليها ولم يرجع بخبر فدعا عليه نوح
فسود لونه وخوف من الناس فهو لذلك مستوحش ثم بعث نوح الحمامه فجاءته
بورقه زيتونه في فمها ولم تجد ترابا تضع رجليها فبقي اربعين يوما ثم بعثها
فوجدت الماء قد انحسر عن موضع الكعبه وهي اول بقعه انحسر الماء عنها فمست
الطين برجليها وجاءته فعلم ان الماء قد اخذ في النضوب ودعا لها فطوقت
وانست فهي لذلك تالف الناس ثم اوحى الله الى الجبال ان السفينه ترسي
على واحد منها فتطاولت كلها وبقي الجودي وهو جبل بالموصل في ناحيه
الجزيره لم يتطاول تواضعا لله فاستوت السفينه بامر الله عليه ٥

وبقيت عليه اعوادها وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد
بقي منها شي ادركه اوايل هذه الامة ، وقال الزجاج الجودي هو
بناحية امد وقال قوم هو عند باقردى ، وروي ان السفينة لما
استقلت من عين وردة جرت حتى جات الكعبة فوجدتها قد نشزت من الارض
فلم ينلها غرق فطافت بها اسبوعا ثم مضت الى اليمن ورجعت الى الجودي والقصص
في هذه المعاني كثير ضعيف ان يستوفي فاشرت من ذلك الى نبذ ويدخله
الاختلاف كما ترى في امر الكعبة والله اعلم كيف كان واستوت معناه تمكنت
واستقرت ، وقرا جمهور الناس على الجوديّ بكسر اليا وشدها وقرا الاعمش
وابن ابي عبلة على الجودي بسكون اليا وهما لغتان **قوله** وقيل بعدا يحتمل ان
يكون من قول الله تعالى عطفا على وقيل الاول ويحتمل ان يكون من قول نوح
والمومنين والاول اظهر وابلغ **قوله عز وجل** ونادى نوح
ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال
يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسلني ما ليس لك به علم اني
اعظك ان تكون من الجاهلين هذه جملة معطوفة على التي قبلها دون
ترتيب وذلك ان هذه القصة كانت في اول ما ركب نوح في السفينة
ويظهر من كلام الطبري ان ذلك بعد غرق الابن وهو محتمل والاول ابين
وهذه الاية احتجاج من نوح عليه السلام وذلك ان الله امره بحمل اهله وابنه
من اهله فينبغي ان يحمل فاظهر الله ان المراد من امن من الاهل ثم حسن المخاطبة
بقوله وان وعدك الحق بقوله وانت احكم الحاكمين فان هذه الاقوال معينة
في حجته وهذه الاية تقتضي ان نوحا عليه السلام ظن ان ابنه مومن وذلك اشد
الاحتمالين **قوله تعالى** قال يا نوح الاية المعنى قال الله يا نوح تعالى
يا نوح وقالت فرقة المراد انه ليس بولد لك وزعمت انه كان لغية وان امراته
الكافرة خانته فيه هذا قول الحسن وابن سيرين وعبيد بن عمير وقال
ان ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش من اجل ابن نوح
وحلف الحسن انه ليس بابنه وحلف عكرمة والضحاك انه ابنه وقول الحسن على

قوله تعالى

~~قوله تعالى انه ليس من اهلك وقول الضحاك وعكرمة انه ابنه وقول الحسن~~
على قوله تعالى ونادى نوح ابنه وقرا الحسن ومن تاول تاويله انه عمل غير صالح
على هذا المعنى وهي قراة السبعة سوى الكسائي وقراة جمهور الناس وقال من
خالف الحسن ان الى الحسن المعنى ليس من اهلك الذين عمهم الوعد لانه ليس على
دينك وان كان ابنك بالولادة ثم قرا من هذه الفرقة انه عمل غير صالح جعله
وصفا له بالمصدر على جهة المبالغة في وصفه بذلك كما قالت الخنساء تصف
ناقة ذهب عنها ولدها ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال
وادبار ، اي ذات اقبال وادبار ، وقرا بعض هذه الفرقة انه عمل
غير صالح وهي قراة الكسائي وروت هذه القراة ام سلمة وعايشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ذكره ابو حاتم وضعف الطبري هذه القراة وطعن
في الحديث بانه من طريق شهر بن حوشب وهي قراة علي وابن عباس وعايشة وانس
ابن مالك ورجحها ابو حاتم وقرا بعضها انه عمل عملا غير صالح على قراة جمهور
السبعة عايد على سوال نوح الذي تضمنه الكلام وقد فسره اخر الاية ويقوي
هذا التاويل ان في مصحف ابن مسعود انه عمل غير صالح ان تسلني ما ليس لك به علم
وقالت فرقة الضمير عايد على ركوب ولد نوح معهم الذي تضمنه سوال نوح
المعنى ان ركوب الكافر مع المومنين عمل غير صالح وقال ابو علي ويحتمل ان يكون
التقدير ان كونك مع الكافرين وتركك الركوب معنا عمل غير صالح **قال القاضي**
ابو محمد وهذا تاويل لا يتجه من جهة المعنى وكل هذه الفرق قال
ان القول بان الولد كان لغية وولد فراش خطا محض وقالوا انه روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه ما زنت امراة نبي قط وهذا الحديث ليس
بالمعروف وانما هو من كلام ابن عباس رضي الله عنه وفي قوله
عز وجل فخانتاهما ان الواحدة كانت تقول للناس هو مجنون والاخرى
كانت تنبه على الاضياف واما خيانة غير هذا فلا وهذه منازع ابن
عباس وحجه وهو قوله وقول الجمهور من الناس وقرا ابن ابي مليكة
فلا تسلني بتخفيف النون واثبات اليا وسكون اللام دون همز وقرات فرقة

بتخفيف النون واسقاط الياء وبالهمز فلا تسألن وقرأ ابو جعفر وشيبة بكسر النون
وشدها والهمز واثبات الياء فلا تسألني وقرأ نافع ذلك دون ياء فلا تسألن وقرأ
ابن كثير وابن عامر فلا تسألنّ بفتح النون المشددة وهي قراءة ابن عباس وقرأ ابو
عمرو وعاصم وحمزة والكسائي فلا تسأل خفيفة النون ساكنة اللام وكان ابو عمرو
يثبت الياء في الوصل وحذفها عاصم وحمزة في الوصل والوقف ومعنى فلا تسألني
ما ليس لك به علم عاصم وحمزة اي اذا وعدتك فاعلم يقينا انه لا خلف في
الوعد فاذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك ان تقف وتعلم ان ذلك
لحق واجب عند الله **قال القاضي ابو محمد** ولكن نوحا عليه السلام
حملته شفقة البنوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير
وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء بتلطف وترفيع في قوله اني اعظك
ان تكون من الجاهلين وقد قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تكونن من الجاهلين
وذلك هنالك بحسب الامر الذي عوتب فيه وعظمته فانه لضيق صدره بتكاليف
النبوة والا فمستقر ان محمدا عليه السلام افضل البشر واولاهم بلين المخاطبة
ولكن هذا بحسب الامرين لا بحسب النبيين وقال قوم انما وقر نوح لسنه
وقال قوم انما حمل اللفظ على محمد صلى الله عليه وسلم كما يحمل الانسان على المختص
به الحبيب اليه وهذا كله ضعيف ويحتمل قوله فلا تسألن ما ليس لك به علم اي لا
تطلب مني امرا لا تعلم المصلحة فيه علم يقين ونحا الى هذا ابو علي الفارسي وقال
ان به يجوز ان يتعلق بلفظة علم كما **قال الشاعر** كان جزائي بالعصا ان اجلدا
ويجوز ان يكون بمنزلة فيه فتتعلق الباء بالمستقر واختلاف هذين الوجهين انما هو
لفظي والمعنى في الاية واحد وروي ان هذا الابن انما كان ربيبه وهذا ضعيف
وحكى الطبري عن ابن زيد ان معنى قوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين ان
تعتقد اني لا افي لك بوعد وعدتك به وهذا تاويل بشيع وليس في الالفاظ
ما يقتضي ان نوحا اعتقد هذا وعياذا بالله وغاية ما وقع لنوح عليه السلام
ان راى ترك ابنه معارضا للوعد فذكر به ودعا بحسب الشفقة ليكشف
له الوجه الذي استوجب به ابنه الترك في الغرق **قوله عز وجل**

قال

قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن
من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن
معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها
اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين
هذه الاية فيها انابة نوح وتسليمه لامر الله تعالى واستغفاره والسؤال
الذي وقع النهي عنه والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي
معه محاجة وطلبة ملحة فيما قد حجب وجه الحكمة فيه واما السؤال في الامور
على جهة التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا وظاهر قوله فلا تسألني ما
ليس لك به علم يعم النحوين من السؤال فلذلك نبهت على ان المراد احدهما دون
الاخر والخاسرون هم المغبونون حظوظهم من الخير **وقوله تعالى** قيل يا نوح
اهبط بسلام كان هذا عند نزوله من السفينة مع اصحابه للانتشار في
الارض والسلام هنا السلامة والامن ونحوه والبركات الخير والنمو في
كل الجهات وهذه العدة تعم جميع المؤمنين الى يوم القيامة قاله محمد بن
كعب القرظي **وقوله** ممن معك اي من ذرية من معك ومن سلمهم فمن
على هذا هي لابتداء الغاية اي من ها ولا يكون هذه الامم ومن موصولة و
وصلتها معك وما يتقدر معها نحو قولك من استقر معك ونحوه ثم قطع
قوله وامم على وجه الابتداء اذ كان امرهم مقطوعا عن امر الاول وهؤلاء
هم الكفار الى يوم القيامة **وقوله تعالى** تلك من انباء الغيب نوحيها
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا الاية اشارة الى القصة اي
هذه من الغيوب التي قد تقادم عهدها ولم يبق علمها الا عند الله تعالى ولم
يكن علمها وعلم اشباهها عندك ولا عند قومك ونحن نوحيها اليك لتكون
لك هداية واسوة فيما لقيه غيرك من الانبياء وتكون لقومك مثالا وتحذيرا
لئلا يصيبهم اذا كذبوك مثل ما اصاب هؤلاء وغيرهم من الامم المعذبة
وعلى هذا المعنى ظهرت فصاحة قوله فاصبر ان العاقبة للمتقين اي
فاجتهد في التبليغ وجد في الرسالة واصبر على الشدائد واعلم ان

العاقبة لك كما كانت لنوح في هذه القصة وفي مصحف ابن مسعود من قبل هذا
القرآن **قوله عز وجل** وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على
الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء
عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ٥ وإلى عاد عطف على
قوله إلى قومه في قصة نوح وعاد أخاهم بحسب النسب والقرابة فإن قيل إنه
ليس منهم فالأخوة بحسب المنشأ واللسان والجيرة وأما قول من قال هي أخوة
بحسب النسب الآدمي فضعيف وقرأ جمهور الناس يا قوم بكسر الميم وقرأ
ابن محيصن يا قوم برفع الميم وهي لغة حكاها سيبويه وقرأ جمهور الناس غيره بالرفع
على النعت أو البدل من موضع قوله من إله وقرأ الكسائي وحده بكسر الراء حملا
على لفظ إله ويجوز ذلك أيضا على النعت أو البدل ويجوز غيره نصبا على الاستثناء ومفترون
معناه كاذبون دون الحشر كذب في جعلكم الألوهية لغير الله تعالى والضمير في قوله
عليه عائد على الدعاء إلى الله تعالى والمعنى ما أجري وجزائي الأمر عند الله ثم وصفه
بقوله الذي فطرني فجعلها صفة راد عليهم في عبادتهم الأصنام واعتقادهم أنها
تفعل أي الوصف بذلك في درج كلامه منبها على أفعال الله تعالى وأنه هو الذي
يستحق العبادة وفطر معناه اخترع وأنشأ **وقوله** أفلا تعقلون توقيف
على محال القول بأن غير الفاطر إله ٥ ويحتمل أن يريد أفلا تعقلون إذا لم أطلب عرضا
من أعراض الدنيا أي إنما أريد النفع لكم والدار الآخرة والأول أظهر و
والاستغفار طلب المغفرة وقد يكون ذلك باللسان وقد يكون بإنابة القلب وطلب
الاسترشاد والحرص على وجود المحجة الواضحة وهذه أحوال يمكن أن تقع
من الكافر فكأنه قال لهم اطلبوا غفران الله بالإنابة وطلب الدليل في نبوتي
ثم توبوا بالإيمان من كفركم فيجيء الترتيب على هذا مستقيما وإلا احتيج في
ترتيب التوبة بعد الاستغفار إلى تحيل كثير فإما أن يكون توبوا أمرا بالدوام
والاستغفار طلب المغفرة بالإيمان وإلى هذا ذهب الطبري وقال أبو
المعالي في الإرشاد التوبة في اصطلاح المتكلمين هي الندم بعد أن قال إنها في

اللغة الرجوع ثم ركب على هذا أن قال إن الكافر إذا آمن فليس إيمانه توبة وإنما
توبته ندمه بعد والذي أقول إن التوبة عقد في ترك متوب منه
يتقدمها علم بفساد المتوب منه لا ينفك منه وهو من شروطها فأقول
إن إيمان الكافر هو توبته من كفره لأنه هو نفس رجوعه وتاب في كلام العرب
معناه رجع إلى الطاعة والمثلى من الأمور وتصرف اللفظة في القرآن بأي
يقتضي أنها الرجوع لا الندم وإنما الندم لاحق لازم للتوبة كما قلنا
وحقيقة التوبة ترك مثل ما تيب منه عن عزمة معتقدة على ما فسرناه
والله المستعان ومدرارا هو بناء تكثير وكان حقه أن يلحقه الهاء لكن حذفت
على نية النسب وعلى أن السماء المطر نفسه وهو من در يدر ومفعال قد يكون
من اسم الفاعل الذي هو من ثلاثي ومن اسم الفاعل الذي هو من رباعي وقول
من قال إنه إلزم للرباعي غير لازم ويروى أن عادا كان الله تعالى قد حبس
عنها المطر ثلاث سنين وكانوا أهل حرث وبساتين وثمار وكانت بلادهم
شرق جزيرة العرب فلهذا وعدهم بالمطر ومن ذلك فرحهم حين رأوا العا
رض
وقولهم هذا عارض ممطرنا وحضهم على استنزال المطر بالإيمان والإنابة
وتلك عادة الله في عباده ومنه قول نوح عليه السلام استغفروا ربكم
إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ومنه فعل عمر رضي الله عنه حين
جعل جميع قوله في الاستسقاء ودعائه استغفارا فسقي فسئل عن ذلك
فقال لقد استنزلت المطر بمجاديح السماء **وقوله** ويزدكم قوة إلى
قوتكم ظاهره العموم في جميع ما يحسن الله تعالى فيه إلى العباد وقالت فرقة
كان الله تعالى قد حبس نسلهم فمعنى قوله ويزدكم قوة إلى قوتكم أي
الولد ويحتمل أن يخص القوة بما ذكر إذ كانوا أقوى العوالم فوعدوا
بالزيادة فيما بهروا فيه ثم نهاهم عن التولي عن الحق والإعراض عن أمر الله
ومجرمين حال من الضمير في تتولوا **قوله عز وجل** قالوا يا هود ما
جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول
إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني

[illegible]

بري مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي
وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم المعنى
ما جئتنا بآية تضطرنا الى الايمان بك ونفوا ان تكون معجزته انه بحسب ظنهم
وعماهم عن الحق كما جعلت قريش القران سحرا او شعرا او نحو هذا وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد اوتي من الايات ما مثله امن عليه
البشر الحديث فهذا يقتضي ان هودا وغيره من الرسل لهم معجزات وان لم
تعين لنا بعضها وقولهم عن قولك اي لا يكون قولك سبب تركنا ان بعض الا تعه
لما سبتها او ضللت عندنا اصابك جنون يقال عراه يعروه واعتراه يعتريه اذا
الم بالشي ثم جنيد جاهرهم هود عليه السلام بالتبري من اوثانهم وحضهم
على كيده هو واصنامهم ويذكر ان هذه كانت له معجزة وذلك انه حرض
جماعتهم مع انفراده وقوتهم وكفرهم فلم يقدروا على نيله بسوء وتنظروني
معناه تؤخروني اي عاجلوني بما قدرتم عليه وقوله اني توكلت على الله
الآية المعنى اني توكلت على الله الذي هو ربي وربكم مع ضعفي وانفرادي وقوتكم
وكثرتكم فيمنعني منكم ويحجز بيني وبينكم ثم وصف قدرة الله تعالى وعظم ملكه
بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها وعبر عن ذلك بالناصية اذ هي في
العرف حيث يقبض القادر المالك ممن يقدر عليه كما يقاد الاسير والفرس ونحوه
حتى صار الاخذ بالناصية عرفا في القدرة على الحيوان وكانت العرب تجز ناصية
الاسير الممنون عليه لتكون ذلك علامة انه قد قدر عليه وقبض على ناصيته
والدابة جميع الحيوان وخص بالذكر اذ هو صنف المخاطبين والمتكلم وقوله
ان ربي على صراط مستقيم يريد ان افعال الله عز وجل هي في غاية الاحكام وقوله
الصدق ووعده الحق فجاءت الاستقامة في كل ما يضاف اليه عز وجل فعبر
عن ذلك بقوله ان ربي على صراط مستقيم على تقدير مضاف قوله عز وجل
فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما
غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شي حفيظ ولما جا امرنا نجينا هودا
والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا

بابان

بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في
هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد
قوم هود قرا الجمهور تولوا بفتح التاء واللام على معنى تتولوا وقرا
عيسى الثقفي والاعرج تولوا بضم التاء واللام وان شرط والجواب في الفاء
وما بعدها من قوله فقد ابلغتكم والمعنى انه ما علي كبير هم منكم ان توليتم
فقد برئت ساحتي بالتبليغ وانتم اصحاب الذنب في الاعراض عن الايمان
ويحتمل ان يكون تولوا فعلا ماضيا ويجي في الكلام رجوع من غيبة الى خطاب
اي فقل قد ابلغتكم وقرا الجمهور ويستخلف بضم الفاء على معنى الخبر
بذلك وقرا عاصم فيما روى هبيرة عن حفص عنه ويستخلف بالجزم عطفا
على موضع الفاء من قوله فقد وقوله ولا تضرونه شيئا بالجزم عطفا
على موضع يحتمل من المعنى وجهين احدهما ولا تضرونه بذهابكم وهلاككم شيئا
اي لا ينقص ملكه ولا يختل امره وعلى هذا المعنى قرا عبد الله بن مسعود ولا
تنقصونه شيئا والمعنى الاخر ولا تضرونه اي ولا تقدرون اذا اهلككم
على اضراره بشي ولا على الانتصار منه ولا تقابلون فعله بكم بشي يضره ثم اخبرهم
ان ربه حفيظ على كل شي عالم به وفي ترديد هذه الصفات ونحوها تنبيه
وتذكير والامر واحد الامور ويحتمل ان يكون مصدرا امر يامر اي امرنا
للريح او نجزيها ونحو ذلك وقوله برحمة اما ان تكون اخبارا مجردا
عن رحمة من الله لحقتهم واما ان يكون قصد الى الاعلام ان النجاة انما كانت
بمجرد رحمة الله لا باعمالهم فتكون الآية على هذا في معنى قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يدخل احد الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل منه ورحمة وقوله ونجيناهم من عذاب
غليظ يحتمل ان يريد عذاب الاخرة ويحتمل ان يريد وكانت النجاة المتقدمة
من عذاب غليظ يريد الريح فيكون المقصد على هذا تعديد النعمة مشهورا
عذابهم بالريح هو انها كانت تحملهم وتهدم مساكنهم وتنسفها وتحمل
الظعينة كما هي ونحو هذا وحكى الزجاج انها كانت ترفعهم في الهوا وتحطمهم

مراداتهم وتقطعهم عنه لعصوا وتعدى الجحود بحرف جر لما نزل منزلة
كفروا والعكس ذلك في الاية بعد هذا **وقوله** وعصوا رسله سبعة
عليهم وذلك ان في تكذيب رسول واحد تكذيب ساير الرسل وعصيانهم
اذ النبوات كلها جامعة على الايمان بالله والاقرار بربوبيته ويحتمل ان
يراد هود وادم ونوح والعنيد فعيل من عند اذا عتا ومنه **قول الشاعر**
اني كبير لا اطيق العندا اي الصعاب من الابل وكان التجبر والعناد
من خلق عاد لقوتهم **وقوله** واتبعوا في هذه الدنيا لعنة الاية حكم عليهم
بهذا الحكم لكفرهم واصرارهم حتى حل العذاب بهم واللعنة الابعاد
والخزي وقد تيقن انهم ماتوا على الكفر فيلعن الكافر الموافي على كفره
ولا يلعن معين حي لا من كافر ولا من فاسق ولا من بهيمة كل ذلك مكروه بالاحاديث
ويوم ظرف معناه ان اللعنة عليهم في الدنيا وفي يوم القيامة ثم ذكر
العلة الموجبة لذلك وهي كفرهم بربهم وتعدى كفروا بغير الحرف اذ هو بمعنى
جحدوا وكما تقول شكرت لك وشكرتك وكفرت نعمته وكفرت بنعمته وبعدا
منصوب بفعل مقدر وهو مقام ذلك الفعل **قوله عز وجل** والى
ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم
من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب التقدير وارسلنا الى ثمود وقد
تقدم القول في هذا وفي معنى الاخوة في قصة هود وقرا الجمهور
والى ثمود بغير صرف وقرا ابن وثاب والاعمش والى ثمود بالصرف حيث
وقع وقد تقدم القول في هذا فالاول على ارادة القبيلة كتميم وتغلب
الا ترى انهم يقولون تغلب ابنة وايل **ومنه قول الطرماح**
اذا نهلت منه تميم وعلت **وقال الاخر** تميم ابن مر واشياعها
ودونها ما يكثر فيه الوجهان كثمود وسبا فالقراءتان هنا مستعملتان
وقرات فرقة برفع الدال وقرا الكساي وغيره بكسر الدال وقد تقدم انفا

وانشاكم

وانشاكم من الارض اي اخترعكم واوجدكم وذلك باختراع ادم عليه
السلام فكان انشاء ادم انشاء لبنيه واستعمركم اي جعلكم عمارا كما تقول
استسكنت واستعملت وذهب قوم الى انها من العمرى اي عمركم وقد تقدم
مثل قوله فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب اي اجابته
وعفوه قريب ممن امن واناب ومجيب معناه بشرط المشيئة والظاهر الذي
حكاه جمهور المفسرين ان قوله مرجوا معناه مسودا نؤمل فيك ان تكون سيدا
سادا مسد الاكابر ثم قرروه على جهة التوبيخ في زعمهم بقولهم اتنهانا
وحكى النقاش عن بعضهم انه قال معناه حقيرا فاما ان يكون لفظ مرجو بمعنى حقير
فليس ذلك في كلام العرب وانما يتجه ذلك على جهة التفسير للمعنى وذلك ان
القصد بقولهم مرجوا يكون لقد كنت فينا سهلا مرامك قريبا رد امرك ممن لا يظن
ان يستفحل من امره مثل هذا فمعنى مرجوا اطراحه وعليه اونحو هذا فيكون
ذلك على جهة الاحتقار فلذلك فسر بحقير وشبه هذا المعنى قول ابي سفيان لقد
امر امر ابن ابي كبشة الحديث ثم حكى قولهم اتنهانا على جهة التوعد والاستبشاع
لهذه المقالة منه وما يعبد اباؤنا يريدون به الاصنام والاوثان ثم اوجبوا
انهم في شك من امره واقواله وان ذلك الشك يرتابون به زايدا الى مرتبته من
الشك والارتياب هذه الحال من حالة التصميم على الكفر ومريب معناه
ملتبس بهم **ومنه قول الشاعر** يا قوم ما بال ابي ذويب كنت اذا اتيته
من غيب يشم عطفي ويمس ثوبي كانني اربته بريب **قوله عز وجل** قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته
فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله
ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة
ايام ذلك وعد غير مكذوب **قوله** ارايتم هو من روية القلب اي اتدبرتم
والشرط الذي بعده وجوابه يسد مسد مفعولين لارايتم والبينة البرهان
واليقين والهاء فيه للمبالغة ويحتمل ان تكون هاء تانيث والرحمة في هذه الاية
النبوة وما انضاف اليها وفي الكلام حذف تقديره ايضرني شككم

او ايمكني طاعتكم ونحو هذا مما لا يليق بمعنى الآية وقوله فما تزيدونني غير
تخسير معناه فما تعطونني فيما اقتضيه منكم من الايمان واطلبكم به من الانابة غير
تخسير لانفسكم وهو من الخسارة وليس التخسير في هذه الآية الا لهم وفي
حيزهم واضاف الزيادة اليه من حيث هو مستفهم لاقوالهم موكل بايمانهم كما تقول
لمن توصيه انا اريد بك خيرا وانت تريد بي شرا فكان الوجه البين ان يقول
وانت تزيد شرا لكن من حيث كنت مريد خيره ومقتضي ذلك حسن ان تضيف
الزيادة الى نفسك وقوله تعالى ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية اقتضب في
هذه الآية ذكر اول امر الناقة وذلك انه روي ان قومه طلبوا منه آية تضطرهم
الى الايمان فاخرج الله جلت قدرته لهم الناقة من الجبل وروي انهم اقترحوا
تعيين خروج الناقة من تلك الصخرة فروي ان الجبل تمخض كالحامل وانصدع
الحجر وخرجت منه ناقة بفصيلها وروي انها خرجت عشراء ووضعت
بعد خروجها فوقفهم صالح وقال لهم هذه ناقة الله لكم آية ونصب آية
على الحال وقرأت فرقة تأكل بالجزم على جواب الامر وقرأت فرقة تأكل
على طريق القطع والاستئناف وعلى انه حال من الضمير في ذروها وقوله ولا
تمسوها بسوء عام في العقر وغيره وقوله فيأخذكم عذاب قريب
هذا توحي من الله اليه ان قومك اذا عقروا الناقة جاءهم عذاب قريب المدة
من وقت المعصية وهي الايام الثلاثة التي فهمها صالح عليه السلام
من رغا الفصيل على جبل القارة واضاف العقر الى جميعهم لان العاقر كان منهم
وكان عن رضى منهم وتمالؤ وعاقرها قدار وروي في خبر ذلك ان صالحا
اوحى الله اليه ان قومك سيعقرون الناقة وينزل بهم العذاب عند ذلك فاخبرهم
بذلك فقالوا عياذا بالله ان نفعل ذلك فقال ان لم تفعلوا انتم ذلك اوشك
ان يولد فيكم من يفعله وقال لهم صفة عاقرها احمر اشقر ازرق فجعلوا الشرط
مع القوابل وامروهم بتفقد الاطفال فمن كان على هذه الصفة قتل وكان
في المدينة شيخان شريفان عزيزان وكان لهذا ابن ولهذا بنت فتصاهرا فولد بين
الزوجين قدار على الصفة المذكورة فهم الشرط بقتله فمنع منه جداه حتى كبر

ناقة

فكان

فكان الذي عقرها بالسيف في عراقيبها وقيل بالسهم في ضرعها وهرب فصيلها
عند ذلك فصعد على جبل يقال له القارة فرغا ثلاثا فقال صالح هذا ميعاد
ثلاثة ايام للعذاب وامرهم قبل رغاء الفصيل ان يطلبوه عسى ان يصلوا اليه
فيندفع عنهم العذاب به فراموا الصعود اليه في الجبل فارتفع الجبل في
السماء حتى ما تناله الطير وحينئذ رغا الفصيل وقوله في داركم هي جمع
دارة كما تقول ساحة وساح وسوح ومنه قول امية ابن ابي الصلت
له داع بمكة مشمعل وآخر عند دارته ينادي ، ويمكن ان يسمى جميع
مسكن الحي دارا والثلاثة الايام تجمع قاس الناس عليه الاعذار الى المحكوم
عليه ونحوه وذلك عندي مفترق لانها في المحكوم عليه والغارم في الشفعة
ونحوه توسعة وهي هنا توقيف على الخزي والتعذيب وروى قتادة عن ابن عباس
انه قال لو صعدتم على القارة لرأيتم عظام الفصيل قوله عز وجل
فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ
ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين
كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود ، الامر يحتمل
ان يريد به المصدر من امر وجائز ان يريد به واحد الامور وقوله برحمة
منا يحتمل ان يقصد ان التنجية انما كانت بمجرد الرحمة ويحتمل ان يكون وصف
حال فقط اخبر انه رحمهم في حال التنجية وقوله منا الظاهر انه متعلق
برحمة ويحتمل ان يتعلق بقوله نجينا وقرأت فرقة ومن خزي يومئذ بتنوين
خزي وفتح الميم من يومئذ وذلك انه يجوز فيه ان يكون فتحة الميم اعرابا ويجوز
ان يكون بني الظرف لما اضيف الى غير متمكن فاستفاد منه البناء وذلك ان الظرف
لما اضيف الى غير متمكن فاستفاد منه البناء وذلك ان الظرف انما اضيف الى
غير متمكن فانتجت في الوجهين الروايتان في قول الشاعر على حين عاتبت
المشيب على الصبا ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ومن خزي يومئذ
باضافة خزي وكسر الميم من يومئذ وهذا توسع في اضافة المصدر الى
الظرف
كما قال مكر الليل والنهار ونحو هذا وقياس هذه القراءة ان يقال سير عليه

يومئذ برفع الميم وهذه قراءتهم في قوله تعالى ومن عذاب يومئذ ومن فزع
يومئذ بفتح الميم وقرأ عاصم وحمزة كذلك الا في قوله ومن فزع يومئذ فانهما
نونا العين وفتحا الميم ۝ واختلف عن نافع في كسر الميم وفتحها وهو بتصيف في الوجهين
وقرأ الكسائي ومن خزي يومئذ بترك التنوين وفتح الميم من يومئذ وهذا جمع
بين الاضافة وبنا الظرف وقرأ ومن فزع كعاصم وحمزة واما اذ فكان حقها ان
ساكنة الا انها من حقها ان يليها الجمل فلما حذف فيها ها هنا الجملة عوضت التنوين
والاشارة بقوله يومئذ الى يوم التعذيب وقوله تعالى واخذ الذين ظلموا
الصيحة الاية وروي ان صالحا عليه السلام قال لهم حين دعا الفصيل ستصفر
وجوهكم في اليوم الاول وتحمر في الثاني وتسود في الثالث فلما كان كذلك ايقنوا
في الانطلاع واستعدوا للهلاك واخذتهم صيحة فيها من كل صوت فيها تقطع
قلوبهم واصابت كل من كان منهم في شرق الارض وغربها الا رجلا كان في الحرم
فمنعه الحرم من ذلكم هلك بعد ذلك في مصنف ابي داود فقيل يا رسول الله من ذلك
الرجل قال ابو رغال وفي هذا نظر وطاقة في السير وذكر الفعل المسند الى الصيحة
اذ هي بمعنى الصياح وتانيثها غير حقيقي وقيل جاز ذلك وهي مؤنثة لما فصل بين الفعل
وبينها كما قالوا حضر القاضي اليوم امراة وقال اول الصوت والصيحة انما هي مستعملة
في ذكر العذاب لانها فعلة تدل على مرة واحدة شاذة والصياح على مصدر متطاول
وشئ في كلامهم قولهم لقيتهم لقاة واحدة والقياس لقية وجاثمين اي باركين
قد صعق بهم وهو تشبيه بجثوم الطير وبذلك يشبه جثوم الرماد ويغنوا اصله
من غني في المكان اذا اقام فيه في حفص عيش وهي المغاني في قراءة وحده الا ان ثمودا
وكذلك في الفرقان والعنكبوت والنجم وصرفها الكسائي كلها وقوله الا بعدا
لثمود واختلف عن عاصم فروى عنه حفص ترك الاجراء في الخمسة وروى عنه ابو بكر
اجرا الاربعة وتركه في قوله الا بعدا لثمود وقرأ الباقون الا ان ثمودا اصرفت
الا بعدا لثمود غير مصروف والقراتان فصيحتان وكذلك صرفوا في الفرقان والعنكبوت
والنجم قوله عز وجل ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما
قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم

خيفة

لا تخف

خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب الرسل الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وقالت
فرقة بدل اسرافيل عزرائيل ملك الموت وروي ان جبريل منهم كان مختصا باهلاك
قرية لوط وميكائيل بتبشير ابرهيم باسحق واسرافيل بانجا لوط ومن معه وهذه الاية
تقتضي اشتراكهم في البشارة باسحق واسرافيل وقالت فرقة وهي الاكثر البشرى
هي باسحق وقالت فرقة البشرى هي باهلاك قوم لوط وقوله سلاما نصب على
المصدر والعامل فيه فعل مضمر من لفظه كانه قال اسلم سلاما ويصح ان يكون
سلاما حكاية لمعنى ما قالوه لا حكاية للفظهم قاله مجاهد والسدي فلذلك عمل
فيه القول كما تقول لرجل قال لا اله الا الله قلت حقا او اخلاصا ولو حكيت لفظهم
لم يصح ان يعمل فيه القول وقوله قال سلام حكاية للفظه وسلام مرتفع اما
على الابتداء والخبر محذوف وتقديره عليكم واما على خبر ابتداء محذوف وتقديره
امري سلام وهذا كقوله فصبر جميل اما على تقدير فصبر جميل امثل وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم قالوا سلاما قال سلام وقرأ حمزة والكسائي
قالوا سلاما قال سلم وكذلك اختلافهم في سورة الذاريات وذلك على وجهين
يحتمل ان يريد به السلام بعينه كما قالوا حل وحلال وحرم وحرام ومن ذلك قول
الشاعر مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح ۝
اتحذا كلمة ونحو هذا قال الطبري وروي كما اخل ويحتمل ان يريد بالسلم
ضد الحرب تقول نحن سلم لكم وكان سلام الملائكة دعاء من جواله النصب
وحي الخليل باحسن مما حيي وهو الثابت المتقرر ولذلك جاء مرفوعا وقوله
فما لبث ان جاء يصح ان تكون ما نافية وفي لبث ضمير ابرهيم وان جاء في موضع نصب
اي بان جاء ويصح ان تكون ما نافية وان جاء بتاويل المصدر في موضع رفع بلبث اي
فما لبث مجيئه وليس في لبث على هذا ضمير ابرهيم ويصح ان تكون ما بمعنى
الذي وفي لبث ضمير ابرهيم وان جاء خبر ما اي فلبث ابرهيم مجيئه بعجل حنيذ
وفي ادب الضيف ان يعجل قراه من هذه الاية والحنيذ بمعنى المحنوذ ومعناه
بعجل مشوي نضج يقطر ماؤه وهذا القطر يفصل الحنيذ على جميع المشويات

والحنيذ المحنوذ في اللغة الذي يغطى بحجارة او رمل محمي او حائل بينه وبين النار
يغطى به والمعرض من الشوى الذي يصفف على الجمر والمهضب الشوا الذي بينه
وبين النار حائل يكون الشواء عليه لا مدفونا به والتحنيذ في تضمير الخيل هو ان يغطى
الفرس بجل على جل لينصب عرقه **وقوله تعالى** فلما راى ايديهم الاية روي انهم
كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل ايديهم اليه وفي هذه
الاية من ادب الطعام ان لصاحب الضيف ان ينظر من ضيفه هل ياكل ام لا
وذلك ينبغي ان [يكون] بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر وروي ان اعرابيا اكل مع سليمن
ابن عبد الملك فراى سليمن في لقمة الاعرابي شعرة فقال له ازل الشعرة عن لقمتك
فقال له اتنظر الي نظر من يرى الشعرة في لقمتي والله لا اكلت معك ونكرهم على
ما ذكر كثير من الناس معناه انكرهم واستشهد لذلك بالبيت الذي حكاه ابو
عمرو بن العلا **الاعشى** وهو وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا
الشيب والصلعا وقال بعض الناس نكر هو مستعمل فيما يرى بالبصر فنكر
وانكر هي مستعملة فيما لا يقدر من المعاني فكان الاعشى قال وانكرتني مودتي او
اذمتي ونحوه ثم جاء بنكر في الشيب والصلع الذي هو مرئي بالبصر **ومن هذا**
قول ابي ذؤيب فنكرته فنفرت وامترست به هوجاء هادية وهاد جرشع
والذي خاف منه ابرهيم عليه السلام ما دل عليه امتناعهم من الاكل فعرف من
جاء بشر الا ياكل طعام المنزول به واوجس معناه احس في نفسه خيفة منهم
والوجس ما يعتري النفس عند الحذر واوائل الفزع فامنوه بقولهم لا تخف
وعلم انهم الملائكة ثم خرجت الاية الى ذكر امراته وبشارتها فقالت فرقة معناه
قائمة خلف ستر تسمع محاورة ابرهيم مع اضيافه وقالت فرقة معناه قائمة
في صلاة وقال السدي معناه قائمة تخدم القوم وفي قراءة ابن مسعود وهي
قائمة وهو جالس **وقوله** فضحكت قال مجاهد معناه حاضت **وانشد**
على ذلك اللغويون وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا
وهذا القول ضعيف قليل التمكن وقد انكر بعض اللغويين ان يكون في كلام العرب
ضحكت بمعنى حاضت وقربه بعضهم وقال ضحك الحوض اذا امتلا وفاض

ورد

ورد الزجاج قول مجاهد وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا مم
ضحكت فقالت فرقة ضحكت من امنيتهم لابرهيم بقولهم لا تخف وقال قتادة ضحكت
هزوا من قوم لوط ان يكونوا على غفلة وقد نزل بهم امر الله تعالى فيهم ما نفذ
وقال وهب بن منبه ضحكت من البشارة باسحق وقال هذا متقدم معنى
التاخير وقال محمد بن قيس ضحكت لظنها بهم انهم يريدون عمل قوم لوط وهذا
قول خطا لا ينبغي ان يلتفت اليه وقد حكاه الطبري وانما ذكرته لمعنى التنبيه
على فساده وقالت فرقة ضحكت من فرح ابرهيم من الله وهي تعهده يغلب
الاربعين من الرجال وقيل المائة وقال السدي ضحكت من ان يكون هي تخدم
وابرهيم يحفد ويسعى والاضياف لا ياكلون وقيل ضحكت سرورا بصدق ظنها
لانها كانت تقول لابرهيم انه لا بد ان ينزل العذاب بقوم لوط وروي ان الملائكة
مسحت العجل فقام حيا فضحكت لذلك وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت
بفتح الحاء وامراة ابرهيم هذه هي سارة بنت هرون بن ناحور وهو ابرهيم بن آزر
بن ناحور فهي ابنة عمه وقيل هي اخت لوط وما اظن ذلك الا اخوة القرابة لان
ابراهيم هو عم لوط فيما روي وذكر الطبري ان ابرهيم لما قدم العجل قالوا
انا لا ناكل طعاما الا بثمن فقال لهم ثمنه ان تذكروا الله تعالى عليه في اول
وتحمدوه في اخره فقال جبريل لاصحابه بحق اتخذ الله هذا خليلا **وقوله** فبشرناها
اضاف فعل الملائكة الى ضمير اسم الله تعالى اذ كان ذلك بامره ووحيه وبشر
الملائكة سارة باسحق وبان اسحق سيلد يعقوب وسمي ولد الولد لانه من الوراء
وهو قريب من معنى وراء في الظرف اذ هو ما يكون خلف الشيء وبعده وراى ابن
عباس رجلا معه شاب فقال له من هذا فقال ولد ولدي فقال هو ولدك من الوراء
فغضب الرجل فذكر له ابن عباس الاية وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
والكسائي يعقوب بالرفع على الابتدا والخبر المقدم وهو على هذا داخل في
البشرى وقالت فرقة رفعه على القطع بمعنى ومن وراء اسحق يحدث يعقوب
وعلى هذا لا يدخل في البشارة وقرا ابن عامر وحمزة يعقوب بالنصب
واختلف عن عاصم فمنهم من جعله معطوفا على اسحق الا انه لم ينصرف واستثقل

هذا القايل ان فرق بين حرف العطف والمعطوف بالمجرور وسيبويه لا يجيز
هذا الا على اعادة حرف الجر وهو كما تقول مررت بزيد اليوم وامس عمرو فالوجه
عنده وامس بعمرو واذا لم يعد ففيه كبير قبح والوجه في نصبه ان ينتصب بفعل
مضمر يدل عليه البشاره وتقديره ووهبنا له من وراء اسحق يعقوب وهذا رجح
ابو علي وروي ان ساره كانت في وقت هذه البشاره بنت تسع وتسعين سنه
وابرهيم ابن مايه سنه وهذه الايه تدل على ان الذبيح هو اسمعيل وانه اسن من اسحق
وذلك ان ساره كانت في وقت اخراج الملك الجبار هاجر ام اسمعيل امراة شابه
جميله حسبما في الحديث فاتخذها ابرهيم عليه السلام ام ولد فغارت بها ساره
فخرج بها وبابنها اسمعيل من الشام على البراق وجا به من يومه مكه فتركهما حسبما
في السير وانصرف الى الشام من يومه ثم كانت البشاره باسحق وساره عجوز متجاله
واما وجه دلاله الايه على ان اسحق ليس بالذبيح فهو ان ساره وابرهيم بشرا باسحق
وانه يولد له يعقوب ثم امر بالذبح حين بلغ ابنه معه السعي فكيف يومر بذبح
ولد قد بشر قبل انه سيولد لذلك الابن ولد ايضا فلم يقع قط في اثر ان اسحق دخل الحجاز
واجماع ان امر الذبح كان بمنى ويويد هذا الغرض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا ابن الذبيحين يريد اباه عبد الله واباه اسمعيل وبوجه ما نزع به مالك رحمه
الله من الاحتجاج برتبة سورة الصافات فانه بعد كمال امر الذبح قال وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين وفي هذا كله موضع معارضات لقايل القول الاخر ان
الذبيح هو اسحق لكن هذا الذي ذكرناه هو الارجح والله اعلم قوله
عز وجل قالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشي عجيب
قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد اختلف
الناس في الالف التي في قوله يا ويلتا واظهر ما فيها انها بدل ياء الاضافة واصلها
يا ويلتي كما تقول يا غلاما ويا عونا وقد يردف هذه عاصم والاعمش وابو
عمرو الالف هاء في الكلام ولم يقراها وامال هذه الالف عاصم والاعمش
وابو عمرو ومعنى يا ويلتا في هذا الموضع العبارة عما دهم النفس من التعجب في
الولاده بعجوز واصل هذا الدعا بالويل ونحوه في التفجع لشده ومكروه يدهم

النفس

النفس ثم استعمل بعد في عجب يدهم النفس وقال قوم انما قالت يا ويلتا
لما مر بفكرها من الم الولاده وشدتها ثم رجعت بفكرها الى التعجب
ونطقت بقولها االد وانا عجوز الايه وقرات فرقه االد بتحقيق الهمزتين
وقرات فرقه بتخفيف الاولى وتحقيق الثانيه وفي النطق بهذه عسر وقرات
فرقه بتحقيق الاولى وتخفيف الثانيه والتخفيف هنا مدها وقرات فرقه
االد بتحقيق الهمزتين ومدة بينهما والعجوز المسنه وقد حكى بعض الناس ان
العرب تقول عجوزه والبعل الزوج وشيخا نصب على الحال وهي حال من
مشار اليه لا يستغنى عنها لانها مقصود الاخبار وهي لا تصح الا اذا لم
يقصد المتكلم التعريف بذي الحال مثل ان يكون المخاطب يعرفه واما اذا قصد
التعريف به لزم ان يكون التعريف قبل الخبر قبل الحال وحينئذ الحال على بابها مستغنى
عنها ومثال هذا قولك هذا زيد قائما اذا اردت التعريف بزيد او كان
معروفا واردت التعريف بقيامه وامال قصد المتكلم ان زيد شيخ انما هي ما دام
قايما فالكلام لا يجوز وقرا الاعمش هذا بعلي شيخ قال ابو حاتم وكذلك في مصحف ابن مسعود ورفعه على وجوه منها انه خبر بعد خبر كما تقول
ان بعض الناس قراه وهذا بعلي هذا شيخ وهذه القراه شبيهه بهذا التاويل
ومنها انه بدل من بعلي ومنها ان يكون قولها بعلي بدلا من هذا او عطف بيان
عليه ويكون شيخ خبر هذا او يقال شيخ وشيخه وبعض العرب يقول في المونث
والمذكر شيخ وروي ان ساره كانت وقت هذه المقاله ابن تسع وتسعين
سنه وقيل ابن تسعين قاله ابن اسحق وقيل ابن ثمانين وكذلك قيل في سن ابرهيم
انه كان ماية وعشرين سنه وقيل ماية سنه وغير ذلك مما يحتاج الى سند
والضمير في قوله قالوا للملايكه وقوله من امر الله يحتمل ان يريد من
واحد الامور اي من الولاده في هذا السن ويحتمل ان يريد مصدر امر
اي مما امر الله به في هذه النازله وقوله رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت يحتمل اللفظان يكون دعا وان يكون اخبارا او كونه اخبارا اشرف
لان ذلك يقتضي حصول الرحمه والبركه لهم وكونه دعا انما يقتضي انه

امر بين حتى ولم يتحصل بعد ونصب اهل البيت على المدح في باب نو كانه ميز النصب
على المدح بان يكون المنتصب لفظا يتضمن بنفسه مدحا كما تقول هذا زيد عاقل
قومه وجعل الاختصاص اذا لم يتضمن اللفظه ذلك كقوله انا معشر الانبيا
وانا بني نهشل **قال القاضي ابو محمد** ولا يكون الاختصاص الا بمدح او ذم
لكن ليس في نفس اللفظه المنصوبه وهذه الايه تعطي ان زوجة الرجل من
اهل بيته لانها خوطبت بهذا فيقوى القول في زوجات النبي صلى الله عليه
وسلم بانهن من اهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس بخلاف ما تذهب
اليه الشيعه وقد قاله ايضا بعض اهل العلم قالوا اهل بيته الذين حرموا
الصدقه والاول اقوى وهو ظاهر جلي من سورة الاحزاب لانه نادا هن
بقوله يا نسا النبي ثم بقوله اهل البيت ووقع في البخاري عن ابن عباس قال
اهل بيته الذين حرموا الصدقه بعده فاراد ابن عباس اهل بيت النسب الذين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان الصدقه لا تحل لاهل بيتي انما هي
اوساخ الناس والبيت في هذه الايه وفي سورة الاحزاب بيت المسكن ففي
اللفظه اشتراك ينبغي ان يتحسس اليه ففاطمه رضي الله عنها من اهل بيت
محمد صلى الله عليه وسلم بالوجهين وعلي رضي الله عنه بالواحد وزوجاته بالاخر
واما الشيعه فيدفعون الزوجات بغضا في عايشه رضي الله عنها وحميد
اي افعاله تقتضي ان يحمد ومجيد اي متصف باوصاف العلو ومجد الشي اذا
حسنت اوصافه **قوله عز وجل** فلما ذهب عن ابرهيم الروع
وجاته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب يا ابرهيم اعرض
عن هذا انه قد جا امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ولما جات رسلنا
لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب الروع الفزع
والخيفه التي تقدم ذكرها وكان ذهابه باخبارهم اياه انهم ملايكه والبشرى
هنا يحتمل ان يريد الولد ويحتمل ان يريد البشرى بان المراد غيره والاول
ابين **وقوله** يجادلنا فعل مستقبل جاز ان يسد مسد الماضي الذي يصلح
لجواب لما لا سيما والاشكال مرتفع بمضي زمن الامر ومعرفة السامعين

من ذلك

بذلك ويحتمل ان يكون المتقدير ان يكون ظل او اخذ ونحوه يجادلنا فحذف اختصارا
لدلاله ظاهر الكلام عليه ويحتمل ان يكون قوله يجادلنا حالا من ابرهيم
او من الضمير في قوله جاته ويكون جواب لما في الايه الثانيه فلما يا ابرهيم اعرض
عن هذا واختار هذا ابو علي والمجادله المقابله في القول والحجج وكانها اعم من
المخاصمه فقد يجادل من لا يخاصم كابرهيم في هذه النازله ووصف ابرهيم
عليه السلام بالحلم قيل لانه لم يغضب قط لنفسه الا ان يغضب لله والحلم
العقل اذا انضاف اليه اناة واحتمال والاواه معناه الخايف الذي يكثر
التاوه من خوف الله عز وجل وروي ان ابرهيم عليه السلام كان يسمع
وجيب قلبه من الخشيه قيل كما يسمع اجيج التنور وللمفسرين في الاواه
عبارات كلها ترجع الى ما ذكرته وتلزمه والمنيب الرجاع الى الله تعالى
في كل امر وصوره جدال ابرهيم عليه السلام كانت ان قال ابرهيم ان كان فيهم
مايه مومن اتعذبونهم قالوا لا قال فتسعون قالوا لا قال فثمانون فلم يزل كذلك
حتى بلغ خمسه ووقف عند ذلك وقد عد في بيت لوط امراته فوجدهم
خمسه بها فطمع في نجاتهم ولم يشعر انها من الكفره وكان ذلك من ابرهيم حرصا
على ايمان تلك الامه ونجاتها وقد كثر اختلاف رواة المفسرين في هذه
الاعداد في قول ابرهيم عليه السلام والمعنى كله نحو مما ذكرته
وكذلك ذكروا ان قوم لوط كانوا اربعمايه الف في خمس قرى وقالت
فرقه المراد يجادلنا في مومني قوم لوط وهذا ضعيف وامره بالاعراض
عن المجادله يقتضي انها انما كانت في الكفره حرصا عليهم والمعنى قلنا
يا ابرهيم اعرض عن المجادله في هولا القوم والمراجعه فقد نفذ فيهم
القضا وجا امر ربك والامر هنا واحد الامور لقرينه وصفه بالمجي
فان جعلناه مصدر امر فانما حذف مضاف اي قد جا مقتضى امر ربك
ونحو هذا **وقوله** اتيهم عذاب ابتدا وخبر جمله في موضع خبر
ان وقيل اتيهم خبر ان وهذا اسم فاعل معتمد وعذاب فاعل باتيهم وهذه
الايه مقتضيه ان الدعا انما هو ان يوفق الله الداعي الى طلب المقدور

فاما الدعاء في طلب غير المقدور فغير مجد ولا نافع **قوله عز وجل** ولما جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون
اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا
الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في
بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن
شديد الرسل هنا هم الملائكة الذين كانوا اضياف ابرهيم وذلك انهم
لما خرجوا الى بلد لوط وبينه وبين قرية ابرهيم ثمانية اميال وصلوه فقيل
وجدوا لوطا في حرث له وقيل وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم وهي
اكبر حواضر قوم لوط فسالوها الدلالة على من يضيفهم ورات هيئتهم
فخافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت الى ابيها فاخبرته فخرج
اليهم فقالوا له نريد ان تضيفنا الليلة فقال لهم او ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم
فقالوا وما عملهم فقال اشهد بالله لهم شر قوم في الارض وقد كان الله عز وجل
قال للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد لوط عليهم اربع شهادات فلما قال لوط هذه
قال جبريل لاصحابه هذه واحدة وتردد القول بينهم حتى كرر لوط الشهادة
اربع مرات ثم دخل لوط بهم المدينة وحينئذ سيء بهم اي اصابه سوء وسيء فعل
بني للمفعول والذرع مصدر ماخوذ من الذراع ولما كان الذراع موضع قوة
الانسان قيل في الامر الذي لا طاقة له به ضاق بهذا الامر ذرع فلان وذرع
فلان اي حيلته بذراعه وتوسعوا في هذا حتى قلبوه فقالوا فلان رحب الذراع
اذا وصفوه باتساع القدرة **ومنه قول الشاعر**
يا سيد ما انت من سيد موطا الاكناف رحب الذراع ٥ **وقوله**
هذا يوم عصيب اشارة الى ما كان يتخوفه من تعدي قومه على اضيافه
واحتياجه الى المدافعة مع ضعفه عنها وعصيب بنا اسم فاعل معناه يعصب
الناس بالشر كما تعصب الخابط السلمة اذا اراد خبطها ونفض ورقها ومنه
قول الحجاج في خطبته لاعصبنكم عصب السلمة فهو من العصابة ثم كثر وصفهم
لليوم بعصيب **ومنه قول الشاعر** وهو عدي بن زيد ٥ **ثم** ٥

ومنه قول الشاعر

وكنت

وكنت لزاز خصمك لم اعرد وقد سلكوك في يوم عصيب ٥٥
فانك الا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب ٥ فعصيب بالجملة
في موضع شديد وصعب الوطاة واشتقاقه كما ذكرنا **وقوله تعالى** وجاءه قومه
الاية ٥ روي ان امراة لوط الكافرة لما رات الاضياف ورات جمالهم وهيئتهم خرجت
حتى اتت مجالس قومها فقالت لهم ان لوطا قد اضاف الليلة فتية ما رئي مثلهم
جمالا وكذا وكذا فحينئذ جاءوا يهرعون ومعناه يسرعون والاهراع هو ان يسرع
امر بالانسان حتى يسير بين الخبب والجمز فهي مشية الاسير الذي يسرع به والطامع
المبادر الى امر خاف فوته ونحو هذا يقال هرع الرجل واهرعه طمع او عدو او خوف
ونحوه والقراءة ٥٥ والقراء المشهور يهرعون بضم الياء اي يهرعهم الطمع وقرات
فرقة يهرعون بفتح الياء من هرع ومن هذه اللفظة قول **مهلهل**
فجاءوا يهرعون وهم اسارى يقودهم على رغم الانوف ٥ **وقوله** ومن قبل كانوا
يعملون السيئات اي كانت عادتهم اتيان الفاحشة في الرجال فجاءوا الى الاضياف
لذلك فقام اليهم لوط مدافعا وقال هؤلاء بناتي فقالت فرقة اشار الى بنات
نفسه وندبهم في هذه المقالة الى النكاح وذلك على ان كانت سنتهم جواز نكاح
الكافر المؤمنة او على ان في ضمن كلامه ان يؤمنوا وقالت فرقة انما كان الكلام
مدافعة لم يرد امضاؤه روي هذا القول عن ابي عبيدة وهو ضعيف وهذا
كما تقول لمن ينهى عن مال الغير الخنزير احل لك من هذا وهذا التنطع ليس من كلام
الانبياء صلى الله عليهم وسلم وقالت فرقة اشار بقوله بناتي الى النساء جملة
اذ نبي القوم اب لهم ويقوي هذا ان في قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم واشار ايضا لوط في هذا التاويل
الى النكاح وقرات فرقة وهي الجمهور هن اطهر برفع الراء على خبر الابتداء وقرا
الحسن وعيسى بن عمر ومحمد بن مروان وسعيد بن جبير اطهر بالنصب قال
سيبويه هو لحن قال ابو عمرو بن العلاء احتبى فيه ابن مروان في لحنه ووجهه
عند من قراه النصب على الحال بان يكون بناتي ابتداء وهن خبره والجملة خبر
هؤلاء وهذا اعراب مروي عن المبرد وذكره ابو الفتح وهو خطا

في معنى الآية انما هو لوط فقط والمعنى انما هو في قوله أطهر ود للقصد ان يخبر به فهو حال لا يستغنى عنها كما تقدم في قوله وهذا بعلي شيخا والوجه ان يقال ها ولا بناتي ابتدا وخبر وهن فصل واطهر حال وان كان شرط الفصل ان يكون بين معرفتين لفصل الكلام من النعت الى الخبر من حيث كان الخبر هنا في اظهر ساغ القول بالفصل ولما لم يستسغ ذلك ابو عمرو ولا سيبويه لحنا ابن مروان وما ذهبا اليه عليهما ما ذكر ابو الفتح والضيف مصدر يوصف به الواحد والجماعة والمذكر والمونث ثم وبخهم بقوله اليس منكم رجل رشيد اي بن علم ويرد عليكم

وقوله تعالى قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق الآية روى ان قوم لوط كانوا قد خطبوا بنات لوط فردهم وكانت سنتهم ان من رد في خطبة امراة لم تحل له ابدا فلذلك قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق قال القاضي ابو محمد وبعد ان لا يكون هذه العاصية فوجه الكلام انا ليس لنا الى بناتك تعلق ولا هم قصدنا ولا لنا عادة نطلبها في ذلك وقولهم وانك لتعلم ما نريد اشارة الى الاضياف فلما راى لوط استمرارهم في غيهم وغلبتهم وضعفه عنهم قال على جهة التفجع والاستكانة لو ان لي بكم قوة وان في موضع رفع بفعل مضمر تقديره لو اتفق او وقع ونحو هذا وهذا يطرد في ان التابعة للو وجواب لو محذوف وحذف مثل هذا ابلغ لانه يدع السامع ينتهي الى ابعد تخيلاته والمعنى لفعلت كذا وكذا وقرا الجمهور او اوي بسكون اليا وقرا شيبة وابو جعفر او اوي بالنصب التقدير او ان اوي ويكون ان مع اوي بتاويل المصدر كما قالت ميسون بنت بحدل للبس عباءة وتقر عيني ❊ ويكون ترتيب الكلام لو ان لي بكم قوة او او يا واوي معناه الجا وانضوي ومراد لوط عليه السلام بالركن العشيرة والمنعة بالكثرة وبلغ به قبيح فعلهم الى هذا مع علمه بما عند الله تعالى فروي ان الملائكة وجدت عليه حين قال هذه الكلمات وقالوا ان ركنك لشديد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد فالعجب منه لما استكان وهذا انفد لان لفظ بهذه الالفاظ والا فحاله النبي صلى الله عليه وسلم وقت طرح الجزور مع اهل الطايف وفي غير

ما موضع تقتضي مقالة لوط لكن محمدا عليه السلام لم ينطق بشي من ذلك على امته منه ونجدة وانما خشي لوط ان يمهل الله اولئك العصاة حتى يعصوه في الاضياف كما امهلهم فيما قبل ذلك من معاصيهم فتمنى ركنا من البشر يعاجلهم به وهو يعلم ان الله تعالى من وراء عقابهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبعث الله تعالى بعد لوط نبيا الا في ثروة من قومه اي في منعة وعزة قوله عز وجل قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب الضمير في قالوا ضمير الملائكة ويروى ان لوطا لما غلبوه وهموا بكسر الباب وهو يمسكه قالت له الرسل تنح عن الباب فتنحى وانفتح الباب فضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس اعينهم وانصرفوا على اعقابهم يقولون النجا النجا فعند لوط قوم سحرة وتوعدوا لوطا ففزع حينئذ من وعيدهم فحينئذ قالوا له انا رسل ربك فامن ذكر هذا النقاش في تفسير قوله ما يقتضي ان قولهم انا رسل ربك كان قبل طمس العيون ثم امروه بالسرى واعلموه ان العذاب نازل بالقوم فقال لهم لوط فعذبوهم الساعة قالوا له ان موعدهم الصبح اي بهذا امر الله ثم انسوه في قلقه بقوله اليس الصبح بقريب وقرا نافع وابن كثير فاسر من سرى يسري اذا سار في اثنا الليل وقرا الباقون فاسر اذا سار اول الليل والقطع القطعة من الليل ويحتمل ان لوطا اسرى باهله من اول الليل حتى جاوز البلد المقتلع ووقعت نجاته بسحر فتجتمع هذه الاية مع قوله الا ال لوط نجيناهم بسحر وبيت النابغة جمع بين الفعلين في قوله

اسرت عليه من الجوزا سارية ❊ تزجي الشمال عليه جامد البرد

فذهب قوم الى ان سرى واسرى بمعنى واحد واحتجوا بهذا البيت واقول ان البيت يحتمل ان يكون اسرت ليست بمعنى سرت وذلك اظهر عندي لانه قصد وصف هذه الديمة وانها ابتدات من اول الليل وقت طلوع الجوزا في الشتا وقرا ابن كثير وابو عمرو الا امراتك بالرفع على البدل من احد وهذا هو الاوجه اذا استثني من منفي كقولك ما جاني من احد الا زيد وهذا هو استثنا من الملتفتين وقرا الباقون الا امراتك

ما النصب وذات ذلك فرقة من النحاة الوجه في الاستثناء من منفي اذا الكلام المنفي في
هذا مستقل بنفسه كالموجب فاذ هو مثله في الاستقلال فحكمه كحكمه في نصب
المستثنى وتأولت فرقة ممن قرأ الا امرأتك بالنصب ان الاستثناء وقع من الاهل
كأنه قال فأسر باهلك الا امرأتك وعلى هذا التأويل لا يكون الا النصب وقال
ابو عبيد القاسم بن سلام لو كان الكلام ولا يلتفت برفع الفعل لصح الرفع في قوله الا
امرأتك ولكنه نهي فاذا استثنيت المرأة من احد وجب ان تكون المرأة ابيح لها
الالتفات فيفسد معنى الآية وهذا الاعتراض حسن يلزم الاستثناء من احد
رفعت التاء او نصبت والانفصال عنه يترتب بكلام حكي عن المبرد وهو ان النهي
قصد به لوط وحده والالتفات منفي عنهم بالمعنى اي لا تدع احدا منهم يلتفت
وهذا كما تقول لرجل لا يقم من هؤلاء احد الا زيد واولئك لم يسمعوك فالمعنى لا تدع
احدا منهم يقوم والقيام بالمعنى منفي عن المشار اليهم وجملة هذا ان لفظ الآية
هو لفظ قولنا لا يقم احد الا زيد ونحن نحتاج ان يكون معناها معنى قولنا لا يقم احد
الا زيد وذلك اللفظ لا يرجع الى هذا المعنى الا بتقدير ما حكيناه عن المبرد فتدبره
ويظهر من مذهب ابي عبيد ان الاستثناء انما هو من الاهل وفي مصحف ابن مسعود
فأسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وسقط قوله ولا يلتفت منكم احد والظاهر
في يلتفت انها من التفات البصر وقالت فرقة هي من لفت الشيء يلفته اذا ثناه ولواه
فمعناه ولا يتثبط وهذا شاذ مع صحته وفي كتاب الزهراوي ان المعنى ولا يلتفت
احد الى ما خلف بل يخرج مسرعا مع لوط عليه السلام وروي ان امرأة لوط لما سمعت
الهدة ردت بصرها وقالت واقوماه فاصابها حجر فقتلها وقرأت فرقة الصبح
بضم الباء **قوله عز وجل** فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا
عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد
روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقتلعها ورفعها
حتى سمع اهل السماء الدنيا صراخ الديكة ونباح الكلاب ثم ارسلها معكوسة واتبعهم
الحجارة من السماء وروي ان جبريل عليه السلام اخذهم بخوافي جناحه وروي
ان مدينة منها حيث كانت مختصة بلوط عليه السلام يقال لها زغر وامرنا في

هذه

في هذه الآية يحتمل ان يكون مصدرا من امر ويكون في الكلام حذف مضاف تقديره
مقتضى امرنا ويحتمل ان يكون واحد الامور والضمير في قوله عاليها سافلها للمدن
واجرى ذكر امطرنا عليها كذلك والمراد على اهلها وروي ان الحجارة استوفت منهم من
كان خارج مدنهم حتى قتلتهم اجمعين وروي انه كان منهم في الحرم رجل فبقي
حجره معلقا في الهواء حتى خرج من الحرم فقتله الحجر وامطر ابدا انما يستعمل في المكروه
ومطر يستعمل في المحبوب هذا قول ابي عبيدة وليس كذلك وقوله تعالى هذا
عارض ممطرنا يرد هذا القول لانهم انما ظنوه معتادا للرحمة **وقوله** من سجيل
اختلف فيه فقال ابن زيد سجيل اسم السماء الدنيا وهذا ضعيف ويرده وصف
منضود وقالت فرقة هو مأخوذ من لفظ السجل اذ هي مما كتب عليهم وهذا
بعيد وقالت فرقة هو مأخوذ من اسجل اذا ارسل الشيء كما يرسل السجل
وكما تقول قال لها سجله وهذا ضعيف وقالت فرقة من سجيل معناه من جهنم
لانه يقال سجيل وسجين حفظ فيهما بدل النون لاما كما قالوا اصيلال واصيلان
وقالت فرقة سجيل معناه شديد **وانشد** الطبري في ذلك ∴
ضربا تواصى به الابطال سجيلا ∴ والبيت في قصيدة ابن مقبل سجينا وقالت
فرقة سجيل لفظة اصلها غير عربية عربت اصلها سنج وكل وقيل غير هذا في اصل
اللفظة ومعنى هذا اللفظ ماء وطين وهذا قول ابن عباس ومجاهد وابن جبير
وعكرمة والسدي وغيرهم وذهبت هذه الفرقة الى ان الحجارة التي رموا بها
كانت كالآجر المطبوخ كانت من طين قد تحجر نص عليه الحسن وهذا قول يشبه
وهو الصواب الذي عليه الجمهور وقالت فرقة معنى سجيل حجر مخلوط بطين اي
حجر وطين ويمكن ان يرد هذا الى الذي قبله لان الآجر وما جرى مجراه يمكن ان يقال
حجر وطين لانه قد اخذ من كل واحد منهما بحظ فهي طين من حيث هو اصلها
وحجر من حيث صلبت ومنضود معناه بعضه فوق بعض في تتابع وهي صفة
لسجيل وقال الربيع بن انس نضده انه في السماء منضود معد بعضه فوق
بعض ومسومة معناه معلمة بعلامة فقال عكرمة وقتادة انه كان فيها
بياض وحمرة وحكي انه كان في كل حجر اسم صاحبه وهذه اللفظة هي من سوم

اذا اعلم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر سوموا فقد سومت الملائكة
ويحتمل ان تكون مسومة هاهنا بمعنى مرسلة وسومها من الهبوط وقوله
وما هي اشارة الى الحجارة والظالمون قيل يعني قريشا وقيل يريد عموم كل من اتصف
بالظلم وهذا هو الاصح لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون
في امتي خسف ومسخ وقذف بالحجارة وقد ورد ايضا حديث ان هذه الامة
ناجية من ذلك وقيل يعني بها المدن ويكون المعنى الاعلام بان هذه البلاد قريبة
من مكة والاول ابين وروي ان هذه البلاد كانت بين المدينة والشام
وحكى الطبري في تسمية هذه المدن صبغة وصعدة وعمرة ودوما وسدوم
وهي القرية العظمى قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم
بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم
ان كنتم مومنين وما انا عليكم بحفيظ ده م التقدير والى مدين ارسلنا
اخاهم شعيبا اختلف في لفظة مدين فقيل هي بقعة فالتقدير على هذا والى
اهل مدين كما قال واسأل القرية وقيل كان هذا القطر في ناحية الشام وقيل
مدين اسم رجل كانت القبيلة من ولده فسميت باسمه ومدين لا
ينصرف في الوجهين وحكى النقاش ان مدين هو ولد ابراهيم الخليل لصلبه
وهذا بعيد وقد قيل ان شعيبا عربي فكيف يجمع هذا وليس للعرب اتصال
بابراهيم الا من جهة اسمعيل فقط ودعا شعيب الى عبادة الله يقتضي
انهم كانوا يعبدون الاوثان وذلك بين من قولهم فيما بعد وكفرهم هو الذي
استوجبوا به العذاب لا معاصيهم فان الله لم يعذب قط امة الا بالكفر
فان انضافت الى ذلك معصية كانت تابعة واعين بالعذاب على الاستيصال
العام وكانت معصية هذه الامة الشنيعة هذه انهم كانوا اتطوا
ان ياخذوا ممن يرد عليهم من غيرهم وافيا ويعطوا ناقصا في وزنهم وكيلهم
فنهاهم شعيب بوحي الله تعالى عن ذلك ويظهر من كتاب الزجاج انهم كانوا

تراصوا

تراصوا بينهم بان يبخس بعضهم بعضا وقوله بخير قال ابن عباس
معناه في رخص من الاسعار وعذاب اليوم المحيط هو حلول الغلا المهلك
وينظر هذا التاويل الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما نقص قوم المكيال
والميزان الا ارتفع عنهم الرزق وقيل قوله بخير عام في جميع نعم الله تعالى
وعذاب اليوم هو الهلاك الذي حل بهم في اخر وجميع ما قيل في لفظ خير
منحصر فيما قلناه ووصف اليوم بالاحاطة وهي من صفات العذاب
على جهة التجوز اذ كان العذاب في اليوم وقد يصح ان يوصف اليوم بالاحاطة
على تقدير محيط شره ونحو هذا وكرر عليهم الوصية في الكيل والوزن
تاكيدا وبيانا وعظة لان لا تنقصوا الوصية في الكيل والوزن ملكها
وبيانا هو اوفوا بعينه لكنهما منحيان الى معنى واحد وحدثني ابي رضوان
الله عليه انه سمع ابا الفضل ابن الجوهري على المنبر بمصر يعظ الناس في الكيل
والوزن فقال اعتبروا في ان الانسان اذا رفع يده بالميزان فامتدت اصابعه
الثلاثة والتقى الابهام والسبابة على ناصية الميزان جاء من شكل
اصابعه صورة المكتوبة فكان الميزان يقول الله الله وهذا وعظ مليح
والقسط العدل ونحوه والبخس النقصان وتعثوا معناه تسعون في فساد
وكرر مفسدين على جهة التاكيد يقال عثا يعثوا وعثى يعثى وعث
يعث وعاث يعيث اذا افسد ونحوه من المعنى العثة الدودة التي
تفسد ثياب الصوف وقوله بقية الله قال ابن عباس معناه الذي
يبقي الله لكم من اموالكم بعد توفيتكم الكيل والوزن خير لكم مما تستكثرون
انتم به على غير وجهه وهذا تفسير يليق بلفظ الاية وقال مجاهد
معناه طاعة الله وقال ابن عباس ايضا معناه رزق الله وهذا كله
لا يعطيه لفظ الاية وانما المعنى عندي ابقاء الله عليكم ان اطعتم
وقرا اسمعيل ابن جعفر عن اهل المدينة تخفيف الياء وهي لغة وقوله
ان كنتم مومنين شرط في ان تكون البقية خيرا لهم واما مع الكفر
فلا خير لهم في شي من الاعمال وجواب هذا الشرط متقدم والحفيظ

المراقب الذي يحفظ احوال من يرقب والمعنى انما انا مبلغ والحفيظ المحاسب هو الذي يجازيهم بالاعمال **قوله عز وجل** قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشا انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ۞ قرا جمهور الناس اصلواتك بالجمع وقرا ابن وثاب اصلاتك بالافراد وكذلك قراءتي براءة ان صلاتك وفي المومنين على صلاتهم كذلك بالافراد واختلف في معنى الصلاة هنا فقالت فرقة ارادوا الصلوات المعروفة وروي ان شعيبا عليه السلام كان اكثر الانبيا صلاة وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلاة والزكاة وقيل ارادوا اتباعك وقيل ارادوا قراءتك وقيل ارادوا دعواتك واقرب هذه الاقوال الاول والرابع وجعلوا الامر من فعل الصلوات على جهة التجوز وذلك ان كل من حصل في رتبة من خير او شر ففي الاكثر تدعوه رتبته الى التزيد من ذلك النوع فمعنى هذا الماكنت مصليا تجاوزت الى ذم شرعنا وحالنا فكان حاله من الصلاة حسبته على ذلك فقيل امرته كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر وقولهم ان نترك ما يعبد اباونا نص في انهم كانوا يعبدون غير الله تعالى وقرا جمهور الناس نفعل ونشا بنون الجماعة فيهما وقرا الضحاك ابن قيس تفعل وتشا بتا المخاطبة فيهما ورويت عن ابي عبد الرحمن وقرا ابو عبد الرحمن نفعل بالنون ما تشا بالتا ورويت عن ابن عباس فاما من قرا بالنون فيهما فان الثانية عطف على ان الاولى لان المعنى بل اصلواتك تامرك ان نفعل في اموالنا ما نشا وهذا قلب ما قصد ووجه اما من قرا بالتا فيهما فيصح عطف ان الثانية على ان الاولى قال بعض النحويين ويصح عطفها على ما وتم المعنى في الوجهين **قال القاضي ابو محمد** ونحن نترك الاول بمعنى نرفض والثاني بمعنى نقرر فيبعد عندي هذا الوجه لما ذكرته من تنوع الترك في قراة من قرا بالنون في الفعلين انما هو بمعنى الرفض عن متبوع واما

الاعلى الحكم اللفظي او على ... فانه لا يرى ان المرك

من قرا بالنون في نفعل والتا في تشا فان معطوفة على ان الاولى ولا يجوز ان تعطف على ما لان المعنى ايضا ينقلب فتدبره وظاهر فعلهم هذا الذي اشاروا اليه هو بخس الكيل والوزن الذي تقدم ذكره وروي ان الاشارة هي الى قرضهم الدينار والدرهم واجراء ذلك مع الصحيح على جهة التدليس قاله محمد بن كعب القرظي وغيره وروي عن سعيد ابن المسيب انه قال قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الارض فتاول ذلك بهذا المعنى المتقدم وتاول ايضا بمعنى انه تبديل السكك التي يقصد بها اكل اموال الناس واختلف في قولهم انك لانت الحليم الرشيد فقيل انما كانت الفاظهم انك لانت الجاهل السفيه فكنى الله تعالى عن ذلك وقيل بل هذا لفظهم هو بعينه الا انهم قالوه على جهة الاستهزا قاله ابن جريج وابن زيد وقيل المعنى انك لانت الحليم الرشيد عند نفسك وقيل بل قالوه على جهة الحقيقة وانه اعتقادهم فيه فكانهم فندوه اي انت حليم رشيد فلا ينبغي لك ان تامرنا بهذه الاوامر ويشبه هذا المعنى قول اليهود من بني قريظة حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخوة القردة يا محمد ما علمناك جهولا والشبه بين الامرين انما هو بالمناسبة بين كلام شعيب وتلطفه وبين ما بادر به محمد عليه السلام بني قريظة **وقوله تعالى** قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة الاية هذه مراجعة لطيفة واستنزال حسن واستدعا رفيق ولهذه الاية ونحوها من محاورة شعيب عليه السلام قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك خطيب الانبياء وجواب الشرط الذي في قوله ان كنت على بينة من ربي محذوف تقديره اضل كما ضللتم او اترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما يليق بهذه المحاجة وبينة يحتمل ان يكون صفة لمحذوف فيكون الها ها بالله **وقوله** ورزقني منه رزقا حسنا يريد خالصا من الفساد الذي ادخلتم انتم في اموالكم ثم قال لهم ولست اريد ان افعل الشي الذي نهيتكم عنه من نقص الكيل والوزن فاستاثر بالمال لنفسي وما اريد الا الاصلاح

اجمع وانيب معناه ارجع واتوب واستند قوله عز وجل
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم
صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا
رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ٥ لا يجرمنكم معناه لا يكسبنكم
يقال جرمه كذا واجرمه اذا اكسبه كما يقال كسب واكسب بمعنى ومن
ذلك قول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها
ان يغضبوا وقرا الجمهور يجرمنكم بفتح الياء وقرا الاعمش وابن وثاب يجرمنكم
بضمها وشقاقي معناه مشاقتي وعداوتي وان مفعوله بيجرمنكم وذكر
قصة قوم لوط اقرب القصص عهدا بقصة قوم شعيب وقد يحتمل ان يريد وما
منازل قوم لوط منكم ببعيد فكانه قال وما قوم لوط منكم ببعيد في المسافة
ويتضمن هذا القول ضرب المثل لهم بقوم لوط وقرا الجمهور مثل بالرفع على انه
فاعل بيصيبكم وقرا مجاهد والجحدري وابن ابي اسحق مثل بالنصب وذلك
على احد وجهين اما ان يكون مثل فاعلا وفتحة اللام فتحة بناء لما اضيف الى
غير متمكن فان مثل تجري مجرى الظروف في هذا الباب وان لم يكن ظرفا محضا
واما ان يقدر الفاعل محذوفا يقتضيه المعنى ويكون مثل منصوبا على المصدر
محذوف تقديره اصابة مثل وقوله واستغفروا الاية تقدم القول
في مثل هذا من ترتيب هذا الاستغفار قبل التوبة وودود معناه ان
افعاله ولطفه بعباده لما كانت في غاية الاحسان اليهم كانت فعل من
يتودد ويود المصنوع له وقوله تعالى قالوا يا شعيب الاية نفقه معناه
نفهم وهذا نحو قول قريش قلوبنا في اكنة ومعنى ما نفقه ما تقول اي
ما نفقه صحة قولك واما فقههم لفظه ومعناه فمتحصل وروي عن ابن
جبير وشريك القاضي في قولهم ضعيفا انه كان ضرير البصر اعمى وحكى الزهراوي
ان حمير تقول للاعمى ضعيف ولا يقوم عليه حجة لضعف بصره او بدنه

والظاهر

والظاهر من قولهم ضعيفا انه ضعيف الانتصار والقدرة وان رهطه
الكفرة كانوا اعوانه فيه والرهط جماعة الرجل ومنه الراهطاء لان
اليربوع يعتصم به كما يعتصم الرجل برهطه ولرجمناك قيل معناه بالحجارة
وهو الظاهر وقاله ابن زيد وقيل المعنى لرجمناك بالسب وبه فسر
الطبري وهذا ايضا تستعمله العرب ومنه قوله لارجمنك واهجرني
مليا وقولهم بعزيز اي بذي منعة وعزة ومنزلة في نفوسنا وقوله تعالى
قال يا قوم ارهطي الاية الظهري الشيء الذي يكون وراء الظهر
وقد يكون الشي وراء الظهر بوجهين في الكلام اما بان يطرح كما تقول جعلت
كلامي وراء ظهرك ودبر اذنك ومنه قول الفرزدق
تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعيا علي جوابها واما بان
يسند اليه ويلجا ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه
والجات ظهري اليك فقال جمهور المتاولين في معنى هذه الاية واتخذتم
الله ظهريا اي غير مراعى وراوا الظهري على معنى الاطراح ورجحه الطبري
وهو عندي على حذف مضاف ولا بد وقال بعضهم الضمير في قوله واتخذتموه
عائد على امر الله وشرعه اذ يتضمنه الكلام وقالت فرقة المعنى
اترون رهطي اعز عليكم من الله وانتم تجعلون الله سند ظهوركم وعماد
امالكم فقول الجمهور على ان كفر قوم شعيب جحد بالله تعالى
وجهل به وهذا القول الثاني على انهم كانوا يقرون بالخالق الرازق ويعتقدون
الاصنام وسائط ووسائل ونحو هذا وهاتان الفرقتان موجودتان في
الكفرة ومن اللفظة الاستظهار بالبينة وقد قال ابن زيد الظهري
الفضل مثل الجمال يخرج معه بابل ظهارية يعدها ان احتاج اليها
والا فهي فضلة هذا كله مما يستند اليه وقوله ان ربي بما تعملون
محيط خبر في ضمنه توعد ومعناه محيط علمه وقدرته قوله
عز وجل ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه
عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا

نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود على مكانتكم معناه على حالاتكم وهذا كما تقول مكانة فلان في العلم
فوق مكانة فلان يستعار من البقاع الى المعاني وقرا الحسن وابو عبد الرحمن
وعاصم مكاناتكم بالجمع والجمهور على الافراد **وقوله** اعملوا تهديد
ووعيد وهو نحو قوله اعملوا ما شئتم **وقوله** من ياتيه يجوز ان يكون مفعوله
بيعلمون والثانية عطف عليها قال الفراء ويجوز ان يكون استفهاما في موضع رفع
بالابتدا **قال القاضي ابو محمد** والاول احسن لانها موصولة محالة والصحيح
ان الوقف في قوله اني عامل ثم ابتدا الكلام بالوعيد من معموله لتعلمون
وهي موصولة **وقوله** وارتقبوا اي لذلك تهديد ايضا **وقوله تعالى** ولما جاء
امرنا الامر هاهنا يصح ان يكون مصدر امر ويصح ان يكون واحد الامور **وقوله**
برحمة منا اما ان يقصد الاخبار عن الرحمة التي لحقت شعيبا النبوة وحسن
عمله وعمل متبعيه واما ان يقصد ان التنجية لم تكن الا بمجرد رحمة لا بعمل من
اعمالهم واما الصيحة فهي صيحة جبريل عليه السلام وروي انه صاح
بهم صيحة جثم لها كل واحد منهم في مكانه حيث سمعها ميتا قد تقطع تحت
قلبه والجثوم اصله في الطاير اذا ضرب بصدره الى الارض ثم يستعمل في
غيره اذا كان منه بشبه **وقوله تعالى** كان لم يغنوا فيها الاية الضمير في
في قوله فيها عايد على الديار ويغنوا معناه يقيمون بنعمة وخفض عيش
ومنه المغاني وهي المنازل المعمورة بالاهل **وقوله** الا تنبيه للسامع
وقوله بعدا مصدر دعا به وهذا كما تقول سقيا لك ورعيا لك وسحقا
للكافر ونحو هذا وفارقت هذه قولهم سلام عليك لان هذا كانه اخبار
عن شي قد وجب وحصل وتلك انما هي دعا مترجى ومعنى البعد في قراة من
قرا بعدت بكسر العين الهلاك وهي قراة الجمهور ومنه **قول خرنق بنت هفان**

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وافة الجزر
يقولون لا تبعد وهم يدفنونني واين مكان البعد الا مكانيا وامامس

وما امر فرعون برشيد

قرا الغدف وهو السلمي وابو حيوة فهو من البعد الذي ضده القرب ولا يدعى
به الا على مبغوض **قوله عز وجل** ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وسلطان مبين الى فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون الى رشيد يقدم قومه
يوم القيامة فاوردهم النار وبيس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة
ويوم القيامة بيس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قايم
وحصيد الايات العلامات والسلطان البرهان والبيان في الحجة
قيل هو مشتق من التسليط الذي يستطان به وقيل من انه مسلط على كل
مبا ومخاصم والملا الجمع من الرجال والمعنى ارسلناه اليهم ليومنوا بالله
تعالى فصدهم فرعون فاتبعوا امره ولم يومنوا وكفروا ثم اخبر تعالى عن
امر فرعون انه ليس برشيد اي ليس بمصيب في مذهبه ولا مفارق للسفاهة
وقوله يقدم قومه يوم القيامة الاية اخبر الله تعالى في هذه الاية عن
فرعون انه ياتي يوم القيامة مع قومه المغرقين معه وهو يقدمهم الى النار
واوقع الفعل الماضي في اوردهم موقع المستقبل لوضوح الامر وارتفاع
الاشكال عنه ووجه الفصاحة من العرب انها تضع احيانا الماضي موضع
المستقبل ان الماضي دال على وقوع الفعل وحصوله والورود في هذه الاية
هو ورود الدخول وليس ورود الاشراف على الشي والاشتفا كقوله
تعالى ولما ورد ماء مدين وقال ابن عباس في القران اربعة اوراد وان
منكم الا واردها وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا هذه في مريم وفي
الانبيا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون قال وهي
كلها ورد دخول ثم ينجي الله الذين اتقوا والمورود صفة لمكان الورد
على ان التقدير وبيس مكان الورد المورود وقيل المورود ابتدا والخبر
مقدم والمعنى المورود بيس الورد **وقوله** في هذه يريد دار الدنيا
واللعنة ابعادهم بالغرق والاستيصال وقبح الذكر عابر الدهر **وقوله**
يوم القيامة اي يلعنون ايضا بدخولهم في جهنم وقال مجاهد فلهم لعنتان
وذهب قوم الى ان التقسيم هو ان لهم في الدنيا لعنة ويوم القيامة بيس

ما يردفونه فهي لعنة واحدة أولا وقعت إرفادا آخر **وقوله** بئس الرفد المرفود
أي بئس العطاء المعطى لهم وبئس الرفد في كلام العرب العطية وسمى العذاب
هنا رفدا لأن هذا هو الذي حل لهم محل الرفد وهذا كما تقول يا فلان لم يكن خيرك إلا أن
تضربني أي لم يكن الذي حل محل الخير منك والإرفاد المعونة ومنه رفادة قريش
معونتهم لفقراء الحج بالطعام الذي كانوا يطعمونه في الموسم ٥ **وقوله** ذلك
من أنباء القرى الآية ذلك إشارة إلى ما تقدم من ذكر العقوبات النازلة بالأمم
المذكورة والأنباء الأخبار والقرى عامة أي هذه الأنباء المقصوصة عليك
هي عوائد المدن إذا كفرت فيدخل على هذا التأويل فيها المدن المعاصرة ويجيء
قوله منها قائم وحصيد منها عامر ومنها داثر وهذا قول ابن عباس وعلى التأويل
الأول أي أنها تلك القرى المخصوصة يكون قوله قائم وحصيد بمعنى قائم الجدرات
ومنهدم لا أثر له وهذا قول قتادة وابن جريج والآية بجملتها متضمنة التخويف
وضرب المثل للحاضرين من أهل مكة وغيرهم **قوله عز وجل** وما ظلمناهم
ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جا
أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة
إن أخذه أليم شديد إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع
له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأتي لا تكلم
نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ٥ المعنى وما وضعنا عندهم من التعذيب
ما لا يستحقونه لكنهم ظلموا أنفسهم بوضعهم الكفر موضع الإيمان والعبادة
في جنبة الأصنام فما نفعتهم تلك الأصنام ولا دفعت عنهم حين جاء عذاب الله
والتتبيب الخسران ومنه تبت يدا أبي لهب **ومنه قول جرير**
عرابة من بقية قوم لوط ألا تبا لما فعلوا تبابا ٥ وصورة زيادة الأصنام
التتبيب إنما يتصور إما بأن تأميلها والثقة بها والتعب في عبادتها شغلت
نفوسهم وصرفتها عن النظر في الشرع وعاقتها فلحق عن ذلك عنت وخسران
وإما بأن عذابهم على الكفر يزاد إليه عذاب على مجرد عبادة الأوثان **وقوله**
وكذلك إشارة إلى ما ذكر من إهلاك في الأمم وهذه آية وعيد يعم

قرى

ومنه قول جرير

واسند الطبري

قرى المؤمنين فإن ظالمة أعم من كافرة وقد يمهل الله تعالى بعض الكفرة وأما
الظلمة في الغالب فيعاجلون أما إنه يملي لبعضهم وفي الحديث من رواية
أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه
لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة الآية وقرأ أبو
رجاء العطاردي وعاصم الجحدري ربك إذ أخذ القرى وقرأ الجمهور الأعظم قراءتهم
إذا أخذ وحكى الطبري على قراءة عاصم هذه وقرأ طلحة ابن مصرف وكذلك أخذ
ربك إذا أخذ وهي قراءة متمكنة ولكن قراءة الجماعة تعطي بقاء الوعيد واستمراره
في الزمان وهو الباب في وضع المستقبل موضع الماضي **وقوله تعالى** إن في ذلك
لآية المعنى إن في أمر هذه القرى وما حل بها لعبرة وعلامة اهتداء لمن خاف أمر الآخرة
وتوقع أن يناله عذابها فنظر وتأمل فإن نظره يؤديه إلى الإيمان بالله تعالى ثم عظم الله
أمر يوم القيامة بوصفه بما يلبس بما جنى منه للسبب المتصل بينهما وتعود الضمير
عليه والناس على هذا مفعول لم يسم فاعله ويصح أن يكون الناس رفعا بالابتداء
ومجموع خبر مقدم وهذه الآية خبر عن الحشر ومشهود عام على الإطلاق يشهده
الأولون والآخرون من الإنس والملائكة والجن والحيوان في قول الجمهور
وفيه أعني الحيوان الصامت اختلاف وقال ابن عباس الشاهد محمد عليه السلام
والمشهود يوم القيامة **وقوله** وما نؤخره الآية وما نؤخر يوم القيامة المعنى
عجزا عن ذلك لكن القضاء السابق قد نفذ فيه بأجل محدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر
وقرأ الجمهور نؤخره بالنون وقرأ الأعمش يؤخره بالياء وقرأ عاصم وابن عامر
وحمزة يوم يأت بحذف الياء من يأتي في الوصل والوقف وقرأ ابن كثير بإثباتها في
الوصل والوقف وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإثباتها في الوصل وحذفها في
الوقف وروينا أيضا كذلك عن ابن كثير والياء ثابتة في مصحف أبي بن كعب وسقطت
في إمام عثمان وفي مصحف ابن مسعود يوم يأتون وقرأ بها الأعمش ووجه حذفها
في الوقف التشبيه بالفواصل وإثباتها في الوجهين هو الأصل ووجه حذفها
في الوصل التخفيف كما قالوا لا أبال ولا أدر **وأنشد الطبري**
كفاك كف ما تليق درهما جودا وأخرى تعط بالسيف الدما ٥

وقوله لا تكلم نفس يصح ان تكون جملة في موضع الحال من الضمير الذي في ياتي وهو العايد
على قوله ذلك يوم ولا يجوز ان يعود على قوله يوم ياتي لان اليوم المضاف الى الفعل
لا يكون فاعل ذلك الفعل اذ المضاف متعرف بالمضاف اليه والفعل متعرف بفاعله
وليس في نفسه شيا مقصودا مستقلا دون الفاعل وقولهم سيد قومه ومحل
اخيه وواحد امه مفارق لما يستقل فلذلك جازت الاضافة فيها ويكون قوله
يوم ياتي على هذا في موضع الرفع على الابتدا وخبره فمنهم شقي وسعيد وفي الكلام على
هذا عايد محذوف تقديره لا تكلم نفس فيه الا ويصح ان يكون قوله لا تكلم نفس صفة
لقوله يوم ياتي والخبر قوله فمنهم ويصح ان يكون قوله لا تكلم نفس خبرا عن قوله يوم ياتي
وقوله ذلك يوم يراد به اليوم الذي قبله لنبيه وقوله يوم ياتي يراد به الحين
والوقت لا النهار بعينه ونحوه ما قال عثمان اني قد رايت ان لا ازوج يومي هذا وكما قال
الصديق رضي الله عنه كان الكرامة اليوم في الناس قليل ومعنى قوله لا تكلم نفس الا
باذنه وصف المهابة يوم القيامة وذهول العقل وهول القيامة وما ورد في القران
من ذكر كلام اهل الموقف في التلاوم والتساول والتجادل فاما ان يكون باذن واما ان
تكون هذه هنا مختصة في تكلم شفاعة واقامة حجة وقوله فمنهم عايد على الجمع الذي
يتضمنه قوله نفس اذ هو اسم جنس يراد به الجمع قوله عز وجل فاما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما
شا ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شا ربك عطا غير مجذوذ قوله الذين شقوا على
بعض التاويلات في الاستثنا الذي في اخر الاية يراد به كل من يعذب من كافر وعاص
وعلى بعضها كل من يخلد وذلك لا يكون الا في الكفرة خاصة والزفير صوت شديد
خاص بالمحزون او الوجع او المعذب ونحوه والشهيق كذلك كما يفعل الباكي
الذي يصيح خلال بكايه وقال ابن عباس الزفير صوت حاد والشهيق صوت ثقيل
وقال ابو العالية الزفير من الصدر والشهيق من الحلق وقيل بالعكس وقال قتادة
الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره فصياح اهل النار كذلك وقيل الزفير
ماخوذ من الزفر وهو الشدة والشهيق من قولهم جبل شاهق اي عال فهما على هذا

المعنى

المعنى واحد او متقارب والظاهر ما قال ابو العالية فان الزفرة هي التي يعظم معها
الصدر والجوف والشهقة هي الوقعة الاخيرة من الصوت المندفعة معها النفس
احيانا فقد يشهق المحتضر ويشهق المغشي عليه واما قوله ما دامت السموات
والارض فقيل معناه ان الله تعالى يبدل السما والارض يوم القيامة ويجعل
الارض مكانا لجهنم والسما مكانا للجنة ويتابد كذلك فقرنت الاية خلود هولاء
ببقا هذه ويروى عن ابن عباس انه قال ان الله خلق السما والارض من نور العرش
ثم يردهما الى هنالك في الاخرة فلهما ثم بقا دايم وقيل معنى قوله ما دامت السموات
والارض العبارة عن التابيد بما تعهده العرب وذلك ان من فصيح كلامها اذا ارادت
ان تخبر عن تابيد شي ان تقول لا افعل كذا وكذا امد الدهر وما ناح الحمام وما
دامت السموات والارض ونحو هذا مما يريدون به طولا من غير نهاية فافهمهم
الله تعالى تخليد الكفرة بذلك وان كان قد اخبر بزوال السموات والارضين واما
قوله الا ما شا الله فقيل فيه ان ذلك على طريق الاستثنا الذي ندب الشرع
الى استعماله في كل كلام فهو على نحو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين
استثنا في واجب وهذا الاستثنا هو في حكم الشرط كانه قال ان شا الله فليس
يحتاج ان يوصف بمتصل ولا منقطع ويويد هذا قوله عطا غير مجذوذ وقيل
هو استثنا من طول المدة وذلك على ما روي ان جهنم تخرب وتعدم اهلها وتخفق
ابوابها فهم على هذا الخلود حتى يصير امرهم الى هذا وهذا قول مختل والذي
روي ونقل عن ابن مسعود وغيره ان ما يخلى من النار انما هو الدرك الاعلى
المختص بعصاة المومنين وهو الذي يسمى جهنم وسمي الكل به تجوزا وقيل
انما استثنى ما يلطف الله تعالى به للعصاة من المومنين في اخراجهم بعد مدة
من النار فمعنى قوله الا ما شا الله الا لقوم ما وهذا قول قتادة والضحاك
وابي سنان وغيرهم وعلى هذا يكون قوله فاما الذين شقوا عاما في الكفرة والعصاة
كما قدمنا ويكون الاستثنا من خالدين وقيل الا بمعنى الواو فمعنى الاية وما
شا الله زايدا على ذلك ونحو هذا قول الشاعر
وكل اخ مفارقه اخوه ∴ لعمر ابيك الا الفرقدان ∴ وهذا البيت يصح

الاستشهاد به على معتقدنا في فنا الفرقدين وغيرهما من العالم واما ان كان قايله من
دهرية العرب فلا حجة فيه اذ يرى ذلك مويدا فاجرا الا على بابها وقيل الا في هذه الايه
بمعنى سوى والاستثنا منقطع كما تقول لي عندك الف درهم الا الالف التي كنت
اسلفتك بمعنى سوى تلك فكانه قال خالدين فيها مادامت السموات والارض سوى
ما شا الله زايدا على ذلك ويويد هذا التاويل قوله بعد عطا غير مجذوذ وهذا
قول الفراء فانه يقدر الاستثنا المنقطع بسوى وسيبويه يقدره بلكن وقيل سوى
ما اعد لهم من انواع العذاب مما لا يعرف كالزمهرير ونحوه وقيل استثنا من مده
السموات المده التي فرطت لهم في الحياه الدنيا وقيل في البرزخ بين الدنيا والاخره
وقيل في المسافات التي بينهم في دخول النار اذ دخولهم انما هو زمرا بعد زمر وقيل الاستثنا
من قوله ففي النار كانه قال الا ما شا ربك من تاخير قوم عن ذلك وهذا قول رواه
ابو نضره عن جابر او عن ابي سعيد الخدري ثم اخبر منبها على قدره الله تعالى بقوله
ان ربك فعال لما يريد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم في روايه
ابي بكر سعدوا بفتح السين وهو فعل لا يتعدى وقرا حمزه والكساى وعاصم في
روايه حفص سعدوا بضم السين وهي شاذه ولا حجه في قولهم مسعود لانه مفعول
من اسعد على حذف الزياده كما يقال محبوب من احب ومجنون من اجنه الله
وقد قيل في مسعود انما اصله الوصف للمكان يقال مكان مسعود فيه ثم نقل
الى التسميه به وذكر ان الفرا حكى ان هذيلا تقول سعده الله بمعنى
اسعده وبضم السين قرا ابن مسعود وطلحه ابن مصرف وابن وثاب
والاعمش والاقوال المترتبه في استثنا الايه التي قبل هذه تترتب ها هنا
الا تاويل من قال هو استثنا المده التي تخرب فيها جهنم فانه لا يترتب مثله
في هذه الايه ويزيد هنا قول ان يكون الاستثنا في المده التي يقيم فيها
العصاه في النار ولا يترتب ايضا تاويل من قال في تلك ان الاستثنا هو من
قوله ففي النار عطا غير مجذوذ نصب على المصدر والمجذوذ المقطوع
والجذ القطع وكذلك الجذ فلا تك في مريه مما
يعبد هاولا ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير

منقوص

منقوص ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمه سبقت من ربك
لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم
انه بما يعملون خبير لفظ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى له ولامته
ولم يقع له احد شك فيقع عنه نهي ولكن من فصاحه القول في بيان ضلال الكفره
اخراجه في هذه العباره اي حالهم اوضح من ان تمتري فيها والمراد به الشك
وهاولا اشاره الى كفار العرب عبده الاصنام ثم قال ما يعبدون الا
كما يعبد اباوهم من قبل المعنى انهم مقلدون لا برهان عندهم ولا حجه وانما
عبادتهم تشبها منهم باباهم لا عن بصيره وانا لموفوهم نصيبهم غير
منقوص وعيد ومعناه من العقوبه التي تقتضيها اعمالهم ويظهر من قوله
غير منقوص ان على الاولين كفلا من كفر الاخرين وقرا الجمهور لموفوهم بفتح
الواو وشد الفا وقرا ابن محيصن لموفوهم بسكون الواو وتخفيف الفا
ولقد اتينا موسى الكتاب الايه تسليه لمحمد عليه السلام وذكر
قصه موسى مثال له اي لا يعظم عليك امر من كذبك فهذه هي سيره الامم
فقد جا موسى بكتاب فاختلف الناس عليه ولولا كلمه سبقت
من ربك الى اخر الايه يحتمل ان يريد به امه موسى ويحتمل ان يريد به معاصري
محمد عليه السلام وان يعمهم اللفظ احسن عندي ويويد ذلك قوله وان كلا
والكلمه ها هنا عباره عن الحكم والقضا ومعنى لقضي بينهم اي لفصل بين المومن
والكافر بنعيم هذا وعذاب هذا ووصف الشك بالمريب تقويه لمعنى
الشك وقرا الكساى وابو عمرو وان كلا لما بتشديد ان وتخفيف الميم من
لما وقرا ابن كثير ونافع بتخفيفهما وقرا حمزه بتشديدهما وكذلك حفص عن عاصم
وقرا عاصم في روايه ابي بكر بتخفيف ان وتشديد الميم من لما وقرا الزهري
وسليمن ابن ارقم وان كلا لما بتشديد الميم وتنوينها وقرا الحسن بخلاف
وان كل لما بتخفيف ان ورفع كل وشد لما وكذلك قرا ابان ابن تغلب الا انه
خفف لما وفي مصحف ابي وابن مسعود وان كل الا ليوفينهم وهي قراءه الاعمش
قال ابو حاتم الذي في مصحف ابي ان من كل الا ليوفينهم اعمالهم فاما الاولى

أبي ٤

فان قيل هلا بانها وكذا اسمها وعرفها ان تدخل على خبرها اللام وفي الكلام
قسم تدخل لامه ايضا على خبران فلما اجتمع لامان فصل بينهما بما هذا قول ابي
علي والخبر في قوله ليوفينهم وقال بعض النحاة يصح ان يكون ما لمن
ارتكاب فهي لمن تعقل لانه موضع جنس وصنف فهي بمنزله من كانه قال وان
كلا لخلق ليوفينهم ورجح الطبري هذا واختاره اما انه ملزم القول ان يكون
ما موصوفه اذ هي نكره كما قالوا مررت بما معجب لك فينفصل بان قوله ليوفينهم
يقوم معناه مقام الصفه لان المعنى وان كلا لخلق موفى عمله واما من
خففها وهي القراه الثانيه في ترتيب الكلام ان وهي مخففه حكمها مثقله وتلك
~~لغه فصيحه حكى سيبويه ان الثقه مخففه حكمها مثقله وتلك لغه فصيحه~~
حكى سيبويه ان الثقه اخبره انه سمع بعض العرب يقول ان عمرا لمنطلق وهو
نحو قول الشاعر ووجه مشرق النحر كان ثدييه حقان
رواه ابو زيد ويكون القول في فصل ما بين اللامين حسبما تقدم ويدخلها القول
الاخر من ان تكون ما خبران واما من شددهما او خفف ان وشدد الميم ففي
قراءتهما اشكال وذلك ان بعض الناس قال ان لما بمعنى الا كما تقول سالتك
لما فعلت كذا وكذا بمعنى الا فعلت قال ابو علي وهذا ضعيف لان لما هذه
لا تفارق القسم وقال بعض الناس المعنى لمن ما ابدلت النون ميما وادغمت
في التي بعدها فبقي لمما فحذفت الاولى تخفيفا لاجتماع الامثله كما قرا بعض
القرا والمعنى يعظكم به محذوفا الياء مع البنا كما قال الشاعر
واشمت العداه بنا فاضحوا لدى يباشرون بما القينا قال ابو علي
وهذا ضعيف وقد اجتمعت في هذه السوره ميمات اكثر من هذه في قوله
امم ممن معك ولم يدغم هناك فاحرى ان لا يدغم هنا وقال بعض الناس اصلها
لمن ما فمن خبران وما زايده وفي التاويل الذي قبله اصله لمن ما فما هي الخبر
دخلت عليها من على حد دخولها في قول الشاعر
وانا لمما نضرب الكبش ضربه على راسه تلقي اللسان من الفم
وقالت فرقه لما اصلها لما منونه والمعنى وان كلا عاما حزا شديدا نحو

مصدر لم يلم كما قال تعالى وتاكلون التراث اكلا لما اي شديدا فالت
ولكنه ترك تنوينه وصرفه وبني منه فعلى كما فعل في تترى فمن نون تترا
وفي هذا نظر حكي عن الكسائي انه قال لا اعرف وجه التثقيل في لما قال ابو علي
واما من قرا وان كل لما فهي مخففه من الثقيله وحقها في اكثر لسان العرب
ان يقع ما بعدها ولما هنا بمعنى الا كما قرا جمهور القراء ان كل نفس لما عليها
حافظ ومن قرا الا مصرحه فمعنى قراته واضح وهذه الايه وعيد
وقرا الجمهور يعملون بياء على ذكر الغايب وقرا الاعرج تعملون بتاء على مخاطبه
الحاضر قوله عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب معك
ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وما لكم من دون الله من اوليا ثم لا تنصرون واقم الصلاة طرفي النهار
وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين
واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين امر النبي صلى الله عليه وسلم
بالاستقامه وهو عليها امر بالدوام والثبوت وهذا كما تامر انسانا
بالمشي والاكل ونحوه وهو متلبس به والخطاب بهذه الايه للنبي
عليه السلام واصحابه الذين تابوا من الكفر ولساير امته بالمعنى وروي
ان بعض العلما راى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له يا رسول الله
بلغنا عنك انك قلت شيبتني هود واخواتها فما الذي شيبك من هود
قال له قوله عز وجل فاستقم كما امرت والتاويل المشهور في قوله عليه
السلام شيبتني هود واخواتها انها اشارة الى ما فيها مما حل بالامم السالفه
فكان حذره على هذه مثل ذلك شيبه عليه السلام وقوله امرت مخاطبه
تعظيم وقوله ومن معطوف على الضمير في قوله فاستقم وحسن ذلك دون
ان يوكد لطول الكلام بقوله كما امرت ولا تطغوا معناه ولا تتجاوزوا حدود
الله تعالى والطغيان تجاوز الحد ومنه قوله طغى الما وقوله في فرعون انه
طغى وقيل في هذه معناه ولا تتعظموا النعم وهذا كالاول وقرا الجمهور
تعملون بتاء وقرا الحسن والاعمش يعملون بياء وقرا الجمهور ولا تركنوا بفتح

الكاف وقرا طلحه ابن مصرف وقتاده والاشهب العقيلي وابو عمرو فيما
روى عنه هارون بضمها وهي لغه يقال ركن يركن وركن يركن ومعناه السكون
الى الشي والرضا به قال ابو العاليه الركون الرضى وقال ابن زيد الركون
الادهان **قال القاضي ابو محمد** فالركون يقع على قليل هذا المعنى وكثيره
والنهي هنا يترتب من معنى الركون على الميل اليهم بالشرك معهم الى اقل الرتب
من ترك التغيير عليهم مع القدره والذين ظلموا هنا هم الكفره وهو النص
للمتاولين ويدخل بالمعنى اهل المعاصي وقرا الجمهور فتمسكم وقرا يحيى
ابن وثاب وعلقمه والاعمش وابن مصرف وحمزه فيما روى عنه فتمسكم
بكسر التا وهي لغه في كسر علامات الثلاث دون اليا التي للغايب وقد جاءت
في اليا بحل وتيسوق عللت هذه بان التا التي وليتا الاولى ردتهما الى الكسر
قوله تعالى اقم الصلاه الايه لم يختلف احد في ان الصلاه في هذه الايه يراد
بها الصلوات المفروضه واختلف في طرفي النهار وزلفى الليل فقيل
الطرف الاول الصبح والثاني الظهر والعصر والزلف المغرب والعشا قاله
مجاهد ومحمد ابن كعب القرظي وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في
المغرب والعشاء هما زلفتا الليل وقيل الطرف الاول الصبح والثاني العصر
قاله الحسن وقتاده والضحاك والزلف المغرب والعشا وليست الظهر في هذه
الايه على هذا القول بل هي في غيرها وقيل الطرفان الصبح والمغرب والعشا
وليست الظهر والعصر في الايه وقيل الطرفان الظهر والعصر والزلف المغرب
والعشا والصبح كان هذا القايل راعى جهر القراه والاول احسن هذه
الاقوال عندي ورجح الطبري ان الطرفين الصبح والمغرب وانه لظاهر
الا ان عموم الصلوات الخمس بالايه اولى وقرا الجمهور زلفا بفتح اللام
وقرا طلحه وابن محيصن وعيسى وابن ابي اسحق وابن ابي جعفر زلفا بضم اللام
كانه اسم مفرد وقرا زلفا بسكون اللام مجاهد وقرا ايضا زلفى على وزن
فعلى وهي قراه ابن محيصن والزلف الساعات القريب بعضها من بعض ومنه قول
العجاج
ناج طواه الاين مما وجفا ... طي الليالي زلفا فزلفا
سماوه الهلال حتى احقوقفا

وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات ذهب جمهور المتاولين من صحابه وتابعين
الى ان الحسنات يراد بها الصلوات الخمس والى هذه الايه ذهب عثمان رضي الله عنه
عند وضوءه على المقاعد وهو تاويل مالك وقال مجاهد الحسنات قول
الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وهذا على جهة المثال
في الحسنات ووجهه ان الصلوات الخمس هي اعظم الاعمال
والذي يظهر ان لفظ الايه لفظ عام في الحسنات خاص في السيئات
بقوله عليه السلام ما اجتنبت الكباير وروي ان هذه الايه نزلت في رجل من الانصار
قيل هو ابو اليسر بن عمرو وقيل اسمه عباد خلا بامراه فقبلها وتلذذ بها فيما دون
الجماع ثم جا الى عمر فشكى اليه فقال قد ستر الله عليك فاستر على نفسك فقلق
الرجل فجا الى ابي بكر فشكا اليه فقال له مثل مقاله عمر فقلق الرجل فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصلى معه ثم اخبره وقال اقض في ما شيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلها زوجة غاز في سبيل الله قال نعم
فوبخه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما ادري فنزلت هذه الايه
فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه فقال معاذ بن
جبل الهذه يا رسول الله خاصه قال بل للناس عامه وروي ان الايه
قد كانت نزلت قبل ذلك واستعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك الرجل وروي ان عمر قال ما حكي عن معاذ وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعه الى الجمعه والصلوات الخمس
ورمضان الى رمضان كفاره لما بينها ان اجتنبت الكباير كانت العادا
فاختلف اهل السنه في تاويل هذا الشرط في قوله ان اجتنبت الكباير
فقال جمهورهم هو شرط في معنى الوعد كله اي ان اجتنبت الكباير كانت
العبادات المذكوره كفاره للذنوب فان لم تجتنب لم تكفر العبادات شيا
من الصغاير وقالت فرقه معنى قوله ان اجتنبت اي هي التي لا تحطها
العبادات فانما شرط ذلك ليصح بشرط عموم قوله ما بينها وان لم تجتنب

لم يحطها العبادات وحطت الصغاير وبهذا اقول وهو الذي يقتضيه
حديث صحيح الخطايا مع قطر الماء وغيره وذلك كله بشرط التوبة من الصغاير
وعدم الاصرار عليها وهذا نص الحذاق الاصوليين وعلى التاويل الاول
تجي هذه مخصوصة في مجتنبي الكبائر فقط وقوله ذلك اشارة الى
الصلوات ووصفها بذكرى اي هي سبب ذكر وموضع ذكرى ويحتمل
ان يكون ذلك اشارة الى الاخبار بان الحسنات يذهبن السيئات فيكون هذه
الذكرى تحض على الحسنات ويحتمل ان يكون الاشارة الى جميع ما تقدم من
الاوامر والنواهي في هذه السورة وهو تفسير الطبري ثم امره الله تعالى
بالصبر وكانت هذه الاية في نمط واحد اعلمه الله تعالى انه يوفي جميع
الخلائق اعمالهم المسي والمحسن ثم امره بالاستقامة والمومنين معه
ثم امره باقامة الصلوات ووعد على ذلك ثم امره بالصبر في
التبليغ والمكاره في ذات الله تعالى ثم تمم وعده بقوله ان الله لا يضيع اجر
المحسنين **قوله عز وجل** فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا
بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون لولا هي التي للتحضيض لكن يقترن بها هنا معنى التفجع والتاسف
الذي ينبغي ان يقع من البشر على هذه الامم التي لم تهتد وهذا نحو قوله
يا حسرة على العباد والقرون من قبلنا ايهم قوم نوح وعاد وثمود ومن
تقدم ذكره والقرن من الناس المقترنون في زمان طويل اكثره فيما حد
الناس مائة سنة وقيل ثمانون وقيل غير ذلك الى بلا اربعين سنة والاول
ارجح لقول النبي صلى الله عليه وسلم ارايتكم ليلتكم هذه فان الى راس مائة
سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد قال ابن عمر يريد انخرام
ذلك القرن والبقية هنا يراد بها النظر والعقل والحزم والثبوت في الدين
وانما قيل بقية لان الشرائع والدول ونحوها قوتها في اولها ثم لا تزال الضعف
تترتب في وقت الضعف فهو بقية الصدر الاول وقرات فرقة بقية

بقية

بتخفيف اليا وهو رد فعيلة الى فعلة وقرا ابو جعفر وشيبة بقية
بضم البا وسكون القاف ذو بقية والفساد في الارض هو الكفر وما
اقترن به من المعاصي وهذه الاية فيها تنبيه لامة محمد وحض على تغيير
المنكر والنهي عن الفساد ثم استثنى الله تعالى القوم الذين نجاهم مع انبيائهم
وهم قليل بالاضافة الى جماعاتهم وقليلا نصب على الاستثنا وهو منقطع
عند سيبويه والكلام عنده موجب وغيره يراه منفيا من حيث معناه
انه لم يكن فيهم اولوا بقية وقرا جمهور الناس واتبع على بنا الفعل للفاعل وقرا جعفر
بن محمد واتبع على بنا المفعول وروي عن ابي عمرو وما اترفوا فيه اي عاقبة
ما نعموا به هذا على بنا الفعل للمفعول والمترف المنعم الذي شغلته ترفته عن
الحق حتى هلك **ومنه قول الشاعر**

تهدي رؤوس المترفين الصداد ... الى امير المومنين الممتاد

يريد المسول يقال ماده اذا ساله وقوله بظلم يحتمل ان يريد بظلم
منه لهم تعالى الله عن ذلك قال الطبري ويحتمل ان يريد بشرك
منهم وهم مصلحون في اعمالهم وسيرهم وعدل بعضهم في بعض اي انه لا بد من
معصية تقترن بكفرهم وهذا ضعيف وانما ذهب قايله الى نحو ما
قيل ان الله تعالى يمهل الدول على الكفر ولا يمهلها على الظلم والجور ولو
عكس لكان ذلك متجها اي ما كان الله ليعذب امة بظلمهم في معاصيهم
وهم مصلحون في الايمان والاحتمال الاول اصح في ترتيبنا اصح ان شا الله
قوله تعالى ولو شا ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا
من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين المعنى لجعلهم امة واحدة مومنة قاله قتادة حتى لا يقع
منهم كفر ولا تنزل بهم مثلة لكنه عز وجل لم يشا ذلك فهم لا يزالون
مختلفين في الاديان والارا والملل هذا قول الجمهور وقال الحسن وعطا
ومجاهد وغيرهم المرحومون المستثنون هم المومنون ليس عندهم اختلاف
وقالت فرقة لا يزالون مختلفين في السعادة والشقاوة وهذا قريب المعنى

من الاول الذي هي ثمرة الاديان والاختلاف فيها ويكون الاختلاف على هذا التاويل
يدخل فيه المومنون اذ هم مخالفون للكفرة وقال الحسن ايضا لا يزالون مختلفين
في الغنى والفقر وهذا قول بعيد معناه من معنى الاية ثم استثنى الله
عز وجل من الضمير في يزالون من رحمه من الناس بان هداه الى الايمان ووفقه
له وقوله ولذلك خلقهم اختلف فيه المتاولون فقالت فرقة ولشهود
اليوم المشهود المتقدم ذكره خلقهم وقالت فرقة ذلك اشارة الى قوله قبل فمنهم
شقي وسعيد اي لهذا خلقهم وهذان المعنيان وان صحا فهذا العود المتباعد ليس
بجيد وروى اشهب عن مالك انه قال ذلك اشارة الى ان يكون فريق في الجنة
وفريق في السعير فجاءت الاشارة بذلك الى الامرين الاختلاف والرحمة وقاله
ابن عباس واختاره الطبري ويجي عليه الضمير في خلقهم للصنفين وقال
مجاهد وقتادة ذلك عائد الى الرحمة التي تضمنها قوله الا من رحم اي وللرحمة خلق
المرحومين قال الحسن وذلك اشارة الى الاختلاف الذي في قوله ولا يزالون مختلفين
ويعترض هذا بان يقال كيف خلقهم للاختلاف وهل معنى الاختلاف هو المقصود
بخلقهم فالوجه في الانفصال ان نقول ان قاعدة الشرع ان الله عز وجل خلق
خلقا للسعادة وخلقا للشقاوة ثم يسر كلا لما خلق له وهذا نص في الحديث
الصحيح وجعل بعد ذلك الاختلاف في الدين على الحق هو امارة الشقاوة وبه علق
العقاب فيصح ان يحمل قوله هنا وللاختلاف خلقهم اي لثمرة الاختلاف وما يكون عنه
من الشقاوة ويصح ان يجعل اللام في قوله ولذلك لام الصيرورة وخلقهم ليصير
امرهم الى ذلك وان لم يقصد بهم الاختلاف ومعنى قوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون اي لآمرهم بالعبادة واوجبها عليهم فعبر عن ذلك
بثمرة الامر ومقتضاه وقوله وتمت كلمة ربك اي نفذ قضاؤه وحق
امره واللام في لاملأن لام قسم اذ الكلام يقتضي القسم والجنة جمع لا واحد له
من لفظه **وقوله عز وجل** وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمومنين وقل للذين لا يومنون
اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب

السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده
وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون ٥
قوله وكلا مفعول مقدم بنقص وقيل هو
منصوب على الحال وقيل على المصدر وهذان ضعيفان
وما بدل من قوله كلا ونثبت به فؤادك اي نؤنسك فيما
تلقاه ونجعل لك الاسوة بمن تقدمك من الانبياء ٥
وقوله في هذه قال الحسن هي اشارة الى دار الدنيا
وقال ابن عباس الى السورة والآيات التي فيها تذكر قصص
الامم ٥ وهذا قول الجمهور ووجه تخصيص هذه السورة
بوصفها بالحق والقران كله حق ان ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة
والتنبيه للناظر اي جاءك في هذه السورة الحق الذي اصاب
الامم الظالمة وهذا كما يقال عند الشدائد جاء الحق ٥ ثم
وصف ايضا ان ما تضمنته السورة هو موعظة وذكرى
للمومنين فهذا يؤيد ان لفظة الحق انما يخص بما تضمنت من
وعيد الكفرة **وقوله تعالى** وقل للذين لا
يومنون الاية هذه اية وعيد اي اعملوا على حالاتكم
التي انتم عليها من كفركم وقرا الجمهور هنا مكانتكم
واحدة دالة على جمع والفاظ هذه الاية تصلح للموادعة
ويصلح ان يقال على جهة الوعيد المحض والحرب قائمة
وقوله تعالى ولله غيب السموات والارض
الاية هذه اية تعظم وانفراد بما لا يحيط به المخلوق وفيه
وهو علم الغيب وتبيين ان الخير والشر وجليل الاشياء
وحقيرها مصروف الى احكام مالكه ثم امر البشر بالعبادة
والتوكل على الله تعالى ٥ وفيها صلاحه ووصوله الى رضوان الله

وقرا السبعة غير نافع يرجع الامر على بنا الفعل للفاعل ٥ وقرا نافع
وحفص عن عاصم يرجع الامر على بناء المفعول وروايات ابن ابي
الزناد عن اهل المدينه وقرا يعملون بالتاء من فوق نافع وابن عامر
وحفص عن عاصم وهي قراءة الاعرج والحسن وابي جعفر وشيبه
وعيسى بن عمر وقتاده والجحدري واختلف عن الحسن وعيسى وقرا
الباقون يعملون بالياء على كناية الغايب ٥ ٥ ٥ ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ وصلى الله على محمد واله وصحبه

تفسير سورة يوسف عليه السلام

هذه السورة مكيه ٥ وروي ان اليهود سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت السورة بسبب ذلك وروى
ان اليهود امروا كفار مكه ان يسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن السبب الذي احل بني اسرايل بمصر فنزلت السورة وقيل سبب نزولها
تسليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يفعله به قومه كما
فعل اخوة يوسف بيوسف وسورة يوسف لم يتكرر من معناها
في القران شي كما تكررت قصص الانبيا فيها حجه على من اعترض
بان الفصاحة تمكنت بترداد القول ٥ وفي تلك القصص حجه
على من قال في هذه لو كررت لعرفت فصاحتها ٥ قوله
عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه قرانا عربيا
لعلكم تعقلون ٥ نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا
القران وان كنت من قبله لمن الغافلين تقدم القول في
فواتح السور والكتاب القران ووصفه بالمبين قيل من جهة
احكامه وحلاله وحرامه وقيل من جهة مواعظه وهداه ونوره
وقيل من جهة بيان اللسان العربي وجودته اذ فيه ستة
احرف لم تجتمع في لسان ٥ روي هذا القول عن معاذ بن جبل

ويحتمل ان يكون سببا لسوء محمد باعجازه والصواب انه بين بجميع هذه
الوجوه والضمير في انزلناه للكتاب والانزال اما بمعنى الاثبات واما ان
به الى التلاوه او العباره ٥ وقال الزجاج الضمير في انزلناه يراد به
خبر يوسف وهذا ضعيف وقوله لعلكم يحتمل ان يتعلق بانزلناه
اي انزلناه لعلكم ٥ ويحتمل ان يتعلق بقوله عربيا اي جعلناه عربيا لعلكم
تعقلون اذ هو لسانكم وقرانا حال او عربيا صفه له وقيل ان قرانا
بدل من الضمير وهذا فيه نظر وقيل قرانا توطئة للحال وعربيا حال
وهذا كما تقول مررت بزيد رجلا صالحا قوله نحن
نقص عليك الايه روى ابن مسعود ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا لو قصصت علينا يا رسول الله
فنزلت الايه ثم ملوا مله اخرى فقالوا لو حدثتنا يا رسول الله
فنزلت الله نزل احسن الحديث كتابا والقصص الاخبار بما جرى من
الامور كان الانبيا تتبع بالقول وتقص بالاخبار كما تقص الاثر
وقوله بما اوحينا اليك اي بوحينا والقران نعت لهذا او بدل فيه
البدل وعطف البيان فيه ضعف وان هي المخففة من الثقيلة واللام
في خبرها لام التاكيد هذا مذهب البصريين ومذهب اهل الكوفه
ان ان بمعنى ما واللام بمعنى الا والضمير في قبله للقصص العام لما
في جميع القران منه ومن الغافلين اي عن معرفة هذا القصص
ومن قال ان الضمير في قوله عايد على القران جعل من الغافلين في
معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي على غير طريق هذا الدين
الذي بعث به ولم يكن عليه السلام في ضلال الكفار ولا في عملهم
لانه لم يشرك قط وانما كان مستديما ربه عز وجل موحدا والشا يل
عن الطريق المحجة يقع عليه اسم ضلال قوله تعالى
اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر

وانهم لي ساجدين العامل في اذ فعل مضمر تقديره واذكر اذ ويصح ان
تعمل فيه يقص كان المعنى يقص عليك الحال اذ وحكى مكي ان العامل فيه
لمن الغافلين وقرا طلحة بن مصرف يوسف بالهمز وفتح السين وفيه
ست لغات بضم اليا وسكون الواو وبفتح السين وبضمها وكسرها وكذلك
بالهمز وقرا الجمهور يا ابت بكسر التا حرف الامر اي وجعلت التا بدلا من
ياء النسبة وقرا ابن عامر وحمزة وابو جعفر والاعرج يا ابت بفتحها
وكان ابن كثير وابن عامر يقفان بالها فاما قراءة ابن عامر بفتح التا فلها وجهان
اما ان يكون يا ابتا ثم حذفت النون تخفيفا وبقيت الفتحة دالة على الالف
واما ان يكون جاريا مجرى قولهم يا طلحة اقبل رخموه ثم ردوا العلامة
ولم يعتد بها بعد الترخيم وهذا كقولهم اجتمعت اليمامة ثم قالوا اجتمعت
اهل اليمامة وردوا لفظة الاهل ولم يعتدوا بها وقرا ابو جعفر
والحسن وطلحة بن سليمان احد عشر كوكبا بسكون العين لتوالي الحركات وليظهر
ان الاسمين قد جعلا واحدا وقيل انه راى كواكب حقيقة والشمس والقمر
فتاولها يعقوب اخوته وابويه وهذا قول الجمهور وقيل الاخوة والاب
والخالة لان امه كانت ميتة وقيل انما كان راى اخوته وابويه
فعبر عنهم بالكواكب والشمس والقمر وهذا ضعيف ترجم به الطبري
ثم ادخل عن قتادة والضحاك وغيرهما كلاما محتملا ان يكون كما ترجم وان يكون مثل
قول الناس وقال المفسرون القمر تاويله الاب والشمس تاويلها الام
فانتزع بعض الناس من تقديمها وجوب بر الام وزيادتها على بر الاب وحكى
الطبري عن جابر بن عبد الله ان يهوديا يسمى بستانة جا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن اسما الكواكب التي راها
يوسف عليه السلم فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل
جبريل عليه واخبره باسمائها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهودي
فقال هل انت مومن ان اخبرتك بذلك قال نعم قال جريان والطارق

والذيال

والذيال وذو الكتفان وقابس ووثاب وعمودان والفيلق
والمصبح والضروح والضيا والنور وذو الفرع فقال
اليهودي والله انها لاسماؤها وكرر رايتهم لطول الكلام وجرى ضماير
هذه الكواكب في هذه الاية مجرى ضماير من يعقل اذ كان الموصوف
بافعال هي خاصة بمن يعقل وروي ان رويا يوسف كانت ليلة
القدر ليلة جمعة وانها خرجت لعد اربعين سنة وقيل لعد ثمانين
سنة **قوله عز وجل** قال يا بني لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك
يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى
ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم
تقتضي هذه الاية ان يعقوب عليه السلام كان يحس من بنيه حسد
يوسف وبغضته فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوف ان يشغل بذلك
غل صدورهم فيعملوا الحيلة على هلاكه ومن هنا ومن فعلهم بيوسف
يظهر انهم لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت ووقع في كتاب
الطبري لابن زيد انهم كانوا انبياء وهذا يرده القطع بعصمة الانبياء عن
الحسد الدنياوي وعن عقوق الاباء وتعريض مؤمن للهلاك والتوامر في قتله
ثم اعلمه ان الشيطان للانسان عدو مبين اي هو يدخلهم في ذلك ويحضهم
عليه وامال الكسائي رؤياك والرؤيا حيث وقعت وروي عنه انه لم
يمل رؤياك في اول السورة وامال الرؤيا حيث وقعت والرؤيا
مصدر كثر وقوعه على هذا المتخيل في النوم حتى جرى مجرى الاسما كما فعلوا
في الدر في قولهم لله در فلان فخرجا من حكم عمل المصادر وكثر رؤيا بمنزلة
طلبي والمصادر في اكثر الامر لا تكسر **وقوله** وكذلك يجتبيك الاية
يجتبيك معناه يختارك ويصطفيك ومنه جبيت الماء في الحوض

انما

وتعريض بعد

جنابه المائل وقوله ويعلمك من تأويل الاحاديث قال مجاهد والسدي
هي عبارة الرؤيا وقال الحسن هي عواقب الامور وقيل هي عامة لذلك
وغيره من المغيبات وقوله ويتم نعمته يريد النبوة وما انضاف اليها
من سائر النعم وقوله آل يعقوب يريد في هذا الموضع الاولاد
والقرابة التي هي من نسله اي يجعل فيهم النبوة ويروى ان ذلك انما علمه
يعقوب من دعوة اسحق له حين تشبه له بعيصوا والقصة كاملة في
المعاش لكن اختصرتها لانها لم تثبت الفاظها وما اظنه اثر عنها الا من كتب
اسرائيل فانها قصة مشهورة عندهم وتمام هذه الآية والنعمة
على يوسف كانت تخليصه من السجن وعصمته والملك الذي نال وعلى
ابراهيم هي اتخاذه خليلا وعلى اسحق فديته بالذبح العظيم فصار ذلك
كله الى النبوة وعليم حكيم مناسبتان لهذا الوعد قوله عز وجل
لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه
احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال
قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة
ان كنتم فاعلين ه قرأ الجمهور آيات بالجمع وقرأ ابن كثير وحده آية بالافراد
وهي قراءة مجاهد وشبل واهل مكة فالاولى على معنى ان كل حال من احواله
آية بمجموعها والثانية على انه بجملته آية وان تفصل بالمعنى ووزن انه يعلله
ارفا عنه على الخلاف فيه وذكر الزجاج ان في غير مصحف عثمان عبرة للسائلين
قال ابو حاتم هي في مصحف ابي بن كعب وقوله للسائلين يقتضي حضا ما
على تعلم هذه الانباء لانه انما المراد آية للناس فوصفهم بالسؤال اذ كل
احد ينبغي ان يسأل عن مثل هذه القصص اذ هي مقر العبر
والاتعاظ ويقتضي ايضا ان يصف الناس بالسؤال من حيث كان سبب نزول

السورة

السورة سؤال سائل كما روي وقوله واخوه يريدون بنيامين وهو
اصغر من يوسف ويقال له شامين وقيل كان شقيق يوسف وكانت
امهما ماتت ويدل على انهما شقيقان تخصيص الاخوة لهما بأخوة وفي
ذلك دلالة غير قاطعة وكان حب يعقوب ليوسف عليه السلام وبنيامين
لصغرهما وموت امهما وهذا من حب الصغير وطبع البشر وقد قيل
لابنة الحسن اي بنيك احب اليك قالت الصغير حتى يكبر والغائب
حتى يقدم والمريض حتى يشفى وقولهم ونحن عصبة اي نحن جماعة
تضر وتنفع ونحمي ونخذل اي لنا كانت تنبغي المحبة والمراعاة ه والعصبة
في اللغة الجماعة قيل من عشرة الى خمسة عشر وقيل من عشرة الى
اربعين وقال الزجاج العشرة ونحوهم وفي الزهراوي الثلاثة نفر
فاذا زادوا فهم رهط الى التسعة فاذا زادوا فهم عصبة ولا يقال
لاقل من عشرة عصبة ه وقولهم لفي ضلال مبين اي في بلاء وخطأ
في محبة يوسف واخيه وهذا هو معنى الضلال وانما يصغر قدره
او يعظم بحسب الشيء الذي يقع فيه الاتلاف ومبين معناه يظهر
للمتأمل وقرأ ابو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة مبين اقتلوا بكسر
التنوين في الوصل لالتقاء ساكنين التنوين والقاف وقرأ نافع وابن كثير
والكسائي مبين اقتلوا بكسر التنوين وضم النون اتباعا لضمة التاء ومراعاة
لها وقوله اقتلوا يوسف الآية كان هذا من مقالة لبعضهم واطرحوه
معناه ابعدوه ومنه قول عروة بن الورد

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح

والنوى الطروح البعيدة وارضا مفعول ثان باسقاط حرف الجر لان
طرح لا يتعدى الى مفعولين الا كذلك وقالت فرقة هو نصب على
الظرف وذلك خطأ لان الظرف ينبغي ان يكون مبهما وهذه هنا
ليست كذلك بل هي ارض معينة بانها البعيدة او قاصية ونحو ذلك

[margin: جوه]

فزال بذلك ابتهاله ومعلوم ان يوسف لم يخل من الكون في ارض فتبين
انهم ارادوا ارضا بعيدة غير التي هو فيها قريب من ابيه يخل لكم وجه
ابيكم استعارة اي اذا فقد يوسف رجعت محبته اليكم ونحوه
المعنى قول نعامة حين اجتمع امه لما قتل اخوته وكانت قبل لا تحبه الثكل
ارأمها اي عطفها على والضمير في بعده عائد على يوسف او قتله او طرحه
وصالحين قال السدي ومقاتل ابن سليمان انهم ارادوا اصلاح الحال عند ابيهم
وهذا اشبه ان يكون قصدهم في تلك الحال ولم يكونوا حينئذ انبياء
وقال الجمهور صالحين معناه بالتوبة هذا هو الاظهر من اللفظ وحالهم ايضا
تعطيه لانهم موقنون بهوا على عظيمة وعللوا انفسهم بالتوبة والقائل
منهم قيل يهوذا وقيل اسنهم قاله قتادة وابن اسحق وقيل يهوذا احلمهم وقيل
شمعون اسنهم قاله مجاهد وهذا اعطف منه على اخيه لا محالة لما اراد
الله من انفاذ قضائه والغيابة ما غاب عنك من الامكان او
غيب عنك شيئا اخر وقرا الجمهور غيابة الجب وقرا نافع وحده
غيابات الجب وقرا الاعرج غيّابات الجب بشد اليا قال ابو الفتح
هو اسم جاء على فعالة كان ابو علي الحقه بما ذكر سيبويه من الفياد ونحوه
ووجد لنا من ذلك التيار للموج والفخار للخزف **قال القاضي ابو
محمد** وفي سبعة غيابة بمعنى الاسفله نظر لا غيابة جار سعة
فعال وقرا الحسن في غيبة الجب على وزن فعلة وكذلك خطت في مصحف ابي
ومن هذه اللفظة **قول الشاعر** وهو المنخل

فان انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل

والجب البير التي لم تطو لانها جب من الارض فقط وقرا الجمهور يلتقطه
بعض بالياء من تحت على لفظ بعض وقرا الحسن البصري ومجاهد وقتادة وابو رجاء
تلتقطه بالتاء وهذا من حيث اضيف البعض الى السيارة فاستفاد منها
تانيث العلامة **ومن هذا قول الشاعر**

اي من السفر احتيل معه كما اخذ السيارة من الهلاك **ومنه قول الاخر**
اذا مات منهم سيد قام سيد فدلت له اهل القرى والكنائس
وقول العجاج ذلت لو قعتها جمع نزار حين اراد نزار القبيلة والامثلة
منها كثيرة ويروى ان جماعة من الاعراب التقطت يوسف عليه السلام
والسيارة جمع سيار وهو مثال مبالغة وقيل في هذا الجب انه ببيت المقدس
وقيل غيره وقيل لم يكن حين طرحوه ماء ولكن اخرجه الله فيه حتى قصده الناس
للاستقاء وقيل بل كان فيه ماء كثير يغرق يوسف فنشز حجر من اسفل الجب
حتى ثبت يوسف عليه وروي انهم رموه بحبل في الجب فتماسك بيديه
وربطوا يديه ونزعوا قميصه ورموه حينئذ وهموا ان يشدخوه بالحجارة فمنعهم
اخوهم المشير بطرحه من ذلك **قوله عز وجل**
قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا
غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني ان تذهبوا به
واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن
عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة
الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
الاية الاولى تقتضي ان اباهم قد كان علم منهم ارادتهم الحسد في جهة
يوسف وعلواهم منه بعله ذلك وقرا الزهري وابو جعفر لا تامنا
بالادغام دون اشمام ورواها الحلواني عن قالون وقرا السبعة
بالاشمام للضم وقرا طلحة بن مصرف لا تامننا وقرا ابن وثاب والاعمش
لا تيمنا بكسر التاء العلامة وغدا ظرف اصله غدو فلزم اليوم لله وفي
العدو والعدوة اسمين لاول النهار قال النضر بن شميل ما بين الفجر
الاسفار يقال فيه غدوة وبكرة وقرا ابو عمرو وابن عامر نرتع ونلعب
بالنون فيهما واسكان العين والباء ونرتع على هذا من الرتوع وهي الاقامة في الخصب
والمرعى في اكل وشرب ومنه **قول الغضبان بن القبعثري**

الشد والرجعة وقلة التعتعة ومنه قول الشاعر ونعد عطايا المائة الرتاعا
ولعبهم بسداد لحال في اللعب المباح كاللعب بالحبل والرمي ونحوه ولا وصمة
في ذلك عليهم وليس باللعب الذي هو ضد الحق وقرين اللهو وقيل لابي عمرو بن العلا
كيف يقولون نلعب وهم انبيا قال لم يكونوا حينئذ انبيا وقرا ابن كثير
نرتع ونلعب بالنون فيهما وكسر العين وحذف اليا ه وقد روي عنه ونلعب بالياء
وراه جعفر بن محمد ونرتع على هذا من رعاية الابل وقال مجاهد هي من
المراعاة اي يراعي بعضنا بعضا ونحرسه وقرا عاصم وحمزة والكسائي
يرتع ويلعب باسناد ذلك كله الى يوسف وقرا نافع يرتع بالياء فيهما وكسر
العين وجزم اليا فيرتعي على هذا من رعي الابل قال ابن زيد المعنى يتدرب في
الرعي وحفظ المال ومن الارتعا قول الاعشى
ترتعي السفح فالكثيب فذا قار فروض القطا فذات الرئال
قال ابو علي وقراءة ابن كثير نرتع بالنون ويلعب بالياء حسن
لاسناد النظر في المال والرعاية اليهم واللعب الى يوسف لصباه وقرا
العلاء بن سيابة يرتع ويلعب برفع الفعلين على القطع وقرا مجاهد وقتادة
نُرتع بضم النون وكسر التا ونلعب بالنون والجزم وقرا ابن كثير في بعض
الروايات عنه نرتعي باثبات اليا وهي ضعيفة لا تجوز الا في الشعر
كقول الشاعر الم ياتيك والانبا تنمي بما لاقت لبون بني زياد
وقرا ابو رجا يرتع بضم اليا وجزم العين ويلعب بالياء والجزم في علتها
طلبه والخروج به مما يمكن ان يستهوي يوسف لصباه من الربوع واللعب
والنشاط ن وقوله تعالى اني ليحزنني الآية قرا عاصم وابن كثير
والحسن والاعرج وعيسى وابو عمرو وابن محيصن ليحزنني بفتح اليا
وضم الزاي قال ابو حاتم وقرا نافع بضم اليا وكسر الزاي والادغام
ورواه ورش عن نافع باظهار النونين مع ضم اليا وكسر الزاي في جميع القران
وان الاولى فاعله والثانية مفعوله باخاف ن وقرا الكسائي

وشد

وحده الذيب دون همز وقرا الباقون بالهمز وهو الاصل ومنه جمعهم اياه على
ذوبان ومنه تذاءبت الريح والذياب اذا اتت من هنا ومن هنا ه وروى ورش
عن نافع الذيب بغير همز وقال نصر سمعت ابا عمرو لا يهمز قال واهل الحجاز يهمزون
وانما خاف يعقوب الذيب دون سواه وخصصه لانه كان الحيوان العادي
المنتشر في القطر ن وروي ان يعقوب كان راى في منامه ذيبا يشتد على يوسف
وهذا عندي ضعيف لان يعقوب لو راى ذلك لكان وحيا فاما ان يخرج على وجهه
وذلك لم يخرج واما ان يعرف يعقوب لمعرفته بالعبارة مثل هذا المرئي وكان
سكاه بعينه الهمهم الا ان يكون قوله اخاف ان ياكله الذيب بمعنى اخاف ان
يصيبه مثل ما رايت من امر الذيب بهذه العبارة ولذلك قول الربيع بن ضبع
والذيب اخشاه انا خصصه لانه كان حيوان وطبع العادي ويحتمل ان يخصصه
يعقوب عليه السلام لصغر يوسف اي اخاف عليه هذا الحيوان لصغره ولذلك خصصه
وباقي الآية بين   ولما ذهبوا به الآية اسند الطبري الى السدي قال
ذهبوا بيوسف وبه عليهم كرامة فلما برزوا الى البرية اظهروا له العداوة وجعل اخوه
يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا
يقتلونه فجعل يصيح ويقول يا ابتاه يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الاما
فقال لهم يهوذا الم تعطوني موثقا الا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب فجعلوا
يدلونه فيتعلق بالشفير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا
علي قميصي اتوارى به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب يونسك فلو
حتى اذا بلغ نصف الجب القوه ارادة ان يموت فكان في الجب ما فسقط فيه ثم
قام على صخرة يبكي فنادوه فظن انهم رحموه فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة
فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام ه وجواب لما محذوف تقديره فلما ذهبوا به
واجمعوا اجمعوا هذا مذهب الخليل وسيبويه ومثله قول امرئ القيس
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ومثل هذا قول الله عز وجل فلما اسلما وتله للجبين
وقال بعض النحاة في مثل هذا ان الواو زائدة وقوله مردود لانه

ليس في القرآن زائد لغير معنى واجمعوا معناه عزموا واتفقوا هم عليه وقيل
قول النبي صلى الله عليه وسلم في المسافر ما لم يجمع مكثا على ان اجماع الواحد
قد يفيد بمعنى العزم والشروع ويتصور ذلك فيما لا عزم فيه ولا شروع
ولا يتصور ذلك في اجماع الواحد والضمير في اليه عائد على يوسف وقيل على يعقوب
والاول اصح والثاني يحتمل ان يكون الوحي حينئذ الى يوسف برسول ويحتمل
ان يكون بالهام او نوم وكل ذلك قد قيل وقال الحسن اعطاه الله النبوة وهو في
الجب وهذا بعيد وقرا الجمهور لتنبئنهم بالتاء وفي بعض مصاحف البصرة بالياء
وقرا ابن سلام بالنون وهذا كله في العلامة التي بين الكلام **وقوله** وهم لا يشعرون
قال ابن جريج وقت التنبيه انك يوسف وقال قتادة لا يشعرون بوحينا اليه فيكون
قوله وهم لا يشعرون على التاويل الاول مما اوحى الله وعلى القول الثاني خبر لمحمد صلى
الله عليه وسلم **قوله عز وجل** وجاءوا اباهم عشاء يبكون قالوا
يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم
انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون **ح** قرا
وحده عشاء اي وقت العشاء وقرا الحسن عشى على مثال دجى اي جمع عاش
قال ابو الفتح [illegible] عشاة كماش ومشاة ولكن حذفت الهاء تخفيفا كما حذفت من مالكة
فقال عدي ابلغ النعمن عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظار
قال القاضي ابو محمد ومعنى ذلك اصابهم عشى من البكاء او شبه العشى اذ
لذلك هي هيئة الباكي لانه يتعاشى ومثل شريح في امراة بكت وهي مبطلة [illegible]
وقرا الاية وروي ان يعقوب لما سمع بكاءهم قال ما بالكم اجرى في الغنم شيء قالوا لا
قال فاين يوسف قالوا ذهبنا نستبق فبكى وصاح وقال اين قميصه وسياتي قصص
ذلك ونستبق معناه على الاقدام اي نجري غلابا وقيل بالرمي اي ننتضل وهو نوع
من المسابقة قاله الزجاج وقولهم وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق ومعنى الكلام اي لو
كنا موصوفين بالصدق وقيل المعنى ولو كنت تعتقد ذلك فينا في جميع اقوالنا

فربما

فربما صدقتنا في هذه النازلة خاصة لما لحقك فيها من الحزن وذلك من المسبقة
ولما تقدم من تهمتك لنا وهذا قول ذكره الزجاج وغيره ويحتمل ان يكون قولهم
ولو كنا صادقين بمعنى وان كنا صادقين وقاله المبرد كانهم اخرجوا عن انفسهم انهم
صادقون في هذه النازلة فهو تماد منهم في الكذب ويكون بمنزلة قوله ولو كنا
كارهين او ان كنا كارهين وفي هذا المثال عندي نظر وخلط الرماني في هذا
الموضع وقال اتوا الى انهم عنادا ونحو هذا مما لا يلزم لانهم لم يقولوا وما انت بمصدق
لنا ولو كنا صادقين في معتقدك لو قالوا وما انت بمصدق لنا ولو كنا صادقين فيما
نعتقد نحن وانا لانه قد غلب عليك سوء الظن ولا يمكن ان يعتقد الانبياء
عليهم السلم صدق الكاذب وكذب الصادق ما لم يوح اليهم فانما هم بشر كما قال
صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم تختصمون الي فلعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو ما اسمع منه الحديث فهذا يقتضي انه يجوز على نفسه ان يصدق
الكاذب ولذلك قد صدق عليه السلم عبد الله بن ابي حين حلف له على مقالة
زيد بن ارقم وكذب زيدا حتى نزل الوحي فظهر الحق وكذلك اخوة يوسف انما هو مغالطة
ومحاجة لا الزام عناد **وقوله تعالى** وجاءوا على قميصه بدم كذب الاية
روي انهم اخذوا سخلة او جديا فذبحوه ولطخوا به قميص يوسف وقالوا ليعقوب هذا
قميصه فاخذه ولطخ به وجهه وبكى ثم تامله فلم ير خرقا ولا اثر ناب فاستدل
بذلك على كذبهم وقال لهم متى كان الذئب حليما ياكل يوسف ولا يخرق قميصه
قص هذا القصص ابن عباس وغيره واجمعوا على انه استدل على كذبهم بصحة
القميص واستدل الفقهاء بهذا في اعمال الامارات في مسائل كالقسامة بها في
قول مالك الى غير ذلك قال الشعبي كان في القميص ثلاث آيات دلالة على
كذبهم وشهادته في وجهه ورد بصر يعقوب به وروي انهم ذهبوا فاخذوا ذئبا فلطخوا
فاه بالدم وساقوه وقالوا ليعقوب هذا اكل يوسف فدعاه يعقوب فاقعى وتكلم بتكذيبهم
ووصف الدم بالكذب اما على معنى بدم ذي كذب واما ان يكون بمعنى مكذوب عليه
كما جاء المفعول بمنزلة الفعل **في قول الشاعر** حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما
ولا لفؤاده معقولا

فلذلك جي الكذب مكان المكذوب هذا كلام الطبري ولا شاهد له عندي
لان مجي المعقول بمعنى العقل ولا يحتاج اليه دل وانما الدم الكذب عندي
وصف بالمصدر على جهة المبالغة وقرا الحسن بدم كدب بدال غير معجمة ومعناه
الطري او نحوه وليست بهذه القراءة قوية ثم قال لهم يعقوب لما ان اراهم لديهم
بل سولت لكم انفسكم اي زينت وجعلت سولا ومراده امرا اي صنعا قبيحا
بيوسف وقوله فصبر جميل رفع اما على حذف الابتدا واما على حذف
الخبر اما على التقدير فشاني صبر جميل واما على تقدير فصبر جميل امثل وذكر ان
وعيسى بن عمر قرا بالنصب فصبرا جميلا على اضمار فعل ولذلك هو في مصحف
ابي ومصحف انس بن مالك وهي قراءة ضعيفة عند سيبويه ولا يصلح النصب في مثل هذا
الا مع الامر ولذلك يحسن النصب في قول الشاعر صبرا جميلا فكلانا مبتلى
وينشد ايضا بالرفع وهو ضعيف ويروى صبرا وجميل على حد الجمل المذكور في قوله
شكا الي جملي طول السرى يا جملي ليس الي المشتكى صبرا جميلا فكلانا مبتلى
واما قراءة النصب على ان يقدر يعقوب عليه السلام رجع الى مخاطبة
نفسه اثنا مخاطبة بنيه وجميل الصبر ان لا يقع شكوى الى بشر وقال
النبي صلى الله عليه وسلم من بث لم يصبر صبرا جميلا **وقوله** والله المستعان
على ما تصفون تسليم لامر الله تعالى وتوكل عليه والتقدير على احتمال ما تصفون
قوله تعالى وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا
بشراي هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس
دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين قيل ان السيارة جاءت في
اليوم الثاني من طرحه في الجب والسيارة جمع سيار كما قالوا البغال والبغالة
وهذا العكس قولهم تمر وتمرة والسيارة بناء مبالغة للذين يرددون السير في
الطرق وروي انها سيارة كانوا قوما من اهل مدين وقيل قوم اعراب والوارد
هو الذي ياتي الماء يستقي منه لجماعته والوارد هنا يمكن ان يقع على واحد وعلى جماعة
وروي ان مدلي الدلو كان يسمى مالك بن ذعر وروي ان هذا الجب كان
بالاردن على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب ويقال ادلى الدلو اذا القاه في

لسقي الما

ليستقي الماء ودلاه يدلوه اذا استقاه من البير وفي الكلام هنا حذف
تقديره فعلق يوسف بالحبل فلما بصر به المدلي قال يا بشراي وروي ان يوسف
كان يومئذ ابن سبع سنين ويرجح هذا لفظة غلام فانه ما بين الحولين الى البلوغ قال
فان كان فوق ذلك فعلى استعارة حال وتجوز وقيل كان ابن سبع عشرة سنة
وهذا بعيد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر يا بشراي باضافة البشرى
الى المتكلم وبفتح الياء على ندائها كانه يقول احضري فهذا اوانك
وهذا نحو قوله يا حسرة على العباد وروى ورش عن نافع يا بشراي بسكون
الياء قال ابو علي وفيها جمع بين ساكنين على حد دابة وشابة ووجه ذلك انه يجوز
ان يختص بها الالف لزيادة المد التي فيها على المد الذي في اختيها كما اختص
القوافي بالتاسيس واختص في تخفيف الهمزة نحو هباة وليس شيء من ذلك
في الياء والواو وقرا ابو الطفيل والجحدري وابن ابي اسحق والحسن
يا بشري على الالف ثم تدغم في الياء بالاضافة وهي لغة فاشية ومن ذلك
قول ابي ذويب سبقوا هوي واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل
وانشد ابو الفتح غيره في ذلك
يطوف بي عكب في معد ويطعن بالصملة في قفيا
فان لم تثاروا لي في معد فما ارويتما ابدا صديا
وقرا حمزة والكسائي يا بشرى ويميلان ولا يضيفان وقرا عاصم كذلك
الا انه يفتح الراء ولا يميل واختلف في تاويل هذه القراءة فقال السدي كان
اسم صاحب هذا الوارد الذي حل اسمه بشرى فناداه واعلمه بالغلام وقيل هو على
نداء البشرى كما قدمنا والضمير في قوله واسروه ظاهر الايات انه لوارد الماء
قاله مجاهد وقيل انهم خشوا من تجار الرفقة ان قالوا وجدناه ان
يشاركوهم في الغلام الموجود **قال الفقيه ابو محمد** هذا
ان كانوا فسقة او يمنعوهم من تملكه ان كانوا خيارا فاسروه بينهم ان يقولوا

أنفسهم معناه أهل المصر وبضاعة حال والبضاعة القطعة من المال
يتجر فيها لتعريضه من الربح مأخوذة من قولهم بضعت أي قطعت وقيل
إنهم أسروا في أنفسهم أنهم يجدونه بضاعة لأنفسهم أي متجرا ولم يكونوا
من أهل الرفقة شيئا ثم حزن الصغير في قوله وشروه وعلم أيضا أي باعوه بثمن
قليل إذ لم يعرفوا حقه ولا قدره بل كانوا زاهدين فيه وروي على هذا
أنهم باعوه من الحي وقال مجاهد الضمير في أسروه لأصحاب الدلو
وفي شروه لإخوة يوسف الأحد عشر وقال ابن عباس بل الضمير
في أسروه وشروه لإخوة يوسف وذلك أنه روي أن إخوته لما رجعوا
إلى أبيهم وأعلموه رجع بعضهم إلى الجب ليتحققوا أمر يوسف ويقفوا
على الحقيقة من فقده فلما علموا أن الوراد قد أخرجوه جاؤوهم فقالوا
هذا عبد أبق لنا ووهبته لنا ونحن نبيعه منكم فقارّهم يوسف
على هذه المقالة خوفا منهم وليمضي الله أمره فحينئذ أسر إخوته
جحدوا أخوته فأسروها واتخذوه بضاعة أي متجرا لهم وحسبنا
وشروه أيضا بثمن بخس أي باعوه **قوله** والله عليم بما يعملون إن كانت
الضمائر لإخوة يوسف ففي ذلك توعد وإن كانت الضمائر للوارد ففي
ذلك تنبيه على إرادة الله تعالى ليوسف وسوق الأقدار بحسب ما حاله
فهو حسن بمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم يدبر ابن آدم والقضاء يضحك
وفي الآية أيضا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما يجري عليه من جهة
قريش أي العاقبة التي للمتقين مع المراعاة والمنتظرة وشروه هنا بمعنى
باعوه وقد يقال شرى بمعنى اشترى ومن الأول **قول** يزيد بن
مفرغ الحميري ۵ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه ۵
برد اسم غلام له ندم على بيعه والبخس يحتمل الوجهين المتقدمين والبخس
مصدر وصف به الثمن وهو بمعنى النقص هذا أشهر معانيه وكأنه

القليل

القليل الناقص وهو قول الشعبي وقال قتادة البخس هنا بمعنى الظلم
ورجحه الزجاج من حيث الحر لا يحل بيعه وقال الضحاك هو بمعنى الحرام
وهو أيضا بمعنى أنه لا يحل بيعه **وقوله** دراهم معدودة عبارة عن قلة
الثمن لأنها دراهم لم تبلغ أن توزن لقلتها وذلك أنهم كانوا لا يزنون ما كان دون
الأوقية وهي أربعون درهما واختلف في مبلغ ثمن يوسف عليه السلام
فقيل باعوه بعشرة دراهم وقال ابن مسعود بعشرين وقال مجاهد باثنين (اثنين)
وعشرين أخذ منها إخوته درهمين درهمين وقال عكرمة بأربعين درهما
دعت بأفصح حقا فإذا كان يحسنها **وقوله** وكانوا فيه من الزاهدين وصف
يترتب في وزانه أي كانوا لا يعرفون قدره فهم لذلك قليل اغتباطهم به لكنه
أرتب في إخوة يوسف إذ حقيقة الزهد في الشيء إخراج حبه من القلب
ورفضه من اليد وهذا حال إخوة يوسف في يوسف وأما الوارد
فتمسكهم به وتجرهم يمانع زهدهم إلا على تجوز **وقوله** فيه ليست
بصلة للزاهدين قاله الزجاج وفيه نظر لأنه يسمى وصفهم بالزهد على
الإطلاق وليس مقصدا إلا أنه هذا الوصف بالزهد الخاص في يوسف
والظرف يجوز فيها من التقدم ما لا يجوز في سائر الصلات وقد تقدم
القول في عود ضمير الجماعة الذي في قولهم وشروه **قوله عز وجل**
وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا
أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث (حديث)
والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما
وعلما وكذلك نجزي المحسنين روي أن المبتاع ليوسف وهو الوارد من
إخوته أو التاجر من الوارد حسبما تقدم من الخلاف ورد مصر البلد المعروف
ولذلك لا ينصرف فعرضه في السوق وكان أجمل الناس فوقعت فيه مزايدة
حتى بلغ ثمنا عظيما فقيل وزنه من ذهب ومن فضة ومن حرير فاشتراه
العزيز وهو كان صاحب الملك وخازنه واسم الملك الريان بن الوليد

وقيل مصعب بن الريان وهو احد الفراعنة وقيل هو فرعون موسى
عُمّر الى زمانه وهذا ضعيف وذلك ان ظهور يوسف عليه السلام
لم يكن في مدة كان يحرمه يوسف واسم العزيز المذكور قطفير قاله ابن عباس
وقيل قطفور واسم امراته راعيل قاله ابن اسحق وقيل ربيحه وقيل زليخا
وظاهر امر العزيز انه كان كافرا ويدل على ذلك كون الصنم
في بيته حسبما يذكر في البرهان الذي راى يوسف وقال مجاهد
كان العزيز مسلما والمثوى مكان الاقامة والاكرام انما هو لذي المثوى
ففي الكلام استعارة وقوله عسى ان ينفعنا اي بان ينفعنا في
ابواب دنيانا وغير ذلك من وجوه النفع وقوله او نتخذه ولدا
اي نتبناه وكان فيما يقال لا يولد له ثم قال تعالى وكذلك اي كما وصفنا مكنا
ليوسف في الارض ولنعلمه فعلنا ذلك والاحاديث الرويا في النوم قاله مجاهد
وقيل احاديث الامم والانبيا والضمير في امره يحتمل ان يعود على يوسف قاله
الطبري ويحتمل ان يعود على الله عز وجل قاله ... فيكون اخبارا
منبها على قدرة الله عز وجل ليس في شان يوسف خاصة بل عاما في كل امر
وكذلك الاحتمال في قول الشاعر رات اناملي وربك غالب على امره في نعمة الله
بالتمرة * والبر الناس الذين في عنهم العلم ثم الحره وفيهم الذين يهدوا
في يوسف وغيرهم ممن جهل الامر وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال
افرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامراته اكرمي مثواه
وابو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب وفراسة العزيز انما كانت في
نفس نجابة يوسف لا انه تفرس الذي كان كما في المثال الاخر فان ما تفرس
خرج بعينه والاشد استكمال القوة وتناهي بنية الانسان وهما اشدان
اولهما البلوغ وقد عبر عنه مالك وربيعة بالبلوغ وذكر ... بن سعيد
والبلوغ الذي يستعمله العرب وقيل هو من ثماني عشرة سنة الى ستين سنة
وهذا قول ضعيف وقيل الاشد بلوغ الاربعين وقيل ستين سنة

وثلثون

وثلثون وقيل ثلثة وثلثون وهذا اظهر الاقوال فيما حسبته وهو الاسبوع الخامس
وقيل عشرون سنة وهذا ضعيف وقال الطبري الاشد لا واحد له من
لفظه وقال سيبويه الاشد جمع شدة نحو نعمة وانعم وقال الكسائي اشد جمع شد
نحو ... وقوله حكما يحتمل ان يريد الحكمة والنبوة وهذا على الاشد الاعلى
ويحتمل ان يريد بالحكمة والعلم دون النبوة وهذا اشبه ان كانت قصة المراودة بعد هذا
وعلما يريد تاويل الاحاديث ويحتمل ان يريد بقوله حكما اي سلطانا في الدنيا وحكما بين الناس
بالحق ويدخل النبوة وتاويل الاحاديث وغير ذلك في قوله وعلما ولذلك تجري المحسن الفاظ
فيما وعد النبي صلى الله عليه وسلم ولا تهولنك فعل الاخرة بك وعقوبتهم عليك والله
تعالى يصنع للمحسن اجمل صنع قوله عز وجل وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح
الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا
سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم
المراودة الملاطفة في السوق الى غرض والى استعمال هذه اللفظة تاما في هذا
المعنى الذي هو بين الرجال والنساء ونسبه ان يكون من راد يرود اذا تقدم لاختيار
الارض والمراعي وكان المراود يختبر ابدا ما قوله ويلطف حال المراود من الخطب في
والامتناع وفي مصحف ... وفرغنا الابواب ولذلك روي عن الحسن
هو في بيتها زليخا امراة العزيز وقوله عن نفسه كناية عن غرض المواقعة وقوله
وغلقت تضعيف مبالغة لا تعدية وظاهر هذه النازلة انها كانت قبل نبوته
عليه السلام وقرا ابن كثير واهل مكة هيت بفتح الهاء وسكون الياء وضم التاء وقرا
ابن عباس وابن ابي اسحق وابن محيصن وابو الاسود وعيسى بفتح الهاء وكسر التاء
ابن مسعود والحسن والبصريون هيت بفتح الهاء والتاء وسكون الياء وروي عن ابن عباس
وقتادة وابي عمرو قال ابو حاتم لا يعرف اهل البصرة غيرها وهم اهل الناس علوا
في القراءة قال الطبري وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقرا نافع وابن عامر هيت بكسر الها وسكون اليا وفتح التا وهي قراءة الاعرج وشيبه
وابي جعفر وهذه الاربع بمعنى واحد واختلفت لاختلاف اللغات فيها
ومعناه الدعاء اي تعال واقبل على هذا الامر قال الحسن معناها هلم ويحسن
ان يتصل بها لك اذ كلها بمعنى هلم وهلا او قرب اخرجت مجرى سقيا لك ورعيا لك
ومن هذا قول الشاعر يخاطب علي بن ابي طالب
الى امير المؤمنين لقا العراق اذا اتينا ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا
ومن ذلك على اللغة الاخرى قول طرفة ليس قومي بالابعدين اذا ما قال داع
من العشيرة هيت ومن ذلك ايضا قول الشاعر قد راى ان الكرى اسكتا
ولو غدا العنا نا لهيتا اسكت اي دخل في سكوت وهيت معناه قال هيت
كما قالوا اف اي اذا قال اف ومنه سبحل ودعدع اذا قال
داع والتا على هذه اللغات كلها مبنية فهي في حال الرفع كقبل وبعد وفي
حال الكسر على الباب في الكسر لالتقاء الساكنين وفي حال النصب ككيف
ونحوها قال ابو عبيدة وهيت لا تثنى ولا تجمع تقول العرب هيت لك
وهيت لكما وهيت لكم وقرا هشام عن ابن عامر هئت بكسر الهاء
والهمز وضم التا وهي قراءة علي بن ابي طالب وابي وائل وابي رجا ويحيى وورد
عن ابي عمرو وهذا يحتمل ان يكون من هاء الرجل يهيء اذا احسن هيئته على
مثال جا يجيء ويحتمل ان يكون بمعنى تهيات كما يقال فئت وتفيات بمعنى واحد
قال الله عز وجل يتفيؤا ظلاله وقال حتى تفيء الى امر الله وقرا
ابن ابي اسحق الصامت بسهل الهمزة من هذه القراءة المتقدمة وقرا
ابن عباس الصامت لك وقرا الحلواني عن هشام هئت بكسر الهاء والهمز
وفتح التا قال ابو علي الطاهر ان هذه القراءة وهم لانه كان ينبغي ان يقول
هئت لي وسياق الاية يخالف هذا وحكى النحاس انه قرئ هيت بكسر التاء
وسكون اليا وكسر التا ومعاذ نصب على المصدر ومعنى الكلام اعوذ بالله
ثم قال انه ربي فيحتمل ان يعود الضمير في انه على الله عز وجل ويحتمل ان
يريد العزيز سيده اي فلا يصلح لي ان اخونه وقد اكرم مثواي وائتمني

قال مجاهد

قال مجاهد والسدي معناه سيدي وقال ابن اسحق واذا حفظ الادمي لاحسانه
فهو عمل زاك واحرى ان يحفظ ربه ويحتمل ان يكون الضمير للامر والشان
فقط وحكى بعض المفسرين ان يوسف عليه السلام لما قال معاذ الله ودافع
الامر باحتجاج وملاينة امتحنه الله تعالى بالهمّ بما همّ به ولو قال
لا حول ولا قوة الا بالله ودافع بعنف وتغيير لم يهم بشي من المكروه وقرا
الجحدري مثوى وقرا ابو الطفيل وروي عن النبي عليه السلام فيه
مثوي وقوله ولقد همت به الاية لا شك ان هذا الكلام في
ان يوسف وقع بينهما واختلف في هم يوسف عليه السلام فقال الطبري
قالت فرقة كان مثل همها واحتجوا بحديث وقع ذلك من مثل يوسف وهو
نبي فقيل ذلك ليريه الله عز وجل موقع العفو والكفاية وقيل الحكمة
في ذلك ان يكون مثالا للمذنبين ليروا ان توبتهم ترجع الى عفو الله كما
رجعت ممن هو خير منهم ولم يوبقه القرب من الذنب ويكون تعلق هذا على ان همّ
يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقة الى ان جلس بين رجلي المراة واخذ
في حل ثيابه وتكته ونحو هذا وهي قد استلقت له قاله ابن عباس وجماعة
من السلف وقالت فرقة في همه انما كان بخطرات القلب التي لا يقدر
البشر على التحفظ منها ونزع عند ذلك ولم يتجاوزه وهذا هو
على مثله عليه السلام وفي الحديث ان من هم بسيئة ولم يعملها كتبت له
عشر حسنات وفي حديث اخر حسنة فقد يدخل يوسف في هذا
الصنف وقالت فرقة كان هم يوسف بضربها ونحو ذلك وهذا ضعيف البتة
والذي اقول في هذه الاية ان كون يوسف نبيا في وقت هذه النازلة
لم يصح ولا تظاهرت بذلك رواية فاذا كان كذلك فهو مؤمن قد اوتي
حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذي هو ارادة الشي دون مواقعته وان
يستصحب الخاطر الردي على ما في ذلك من الخطيئة وان فرضناه نبيا في ذلك

فلا يجوز عليه عندي الا الهم الذي هو الخاطر ولا يصح عليه شي مما ذكر من حل
تكة ونحو ذلك لان العصمة مع النبوة ممنوعة وما روي من انه قيل له
تكون في ديوان الانبيا وتفعل فعل السفها فانما معناه العزم بالسوء فاما
تعدوا الهم بالشي من شيئان فالواحدة الاولى يجوز عليه مع النبوة والثانية الاخرى
لا تقع الا من عاصي لان استحسان خاطر المعصية والتلذذ به معصية كتب
وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به نفوسها ما
لم تنطق به او تعمل معناه من الخواطر وانما استحسان الخاطر بحال الا
تكون ملتفتا فان وقع فهو خطيئة من الخطايا لكنه ليس لمواقعة المعصية الى
فيها الخاطر ومما يدل ان استحسان الخاطر معصية قول النبي عليه
السلام انه كان حريصا على قتل صاحبه وقول الله تعالى ان بعض
الظن اثم وهذا مستنزع من غير موضع من الشرع والاجماع
تعتقد ان الهم بالمعصية واستحسان التلذذ بها غير جائز ولا
داخل في التجاوز واختلف في البرهان الذي راه يوسف فقيل نودي
واختلف فيما نودي به فقيل ناداه جبريل يا يوسف تكون في ديوان
الانبيا وتفعل فعل السفها وقيل نودي يا يوسف لا تواقع المعصية
فتكون كالطير الذي عصى فتساقط ريشه فبقي ملقى فناداه بذلك
يعقوب وقيل غير هذا وقيل كان البرهان زنا ما راه مكتوبا فقيل في جدار المجلس
الذي كانا فيه وقيل بين عيني زليخا وقيل كف خرجت من الارض دون جسد واكتب
في المكتوب فقيل قوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقيل قوله تعالى ولا
تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وقيل كان البرهان ان راى يعقوب
عليه السلام ممثلا يعض في البيت عاضا على ابهامه وقيل على شفته وقيل
بل انفرج السقف فراه لذلك وقيل ان جبريل قال له لئن واقعت المعصية
لامحونك من ديوان النبوة وقيل ان جبريل ركضه برجله فخرجت شهوته
على انامله وهذا ضعيف وقيل بل كان البرهان علمه في عذاب الله
ووعده على المعصية وقيل كان البرهان الذي اعطيه ان زليخا قالت

فقالت

فقالت هي استر هذا الصنم لصنم كان معها في البيت فاني استحي منه ان يراني على
وقامت فسترته بثوب فاتعظ يوسف وقال من يستحي انا من الله القائم
على كل شي واذا كنت انت تستحين من هذا ما لا يعقل فانا اولى ان استحي من الله
والبرهان في كلام العرب الشي الذي يعطي القطع واليقين كان مما يعلم ضرورة
او بخبر قطعي او بقياس نظري فهذه التي رويت فيما راه يوسف براهين
وان في قوله لولا ان راى في موضع رفع والتقدير لولا رؤيته برهان ربه
وهذه لولا التي يحذف معها الخبر تقديره لفعل او لارتكب المعصية وذهب
قوم الى ان الكلام تم في قوله ولقد همت به وان جواب لولا في قوله
وهم بها وان المعنى لولا ان راى البرهان لهم اي فلم يهم عليه السلام وهذا
قول يرده لسان العرب واقوال السلف قال الزجاج ولو كان الكلام
ولهم بها لكان بعيدا فكيف مع سقوط اللام والكاف من قوله كذلك متعلقة
بمضمر تقديره جرت افعالنا واقدارنا كذلك لنصرف ويصح ان تكون الكاف
في موضع رفع بتقدير عصمتنا له كذلك لنصرف وقرا الجمهور لنصرف
بالنون وقرا الاعمش ليصرف بالياء على الحكاية عن الغائب وقرا ابن
كثير وابو عمرو وعامر والحسن بن ابي الحسن وابو رجا المخلصين بكسر
اللام في كل القران وكذلك مخلصا في سورة مريم وقرا نافع مخلصا
كذلك بفتح اللام وقرا سائر القرا المخلصين بفتح اللام ومخلصا كذلك في
كل القران وقوله واستبقا الباب الاية واستبقا معناه
سابق كل واحد منهما صاحبه الى الباب هو ليرده الى نفسها وهو ليهرب
عنها فقبضت في اعلى قميصه من خلفه فتخرق القميص عند طوقه ونزل
التخريق الى اسفل القميص والقد القطع واكثر ما يستعمل اذا كان طولا والقط
يستعمل فيما كان عرضا وكذلك هي اللفظة في قول النابغة

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

فان قوله وتوقد بالصفاح يقتضي ان القطع بالطول والقط وجدا و[illegible]

الزوج قاله زيد بن ثابت ومجاهد يرون انهما وجدا العزيز ورجلا من قرابة زليخا
عند الباب الذي استبقا اليه قاله السدي فلما رات الفضيحة فزعت الى
مطالبة يوسف والبغي عليه فأرت العزيز ان يوسف ارادها وقالت ما
جزآء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او يعذب عذابا اليما وجلب في
الجزآء اي ان الذنب ثابت متقرر وهذه الاية تقتضي بعظم موقع السجن
من النفوس لاسيما بذوي الاقدار اذ قرن باليم العذاب **قوله عز وجل**
قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من
قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن
ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من
الخاطئين ٥ قال نوف الشامي كان يوسف عليه السلام لم يبن على
كشف القضية فلما بغت به غضب فقال الحق فاخبره انها هي راودته
عن نفسه فروي ان الشاهد كان الرجل ابن عمها قال انظروا الى القميص
ان كان قميصه قد من دبر فكذبت او من قبل فصدقت قاله السدي وقال
ابن عباس كان رجلا من خاصة الملك وقاله مجاهد وغيره وقيل ان الشاهد
كان طفلا في المهد فتكلم بهذا قاله ايضا ابن عباس وابو هريرة وابن جبير
وهلال بن يساف والضحاك ومما يضعف هذا ان في صحيح البخاري ومسلم
لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وابن السوداء
الذي تمنت له ان يكون كالفاجر الجبار فقال لم يتكلم واسقط صاحب يوسف
منها ومنها ان الصبي لو تكلم لكان الدليل نفس كلامه دون ان يحتاج الى الاستدلال
بالقميص واسند الطبري الى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
تكلم في المهد اربعة فذكر الثلاثة وزاد صاحب يوسف وذكر الطبري عن
ابن عباس ان ابن ماشطة فرعون تكلم في المهد فهم على هذا خمسة وقال مجاهد

ايضا

ايضا الشاهد القميص وهذا ضعيف لانه لا يوصف بانه من الاهل وقرا
جمهور الناس من قبل ومن دبر بضم الباء والتنوين وقرا ابن يعمر والجارود وابن
ابي سبرة ونوح وابن ابي اسحق من قبل ومن دبر بثلث ضمات بغير تنوين قال
ابو الفتح هما غايتان بنيا كقوله تعالى من قبل ومن بعد قال ابو حاتم
وهذا ردي في العربية جدا وانما يقع هذا البناء في الظروف وقرا الحسن من
قبل ومن دبر باسكان الباء وضم الاواخر ولم ينون ورواها عن ابي اسحق
عن يحيى بن يعمر وسمى المتكلم بهذا الكلام شاهدا من حيث دل على الشاهد
وبعض الشاهد هو تخريق القميص وقرات فرقة فلما راى قميصه عط من دبر
والضمير في راى هو للعزيز وهو القائل انه من كيدكن قاله الطبري وقيل الشاهد
قال ذلك والضمير في انه يريد مقالها المتقدم في السكون يوسف وفي
هذه الاية من يرى الحكم بالامارة من العلماء فانها معتمدهم ٥ ويوسف في
قوله يوسف اعرض عن هذا منادى قال ابن عباس ناداه الشاهد وهو
الرجل الذي كان مع العزيز واعرض عن هذا معناه عن الكلام به اي اكتمه ولا
تحدث به ثم رجع اليها فقال واستغفري لذنبك اي استغفري زوجك
وزوجك وقال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لان الخاطئين اعم ويقال
من خطي يخطا اخطا **ومنه قول الشاعر**
لعمرك انما خطئي وصوبي على وانما انفقت مالي ٥ ويستعمل ايضا
نزل المصلت ٥ عبادك يخطئون وانت رب بكفيك المنايا والحتوم
قوله عز وجل وقال نسوة في المدينة امرات العزيز
تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما
سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكا واتت كل واحدة
منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه وقطعن
ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم

ذكر الفعل المسند الى النسوة لتذكير اسم الجمع والنسوة جمع قلة لا واحد له
من لفظه وجمع الكثرة نساء ونسوة فعلة وهو احد الابنية الاربعة التي
لادنى العدد وقد نظمها القائل

بافعل وبافعال وافعلة وفعلة يعرف الادنى من العدد

ويروى ان هذه النسوة كن اربعا امراة خبازه وامراة ساقيه وامراة
بوابه وامراة سجانه والعزيز الملك ومنه قول الشاعر

درة غاص عليها تاجر جليت عند عزيز يوم طل

والفتى الغلام وعرفه في المملوك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي والحجة قد جاء في غير المملوك ومنه
اذ قال موسى لفتاه واصل الفتوة في اللغة الشباب ولكن لما كان جل الخدمة
شبابا استعير لهم اسم الفتى وشغفها معناه بلغ حتى صار من قلبها موضع
الشغاف وهو على اكثر القول غلاف من اغشية القلب وقرا ابو رجا
والاعرج وعلي بن ابي طالب والحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف وثابت
وعوف ومجاهد وغيرهم قد شعفها بالعين غير منقوطة ولذلك وجهان احدهما
انه علا بها كل مرتبة من الحب وذهب بها كل مذهب فهو ماخوذ على هذا
من شعف الجبال وهو رؤوسها واعاليها ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال
ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن والوجه الاخر ان يكون الشعف
لذة بحرقة توجد من الجراحات والجرب ونحوها ومنه قول امرئ القيس

اتقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي

والمشعوف في اللغة الذي احرق الحب قلبه ومنه قول الاعشى

تعصي الوشاة وكان الحب اونة مما يزين للمشعوف ما صنعا

وذو عزابة الشاني وابو رجا انها قرا قد شعفها بكسر العين غير منقوطة

قال

قال ابو حاتم المعروف فتح العين وهذا قد روي بدءا وقرا ابن محيصن
قد شغفها ادغم الدال في الشين وروي ان مقالة هؤلاء النسوة انما
قصدن بها المكر بامراة العزيز ليغضبنها حتى تعرض عليهن يوسف ليبين
عذرها او يحق لومها وقد قال ابن زيد الشغف في الحب والشعف في
البغض وقال الشعبي الشغف والمشغوف بالغين منقوطة في الحب والشعف
الجنون والمشعوف المجنون وهذان القولان ضعيفان وقوله تعالى فلما
سمعت بمكرهن الاية انما سمي قولهن مكرا من حيث اظهرن انكار منكر
وقصدن اثارة غيظها عليهن وقيل مكرهن انهن افشين ذلك عنها وقد كانت
اطلعتهن على ذلك واستكتمتهن اياه وهذا لا يلزم مجرى الالفاظ بطرد
لها خلاف ذلك ويتصيدن بالافشاء اذاها ومعنى ارسلت اليهن
اي لتحضرن واعتدت معناه اعدت ويسرت ومتكا ما يتكا عليه
من فرش ووسائد وعبر بذلك عن مجلس اعد لكرامة ومعلوم ان هذا
النوع من الكرامات لا يخلو من الطعام والشراب فلذلك فسر مجاهد وعكرمة
المتكا بالطعام قال ابن عباس متكا معناه مجلسا ذكره
الزهراوي وقال القتبي يقال اتكانا عند فلان اي اكلنا
وقوله واتت كل واحدة منهن سكينا يقتضي انه كان في جملة الطعام
ما يقطع بالسكاكين فقيل كان لحما وكانوا لا ينهسون اللحم انما كانوا
ياكلونه حزا بالسكاكين وقيل كان اترجا وقيل كان زماورد وهو من نحو
الاترج موجود في تلك البلاد وقيل هو مصنوع من سكر ولوز
واخلاط وقرا ابن عباس ومجاهد والجحدري وابن عمر وقتادة والضحاك
والكلبي وابان بن تغلب متكا بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف والمتك
في معناه قيل هو الاترج وقيل هو اسم يعم ما يقطع بالسكين من الفواكه
كالاترج والتفاح وغيره وانشد الطبري

نشرب الاثم بالصواع جهارا وترى المتك بيننا مستعارا

وقرأ الجمهور متكأ بشد التاء المفتوحة والهمز والقصر وقرأ الزهري
متكا مشدد التاء من غير همز وهي قراءة أبي جعفر بن القعقاع
وشيبة بن نصاح وقرأ الحسن متكاء بالمد على إشباع الحركة والتكبير
تذكر وتؤنث قاله الكسائي والفراء ولم يعرف الأصمعي إلا التذكير وقولها
اخرج ليوسف وإطاعتهما أحسب الملاك وقال مكي والمهدوي قيل إن في
الآية تقديما وتأخيرا في القصص وذلك أن قصة النسوة كانت قبل ما جرى
في القميص للسيد وباشتهار الأمر للسيد انقطع ما بينها وبين يوسف وهذا
محتمل إلا أنه ليس يلزم من ألفاظ الآية بل يحتمل أن كانت قصة النسا
بعد قصة القميص وذلك أن العزيز كان قليل الغيرة بل قومه أجمع ألا
ترى أن الإنكار في وقت القميص إنما كان بأن قيل إنه من كيدكن إن
كيدكن عظيم وهذا يدل على قلة الغيرة ثم سكن الأمر بأن قال يوسف
أعرض عن هذا وأنت استغفري ومتى لم يتوجه إلا على الكاذب والطهارة
الصحة فلذلك يقول عنها بعد ذلك لأن دليل القميص لم يكن قاطعا وإنما
كان أمارة ما وهذا أن لم يكن المتكلم طفلا **وقوله** أكبرنه معناه
أعظمنه واستهولن جماله هذا قول الجمهور وقال عبد الصمد بن علي
الهاشمي عن أبيه عن جده معناه حضن وأنشد بعض الناس حجة لهذا التأويل

يأتي النساء على أطهارهن ولا يأتي النساء إذا أكبرن إكبارا

وهذا قول ضعيف من معناه منكور والبيت مصنوع مختلق ولذلك
قال الطبري وغيره من المحققين وليس عبد الصمد من رواة العلم رحمه الله
وقوله وقطعن أيديهن أي كثرن الحز فيها بالسكاكين وقال عكرمة
الأيدي هنا الأكمام وقال مجاهد هي الجوارح وقطعنها حتى ألقينها
فظاهر هذا أنه بان الأيدي وذلك ضعيف من معناه وذلك أن قطع
العظم لا يكون إلا بشدة ومحال أن يسهو أحد عنها والقطع على المفصل لا
يتهيأ إلا بتلطف لا بد أن يقصد والذي يشبه أنهن حملن على أيديهن الحمل الذي

كن حملنه

كن حملنه على الملك وكان ذلك حزا وهذا قول الجماعة وضوعفت
الطاء في وقطعن لكثرتهن وكثرة الحز فربما كان مرارا وقرأ أبو عمرو وحده
حاشى لله وقرأ أبي وابن مسعود حاشى الله وقرأ سائر السبعة حاش لله
وفرقة حشى لله وهي لغة وقرأ الحسن حاش الله بسكون الشين وهي ضعيفة
وقرأ الحسن أيضا حاش الإله محذوفا من حاشى وأما حاشى فهي حرف جر
حرف معناه الاستثناء كذا قال سيبويه وقد نصب بها بقول حاشى
وحاشى زيدا قال المبرد النصب أولى إذ قد صح أنها فعل بقولهم حاش لزيد
والحرف لا يحذف منه **قال القاضي أبو محمد** وظاهر
من مجموع كلام سيبويه والمبرد أن الحرف يخفض به لا غير وأن الفعل
هو الذي ينصب به فهذه اللفظة تستعمل فعلا وحرفا وهي في بعض المواضع
فعل وزنه فاعل وذلك في قراءة من قرأ حاشى لله معناه مأخوذ من معنى
الحرف وهو إزالة الشيء عن معنى مقرون به وهذا الفعل مأخوذ من
الحشى أي هذا في حشى وهذا في حشى **ومن ذلك قول الشاعر**

يقول الذي يمشي إلى الحرز أهله بأي الحشى صار الخليط المباين

ومنه الحاشية كأنها مباينة لسائر ما هي له ومن المواضع التي حاشى فيها فعل
هذه الآية يدل على ذلك دخولها على حرف الجر والحروف لا يدخل
بعضها على بعض ويدل على أنه فعل الحذف التام منها في قراءة الباقين وحاشى على
نحو حذفهم من لا أبال ولا أدر ولا يجوز الحذف من الحروف إلا إذا كان فيها
تضعيف مثل لعل فيحذف ويرجع عل ويعترض في هذا الشرط بمذ ومنذ
فإنه حرف دون تضعيف فتأمله ومن ذلك في حديث خالد يوم مؤتة
فحاش بالناس بمعنى حاشى لله أي حاشى يوسف لطاعته لله أو لمكانه
من الله أو لترفيع الله له أن يرمى بما رميته به أو يدعى إلى مثله لأن تلك
أفعال البشر وهو ليس منهم إنما هو ملك هكذا رتب أبو علي الفارسي معنى هذا

صح

الكلام على هاتين القراءتين الليث في الشعر ۞ وأما قراءة أبي بن كعب وابن مسعود
فعلى أن حاشى حرف استثناء **كما قال الشاعر**
حاشا أبي ثوبان إن به ضنًّا عن الملحاة والشتم ۞ وسكّن السين في إحدى
وأبى الحسن ضعف جمع من ساكنين وقراءة الثانية محذوفة الألف من حاشى
والسنة بالملائكة هو من قبيل التشبيه بالمستعظمات وإن كان لا يُرى
وقرأ أبو الحويرث الحنفي والحسن ما هذا بشرًى إن هذا إلا ملك كريم الكلام
من ملك وعلى عرايبه هذه القراءة والكلام فصيح لما استعظم حسن صورته
قال ما هذا إنما يصلح أن يكون عبدًا بشرًى إن هذا إلا إنما يصلح أن يكون ملكًا كريمًا
ونصب البشر من قوله ما هذا بشرا هو على لغة الحجاز شبهت ما بليس وإنما
عمر رفع ولم يعرفه ۞ وروي أن يوسف عليه السلام أعطي ثلث الحسن
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعطي نصف الحسن وفي بعض الأسانيد
هو وأمه وفي بعضها هو وسارة جدة أبيه وهذا على جهة التمثيل
أي لو كان الحسن مما يقسم لكان حسن يوسف يقع في نصفه فالقصد
أن يقع في نفس السامع عظم حسنه على نحو التشبيه برؤوس الشياطين ۞
وأنياب الأغوال **قوله عز وجل** قالت فذلكن الذي لمتنني فيه
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن
وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه
وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب
له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ۞ **قال**
الطبري المعنى فهذا الذي قطعتن أيديكن بسببه هو الذي جعلتنّ ضلالة
في هواه والضمير عائد على يوسف في فيه ويجوز أن يكون الإشارة إلى
حب يوسف والضمير عائد على الحب فيكون ذلك إشارة إلى غائب
على بابه ثم أقرت امرأة العزيز للنسوة بالمراودة واستأمنت إليهن في ذلك

إذ علمت أنهن قد عذرنها واستعصم معناه طلب العصمة وتمسك بها وعصاني
ثم جعلت تتوعده وهو يسمع لقولها ولئن لم يفعل ما آمره إلى آخر الآية واللام في
قوله ليسجنن لام القسم واللام الأولى هي المؤذنة بمجيء القسم والنون هي الثقيلة
والوقف عليها بشدّتها وليكونا نونه هي النون الخفيفة والوقف عليها بالألف
وهي مثل قوله لنسفعا **ومثله قول الأعشى** ۞
وصلِّ على حين العشيات والضحى ولا تعبدِ الشيطان والله فاعبدا
أراد فاعبدن ۞ وقرأت فرقة وليكوننّ بالنون الشديدة والصاغرين الأذلاء
الذين لحقهم الصغار ۞ **وقوله تعالى** قال رب السجن أحب إلي الآية ۞ روي
أنه لما توعدته امرأة العزيز قالت له النسوة أطع مولاتك وافعل ما
أمرتك به فلذلك قال مما يدعونني إليه فالسجن الحبس ويدعونني في
هذه الآية بمعنى خلاف قولهم الرجال يدعون ۞ وقرأ الجمهور السجن بكسر السين
وهو الاسم وقرأ الزهري وابن هرمز ويعقوب وابن أبي إسحاق بفتح السين
وهي قراءة عثمان رضي الله عنه وطارق مولاه وهو المصدر وهو كقوله الجرح والجرح
وقوله وإلا تصرف إلى آخر الآية استسلام لله تعالى ورغبة إليه
وتوكل عليه المعنى وإن لم تنجني أنت هلكت هذا مقتضى قرينة كلامه
وحاله والضمير في إليه عائد على الفاحشة المعنية بما في قوله مما وأصب
مأخوذ من الصبوة وهي أفعال الصبا **ومن ذلك قول الشاعر**
إلى هند صبا قلبي وهند مثلها يُصبي ۞ أنشده الطبري
ومن ذلك قول دريد بن الصمة ۞
صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد
والجاهلون هم الذين لا يراعون حدود الله تعالى ونواهيه **وقوله**
تعالى فاستجاب له ربه الآية قول يوسف عليه السلام رب
السجن إلى قوله من الجاهلين كلام يتضمن الشكوى إلى الله عز وجل من حاله معهن

والدعا الى الله في كشف بلواه فلذلك قال بعد مقالة يوسف فاستجاب له ربه اي
اجابه الى ارادته وصرف عنه كيدهن في ان حال بينه وبين المعصية وهو
السميع العليم صفتان لائقتان بقوله فاستجاب **قوله عز وجل**
ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان
قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي
خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين ٥ لما ابى يوسف
المعصية ويئست منه امراة العزيز طالبته بان قالت لزوجها ان هذا العلام
العبراني قد فضحني في الناس وهو يعتذر اليهم ويصف الامر بحسب اختياره
وانا محبوسة محجوبة فاما ان تاذن لي فاخرج الى الناس فاعتذر واكذبه
واما ان تحبسه كما انا محبوسة فحينئذ بدا لهم سجنه قال ابن عباس فامر به فحمل
على حمار وضرب بالطبل ونودي عليه في اسواق مصر ان يوسف العبراني
اراد سيدته فهذا جزاؤه ان يسجن قال ابو صالح ما ذكر ابن
عباس هذا الحديث الا بكى ٥ وبدا معناه ظهر والفاعل ببدا محذوف
تقديره بدا لهم راي وجمع الضمير في لهم والساجن الملك وحده من حيث كان في
الامر تشاور وليسجننه جملة دخلت عليها لام القسم والجوزان يحمل على
بدا ليسجننه لان الفاعل لا يكون جملة يوجد هذا اصرح مذهب سيبويه
وقيل الفاعل ليسجننه وهو خطا وانما هو مفسر للفاعل والايات ذكر
بها اهل التفسير للصاقد القميص قاله مجاهد وغيره وخمش الوجه
الذي كان مع قد القميص قاله عكرمة وحز النساء ايديهن قاله السدي ٥
ومقصد الكلام انما هو انهم راوا سجنه بعد بدو الايات المبرئة له من
التهمة فهذا ابين ظلمهم له ٥ وخمش الوجه وحز النساء ايديهن ليس فيهما
تبرئة ليوسف ولا يتصور تبرئته الا في خبر القميص فان كان المتكلم
طفلا على ما روي فهي اية عظيمة وان كان رجلا فهيا استدلال تا

ونحوه

والعادة انه لا يعرف باثر الا فيما ظهوره في غاية الوضوح وقد يقع الايات
ايضا على العلامات الى اي حد انتهى من الوضوح ويحتمل ان يكون معنى قوله من بعد
ما راوا الايات اي من بعد ما ظهر لهم من وجوه الامر وقرائنه ان يوسف
بري فلم يرد بعينه بل قرائن جميع القصة والحين في كلام العرب وفي
هذه الاية الوقت من الزمان غير محدود ويقع للقليل والكثير وذلك بين من موارده
في القران وقال عكرمة الحين هنا يراد به سبعة اعوام وقيل بل اراد ثلث سنة
وهذا احسب ما لبث العبث في سجن يوسف وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقرا
عتى حين بالعين وهي لغة هذيل فقال له من اقراك قال ابن مسعود فكتب عمر الى
ابن مسعود ان الله انزل القران عربيا بلغة قريش فاقرئ الناس ولا تقرئهم
بلغة هذيل ٥ وروي عن ابن عباس انه قال عثر يوسف ثلاث عثرات هم
فسجن وقال اذكرني عند ربك ٥ فانساه الشيطان ذكر ربه فطول سجنه
وقال انكم لسارقون فروجع ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل **وقوله**
تعالى ودخل معه السجن فتيان الاية المعنى فسجنوه فدخل معه السجن غلامان
سجنا ايضا وهذه مع تحتمل ان يكون باقتران وقت الدخول وان لا يكون بل
دخلوا اولا او روي انهما كانا للملك الاعظم الوليد بن الريان احدهما خبازه
والاخر ساقيه والفتى الشاب وقد يقع اللفظة على المملوك وعلى الخادم الحر
ويحتمل ان يصف بهما ذان بجميع ذلك واللفظة من ذوات الياء وقولهم
الفتوة شاذ ٥ وروي ان الملك اتهمهما بان الخباز منهما اراد سمه
ووافقه على ذلك الساقي فسجنهما قاله السدي فلما دخل يوسف السجن استمال
الناس فيه بحسن حديثه وفضله ونبله وكان يسلي حزينهم ويعود مرضاهم
ويسل فقيرهم ويندبهم الى الخير فاحبه الفتيان ولزماه واحبه صاحب
السجن والقيم عليه وقال له كن في اي البيوت شئت فقال له يوسف لا تحبني
يرحمك الله فلقد ادخلت علي المحبة مضرات احبتني عمتي فامتحنت بمحبتها

واحتبني اني فانتحب لمحنته ولحبني امراة العزيز فاستحب لحبها كما ترى وكان
يوسف عليه السلام قد قال لاهل السجن اني اعبر الرؤيا واجيد فروي عن
ابن مسعود ان الفتيان استعملا هاتين المنامين ليجرباه ٥ وروي عن
مجاهد انهما رايا ذلك حقيقة فارادا سواله فقال احدهما واسمه نبو فيما
روي اني رايت حبلة من كرم لها ثلثة اغصان حسان فيها عناقيد عنب حسان
فكنت اعصرها واسقي الملك وقال الاخر واسمه مجلث كنت اري اني اخرج من
مطبخ الملك وعلى راسي ثلث سلال فيها خبز والطير تاكل من اعلاه ٥
وقوله اعصر خمرا قيل فيه انه سمى العنب خمرا بالمال وقيل هي لغة ازد عمان
يسمون العنب خمرا وقال الاصمعي حدثني المعتمر قال لقيت اعرابيا يحمل عنبا
في وعاء فقلت له ما تحمل قال خمرا اراد العنب ٥ وفي قراءة ابي وعبد الله
بن مسعود اني اراني اعصر عنبا ٥ ويحتمل ان يكون وصف الخمر بما هي معصورة
اذ العصر لها ومن اجلها ٥ وقوله خبزا ابن روي انه راى ثريدا فوق
راسه وفي مصحف ابن مسعود فوق راسي ثريدا تاكل الطير منه وقوله
انا نراك من المحسنين قال الجمهور قيل ذلك لانه كان يعلم وقال الضحاك وقتادة
المعنى من المحسنين في جريه مع اهل السجن واجماله معهم وقيل انه اراد د
اخباره انهما يرون له احسانا عليهما ويدا اذا تاول لهما ما راياه ونحا اليه ابن
اسحق قوله عز وجل قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا
نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة
قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون واتبعت ملة اباي ابراهيم
واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شي ذلك من فضل الله علينا
وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ٥ روي عن السدي وابن اسحق ان
يوسف عليه السلم لما علم شدة تعبير منامه راي الخبز وانها تودن بقتله
ذهب الى غير ذلك من الحديث عسى ان لا يطالبانه بالتعبير فقال لهما معلما

تعظيم

بعظيم علمه للتعبير انه لا ياتيكما طعام في نومكما ترزقانه الا
تاولت ذلك الطعام اي بما يؤول اليه امره في اليقظة قبل ان يظهر ذلك التاويل
الذي اعلمكما به فروي انهما قالا ومن اين لك ما تدعيه من العلم وانت لست
بكاهن ولا منجم فقال لهما ذلكما مما علمني ربي ثم نهض ينحي لهما على الكفر
ويحسن الايمان بالله فروي انه قصد في ذلك وجهين احدهما تنسيتهما امر تعبير ما
سالا عنه اذ في ذلك النذارة بقتل احدهما والاخر الطماعية في
ايمانهما لياخذ المقتول بحظه من الايمان ويسلم له اخرته وقال ابن جريج
اراد يوسف عليه السلم لا ياتيكما طعام في اليقظة ترزقانه الا نباتكما
منه بعلم وبما يؤول اليه امركما قبل ان ياتيكما ذلك المال فعلى هذا انما
اعلمهم انه يعلم مغيبات لا تعلق لها بالرؤيا وقصد بذلك احد الوجهين المتقدمين
وهذا على ما روي من انه نبي في السجن فاخباره كاخبار عيسى عليه السلم د
وقال ابن جريج كانت عادة ذلك الملك اذا اراد قتل احد ممن في سجنه بعث
اليه طعاما يجعله علامة لقتله وهذا قول لا يستند الا لغط ولا بهض به
اسناد ٥ وقوله تركت على انه لم يتشبث بها جار صحيح وذلك انه اخبر
عن تجنبه من اول بالترك وساق لفظة الترك استجلابا لهما عسى ان يترك الترك
الحقيقي الذي هو بعد اخذ في الشي ٥ والقوم المتروك ملتهم الملك واتباعه
وكرر قوله هم على جهة التاكيد وحسن ذلك للفاصلة التي بينهما وقوله
واتبعت الاية تمادي من يوسف عليه السلم في دعايه الى الملة الحنيفية
وزال عن مواجهة مجلث بما يسوه رؤياه ٥ وقرا الكوفيون والاعرج في
اباي الابراهيم العقيلي وابو عمرو ٥ وقرا الجمهور اباي بياء مفتوحة قال ابو حاتم هما
حسنتان فاقرا كيف شئت واما طرح الهمزة فلا يجوز ولكن تخفيفها
جيد فتصير ياء مكسورة بعدها ياء ساكنة او مفتوحة وقوله ذلك اشارة
الى ملتهم وشرعهم وكون ذلك فضلا عليهم بما خصهم الله تعالى من ذلك وجعلهم

ابيا وكونه مضلاً على الناس لو انه يدعو به الى الدين ويساقون الى النجاة
من عذاب الله عز وجل ۝ وقوله من شيء من الزائد المولدة التي
تكون مع الجحد وقوله لا يشكرون يريد الشكر التام الذي فيه الايمان
بالله تعالى وجل قوله عز وجل يا صاحبي السجن أأرباب
متفرقون خير أم الله الواحد القهار ۝ ما تعبدون من دونه الا اسما
سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر
الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا
صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب
فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي
ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه
فلبث في السجن بضع سنين ۝ وصفهما بصاحبي السجن يعني
اما ان يريد يا صاحبي في السجن من حيث سكناه كما قال اصحاب الجنة
واصحاب النار ونحو هذا واما ان يريد صحبتهما له في السجن فاضافهما
الى السجن لذلك كانه قال يا صاحبي في السجن وهذا كما في الحجار ان الاصنام
شركاؤهم وعرضه عليهما بطول امر الاوثان بان وصفها بالتفرق
ووصف الله تعالى بالوحدة والقهر بلطف حسن واخذ بيسير الحجة
قبل ان يكلم الذي ربما تعوق منه طباع الجاهل وعادته وهذا الوجه
في مجاهدة الجهلة ان يوخذ بدرجة تيسر من الاحتجاج يقبلها فاذا
قبلها ترقى عنها درجة اخرى فوقها ثم كذلك الى ان يصل الى
الحق وان اخذ الجاهل بجميع المذهب الذي يساق اليه دفعة اباه
للمبر وعاند وقوله الا اسما ذهب بعض المتكلمين الى
انه اوقع في هذه الآية الاسما على المسميات وعبر عنها بها اذ يريد
ذوات اسما والاسم الذي هو الف وسين وميم قد يجري في اللغة

مجرى

مجرى الشيء والذات والعين فان حملت الآية على ذلك صح المعنى وليس الاسم على هذا
بمنزلة التسمية لها هي رجل وحجر وان اريد بهذه الاسما التي في الآية اسما الاصنام
الذي هي بمنزلة اللات والعزى ونحو ذلك من تسميتها الهة فيحتمل ان يريد الا ذوات
اسما وحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ۝ ويحتمل وهو الراجح
المختار ان شاء الله ان يريد ما تعبدون من دونه الوهية ولكم تعلق بالاة الا
حسب ان سميتم اصنامكم الهة فليست عبادتكم لا لله الا للاسم فقط لا
للحقيقة ۝ واما الحقيقة فهي وسائر الحجارة والخشب سوا فانما تعلقت
عبادتكم بحسب الاسم الذي وضعتم بذلك فهو معبودكم ثم اذا حصل الغرض بعبر
عن هذا المعنى باللفظ المذكور في الآية ومن هذه الجهة وهم من وقع
في قوله رجل وحجر ان الاسم هو المسمى في كل حال وقد بان بهذه المسألة في
صدر التعليق ويقول سميتم الثاني محذوف تقديره الهة بهذا
على ان الاسما يراد بها ذوات الاصنام ۝ واما على المعنى المختار من ان
عبادتهم انما هي لمعان يعطيها الاسما وليست موجودة في الاصنام فقوله
سميتموها بمنزلة وضعتموها فالضمير للتسميات وكذا الضمير في يعطف عليه
والسلطان الحجة وقوله ان الحكم الا لله اي ليس لاصنامكم التي سميتموها
الهة من الحكم والاقدار والاحرار شيء اي فما بالها اذا ويحتمل ان
يريد الرد على حكمهم في تسميتهم آلهة دون الله تعالى وليس لهم تعدي امر
الله في ان لا تعبدوا غيره والقيم معناه المستقيم واكثر الناس الغلوف
لجهالتهم وغلبة الكفر ۝ ثم نادى يا صاحبي السجن ثانية لتجتمع انفسهما
لسماع الجواب ۝ فروي انه قال لنبوا اما انت فتعود الى سقاية
ربك وقال للآخر اما انت فتصلب وذلك كله بعد ثلاث فروي
انهما قالا له ما رأينا شيئا وانما تحالمنا لنجربك وروي انه لم يقل ذلك
الا الذي حدثه بالصلب وقيل كانا رأيا ثم انكرا وقرأت فرقة

يسقي ربه من سقا وقرأت فرقة يسقي من أسقى وهما بمعنى واحد لغتان
وقرأ عكرمة والجحدري فيسقى ربه خمرا بضم الياء وفتح القاف اي ما يرويه
واحسن بها يوسف عليه السلام عن غيب علمه من قبل الله تعالى ان الامر
قد قضي ووافق القدر **وقوله** وقال الذي ظن انه ناج منهما
الآية الظن هاهنا بمعنى اليقين لان ما تقدم من قوله قضي الامر
يلزم ذلك وهو نص فيما لم يخرج بعد الى الوجود وقال قتادة الظن
هاهنا على بابه لان عبارة الرؤيا ظن وقول يوسف عليه السلام
قضي الامر دال على وحي ولا يترتب قول قتادة الا بان يكون معنى قوله
قضي الامر اي قضي كلامي وقلت ما عندي وتم والله اعلم بما يكون
بعد ذلك وفي الآية تأويل آخر وهو ان يكون ظن مسندا الى الذي
قيل له انه يسقي ربه خمرا لانه داخله الثقة السرور بما بشر به
وصار في رتبة من يؤمل حين ظن وغلب على معتقده انه ناج
وذلك بخلاف ما نزل بالآخر المعرف بالصلب ومعنى الآية
قال يوسف لساقي الملك حين علم انه سيعود الى حالته
الاولى مع الملك اذكرني عند ربك يحتمل ان يريد ان يذكره بعلمه
ومكانته ويحتمل ان يذكره بمظلمته وما امتحن به بغير حق او يذكره بهما
والضمير في انساه قيل هو عائد على يوسف عليه السلام اي نسي في ذلك
الوقت ان يشكو الى الله وجنح الى الاعتصام بمخلوق فروي ان جبريل
عليه السلام جاءه فعاتبه عن الله عز وجل في ذلك وطول سجنه عقوبة
على ذلك فقيل اوحى اليه يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك
وقال ابن اسحق الضمير في انساه عائد على الساقي والمعنى انساه ذكر يوسف
عند ربه فاضاف الذكر الى ربه اذ هو عنده والرب على هذا التأويل
الملك والبضع في كلام العرب لا يختلف فيه ان الاكثر انه من الثلاثة الى العشرة

قال

قاله ابن عباس وعلى هذا هو فقه مذهب مالك رحمه الله في الدعاوى والايمان
وقال ابو عبيدة البضع لا يبلغ العقد ولا نصف العقد وانما هو
من الواحد الى الاربعة وقال الاخفش البضع من واحد الى العشرة
وقال قتادة البضع من الثلاثة الى التسعة ويقوي هذا ما روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق في قصة خطره مع قريش في غلبة
الروم لفارس اما علمت ان البضع من الثلاث الى التسع وقال مجاهد من الثلاثة
الى التسعة قال الفراء ولا يذكر البضع الا مع العشرات لا يذكر مع مائة ولا
مع الف والذي روي في هذه الآية ان يوسف سجن خمس سنين ثم
نزل له قصة الفتيين وعوقب على قوله اذكرني عند ربك بالبقاء في
السجن سبع سنين وكانت مدة سجنه اثني عشر سنة وقيل بل عوقب
بقليل وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا كلمة ما لبث في السجن طول ما لبث ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا
امر فزعنا الى الناس **قوله عز وجل** وقال الملك اني
ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا
اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما
وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون المعنى وقال
الملك الاعظم اني ارى يريد في منامه وقد جاء ذلك مبينا في قوله تعالى
اني ارى في المنام اني اذبحك وحكيت حال ما رأى بارى وهو مستقبل من
حيث يستقبل النظر في الرؤيا سبع بقرات سمان يروى انه قال رأيتها
خارجة من نهر ورأيت سبع عجاف فرأيتها اكلت تلك السمان حتى حصلت
في بطونها ورأى السنابل ايضا كما ذكر والعجاف التي بلغت غاية الهزال
ومنه قول الشاعر ورجال مكة مسنتون عجاف

ثم قال لجماعته وحاضريه يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي فرقة عقيب الأمر
وقوله فرقة بأن لعطف بالف أفتوني وأوا وقوله للرؤيا دخلت اللام
بمعنى التأكيد والربط وذلك أن المفعول إذا تقدم حسن في بعض الأفعال
أن يدخل عليه لام وإذا تأخر لم يحتج الفعل إلى ذلك وعبارة الرؤيا مأخوذة
من عبر النهر وهو تجاوزه من شط إلى شط وكان عابر الرؤيا ينتهي إلى
آخر تأويلها **وقوله** قالوا أضغاث أحلام الآية الضغث في كلام العرب
أقل من الحزمة وأكثر من القبضة من النبات والعشب ونحوه وربما كان ذلك
من جنس واحد وربما كان من أخلاط النبات فمن ذلك قوله وخذ
بيدك ضغثا وروي أنه أخذ عثكالا من النخل وروي أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعل مثل ذلك في حد أقامه على رجل زمن ومن ذلك
قول ابن مقبل خود كأن فراشها وضعت به أضغاث ريحان غداة
ومن الأخلاط قول العرب في أمثالها ضغث على إبالة فشبهت أخلاط
الأحلام بأخلاط الجملة من النبات والمعنى أن هذا الذي رأيت
أيها الملك أخلاط من الأحلام بسبب النوم ولسنا من أهل العلم بذلك
أي بما هو مختلط ورديء فإنما نفوا عن أنفسهم علم الأحلام لا علم الرؤيا
على الإطلاق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله
والحلم من الشيطان وقال عليه السلام للذي كان يرى رأسه
يقطع ثم يرده فيرجع إذا لعب الشيطان بأحدكم في النوم فلا يحدث به الناس

قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه فالأحلام وحديث
النفس ملغاة والرؤيا هي التي تعبر ويلتمس علمها والباء في قولهم بعالمين
للتأكيد وفي قولهم بتأويل للتعدية وهي متعلقة بقولهم بعالمين
والأحلام جمع حلم يقال حلم الرجل بفتح اللام يحلم إذا خيل إليه
في منامه والأحلام والرؤيا وتأويلها [illegible] وقال

وقال الذي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان [في الهامش: ويقع البشرى ... والتخويف]
فإذا رأى أحدكم ما يكره فليتفل على يساره ثلاث مرات وليقل أعوذ بالله
من شر ما رأيت فإنها لا تضره وما كان عن حديث النفس في اليقظة فإنه لا
يلتفت إليه ولما سمع الساقي الذي نجا هذه المقالة من الملك ومراجعة
أصحابه تذكر يوسف وعلمه بتأويل الأحلام والرؤيا فقال ما قاله في
هذه الآية وادكر أصله اذتكر افتعل من الذكر قلبت التاء دالا وأدغم
الأول في الثاني ثم بدلت دالا غير منقوطة لقوة الدال وحكى [illegible] وبعض
العرب يقول اذكر وقرئ فهل من مذكر بالنقط ومن مدكر على اللغتين
وقرأ الجمهور الناس بعد أمة وهي المدة من الدهر وقرأ ابن عباس في جماعة بعد
أمه وهو النسيان وقرأ مجاهد وشبل ابن عروة بعد أمه بسكون الميم وهو مصدر
من أمه إذا نسي وقرأ الأشهب العقيلي بعد إمة بكسر الهمزة والإمة
النعمة والمعنى بعد نعمة أنعمها الله على يوسف في تقريب إطلاقه وعزته
وبقوله إذ يقوى قول من قال إن الضمير في أنساه عائد على الساقي
والأمر محتمل وقرأ الجمهور أنا أنبئكم وقرأ الحسن بن أبي الحسن أنا
آتيكم وكذلك في مصحف أبي بن كعب وقوله فأرسلون استئذان
في المضي فقيل كان في غير مدينة الملك قاله ابن عباس وقيل كان السجن
وهو يسميه الناس اليوم سجن يوسف في موضع على النيل بينه وبين الفسطاط
ثمانية أميال **قوله عز وجل** يوسف أيها الصديق أفتنا
في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع
سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ثم
يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون
ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون

المعنى في السؤال وهو الساقي الى يوسف فقال له يا يوسف ايها الصديق
وسماه صديقا من حيث كان جرب صدقه في عبرتي وهو بناء للمبالغة من صدق
وسمي ابو بكر صديقا من صدق وغيره ادمع [illegible] الصدق وصدق والصدوق والحاذق
صادق ايضا وعلى هذا سمي المؤمن صديقا في قوله تعالى والذين آمنوا بالله
ورسوله اولئك هم الصديقون ثم قال افتنا في سبع بقرات اي فيمن
راى في المنام سبع بقرات وحكى النقاش حدثنا روي فيه ان جبريل عليه
السلام دخل على يوسف في السجن وبشره بعطف الله عليه واخرجه من السجن
وانه قد احدث للملك منامة جعلها سببا لفرج يوسف ه ويروى
ان الملك كان يرى سبع بقرات سمان يخرجن من واد ويخرج وراءها
سبع عجاف فتاكل العجاف السمان وكان يعجب كيف غلبتها وكيف وسعت
السمان في بطون العجاف ه وكان يرى سبع سنبلات خضر وقد التفت بها
سبع يابسات حتى كانت تغطي خضرتها فعجب ايضا لذلك **وقوله**
لعلهم يعلمون اي تاويل هذه الرؤيا فيزول هم الملك لذلك ويتم الناس وقيل
لعلهم يعلمون مكانك من العلم وكنه فضلك فيكون ذلك سبب خلاصك
وقوله تعالى قال تزرعون الآية يتضمن هذا الكلام من يوسف عليه
السلام ثلثة انواع من القول احدها تعبير المعنى لا باللفظ والثاني
عرض راي وامر به وهو قوله فذروه في سنبله ه والثالث الاعلام
بالغيب في امر العام الثامن قاله قتادة ويحتمل هذا الا يكون غيبا بل علم
اعطي انقطاع الجدب بعد سبع ومعلوم انه لا تقطعه الا خصب شامل
ودابا معناه ملازمة لعادتكم في الزراعة **ومنه قول امرئ القيس**
كدينك من ام الحويرث قبلها البيت وقرا جمهور السبعة دابا باسكان
الهمزة وقرا عاصم وحده دأبا بفتح الهمزة وابو عمرو يسهل الهمزة عند درج
القراءة وهما مثل نهر ونهر والناصب لقوله دابا تزرعون عند ابي العباس المبرد

اذ في قوله تزرعون تدأبون وهي عنده مثل قولهم قعد القرفصاء واشتمل الصماء
وسيبويه يرى نصبه بفعل مضمر من لفظ المصدر يدل عليه هذا
الظاهر كانه قال تزرعون تدأبون **وقوله** فما حصدتم فذروه في سنبله
وهي اشارة براي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين
بوجه الا بحيلة ابقائها في السنبل فان الحبة اذا بقيت في خبائها انحفظت
والمعنى اتركوا الزرع في السنبل الا ما لا غنى عنه للاكل فيجتمع الطعام
هكذا ويركب ويؤكل الاقدم فالاقدم فاذا جاءت السنون الجدبة
تقوت الناس الاقدم فالاقدم من ذلك المدخر وادخر ايضا الشيء
الذي يصاب في اعوام الجدب على قلته وجعلت الاعوام بعضها بعضا
حتى يخلص الناس والى هذه السنين اشار النبي صلى الله عليه وسلم
في دعائه على قريش اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فابتدأ
ذلك بهم ونزلت سنة حصت كل شيء حتى دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم
فارتفع ذلك عنهم ولم يتمادى سبع سنين ه وروي ان يوسف عليه
السلام لما خرج ووصف هذا الترتيب للملك واعجبه امره قال
له الملك قد اسندت اليك تولي هذا الامر في الاطعمة هذه السنين
المقبلة وكان هذا اول ما ولي يوسف ه واسند الاكل في قوله ياكلن الى
السنين اتساعا من حيث يوكل فيها كما قال تعالى والنهار مبصرا وكما
قال نهارك بطال وليلك نائم ه ويقال السنة في كلام العرب
ويحتمل ان يسمى بفعل الجدب وانما الدلالة لفظا الاكل ه وفي الحديث
فاصابتهم سنة حصت كل شيء وقال الاعرابي في السنة حمشت اللحم
والتحبت اللحم واحتفت العظم وتحصنون معناه تحرزون وتخزنون قاله
ابن عباس وهو ماخوذ من الحصن وهو الحرز والملجا ومنه تحصن النساء
لانه بمعنى التحرز **وقوله** يغاث يحتمل ان يكون من الغيث وهو قول

ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين اي يمطرون وجاز ان يكون من اغاثهم الله
اذا فرج عنهم ومنه الغوث وهو الفرج وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
وعاصم يعصرون بفتح الياء وكسر الصاد وقرا حمزة والكسائي ذلك
بالتاء على المخاطبة وقال جمهور المفسرين من عصر النبات كالزيتون
والعنب والقصب والسمسم والنخل وجميع ما يعصر ومصر بلد عصير
لاشياء كثيرة وروي انهم لم يعصروا شيئا مدة الجدب والحلب منه
لانه عصر للضروع وقال ابو عبيدة وغيره ذلك ماخوذ من العصرة
والعصر وهو الملجا ومنه قول ابي زبيد في عثمان رضي الله عنه

صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

ومنه قول عدي بن زيد

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

ومنه قول ابن مقبل

وصاحبي وهوه مستوهل زعل يحول بين حمار الوحش والعصر

ومنه قول لبيد

فبات واسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقافا بغير معصر

اي بغير ملتجا فالاية على معنى ينجون بالعصرة وقرا الاعرج وعيسى
ابن محمد يعصرون بضم الياء وفتح الصاد وهذا ماخوذ من العصرة اي يؤتون
بعصرة ويحتمل ان يكون من عصرت السحاب ماءها عليهم قال ابن
المستنير معناه يمطرون وحكى النقاش انه قرئ يعصرون بضم الياء وكسر الصاد
وشدها وجعلها من عصر البلل ونحوه ورد الطبري على من جعل اللفظة من العصرة
ردا كثيرا بغير حجة وقال الملك ايتوني به فلما جاءه
الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي
بكيدهن عليم في هذه الآية محذوفات يعطيها ظاهر الكلام

وتدل عليها المعاني هنا فرجع الرسول الى الملا والملك فقص عليهم مقالة
يوسف فراى الملك وحاضروه نبل التعبير وحسن الراي وتضمن الغيب في
امر العام الثامن مع ما وصفه به الرسول من الصدق في المنام المتقدم
فعظم يوسف في نفس الملك وقال ايتوني به فلما وصل الرسول في
اخراجه اليه وقال ان الملك قد امر ان يخرج اليه قال له ارجع الى
ربك اي الملك وقل له ما بال النسوة ومقصد يوسف عليه السلام انما كان
وقل له يستقصي عن ذنبه وينظر في امره هل سجن بحق او بظلم ونكب في قصة
مطرف منها اذا وقع النظر عليه بان الامر كله وتحرج عن ذكر امراة
العزيز حسن عشرة ورعاية لذمام ملك العزيز له وقرا ابو بكر عن عاصم
وابو حيوة النسوة بضم النون وقرا الباقون النسوة بكسر النون وهما
لغتان في جمع نسا الذي هو اسم جمع لا واحد له من لفظه وقرات فرقة
اللاي بالياء وقرات فرقة اللاتي بالتاء وكلاهما جمع التي وكان هذا الفعل
من يوسف عليه السلام اناة وصبرا وطلبا لبراءة الساحة وذلك انه فيما روي
خشي ان يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن امر ذنبه صفحا فيراه
الناس بتلك العين ابدا ويقولون هذا الذي راود امراة مولاه فاراد يوسف
ان يبين براءته ويحقق منزلته من العفة والخير وحينئذ يخرج للاحظاء
والمنزلة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يرحم الله اخي يوسف
لقد كان صابرا حليما ولو لبثت في السجن لبثه لاجبت الداعي ولم ابتغ
التمس العذر حينئذ وروي نحو هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن القاسم
صاحب مالك في كتاب التفسير من صحيح البخاري وليس لابن القاسم في
الديوان غيره وهنا اعتراض ينبغي ان ينفصل عنه وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم انما ذكر هذا الكلام على جهة المدح ليوسف فما باله
هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره فالوجه في ذلك ان

النبي صلى الله عليه وسلم انما اخذ لنفسه وجها اخر من الراي لدحيما ايضا
من للمودة اي لو لبثت انا اللبا درت بالخروج ثم حاولت بان عذري بعد
ذلك وذلك ان هذه القصص والنوازل انما هي معرضة ليقتدي الناس بها
الى يوم القيامة فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل الناس على
الاحزم من الامور وذلك ان المتعمق في مثل هذه النازلة التارك فرصة
الخروج من مثل ذلك السجن ربما ينتج له من ذلك البقاء في سجنه وانصرفت فرص
مخرجه عنه وان كان يوسف عليه السلام امن من ذلك بعلمه من الله فغيره
من الناس لا يامن ذلك فالحالة التي ذهب النبي صلى الله عليه وسلم
بنفسه اليها حالة حزم ومدح وما فعله يوسف عليه السلام
صبر عظيم وجلد ان ربي بكيدهن عليم يحتمل ان يريد بالرب
الله عز وجل وفي الاية وعيد على هذا وتهدد ويحتمل ان يريد بالرب العزيز
مولاه ففي ذلك استشهاد به وتقريع له والتصريح لبدن للنسوة المذكورات
لا للبس لانها حالة يوسف على ذنب قال ما
خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء
قالت امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
المعنى فجمع الملك النسوة وامراة العزيز معهن وقال لهن ما خطبكن الاية
اي اي شيء كانت قصتكن فهو استدعا منه ان تعلمنه القصة فجاوب النساء
بجواب جيد يظهر براءة انفسهن جملة واعطين يوسف بعض براءة وذلك
ان الملك لما قرر لهن انهن راودنه قلن جوابا عن ذلك حاش لله ويحتمل على
بعد ان يكون قولهن حاش لله في جهة يوسف عليه السلام ما علمنا
عليه من سوء ليس بابرا تام وانما كان الابرا التام وصف القصة على وجهها حتى
يستقر الخطا فيهن ولو قلنا ما علمنا عليه الا خيرا لكان ادخل في التبرئة
وقد بوب البخاري على هذه الالفاظ على انها تزكية وادخل قول اسامة بن زيد

في جهة الامل اما الملك ولا نعلم عليه الا خيرا واما الملك فلا يسع بذلك في تزكية
الشاهد لانه ليس باثبات العدالة قال البعض للمسترين فلما سمعت زوجة
العزيز مقالتهن وحيدتهن عن الوقوع في الخزي حضرتها نيته فعنت فقالت الان
حصحص الحق وحصحص معناه تبين بعد خفائه قاله الخليل وغيره وقيل
هو ماخوذ من الحصة اي بانت حصته من حصة الباطل ثم اقرت على
نفسها بالمراودة والتزمت الذنب وابرات يوسف البراة الكلية
قوله عز وجل ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا
يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي
ان ربي غفور رحيم قالت جماعة من اهل التاويل هذه المقالة هي
من يوسف عليه السلم اي ذلك ليعلم العزيز سيدي اني لم اخنه في اهله وهو
غائب وليعلم ان الله تعالى لا يهدي كيد خائن ولا يرشد سعيه والهدي للكيد
مستعار بمعنى لا يكمله ولا يمضيه على طريق اصابة وورد يهدي اذا
كان من يهدي في مصلحة واختلفت هذه الجماعة فقال ابن جريج هذه
المقالة من يوسف هي متصلة بقوله للرسول ان ربي بكيدهن عليم وفي هذا
الكلام تقديم وتاخير فالاشارة بقوله ذلك على هذا التاويل هي الى بقائه
في السجن والتماسه البراة اي هذا ليعلم سيدي اني لم اخنه وقال بعضها
انما قال يوسف هذه المقالة حين قالت امراة العزيز كلامها الى قولها وانه
لمن الصادقين فالاشارة على هذا الى اقرارها وصنع الله تعالى فيه وهذا
يضعف لانه يقتضي حضوره مع النسوة عند الملك وبعد هذا قول الملك
ايتوني به وقالت فرقة من اهل التاويل هذه الاية من قول امراة العزيز
وكلامها متصل اي قولي هذا واقراري ليعلم يوسف اني لم اخنه في غيبته
بان اكذب عليه وارميه بذنب هو بري منه والتقدير على هذا التاويل توبي
واقراري ليعلم اني لم اخنه وان الله لا يهدي وعلى ان الكلام من يوسف يجي ترتيبه

وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين **وقوله تعالى** وما ابرئ نفسي الايه
هذا ايضا مختلف فيه هل هو من كلام يوسف او من كلام المراه حسب ما قلنا
ثم من قال انه من كلام يوسف روي في ذلك عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لما قال يوسف اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل
ولا حين هممت وحللت سراويلك وقال نحو ذلك ابن عباس وابن جبير وعكرمة
والضحاك وروي ان المراه قالت له ذلك قاله السدي وروي ان يوسف تذكر ما
هم به ما كان يمر به فقال وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء قاله
ابن عباس ايضا ومن قال ان المراه قالت وما ابرئ نفسي وجه كلامها الاعتذار
عن وقوعها فيما يقع فيه البشر من الشهوات كانها قالت وما هذا
ببدع ولا ذلك خارج عن البشر فابرئ انا منه نفسي والنفوس امارات بالسوء
مائلة اليه وامارة بناء مبالغة وما في قوله الا ما رحم ربي مصدر به
هذا قول الجمهور [illegible] وهو على هذا استثناء منقطع اي الا رحمة ربي
ويجوز ان يكون بمعنى من وهذا على ان تكون النفس يراد بها النفوس اذ النفس تجري
صفة لمن يعقل كالعين والسمع كذا قال ابو علي فيعود الا ربه
الا النفوس التي رحمها الله **قال القاضي ابو محمد** واذ النفس
اسم جنس فصح ان يقع بمعنى من اذ هي لذلك صفات من يعقل والحاسه
وهو نص كلام المبرد وهو عندي معنى كلام سيبويه وهو مثله
اي على ذلك في المعاداة ويجوز ان يكون ما ظرفية المعنى ان النفس امارة
بالسوء الا مدة رحمة الله العبد وذهابه بها عن اشتهاء المعاصي ثم
ترجى في احسن الايه بقوله ان ربي غفور رحيم

قوله عز وجل وقال الملك ائتوني به استخلصه
لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم

وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من
نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون
المعنى ان الملك لما تبينت له براءة يوسف مما نسب اليه وتحقق في
القضية امانته وهمته الصبر [illegible] عظمت منزلته عنده وتيقن
حلاه وقال ائتوني به استخلصه لنفسي وهذا الذي ام يوسف عليه السلام
ثبته في السجن ان يرتقي الى اعلى المنازل فتامل ان الملك قال اولا حين
تحقق علمه ائتوني به فقط فلما فعل يوسف ما فعل وظهرت امانته وصبره
وعلو همته وجودة نظره قال ائتوني به استخلصه لنفسي فلما جاءه وكلمه
قال انك اليوم لدينا مكين امين فدل ذلك على انه راى من كلامه وحسن منطقه
ما صدق به الخبر او اربى عليه اذ المرء مخبوء تحت لسانه ثم لما زاد اول الاعمال [illegible]
القرب حتى ولاه خطة العزيز وامين من الامانة وقال فرقة هو بمعنى امين
وهذا ضعيف لانه يخرج من نمط الكلام ويحط الرتبة يوسف لمراه وروي
ان الملك لما ادنى يوسف قال له اني اشاركك في كل شيء الا اني احب الا تشركني في
اهلي والا تاكل معي عندي فقال يوسف انا ابن اولى ان لا اشركك [illegible]
انا ابن ابراهيم الخليل وابن اسحاق الذبيح وابن يعقوب الصديق وفي هذا الحديث بعد
وضعف وقد قالت فرقة انما جرى في اول امره كان ياكل مع العزيز فلما جرت
قصة المراه قالت للعزيز ايدع هذا يواكلك فقال له ادخل فكل مع العبيد
فانف وقال ما تقدم اما ان الظاهر من قصته وقت محاورة الملك انه كان
على عبوديته والا فكان اللائق به ان يحمي نفسه عن [illegible] ولان القوم كانوا اهل
اوثان ومحاورة يوسف لصاحبي السجن تقضي بذلك والله اعلم وعرض [illegible]
ملك ادنى [illegible] اسم [illegible] ولو كان حالا كان [illegible]
قبل [illegible] ملك او امير ولهذا [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل
عظيم الروم ولم يقل ملكا [illegible] والحق ان يسلم ويسلموا

وأما قوله عظيمهم فتلك صفة لا تفارقه لتغير ما ملك ولو لبث له
النبي عليه السلام أمير الروم لتمسك تلك الحجة على نحو تمسك زياد
في قوله شهد والله أبو حنش **وقوله تعالى** قال اجعلني على
خزائن الأرض الآية فهم يوسف عليه السلام من الملك أنه عزم
على تصريفه والاستعانة على نظره في الملك فألقى يده في الفصل
الذي يجد فيه المعدلة وترتيب الإحسان إلى واجب ووضع الحق
على أهله وعند أهله قال بعض أهل العلم في هذه الآية
ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر بشرط أن يعلم أنه يفوض
إليه في فصل ما لا يعارض فيه فيصلح منه ما شاء وأما إن كان عمله
بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره فلا يجوز له ذلك **قال**
القاضي أبو محمد وطلب يوسف عليه السلام للعمل إنما هي حسبة
منه عليه السلام لرغبته في أن يقع العدل ويجتهد أن يوصل إلى
كفعل الصديق رضي الله عنه في الخلافة مع نهيه المستشير له
من الأنصار عن أن يتأمر على اثنين ثم له الخيار للفاضل أن يعمل
ويطلب العمل إذا رأى أن لا عوض منه وجائز أيضا للمرء أن
يثني على نفسه بالحق إذا جهل أمره والخزائن لفظ عام لجميع ما تختزنه المملكة
من طعام ومال وغيره وحفيظ عليم صفتان تعم وجوه الثقة
والحيطة لا خلل معها لعامل وقد خصص الناس هاتين الصفتين أشياء
مثل قول بعضهم حفيظ بالحساب عليم بالألسن وقول بعضهم حفيظ
لما استودعتني عليم بسني الجوع وهذا كله تخصيص لا وجه له وإنما
أراد باتصافه أن يعم وجوه التثقيف والحيطة الذي يحتاج إليه الوالي على خزائن
الأرض فاتصف بأنه يحفظ المجبى من كل جهة يحتاج إلى الحفظ ويعلم
التناول أجمع وروي عن مالك بن أنس أنه قال مصر خزانة الأرض

واحتج

واحتج بهذه الآية **وقوله** خزائن الأرض يريد أرض مصر إذ لم يكن بمملكة فرعون
إلا هي فقط ويحتمل أن سمى خزائنه الأرض بتسميتها ببلاد الأرض وتوسطها
فيها مثل البلاد **وقوله** وكذلك مكنا ليوسف الآية الإشارة بذلك إلى
ما تقدم من جميل صنع الله به ولهذه الأفعال المنصوصة وحيا
في الجب وتعليمناه مكنا له في الأرض فروي أن العزيز مات في
تلك الليالي وقال ابن إسحاق بل عزله الملك ثم مات إطفير فولاه الملك
مكانه وزوجه زوجته فلما دخل عليه عروسا قال لها أليس
هذا خيرا مما كنت أردت فقالت له أيها الصديق لا تلمني فإني كنت في غاية الجمال
والنساء عندنا وكان زوجي لا يطأ فغلبتني نفسي في حبك فدخل
بها فوجدها بكرا وولدت له ولدين وروي أن الملك عزل العزيز
وولاه موضعه ثم عظم ملك يوسف وتغلب على حال الملك أجمع
قال مجاهد وأسلم الملك آخر عمره ودرس أمر العزيز وذهبت
دنياه ومات وافتقرت زوجته وزمنت وشاخت فلما كان في
بعض الأيام لقيت يوسف في طريق والجنود حوله ووراءه وعلى رأسه
بنود عسكرية بهذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان
الله وما أنا من المشركين فصاحت به وقالت سبحان من أعز العبيد بالطاعة
وأذل الأرباب بالمعصية فعرفها وقالت له تعطف علي وارزقني شيئا
فدعا لها وكلمها وأشفق لحالها ودعا الله تعالى فرد عليها جمالها وتزوجها
وروي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته ويطول الكلام بسوقه
وقرأ الجمهور حيث يشاء على الإخبار عن يوسف وقرأ ابن كثير وحده حيث
نشاء بالنون على ضمير المتكلم أي حيث يشاء الله من تصرف يوسف على
اختلاف تصرفه وحكى أبو حاتم هذه القراءة عن الحسن وشيبة ونافع
وأبي جعفر بخلاف عن الثلاثة المدنيين قال أبو علي إما أن يكون يتبوأ

علماء

يعد من هذه القراءة حيث يشاء من المحاريب والمتعبدات واحوال
الطاعات فهو موقن بهما الله وبشاويها وامّا ان نكون مصيبا لحيث
يشاء يوسف وهي اضاف الله عز وجل المشيئة الى يوسف الذي حيث
هو عبد من عبيده وكانت مشيئته بقدرة الله تعالى وقوته كما قال
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهذا الله من الى على رعيه اعرابيه
ويحفظ بان اعمال العباد من فاعل فاعله واللام في قوله منها ليوسف
يجوز ان يكون على حد التي في قوله ردف لكم وللرؤيا تعبرون **قوله**
يتبوأ منها في موضع نصب على الحال وحيث يشاء نصب على الظرف
او على المفعول به كما قال الشماخ   حيث تلوى النواجر
ونأتي الاية من ولما تقدم في هذه الاية ان الاحسان من العبد
والجزاء عليه من الحق لا يضيع عمل الله ولا يدري حسن عاقبته في
الدنيا عقب ذلك بان حال الاخرة احمد واجرى ان يجعل عوضا معقبا
وهذا هو الذي ينزع من الاية بحسب المعتقد بالايمان والتقوى من الناس
وما مع ذلك اشارة الى ان الذي من الاخرة خير من حاله العظيمة
في الدنيا **قوله عز وجل** وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه
فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم
تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون   قال السدي
وغيره سبب مجيئهم ان المجاعة التي ابدرها يوسف اصابت البلاد
التي كان بها يعقوب ه وروي انه كان في العرباب من ارض فلسطين بغور
الشام وقيل كان بالاولاج من ناحية الشعب وكان صاحب بادية
له ابل وشاء فاصابهم الجوع وكان اهل مصر قد استعدوا وادخروا
من السنين الخصبة وكان الناس يمتارون من عند يوسف وهو في رتبة العزيز

المتقدم

المتقدم وكان لا يعطي الوارد اكثر من حمل بعير يسوي بين الناس فلما ورد
اخوته عرفهم يوسف ولم يعرفوه هم لبعد العهد وتغير سنه ولم يقع لهم
بسبب ملكه ولسانه القبطي ظن عليه ه وروي في بعض القصص انه لما عرفهم
اراد ان يعرفوه بجمع لهم فناجيهم بان قال لهم بترجمان اظنكم جواسيس
فاحتاجوا الى منتهى الى التعريف بانفسهم فقالوا نحن ابناء رجل صديق
وكنا اثني عشر ذهب منا واحد في البرية وبقي اصغرنا عند ابينا وجئنا
نحن للميرة وسقنا بعير الباقي منا وكانوا عشرة ولهم احد عشر بعيرا
فقال لهم يوسف ولم تخلف احدكم قالوا لمحبة ابينا فيه قال فاتوني
بهذا الاخ حتى اعلم حقيقة امركم وارى لم احبه ابوكم اكثر منكم ان كنتم
صادقين وروي في القصص انهم وردوا مصر واستأذنوا على العزيز
وانتسبوا في الاستئذان فعرفهم وامر بانزالهم وادخلهم في يوم
على هيئة عظمة الملك وانه سينفعه وروي انه كان متلثما ابدا سترا
بجماله وانه كان يأخذ الصواع فينقره ويفهم من طنينه صدق ما يحدث او
كذبه فسئلوا عن اخبارهم فكلما صدقوا قال لهم يوسف صدقتم فلما
قالوا وكان لنا اخ اكله الذئب اطن يوسف الصواع وقال كذبتم ثم تغير لهم
وقال اراكم جواسيس وكلفهم سوق الاخ الباقي ليظهر صدقهم في ذلك
قصص طويلة جاءت الاشارة اليه في القرآن وجيزة والجهاز ما يحتاج
اليه المسافر من زاد ومتاع وكل ما يحمل وكذلك جهاز العروس وجهاز الميت
وقول يوسف عليه السلام الا ترون اني اوفي الكيل الاية يرغبهم
في نفسه اخي او يونسهم ويستميلهم والمنزلين يعني للضيفان في قطره ووقته
والجهاز المشار اليه الطعام الذي كان حمله لهم ثم توعدهم انهم ان لم يأتوا بالاخ
فانهم لا كيل لهم عنده في المستأنف وامرهم ان لا يقربوا له بلدا ولا طاعة
ولا تقربون نهي لفظا ومعنى ويجوز ان يكون لفظه الخبر ومعناه النهي محذوف

ان ع

إحدى النونين كما قرئ فبم تبشرون بكسر النون وبمد داخر ادغم وخلط الناس
في هذا الموضع وقال مالك رحمه الله يمكن من الآية وما يليها منع أن
كيل الطعام على البائع ولذلك في الرواية الشهيرة والتولية أنها مثل البيع
والرواية في القرض أن الكيل على المقترض ٥ وروي أنه حبس منهم شمعون
رهينة حتى يجوه بيامين قاله السدي وروي أنه قال كان يوسف يلقي حصاة
في إناء فضة مخوص بالذهب فيطن فيقول إن هذا الإناء يخبر أن لكم أبا شيخا
كأنها حيلة وإيهام لهم ٥ وروي أن ذلك الإناء كان كيل الطعام
إظهارا لعزته بحسب غلائه في ذلك المدة ٥ وروي أن يوسف استوفى
في تلك السنين أموال الناس ثم أملاكهم ثم ما لك ليس لأحد في أرض مصر ومراعيها
ملك وظاهر كلما تعلله يوسف معهم أنه بوحي وأمر وإلا فكان بر يعقوب
يقتضي أن يبدر إليه ويستدعيه لكن الله تعالى أعلمه بما يصنع ليكمل أجر يعقوب
ويتفسر أمر الرؤيا الأولى **قوله عز وجل** قالوا سنراود عنه أباه
وإنا لفاعلون وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها
إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا
الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون ٥ تقدم معنى
المراودة أي سنفاتل أباه في أن يتركه يأتي معنا البلد يشددوا من المقالة
بأن الزموا أنفسهم في قولهم وإنا لفاعلون وأراد يوسف عليه السلام المبالغة في
استمالتهم بأن رد كل واحد منهم في رحله من طعامه وأمر بذلك فتيانه وقرأ
ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر لفتيته وقرأ حمزة والكسائي لفتيانه
واختلف عن عاصم فالفتية للقلة على مراعاة المأمورين وفتيان للكثرة على
مراعاة المتناولين وهم الخدمة ويكون هذا الوصف للحر والعبد وفي مصحف ابن مسعود
وقال لفتيانه وهو كائلوهم **وقوله** لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون لها
يدا أو تكرمة يرون حقها فيرغبون فينا فلعلهم يرجعون حينئذ وأما ميز البضاعة

فلا

فلا يقال أنه يعلل وقيل قصد يوسف برد البضاعة أن يتحرجوا من أخذ
الطعام بلا ثمن فيرجعوا لدفع الثمن وهذا ضعيف من وجوه وسرورهم
بالبضاعة وقولهم هذه بضاعتنا ردت إلينا يكشف أن يوسف لم
يقصد هذا وإنما قصد أن يستميلهم ويصلهم فرغبهم في نفسه كالذي
كان وخص البضاعة بعينها دون أن يعطيهم غيرها من الأموال لأنها أوقع
في نفوسهم إذ يعرفون حلها وماله هو إنما كان عندهم مالا مجهول الحال
غايته أن يستجاد على نحو استجادتهم قبول المنن ويظهر إنما فعل يوسف من
صلتهم وجبرهم في تلك الشدة كان واجبا عليه إذ هو ملك عدل وهم أهل
إيمان ونبوة وقيل علم عدم البضاعة والدراهم عند أبيه فرد البضاعة
إليهم لئلا يمنعهم العدم من الانصراف إليه وقد جعلها توطئة لجعل السقاية
في رحل أخيه بعد ذلك ليبين أنه لم يسرق لمن يتأمل القصة والظاهر من القصة
أنه إنما أراد الاستئلاف وصلة الرحم وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو
وعاصم وابن عامر نكتل بالنون على مراعاة منع منا ولقوله ونمير أهلنا
ونزداد ٥ وقرأ حمزة والكسائي يكتل بالياء أي يكتل يامين كما اكتلنا نحن
وأصل نكتل نكتيل وزنه نفتعل وقولهم منع منا ظاهره أنهم أشاروا
إلى قوله فلا كيل لكم عندي فهو خوف في المستأنف وقيل أشاروا إلى بعير
يامين الذي لم يمتر والأول أرجح ثم تضمنوا له حفظه وحيطته ٥ وقوله
قوله عز وجل قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل
فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا
ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ٥ **قوله** هل
توقيف وتقرير وتألم يعقوب عليه السلام من فرقة يامين ولم
يصرح بمنعهم من حمله لما رأى في ذلك من المصلحة لحاجة العلم

يعلمه ظما نينه اليهم وانه يخاف عليه من كيدهم ولم يخاطر

امرهم انهم قد كانوا تابوا وانتقلت حالهم فلم يحف كمثل ما خافوا على

يوسف من قبل لكن اعلم ان في نفسه شيا ثم استسلم لله تعالى بخلاف

عادته في قصة يوسف وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم

في رواية ابي بكر حفظا وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم

خير حافظا على الحال وضعف ذلك ابو علي الفارسي لان الحال لا يدل للكلام

والمعنى فيها وذلك بخلاف شرط الحال واما المعنى ان حافظ الله

خير من حافظكم ومن قرا حفظا فهو مع قولهم ونحفظ اخانا ومن قرا حافظا

فهو مع قولهم وانا له لحافظون فاستسلم يعقوب عليه السلام لله وتوكل

عليه قال ابو عمرو الداني قرا ابن مسعود فالله خير حافظا وهو خير

الحافظين وفي هذا بعد **وقوله** يحوا اساعهم سمي المشدود المربوط

يحمله متاعا فلذلك حسن الفتح فيه وقرا جمهور الناس ردت بضم

الراء على اللغة الفاشية عن العرب وفيها لغة من يشم ولغة

من يكسر وقرا علقمة ويحيى بن وثاب ردت بكسر الراء على لغة من

يكسر وهي في قصة قال ابو الفتح واما المعتل نحو قيل وبيع

فالفاشي فيه الكسر ثم الاشمام ثم الضم فيقولون قول وبوع

واشد ثعلب وقول لا بل لا وذا مال قال الزجاج من قرا

ردت بكسر الراء جعلها منقولة من الدال كما فعل في قيل وبيع لتدل على

ان اصل الدال الكسر وقوله ما نبغي يحتمل ان يكون ما استفهاما قاله قتادة

ومعنى من البغية اي ما ذا نطلب بعد هذه الكرامة هذا مالنا رد الينا مع ميرتنا

قال الزجاج يحتمل ان يكون ما نافية اي ما بقي لنا ما نطلب ويحتمل

ان يكون ايضا نافية ويكون من البغي اي ما تعدينا فكذبنا على

هذا الملك ولا في وصف اجماله وامراته هذه البضاعة مردودة

وقرا ابو حيوة ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب وهو بمعنى ما تريد وما

تطلب قال المهدوي ورويت عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم

وقرا فرقة ونمير بفتح النون من مار يمير اذا طلب الخير ومن ذلك

قول الشاعر بعثتك مايرا فمكثت حولا متى يأتي غياثك من تغيث

وقرات عايشة رضي الله عنها ونمير بضم النون وهي قراءة ابي عبد الرحمن السلمي

وعلى هذا الفعل مار وامار بمعنى وقولهم ونزداد كيل بعير

يريدون بعير اخيهم اذ كان يوسف انما حمل لهم عشرة ابعرة ولم يحمل الحادي

عشر لغيبة صاحبه وقال مجاهد كيل بعير اراد كيل حمار قال وبعض

العرب يقول للحمار بعير وهو شاذ وقولهم ذلك كيل يسير يقرر

لغير الف لي اذ ذلك كيل يسير في مثل هذا العام فيهمل امره وقيل معناه

يسير على يوسف ان يعطيه وقال الحسن البصري وقد كان يوسف وعدهم

ان يزيدهم حمل بعير لغير ثمن وقال السدي معنى ذلك كيل يسير

اي سريع لا يحبس فيه ولا يمطل **قال القاضي ابو محمد** ويشبه ان

هذا اشبه بقرب الاوبة **قوله عز وجل** قال لن ارسله معكم

حتى توتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه

موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد

وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شي

ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ۝

اراد يعقوب عليه السلام ان يتوثق منهم والموثق مفعل من الوثاقة

فلما عاهدوه اشهد الله بينه وبينهم بقوله الله على ما نقول وكيل

والوكيل القيم الحافظ الضامن وقرا ابن كثير توتوني بياء في الوصل

والوقف وروي عن نافع انه وصل بياء ووقف دونها والباقون تركوا

الياء في الوجهين **وقوله** لا تدخلوا من باب واحد قيل خشي عليهم العين

لكونهم احد عشر لرجل واحد وكانوا اهل جمال وبسطة قاله ابن عباس
والضحاك وقتادة وغيرهم والعين حق وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وفي
تعوذه عليه السلام اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة وقيل خشي ان يستراب بهم لقول يوسف
من قبل انتم جواسيس ويضعف هذا ظهورهم قبل بمصر وقيل طمع
بافتراقهم ان يسمعوا او يطلعوا خبر يوسف وهذا ضعيف يرده
وما اغني عنكم من الله فان ذلك لا يترتب على هذا المقصد **وقوله**
الا ان يحاط بكم لفظ عام لجميع وجوه الغلبة والقهر والمعنى تعمكم الغلبة
من جميع الجهات حتى لا يكون لكم حيلة ولا وجه تخلص وقال مجاهد
المعنى الا ان تهلكوا جميعا وقال قتادة الا ان تطيقوا ذلك وهذا
ترجمة لفظ الآية وانظر ان يعقوب عليه السلام قد توثق في
هذه القضية واشهد الله تعالى ووصى بنيه واخبر بعد ذلك
ان هذا التوكل مع التسبب وهو توكل جميع المومنين الا من شذ
في رفض السعي وقنع بالماء وبقل البرية ونحوه فتلك غاية التوكل
وعليها بعض الانبياء عليهم السلام والشارعون منهم مثبتون سنن التسبب
الجائز وما تجاوز ذلك من الالقاء باليد مختلف في جوازه وقد فصله
بعض المحدثين له ولا اقول ذلك وباقي الآية بين **قوله عز وجل**
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء
الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه
لكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه
قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون روي انه لما
ودعوا اباهم قال لهم بلغوا ملك مصر سلامي وقولوا له ان ابانا يصلي

عليك

عليك ويدعو لك ويشكر صنيعك معناه وفي كتاب ابي منصور المهدي
انه خاطبه بكتاب قرئ على يوسف فبكى وقوله ما كان يغني عنهم من الله
من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها [illegible] قوله لم يكن في ذلك
دفع قدر الله بل كان اربا ليعقوب قضاه وطيبا لنفسه بمسك وامر
بحسبه بجواب لما في معنى قوله ما كان يغني عنهم من الله من شيء
والحاجة استثناء ليس من الاول والحاجة هي ان يكون طيب النفس
بدخولهم من ابواب متفرقة خوف العين قال مجاهد الحاجة خيفة العين وقاله
ابن اسحق وفيه عبادة بجوز وقطرها اي العقل ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيذكره في قبر بحجر وقال ان هذا لا يغني شيئا ولكنه تطييب
لنفس الحي قوله عندي ما كان يغني عنهم من الله من شيء معناه ما رد عنهم قدرا
لانه لو قضي ان يصيبهم عين لاصابتهم مفترقين ومجتمعين وانما طمع يعقوب
ان يصادف وصيته القدر في سلامتهم ثم اثنى الله عز وجل على يعقوب
بانه لذو علم لما علمه الله من هذا المعنى واندرج غير ذلك في العموم وقال ان اكثر
الناس ليس لهم ذلك وقيل معناه انه لعامل بما علمناه قاله قتادة وقال
سفيان من لا يعمل لا يكون عالما وهذا لا يعطيه اللفظ اما انه صحيح في نفسه
يرجحه المعنى وما يقتضيه منزلة يعقوب عليه السلام قال ابو حاتم
وقرأ الاعمش لذو علم بما علمناه ويحتمل ان يكون جواب لما في هذه الآية محذوفا
مقدرا ثم يخبر عن دخولهم انه ما كان يغني الآية **وقوله تعالى** ولما دخلوا على يوسف
الآية المعنى انه لما دخل اخوة يوسف عليه ورأى اخاه شكر ذلك لهم
على ما روي وضم اخاه اليه وآواه الى نفسه ومن هذه الكلمة المأوى
وكان يامين شقيق يوسف فآواه وصورة ذلك بما روي عن ابن اسحق وغيره
ان يوسف عليه السلام امر صاحب ضيافته ان ينزلهم رجلين رجلين فبقي
يامين وحده فقال يوسف انا انزل هذا مع نفسي ففعل وبات عنده وقال له

اني انا اخوك واختلف المتأولون في هذا اللفظ فقال ابن اسحق وغيره
اخبره بانه اخوه حقيقة واستكتمه وقال له لا تبال بكل
ما تراه من المكروه في تحيلي في اخذك منهم وعلى هذا التأويل يحتمل
ان يشير بقوله بما كانوا يعملون الى ما يعمله فتيان يوسف من امر السقاية
ونحو ذلك ويحتمل ان يشير الى ما عمله الاخوة قديما وقال وهب
ابن منبه انما اخبره انه اخوه في الود مقام اخيه الذاهب ولم يكشف
اليه الامر بل تركه تجوز عليه الحيلة كسائر اخوته وتبتئس تفتعل من
البؤس اي لا تحزن ولا تهتم وهذا اظهر المفسرين **قوله عز وجل**
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن
ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا
نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله
لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما
جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه
كذلك نجزي الظالمين ه هذا من الكيد الذي يسره الله ليوسف
عليه السلام وذلك انه كان في دين يعقوب ان يستعبد السارق وكان
في دين مصر ان يضرب ويضعف عليه الغرم فعلم يوسف ان
اخوته لثقتهم براءة ساحتهم سيدعون في السرقة الى حكمهم فتحيل لذلك
واستسهل الامر على ما فيه من رمي ابرياء بالسرقة وادخال الهم
على يعقوب عليه السلام وعليهم لما علم في ذلك من الصلاح
في الآجل وبوحي لا محالة وارادة من الله محنتهم بذلك هذا تأويل قوم
ويقويه قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف وقيل انما اوحى الى
يوسف ان يجعل السقاية فقط ثم ان حافظها فقدها فنادى برأيه
على ما ظهر اليه ورجحه الطبري وتفتيش الاوعية يرد عليه وقيل انهم

لما كانوا

انهم لما كانوا قد باعوا يوسف استجاز ان يقال لهم هذا وانه عوقب على ذلك
بان قالوا فقد سرق اخ له من قبل وقوله جعل اي بامره خدمته وفي
قراءة ابن مسعود وجعل بزيادة واو والسقاية الاناء الذي يشرب به
الملك وبه كان يكيل الطعام للناس هكذا نص جمهور المفسرين ابن
عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن زيد وفي [illegible]
انها شكل لها رأسان ويصل بينهما مقبض تمسك الايدي فيه فيكال
الطعام بالرأس الواحد ويشرب بالرأس الثاني او بهما فيشبه ان
يكون لشرب اضياف الملك وفي اطعامه الحفيلة التي يحتاج
فيها الى اعظم الاواني وقال سعيد بن جبير الصواع هو
مثل المكوك الفارسي وكان اناء يوسف الذي يشرب فيه وكان
الى الطول ما هو قال وحدث ابن عباس انه كان للعباس مثله
يشرب به في الجاهلية وقال ابن جبير ايضا الصواع المكوك
الفارسي الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب فيه الاعاجم وروي انها
كانت من فضة وهذا قول الجمهور وروي انها كانت من ذهب قال
الزجاج وقيل كانت من مسك وقد روي هذا الفتح القيم وقيل كان
يشبه الطاس وقيل من نحاس قاله ابن عباس ايضا ولعزة الطعام
في تلك الاعوام قصر كيله على ذلك الاناء وكان هذا الجعل بغير
علم من يامين قاله السدي وهو الظاهر فلما فصلت العير باوقارها وخرج
من مصر فيما روي وقالت فرقة بل قبل الخروج من مصر امر بهم فحبسوا
واذن مؤذن ومخاطبة العير تجوز والمراد اربابها وانما المراد اهلها
القافلة او الرفقة وقال مجاهد كانت دوابهم حميرا ووصفهم بالسرقة
من حيث سرق في الظاهر احدهم وهذا كما تقول بنو فلان قتلوا فلانا وانما
قتله احدهم فلما سمع اخوة يوسف هذه المقالة اقبلوا عليهم وساءهم

ان ترموا بهذه المنقبة وقالوا ماذا تفقدون ليقع التفتيش فتظهر براءتهم
ولم يلوذوا بالانكار من اول بل تناولوا اكمال الدعوى عسى ان يكون فيها ما
يبطل به فلا يحتاج الى خصام ه وقرا ابو عبد الرحمن تفقدون بضم التاء وضعفه
ابو حاتم قالوا نفقد صواع الملك وهو المكيال وهو السقاية وسمه
اولا باحدى جهتيه واخرى بالثانية وقرا جمهور الناس صواع بضم الصاد
وبالف وقرا ابو حيوة صواع بكسر الصاد وبالف وقرا ابو هريرة
ومجاهد صاع الملك بفتح الصاد دون واو ه وقرا ابو عبد الله بن
عون صوع بضم الصاد وقرا ابو رجا صوع وهي لغات في المكيال
قاله ابو الفتح وغيره ذكر يؤنث من الاسما ويذكر وقال ابو عبيد
يؤنث الصاع من حيث سمي سقاية ويذكر من حيث هو صاع وقرا
يحيى بن يعمر صوغ بالغين معجمة وهذا على انه الشي المصوغ للملك
على ما روي انه كان من ذهب او من فضة فهو مصدر سمي به وروي هذه
القراءة عن ابي رجا قال ابو حاتم وقرا سعيد بن جبير والحسن
صواغ بضم الصاد والف وغين معجمة وقوله ولمن جاء به حمل
بعير وانا به زعيم اي لمن دل على سارقه وفضحه وجبر الصواع
وهذا جعل وقوله وانا به زعيم حماله وذلك انه لما كان الطعام
لا يوجد الا عند الملك فهم من المؤذن انه انما جعل عن غيره فلخوفه ان
لا يوثق بهذه الحمالة اذ هي عن الغير تحمل مع ذلك قال مجاهد الزعيم هو
المؤذن الذي قال ايتها العير والزعيم الضامن في كلام العرب ويسمى الرئيس
زعيما لانه يتضمن حوائج الناس **وقوله** قالوا تالله الاية روي ان اخوة
يوسف كانوا ردوا البضاعة الموجودة في الرحال وتحرجوا من اكل الطعام
بلا ثمن فلذلك قالوا لقد علمتم اي قد علمتم منا التحري وروي انهم كانوا
قد اشتهروا في مصر بصلاح وتعفف وكانوا يجعلون الاكمة في افواه ابلهم

لئلا

لئلا تنال زروع الناس فلذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين والتاء في تالله بدل من واو كما ابدلت في تراث وفي
التورية وفي التخمة ولا تدخل التاء في القسم الا في المكتوبة من اسماء
الله تعالى وغير ذلك لا تقول تالرحمن ولا تالرحيم **وقوله تعالى**
قالوا فما جزاؤه الاية قالوا فتيان يوسف فما جزاء السارق ان تبين
كذبكم في قولكم وما كنا سارقين فاجابهم اخوة يوسف جزاء السارق
الحكم الذي يتضمنه هذه الالفاظ من وجد في رحله فهو
جزاؤه **وقوله** جزاؤه الاول مبتدا ومن مبتدا ثان شرط او بمعنى الذي
فهو جزاؤه خبر من والجملة خبر قوله جزاؤه الاول والضمير في قالوا
جزاؤه للسارق ويصح ان يكون من خبرا على ان المعنى جزاء السارق من
وجد في رحله والضمير في رحله عائد على من ويكون قوله فهو جزاؤه
زيادة بيان وتاكيد وليس هذا الموضع عندي من مواضع ابراز الضمير على
ما ذهب اليه بعض المفسرين ويحتمل ان يكون التقدير جزاؤه استرقاق
من وجد في رحله ثم يؤكد بقوله فهو جزاؤه وقولهم هذا
قول من لم يسترب بنفسه لانهم التزموا استرقاق من وجد في رحله وكان
الدين موجب شرعهم ان لا يوخذ الا من صحت سرقته وامر
بامر في السقاية محتمله لانهم التزموا ان من وجد في رحله فهو مأخوذ
على انه سارق وقولهم كذلك نجزي الظالمين اي هذه سنتنا
وديننا في اهل السرقة ان يتملك السارق كما يتملك هو الشي المسروق
ونقل بعض الناس ان هذا الحكم كان في اول الاسلام ثم
نسخ بالقطع وهذا ضعيف فما كان قط فيما علمت وحكى الزهراوي
عن السدي ان حكمهم انما كان ان يستخدم السارق على قدر سرقته وهذا
يضعفه رجوع الصواع فكان ينبغي ان لا يوخذ بامر اذ لم يبق فيما يخدم

ق

قوله عز وجل فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من
وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن
يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم
بداءته [illegible] أوعيتهم تمكين للحيلة وإبعاد لظهور أنها حيلة
وقرأ جمهور الناس وعاء بكسر الواو وقرأ الحسن وعاء بضمها وقرأ
رجل من إعاء بهمزة بدل الواو وذلك شائع في الواو المكسورة وهو
في المضمومة وقد جاء في المفتوحة أحد في وحد وأضاف الله تعالى
الكيد إلى ضميره لما أخرج القدر الذي أباح به ليوسف أخذ أخيه
مخرج ما هو في اعتياد الناس كيد وقال السدي
والضحاك كدنا معناه صنعنا ودين الملك فسره ابن عباس بسلطانه
وفسره قتادة بالقضاء والحكم وهذه استعارات والاستثناء في هذه
الآية حكاية حال التقدير إلا أن شاء الله ما وقع من هذه الحيلة
ويحتمل أن يقدر إلا أن يشاء الله ما قدره النبي وقرأ الجمهور نرفع على ضمير
المعظم ونشاء كذلك وقرأ الحسن وعيسى ويعقوب بالياء أي الله تعالى
وقرأ أبو عمرو ونافع وأهل المدينة درجات من بإضافة الدرجات إلى
من وقرأ عاصم وابن محيصن درجات من بتنوين الدرجات وقرأ
الجمهور وفوق كل ذي علم عليم وقرأ ابن مسعود وفوق كل ذي عالم
والمعنى أن البشر في العلم درجات فكل عالم فلا بد من أعلم منه
فأما من البشر وأما الله عز وجل أعلم وأما على قراءة ابن مسعود فقيل
ذي زائدة وقيل عالم مصدر كالباطل وروي أن المفتش كان إذا فرغ من
رحل فلم يجد فيه شيئا استغفر الله عز وجل تائبا من فعله ذلك وظاهر
كلام قتادة وغيره أن المستغفر كان يوسف لأنه كان يفتشهم ويعلم أين الصواع
حتى فرغ منهم وانتهى إلى رحل بنيامين فقال ما أظن هذا الفتى رضي بهذا ولا أخذ

شيئا

شيئا فقالوا له والله لا نبرح حتى تفتشه فهو أطيب لنفسك
ونفوسنا ففتش حينئذ فأخرج السقاية وقيل إن التفتيش من يوسف
يقتضي أن المؤذن إنما اتهمهم برأيه فإنما يقال إن جميع ذلك كان
بأمر من الله تعالى ويقوي ذلك قوله كدنا وكيف لا يكون برأي
يوسف وهو مضطر في محاولته إلى أن يلزمهم حكم السرقة ليتم
له أخذ أخيه والضمير في قوله استخرجها عائد على السقاية
ويحتمل أن يعود على السرقة وروي أن إخوة يوسف لما رأوا ذلك قالوا
يا بنيامين ابن راحيل قبحك الله ولدت أمك أخوين لصين كيف سرقت
هذه السقاية فرفع يديه إلى السماء وقال والله ما فعلت فقالوا
فمن وضعها في رحلك قال الذي وضع البضاعة في رحالكم وما
ذكرناه من المعنى في قوله وفوق كل ذي علم عليم هو قول
الحسن وقتادة وقد روي عن ابن عباس وروى [illegible] رضي الله عنه
أنه حدث يوما بحديث عجيب فتعجب منه رجل ممن حضر وقال
الحمد لله وفوق كل ذي علم عليم فقال له ابن عباس بئس ما
قلت إنما العليم الله وهو فوق كل ذي علم عليم بئس هذا من قول
الحسن [illegible] **قوله عز وجل** قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من
قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم
بما تصفون ** الضمير في قوله قالوا لإخوة يوسف والأخ الذي
أشاروا إليه هو يوسف ونحوه [illegible] الأمر إذا كان ممن لا علم
للحاضرين به ثم انصفوا [illegible] إذا كان [illegible] ويحمل قولهم
إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يأولين أحدهما أنهم حققوا
السرقة في جانب يامين ويوسف عليه السلام بحسب ظاهر الحكم
فكأنهم قالوا إن كان هذا قد سرق فغير بدع من ابني راحيل لأن أخاه يوسف

كان قد سرق فهذا من الاخوة انحا على ابني راحيل يوسف وبنيامين والوجه
الاخر الذي يحمله لفظهم ان السرقة في جانب يوسف وبنيامين مظنونة
كانهم قالوا ان كان هذا الذي رمي به بنيامين حقا في نفسه فالذي رمي به يوسف
قبل حق ايضا وكان قصة يوسف والطرد قوي عندهم ما طمس في جهة
بنيامين وقال بعض المفسرين البصريين وقد قيل عن يوسف انه سرق ونحو
هذا من القول الذي لا يطابق معناه على لفظ الاية وهذه الاقوال منهم
عليهم السلام انما كانت بحسب الظاهر وموجب الحكم في النازلة فلم
يعنوا الى غيبة ليوسف وانما قصدوا الاخبار بامر جرى ليزول
بعض المعرة عنهم ويختص بها هذان الشقيقان واما ما روي في سرقة
يوسف فثلاثة اوجه الجمهور منها على ان عمته كانت ربته فلما شب
اراد يعقوب اخذه منها فولعت واستبقته من فراقه فاخذت منطقة
اسحق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها من تحت ثيابه ثم صاحت
وقالت اني فقدت المنطقة ويوسف قد خرج بها فوجدت عنده فاسترقته
حسب ما كان في شرعهم وبقي عندها حتى ماتت فصار عند ابيه وقال ابن
ادريس عن ابيه انما اكل بنو يعقوب طعاما فاخذ يوسف عرقا فخباه فرموه
لذلك بالسرقة وقال سعيد بن جبير وقتادة انما امرته امه ان يسرق صنما
لابيها فسرقه وكسره وكان ذلك منه وهما تغييرا للمنكر فرموه لذلك بالسرقة
وفي كتاب الزجاج انه كان صنما من ذهب والضمير في قوله فاسرها عائد
يراد به الحزة التي حدثت في نفس يوسف من قولهم والكلام يتضمنها وهذا
كما يتضمن الكلام الضمير في قول حاتم

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وكقوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فهو مرادها

الحالة

الحالة المحصلة من هذه الافعال وقال قوم اسرها المجازاة
وقال قوم اسر الحجة وما قدمناه اليق وقرا ابن ابي عبلة فاسره
يوسف بضمير تذكير **وقوله** انتم شر مكانا الاية الظاهر منه
انه قالها افصاحا فكانه اسر لهم كراهية مقالتهم ثم وبخهم بقوله
انتم شر مكانا اي لسوء افعالكم والله يعلم ان كان ما وصفتموه
حقا وفي اللفظة اشارة الى تكذيبهم ومما يقوي هذا عندي
انهم تركوا الشفاعة بانفسهم وعدلوا الى الشفاعة بالشيخ
صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة وهو ظاهر كلام ابن عباس لم
يقل يوسف هذا الكلام الا في نفسه وانما هو تفسير للذي اسر في
نفسه اي هذه المقالة هي التي اسر وكان المراد قالها في نفسه انهم
وذكر الطبري هنا قصصا اختصاره انه لما استخرج السقاية من
رحل بنيامين قال اخوته يا بني راحيل لا يزال البلاء لنا منكم فقال
بنيامين بل بنو راحيل ينالهم البلاء منكم ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع
في رحلي الذي وضع الصواع في رحالكم فقالوا لا تذكر الدراهم لئلا نؤخذ
بها ثم دخلوا على يوسف فاخذ الصواع فنقره وطن فقال ان هذا يخبر
انكم ذهبتم باخ لكم فبعتموه فسجد بنيامين وقال ايها العزيز سل صواعك
هذا عن اخي ونحو هذا من القصص الذي اثرنا اختصاره وروي ان روبيل
غضب ووقف شعره حتى خرج من ثيابه فامر يوسف بنيا له فمسه
فسكن غضبه فقال روبيل لقد مسني احد من ولد يعقوب ثم انهم تشاوروا
في محاربة يوسف بذلك وكانوا اهل قوة لا يدانون في ذلك فلما احس
يوسف بذلك قام الى روبيل فلببه وصرعه فراوا من قوته ما استعظموه
عند ذلك وقالوا يا ايها العزيز **قوله عز وجل** قالوا يا ايها العزيز
ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله

أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون فلما استيأسوا
منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا
من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي
أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ٥ خاطبوه باسم العزيز
إذ كان في تلك الخطة بعزل الأول أو موته على ما روي في ذلك وقولهم
خذ أحدنا مكانه يحتمل أن يكون مجازا وهم يعلمون أنه لا يصح أخذ حر
ليسترق بدل من قد أحكمت السنة رقه وإنما هذا كما تقول لمن تكره
فعله اقتلني ولا تفعل كذا وكذا وأنت لا تريد أن يقتلك ولكنك تبالغ في
استنزاله وعلى هذا يتجه قول يوسف معاذ الله لأنه تعوذ
من غير جائز ويحتمل أن يكون قولهم خذ أحدنا مكانه حقيقة وبعيد
عليهم وهم أنبياء أن يريدوا استرقاق حر فلم يبق إلا أن يريدوا بذلك طريق الحمالة
أي خذ أحدنا حتى ينصرف إليك صاحبك ومقصدهم أن يصل بنيامين إلى
أبيه ويعرف يعقوب جلية الأمر فمنع يوسف عليه السلام
من ذلك إذ الحمالة في الحدود ونحوها بمعنى إحضار المضمون فقط
جائزة مع التراضي غير لازمة إذا أبى الطالب وأما الحمالة في مثل هذه
على أن يلزم الحميل ما كان يلزم المضمون من عقوبة فلا يجوز ذلك إجماعا
وفي الواضحة أن الحمالة بالوجه فقط في جميع الحدود جائزة
إلا في النفس وقولهم إنا نراك من المحسنين يحتمل أن يريدوا وصفه
بما رأوه من إحسانه في جميع أفعاله معهم ومع غيرهم ويحتمل
أن يريدوا إنا نراك محسنا علينا في هذه اليد إن أسديتها إلينا وهذا
تأويل ابن إسحاق ومعاذ نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر
معه والظلم في قوله لظالمون على حقيقته إذ هو وضع الشيء في
غير موضعه ٥ وذكر الطبري أنه روي أن يوسف لما أيأسهم بلفظه هذا
قال لهم إذا أتيتم أباكم فاقرؤوا عليه السلام وقولوا له إن ملك مصر

يدعو لك

ألا تموت حتى ترى ولدك يوسف ليعلم أن في أرض مصر صديقين مثله وقوله
فلما استيأسوا منه الآية تقول يئس واستيأس بمعنى واحد كما تقول سخر
واستسخر ومنه قوله تعالى يستسخرون وكما تقول عجب واستعجب
ومنه قول أوس ٥ ويستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم
ومنه نوك واستنوك وعلى هذا يجيء قول الشاعر في بعض التأويلات
واستنوكت وللشباب نوك ٥ وهذه قراءة الجمهور وقرأ ابن كثير استايسوا
ولا تايسوا ولا يايس وحتى إذا استايس الرسل أصله استأيسوا
استفعلوا من أيس على قلب الفعل من يئس إلى أيس وليس هذا الحذف
وجيد بل هذان أصلان والأول يدل على ذلك أن المصدر من يئس
وأيس واحد وهو الياس والحذف وجيد مصدران وقوله خلصوا
نجيا معناه انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضا والنجي لفظ يوصف
من له نجوى واحدا أو جماعة أو مؤنثا أو مذكرا فهو مثل عدو وعدل
وجمعه أنجية قال لبيد

وشهدت أنجية الأفاقة عاليا كعبي وأرداف الملوك شهود

وكبيرهم قال مجاهد هو شمعون لأنه كان كبيرهم رأيا وتدبيرا وعلما وإن
روبيل أسنهم وقال قتادة هو روبيل لأنه أسنهم وهذا أظهر ورجحه
الطبري وقال السدي معنى الآية وقال كبيرهم في العلم
وذكرهم أخوهم الميثاق في قول يعقوب لتأتنني به إلا أن يحاط بكم
وقوله ما فرطتم يصح أن تكون ما صلة في الكلام لا موضع لها من
الإعراب ويصح أن تكون في موضع رفع بالابتداء والخبر قوله في
يوسف كذا قال أبو علي والحوفي أن يكون قوله من قبل متعلقا بما فرطتم
قال القاضي أبو محمد وإنما تكون على هذا مصدرية والتقدير من
قبل تفريطكم في يوسف واقع أو مستقر وبهذا المقدر يتعلق قوله من قبل

يئسوا

ويصح ان يكون في موضع نصب عطفاً على ان التقدير وتعلموا ان تفريطكم او
وتعلموا الذي فرطتم فيه ويصح على هذا الوجه ان يكون بمعنى الذي ويصح ان
يكون مصدرية **وقوله** فلن ابرح الارض اراد ارض القطر والموضع الذي
نالته فيه المكروه المؤدي الى سخط الله والمقصد بهذا اللفظ التحرج على
نفسه والتزام التضييق كانه سجن نفسه في ذلك القطر ليبلي عذراً **وقوله**
او يحكم الله لي لفظ عام لجميع ما يمكن ان يرده من القدر كالموت
والنصرة وبلوغ الامل وغير ذلك وقال ابو صالح معناه او يحكم
الله لي بالسيف ونصب يحكم بالعطف على يأذن ويجوز ان يكون او في
هذا الموضع بمعنى الا ان كانه يقول لا ازال كذا او سعى حتى فينتصب على
هذا الحكم باو وروي انهم لما وصلوا الى يعقوب بكى وقال يا بني ما
تذهبون عني مرة الا نقصتم واحداً ذهبتم فنقصتم يوسف ثم ذهبتم
فنقصتم شمعون حيث ارتهن ثم ذهبتم فنقصتم يامين وروبيل
قوله عز وجل ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي
كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امراً
فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعاً انه هو العليم الحكيم
الامر بالرجوع قيل هو من قول كبيرهم وقال ابن ... هو من قول يوسف لهم والاول
اظهر وقرأ الجمهور سرق على تحقيق السرقة على بنيامين بحسب ظاهر الامر
وقرأ ابن عباس وابو رزين سُرِّق بضم السين وكسر الراء وتشديدها
وكان هذه القراءة فيها لم يتحقق ولم يقطعوا عليه بسرقة وانما
ارادوا جعل سارقاً بما ظهر من الحال وروت هذه القراءة عن الكسائي
وقرأ الضحاك ان ابنك سارق بالالف وتنوين القاف ثم يجري العذر على
الرايس في قولهم وما شهدنا الا بما علمنا اي وقولنا لك ان ابنك سرق

انما هي

انما هي شهادة عندك بما علمناه من ظاهر ما جرى والعلم في الغيب الى الله
ليس ذلك في حفظنا هذا قول ابن اسحاق وقال ابن زيد هو لهم وما شهدنا
الا بما علمنا اراد والله وما شهدنا عند يوسف بان السارق يسترق في
شرعك الا بما علمنا من ذلك وما كنا للغيب حافظين ان السرقة تخرج من
رحل اخينا بل حسبنا ان ذلك لا يكون البتة فشهدنا عنده حين سألنا
بعلمنا وقرأ الحسن وما شهدنا عليه الا بما علمنا بزيادة عليه وحمله على
وما كنا للغيب حافظين حين واثقناك انما قصدنا الا يقع منا نحن في
جهته شيء نكرهه ولم نعلم الغيب في انه سياتي هو بما يوجب رقه
وروي ان معنى قولهم للغيب اي لليل والغيب الليل بلغة حمير وكانهم
قالوا وما شهدنا عندك الا بما علمنا من ظاهر حاله وما كنا بالليل
حافظين لما يقع من سرقته او التدليس عليه ثم استشهدوا باهل القرية
التي كانوا فيها وهي مصر قاله ابن عباس وغيره وهذا مجاز والمراد اهلها
وكذلك قوله والعير هذا قول الجمهور وهو الصحيح وحكى ابو المعالي في
التلخيص عن بعض المتكلمين انه قال هذا من الحذف وليس من المجاز قال
وانما المجاز لفظة تستعار لغير ما هي له **قال القاضي ابو محمد**
وحذف المضاف هو عين المجاز وعظمه هذا مذهب سيبويه وغيره من اهل
النظر وليس كل حذف مجازاً ورجح ابو المعالي في هذه الاية انه مجاز
وحكى انه قول الجمهور او نحو هذا وقالت فرقة بل احالوه على سؤال الجمادات
والبهائم حقيقة ومن حيث هو نبي فلا يبعد ان تخبره بالحقيقة وهذا
وان جوز فبعيد والاول اقوى وهنا كلام مقدر يقتضيه الظاهر تقديره
فلما قالوا هذه المقالة لابيهم قال بل سولت وهذا على ان يتصل كلام
ليس لها هنا ومن يرى ان كلام كبيرهم تم في قوله ان ابنك سرق فانه يجعل
الكلام هنا كأنه متصل بقوله ارجعوا قالوا ان ابنك سرق والاية والظاهر ان

قوله بل سولت لكم انفسكم امرا انما ظن بهم لما كان في قصة يوسف
قبل فاتهم ان صدق ظنه هنالك ولم يحقق هنا وسولت معناه زينت
وحسنت وجعلته سولا والسول ما يتمناه الانسان ويحرص عليه وقوله
فصبر جميل اما ابتدا وخبره امثل او اولى وحسن الابتدا بنكرة من حيث
وصفت واما خبر ابتدا تقديره فامري لذلك او صبري صبر جميل وهذا
اليق بالنكرة ان يكون خبرا او يعني وصفه بالجمال انه ليس فيه شكوى
الى البشر ولا ضجر بقضا الله تعالى ثم ترجى عليه السلام من الله ان يجمعهم
عليه وهم يوسف ويامين وروبيل الذي لم يبرح الارض ورجاوه هذا
من جهات احدها الرويا التي راى يوسف فكان يعقوب ينتظرها والثاني
حسن ظنه بالله عز وجل في كل حال والثالث ما اخبروه به عن ملك
مصر انه يدعو الدبير وثبة ابيه فوقع له من بينا لحسنين ورجا والهمه
بالعلم والاحكام لا في بما رجوه من لقا ابنيه وفيها تسليم لحكمه
الله تعالى في جميع ما جرى عليه قوله عز وجل
وتولى عنهم وقال يا اسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو
كظيم قالوا تالله تفتوا تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من
الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم
من الله ما لا تعلمون ۝ المعنى انه لما ساء ظنه بهم ولم يصدق
قولهم بل ارتاب به تولى عنهم اي زال بوجهه عنهم وجعل يتفجع
ويتاسف قال الحسن خص بهذه الامة بالاسترجاع
الا ترى الى قول يعقوب يا اسفا لكن هذه لغة من يرد يا الاضافة
الفا مع يا علامة وبالتا ونادى الاسف على معنى احضر فهذا
من اوقاتك وقيل قوله يا اسفا على جهة الندبة وحذف الهاء اللازمة
في الندبة علامة المبالغة في الحزن تجلدا منه عليه السلام اذ كان

قد

قد اسند الى الصبر الجميل وقيل قوله يا اسفا ندا فيه استغاثة ولا يبعد
ان يجتمع الاسترجاع ويا اسفا لهذه الامة وليعقوب عليه السلام
وابيضت عيناه اي من ملازمة البكا الذي يوثره الحزن ۝ وروي
ان يعقوب عليه السلام حزن حزن سبعين ثكلا واعطي اجر مائة شهيد
وما ساء ظنه بالله قط رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرا ا
بن عباس ومجاهد من الحزن بفتح الحا والزاي وقرا قتادة بضمها وقرا
الجمهور بضم الحا وسكون الزاي وهو كظيم بمعنى كاظم كما قال والكاظمين
الغيظ ووصف يعقوب بذلك لانه لم يشك الى احد وانما كان يكمد في
نفسه ويمسك همه في صدره وكان يكظمه اي يرده الى قلبه ولا
يرسله بالشكوى والغضب والضجر وقال ناس كظيم بمعنى مكظوم
قال القاضي ابو محمد وقد وصف الله تعالى يونس عليه السلم
بمكظوم في قوله اذ نادى وهو مكظوم وهذا انما يتجه على تقدير
انه ملي حزنه فكانه كظم بثه في صدره وجرى كظيم على
باب كاظم اشبه ومثل ناس الكظيم بالمكروب وبالمكمود وذلك
متقارب وقال منذر بن سعيد الاسف اذا كان من جهة من
هو اقل من الانسان فهو غضب ومنه قول الله عز وجل فلما
اسفونا انتقمنا منهم ومنه قول الرجل الذي ذهب بشاة جاريته
الشاه من الغنم فاسفت فلطمتها واذا كان من جهة لا يطيقها فهو
حزن وهم وتحرير هذا المنزع ان الاسف يقال في الغضب ويقال
في الحزن وكل واحد من هاذين يحضر حاله التي يقال عليها وقوله
تعالى قالوا تالله تفتا الاية المعنى بالله لا تفتا فحذف لا
في هذا الموضع من القسم لدلالة الكلام عليها فمن ذلك قول امرئ القيس
۝ فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي ۝

ومنه قوله تعالى ما لله يبقى على الايام ذو حيد بمشمخر به الظيان والآس
اراد لا يبقى وقال الزجاج وقد يحذف ايضا ما في هذا الموضع
وخطاه بعض النحويين ومن المواضع التي حذفت فيها لا وتدل عليها الكلام قول
الشاعر فلا وابي دهماء زالت عزيزة على قومها ما فتل الزند قادح
وقوله ما فتل الزند قادح يوجب ان المحذوف لا ولست ما وفي منزلة
زال وبرح في المعنى والعمل تقول والله لا فتيت قاعدا انما تقول لا ازال
ولا ابرح ومنه قول اوس ابن حجر
فما فتئت حتى كان غبارها سرادق يوم ذي رياح ترفع والحرض الذي
قد اداه الهرم او الحب او الحزن الى حال فساد الاعضاء والبدن والحس
وعلى هذا المعنى قراه الجمهور حرضا بفتح الحاء والراء وقرا الحسن
ابن الحسن بضمهما وقرات فرقة حرضا بضم الحاء وسكون الراء
وهذا لانه المصدر يوصف به المذكر والمونث والفرد والجمع بلفظ
واحد كعدل وعدو وقيل في قراة الحسن انه يراد فيه الانسان
اي باليا سقمنا ويقال من هذا المعنى الذي هو من الهم والهرم
رجل حارض ومن هذا البنا ويجمع ويونث ويذكر ومن هذا المعنى
قول الشاعر اني امرؤ لج بي حب فاحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم
وقد سمع من العرب رجل محرض قال الشاعر وهو امرؤ القيس
ارى المرء ذا الاذواد يصبح محرضا كاحراض بكر في الديار مريض
والحرض بالجملة الذي فسد ودنا موته قال مجاهد الحرض ما دون
الموت قال قتادة الحرض البالي الهرم وقال نحوه الضحاك
والحسن وقال ابن اسحق حرضا معناه فاسدا لا عقل له وكانهم
قالوا على جهة التعنيف له انك لا تزال تذكر يوسف الى حال
القرب من الهلاك فاجابهم يعقوب عليه السلام ردا عليهم اي اني
لست

لست ممن يجزع ويضجر فيحق لي التعنيف وانما اشكو الى الله ولا تعنيف في
ذلك والبث ما في صدر الانسان مما هو معتزم ان يبثه وينشره
واكثر ما يستعمل في المكروه وقال ابو عبيدة وغيره البث اشد الحزن
وقد يستعمل البث في المحبوب على الجملة ومنه قول المراة في حديث ام
زرع ولا يولج الكف ليعلم البث ومنه قولهم ابثك حديثي وقرا
عيسى حزني بفتح الحا والزاي وحكى الطبري بسند ان يعقوب
دخل على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فقال له فرعون
ما بلغ بك هذا يا ابرهيم فقالوا انه يعقوب فقال ما بلغ بك هذا يا
يعقوب قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكو
الى خلقي فقال يا رب خطيئة فاغفرها لي واسند الطبري الى
الحسن قال كان منذ خرج يوسف عن يعقوب الى دخول يعقوب
على يوسف ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ولم يزل يبكي حتى ذهب
بصره وما في الارض يومئذ اكرم على الله من يعقوب وقوله
واعلم من الله ما لا تعلمون يحتمل انه اشار الى حسن ظنه بالله وجميل
عادة الله عنده ويحتمل انه اشار الى الرويا المنتظرة او الى ما
وقع في نفسه عن قول ملك مصر اني ادعو له برويته ابنه قبل الموت
وهذا هو حسن الظن الذي قدمناه قوله عز وجل
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تياسوا من روح
الله انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا
عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجينا ببضاعة
مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين
المعنى اذهبوا الى الارض التي جيتم منها وتركتم بها اخويكم
يامر ويدل فتحسسوا اي استقصوا وتعرفوا والتحسس طلب الشي

البصر والسمع ويستعمل في الخير والشر فمن استعماله في
الخير هذه الآية وفي الشر نهي النبي صلى الله عليه وسلم
عنه في قوله ولا تحسسوا وقوله من يوسف يتعلق بمحذوف
تقديره تحسسوا الخبر فتحسسوا انباء او حسبه من امر يوسف لكن
حذف ما يدل ظاهر القول عليه اختصارا وقرأت فرقة
تايسوا وفرقة تايسوا على ما تقدم ه وقرأ الاعرج
تيئسوا بكسر التاء وخص يوسف وابنه بالذكر لان روبيل اقام في
مصر او هذان [illegible] ه والروح الرحمة ثم جعل
اليأس من رحمة الله ولفرحه من صفة الكافرين اذ فيه
اما التكذيب بالربوبية واما الجهل بصفات الله تعالى ه
وقرأ الحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز من روح الله بضم الرا
وكان معنى هذه القراءة لا تيأسوا من حي معه من روح الله الذي
وهبه فان من بقي روحه فيرجى ومن هذا قول الشاعر
وفي غير من قد وارت الارض فاطمع   ومن هذا قول عبيد
وكل ذي غيبة يؤوب   وغائب الموت لا يؤوب ه
ويظهر من حديث الذي قال اذا مت فاحرقوني ثم اسحقوني
ثم ذروني في البحر والبر في يوم راح فلئن قدر الله علي ليعذبني
عذابا ما عذبه احدا من الناس انه يئس من روح الله ولكن الامر
بخلاف ذلك لان قول النبي صلى الله عليه وسلم في اخر الحديث فغفر
الله له يقتضي انه مات مؤمنا اذ لا يغفر الله لكافر [illegible] دل الحديث
انما على ان قدر بمعنى ضيق وناقش الحساب فذلك معنى بين واما ان
يكون من القدرة فيبعد خطؤه في ان ظن ان الاجماع بعد التحقق والتذرية
محال يجوز صفا الله بالقدرة عليه فغلط في ان يجعل الخطار محالا ولا

لزمه

لزمه بهذا الكفر قال النقاش وقرأ ابن مسعود من فضل الله وقرأ أبي
بن كعب من رحمة الله ه قوله تعالى فلما دخلوا عليه الآية في
هذا الموضع اختصار محذوف وقائع يعطيها الظاهر وهي انهم نفذوا
من الشام الى مصر ووصلوها والضر في هذه الآية هو عام على يوسف
وابنه اذاك وابنه للمسغبة التي كانوا سبيلها وامر ضيعهم الذي اهمهم
الناس وعم جميعهم ه والبضاعة القطعة من المال يقصد بها
شراء وقال [illegible] عرف الفقه فيما لا يحتطحا مثلها من الربح والمزجاة
معناها المدفوعة المتحيل لها ومنه ازجاء السحاب ومنه ازجاء
الابل كما قال الشاعر   على زواحف نزجيها محاسير
وقال النابغة
وهبت الريح من تلقاء ذي اذل تزجي مع الليل من صرادها صرما
وقال الاعشى
الواهب المائة الهجان وعبدها عوذا تزجي خلفها اطفالها
وقال الاخر   لحاجة غير مزجاة من الحاج   وقال حاتم
ليبك على ملحان ضيف مدفع وارملة تزجي مع الليل ارملا ه
فيحتمل هذا ان يشق وساطف في تيسيره فيقدر زجاه
فاذا كانت الدراهم مدفوعة عند من له القدر فيصلح ان تعد مزجاة
ويستقيم لعاملي مزجاة فقيل كان ذلك لانها كانت زيوفا قاله
ابن عباس وقال الحسن كانت قليلة وقيل كانت ناقصة قاله
ابن جبير وقيل كانت بضاعتهم عروضا فلذلك قالوا هذا الحلف
في تلك العروض ما كانت فقيل كانت السمن والصوف قاله عبد الله بن
الحارث وقال علي بن ابي طالب كانت قديد وحش ذكره النقاش
وقال ابو صالح وزيد بن اسلم كانت الصنوبر والحبة الخضراء
قال القاضي ابو محمد وهي الفستق وقيل كانت المقل وقيل كانت
القطن وقيل كانت الحبال والاعدال والاقتاب وتسلمى مى ان يكا

رحمه الله قال المزجاة الجائزة ولا أعرف لها وجهاً والمعنى
يأباه ويحتمل أن صُحِّف على مالك وأن لفظه بالحاء غير منقوطة
فقرأ واستند مالك رحمه الله في أن الكيل على البائع إلى
هذه الآية وذلك ظاهر منها وليس بنص وقولهم وتصدق
علينا معناه بما بين الدراهم الجياد وهذه المزجاة قاله السدي وغيره
وقيل كانت الصدقة غير محرمة على أولئك الأنبياء وإنما حرمت على محمد
قاله سفيان بن عيينة وهذا ضعيف يرده حديث النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله إنا معشر الأنبياء لا تحل لنا الصدقة وقالت فرقة
كانت الصدقة عليهم محرمة ولكن قالوا هذا تجوزاً استعطافاً منهم في
المبايعة كما تقول لمن تساومه في سلعة هبني من ثمنها كذا وخذ مني
كذا فلم تقصد أن يهبك وإنما حسنت له الافتعال حتى يرجع معك
إلى سومك وقال ابن جريج إنما خصوا بقولهم وتصدق علينا
أمر أخيهم بنيامين أي أوف لنا الكيل في المبايعة وتصدق علينا
بصرف أخينا على أبيه وقولهم إن الله يجزي المتصدقين
قال النقاش يقال هو من المعاريض التي هي مندوحة عن الكذب
وذلك أنهم كانوا يعتقدونه ملكاً كافراً على غير دينهم ولو قالوا
إن الله يجزيك بصدقتك في الآخرة لكذبوا فقالوا له لفظاً يوهمونه أنهم
أرادوه ولم يصح لهم الكذب أخذاً منه بالتأويل قوله عز وجل
قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا
أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا
إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد
آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم وهو أرحم الراحمين روي أن يوسف عليه السلام لما قال له

إخوته مسنا وأهلنا الضر واستعطفوه رق ورحمهم قال
ابن إسحاق وارفض دمعه باكياً فشرع في كشف أمره إليهم فيروى أنه
حسر قناعه وقال لهم هل علمتم الآية وقوله ما فعلتم بيوسف
وأخيه يريد من التفريق بينهما في الصغر والتمرين بهما وأذايتهما حين
بعد مغيب يوسف فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه ولم يشر إلى قصة
بنيامين الآخرة لأنهم لم يفعلوا فيها شيئاً ونسبهم إما إلى جهل
المعصية وإما إلى جهل الشباب وقلة الحنكة فلما خاطبهم هذه
المخاطبة ويشبه أنه اقترن بها من هيئته وبشره وتبسمه
ما دلهم فتنبهوا أو وقع لهم من الظن القوي أنه يوسف فخاطبوه
مستفهمين استفهام مقرر وقرأت فرقة أإنك لأنت يوسف بتحقيق
الهمزتين وقرأت فرقة بتسهيل الثانية وقرأت فرقة بإدخال
ألف بين الهمزتين وتحقيقهما آإنك وقرأت فرقة بتسهيل
الثانية آينك وقرأ ابن محيصن وقتادة وابن كثير إنك على الخبر وتأكيده
وقرأ أبي بن كعب أو أنت يوسف قال أبو الفتح ينبغي
أن يكون هذا على حذف خبر إن كأنه قال أإنك لغير يوسف أو أنت يوسف
فحكى أبو عمرو الداني أن في قراءة أبي بن كعب قالوا أو أنت يوسف
وتأولت فرقة ممن قرأ إنك أنها استفهام بإسقاط حرف الاستفهام
فأجابهم يوسف كاشفاً أمره قال أنا يوسف وهذا أخي وقال
مجاهد أراد من يتق في ترك المعصية ويصبر في السجن وقال إبراهيم
النخعي المعنى من يتق الزنا ويصبر على العزوبة قال القاضي
أبو محمد ومقصد اللفظ إنما هو العموم في العظائم وإنما
قال هذان تخصيصاً لأنها كانت من نوازله ولو فرضنا نزول
غيرها به لاتقى وصبر وقرأ الجمهور من يتق ويصبر وقرأ ابن كثير وحده

من نبي ونصبا باثبات اليا واختلف في وجه ذلك فقيل قدر اليا
متحركة وجعل الجزم في حذف الحركة وهو كما قال
الشاعر ٥ الم ياتيك والانبا تنمي بما لاقت لبون بني زياد
قال ابو علي وهذا مما لا نحمله عليه لانه انما يجي في الشعر لا في
الكلام وقيل من بمعنى الذي ففيها معنى الشرط ونحوه قوله
تعالى فاصدق واكن وقيل اراد ونصبر بالرفع لكنه سكن الرا تخفيفا
كما قرا ابو عمرو يامركم باسكان الرا قوله تعالى قالوا تالله
لقد آثرك الله علينا الآية هذا منهم استنزال ليوسف واقرار
بالذنب في ضمنه استغفار منه وآثرك لفظ يعم جميع
التفضيل وانواع العطايا والاصل فيها همزتان خففت الثانية
ولا يجوز تحقيقها والمصدر ايثار وخاطئين من خطئ يخطئ
وهو المتعمد للخطا والمخطئ من اخطا وهو الذي قصد الصواب
ولم يوفق له ومن ذلك قول الشاعر وهو امية بن الاسكر
وان مهاجرين تكنفاه عداة الله لقد خطئا وخابا ٥
قوله لا تثريب عليكم عفو جميل وقال عطية اوحى الله الى يوسف
بعفوك عن اخوتك رفعت لك ذكرك ٥ وفي الحديث ان ابا سفيان بن
الحرث وعبد الله بن ابي امية وردا مهاجرين على رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعرض عنهما لقبح فعلهما معه فشق ذلك عليهما
واتيا ابا بكر فكلفاه الشفاعة فابى واتيا عمر فكذلك فذهب
ابو سفيان الى ابن عمه علي وذهب عبد الله الى اخته ام سلمة
فقال علي رضي الله عنه الراي ان تلقيا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المحفل فتصيحان به تالله لقد آثرك الله علينا
وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان يكون دون احد من الاساة فلا بد لذلك

ان تقول

ان تقول لا تثريب عليكما فعلا ذلك فقال لهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تثريب عليكما الآية ٥ والتثريب اللوم والعقوبة
وما جرى معهما من سوء معتقد ونحوه وقد عبر بعض الناس عن
التثريب بالتعيير ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا
زنت امة احدكم فليجلدها ولا يثرب اي لا يعير ووقف بعض القراء
على عليكم وابتدا اليوم يغفر الله لكم على جهة الدعا وهو
تاويل ابن اسحق والطبري وهو الصحيح واليوم ظرف فعلى هذا فالعامل
فيه ما يتعلق به عليكم تقديره لا تثريب يستقر عليكم اليوم وهذا
الوقف ارجح في المعنى لان الآخر فيه حكم على مغفرة الله
اليهم اللهم الا ان يكون ذلك بوحي ٥ قوله عز وجل
اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني
باهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح
يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم
حكمه بعد الامر بالقا القميص على وجه ابيه بان اباه ياتي
بصيرا وبزوال عماه دليل على ان هذا كله بوحي واعلام من الله
قال النقاش وروي ان هذا القميص كان لابراهيم كساه الله
اياه حين خرج من النار وكان من ثياب الجنة وكان بعد لاسحق
ثم ليعقوب ثم كان دفعه ليوسف فكان عنده في حفاظ من
قصب وهذا كله يحتاج الى سند والظاهر انه قميص يوسف الذي
هو منه بمنزلة قميص كل احد وهكذا تبين الغرابة في ان وجد يعقوب
ريحه من بعد ولو كان من قميص الجنة لما كان في ذلك غرابة ولوجده
كل احد واما اهلهم فروي انهم كانوا ثمانين نسمة وقيل ستة
وسبعين نفسا من رجال ونساء وفي هذا العدد دخلوا مصر

ثم خرج منها اعقابهم مع موسى في ستمائة الف وذكر الطبري
عن السدي انه لما انكشف امره لاخوته سالهم عن ابيهم ما حاله
فقالوا ذهب بصره من البكاء والحزن قال لهم اذهبوا بقميصي هذا
الاية **وقوله تعالى** ولما فصلت العير الاية معناه فصلت
العير من مصر متوجهة الى موضع يعقوب حسبما اختلف فيه فقيل كان
على مقربة من بيت المقدس وقيل كان بالجزيرة والاول اصح لان اثارهم
وقبورهم حتى الان هنالك وروي ان يعقوب وجد ريح يوسف وبينه
وبين القميص مسيرة ثمانية ايام قاله ابن عباس وقال هاجت ريح فحملت عرفه
وروي انه كان بينهما ثمانون فرسخا قاله الحسن وابن جريج قال وقد كان
فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة وهذا قريب من الاول وروي انه
كان بينهما مسيرة ثلثين يوما قاله الحسن ابن الحسن وروي عن ايوب
الهروي ان الريح استاذنت في ان توصل عرف يوسف الى يعقوب
فاذن لها في ذلك وكانت مخاطبة يعقوب هذه لمن حضره فروي انهم
كانوا حفدته وقيل كانوا بعض بنيه وقيل كانوا ازواجه
وتفندون معناه تردون رايي وتدفعون في صدره وهذا هو التفنيد في
اللغة ومن ذلك قول الشاعر

يا عاذليّ دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من امري بمردود

ويقال افند الدهر فلانا اذا افسده قال ابن مقبل

دع الدهر يفعل ما اراد فانه اذا كلف الافناد بالناس افندا

ومما يعطي ان الفند الفساد في الجملة قول النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له قم في البرية فاحددها عن الفند

وقال منذر بن سعيد يقال شيخ مفند اي قد فسد رايه ولا يقال
عجوز مفندة لان المراة لم يكن لها قط راي اصيل فيدخله التفنيد والتفنيد

سع اما الجهل المفرط واما الهوى اغلبه واما الكذب واما الضعف وعجزه
لذهاب عقله وبسوء ملة فلهذا اشتبه الناس التفسير في هذه الاية
بهذه المعاني قال ابن عباس ومجاهد وقتادة معناه تسفهون
وقال ابن عباس ايضا تجهلون وقال ابن جبير وعطا معناه
تكذبون وقال ابن اسحق معناه تضعفون وقال ابن زيد ومجاهد
معناه تقولون ذهب عقلك وقال الحسن معناه تهرمون والذي
يشبه ان تفنيدهم انما كان لانهم كانوا يعتقدون هواه قد غلبه في
جانب يوسف قال الطبري اصل التفنيد الافساد وقولهم
لفي ضلالك يريدون لفي انتلافك وتحيرك وليس بالضلال الذي هو
في العرف ضد الرشاد لان ذلك من الجفا الذي لا يسوغ لهم
مواجهته به وقد تاوله بعض الناس على ذلك ولهذا قال قتادة
رحمه الله قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم ان يقولوها
لوالدهم ولا لنبي الله عليه السلام وقال ابن عباس المعنى لفي
خطاك **قال القاضي ابو محمد** وكان حزن يعقوب قد تجدد بقصة
بنيامين ولذلك يقال له ذو الحزنين **قوله عز وجل**
فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل
لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
فلما دخلوا على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا
مصر ان شاء الله امنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
روي عن ابن عباس ان البشير كان يهوذا لانه كان جاء بقميص الدم
حدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت الواعظ ابا الفضل
بن الجوهري على المنبر بمصر يقول ان يوسف عليه السلام لما قال

اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي قال يهوذا لاخوته
قد علمتم اني ذهبت اليه بقميص الترحة فدعوني اذهب اليه
بقميص الفرحة فتركوه وذلك وقال بهذا المعنى السدي وارتد
معناه رجع يقال ارتد الرجل ورده غيره وبصيرا معناه مبصرا
ثم وبخهم على قوله لهم اني اعلم من الله ما لا تعلمون وهذا والله
اعلم هو اشارة لتاويل الرؤيا ويحتمل ان يشير الى حسن ظنه بالله تعالى
فقط ٥ وروي انه قال للبشير على اي دين تركت يوسف قال على
الاسلام قال الحمد لله الان كملت النعمة وفي مصحف ابن مسعود
فلما ان جا البشير من بين يدي العير وحكى الطبري عن بعض
النحويين انه قال ان في قوله فلما ان جا زائدة والعرب تزيدها احيانا
في الكلام بعد لما وبعد حتى فقط تقول لما جئت كان كذا ولما ان
جئت ولذلك تقول ما قام زيد حتى قمت وحتى ان قمت **وقوله**
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا الاية ٥ روي ان يوسف عليه
السلام لما غفر لاخوته وتحققوا ايضا ان يعقوب يغفر لهم
قال بعضهم لبعض ما يغني عنا هذا ان لم يغفر الله لنا وطلبوا
حينئذ من يعقوب ان يطلب لهم المغفرة من الله تعالى واعترفوا
بالخطا فقال لهم يعقوب سوف استغفر فقالت فرقة سوفهم الى
السحر ٥ وروي عن محارب بن دثار انه قال كان عمي ياتي المسجد
فسمع انسانا يقول اللهم دعوتني فاجبت وامرتني فاطعت
وهذا السحر فاغفر لي فاستمع الصوت فاذا هو من دار عبد الله بن
مسعود فسئل عبد الله بن مسعود عن ذلك فقال ان يعقوب عليه
السلام اخرهم الى السحر ويقوي هذا التاويل قول النبي صلى الله
عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة اذا كان الثلث الاخر الى سما الدنيا فيقول من

يدعوني فاستجيب له من يستغفرني فاغفر له الحديث ويقويه
قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار وقالت فرقة انما سوفهم
يعقوب الى قيام الليل وقالت فرقة منهم سعيد بن جبير سوفهم يعقوب
الى الليالي البيض فان الدعا فيهن يستجاب وقيل انما اخرهم الى
ليلة الجمعة وروى ابن عباس هذا التاويل عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اخرهم يعقوب حتى تاتي ليلة الجمعة رحالهم
يعقوب عليه السلام بقوله انه هو الغفور الرحيم **وقوله**
فلما دخلوا الاية هاهنا محذوفات يدل عليها الظاهر وهي فرحل
يعقوب باهله اجمع وساروا حتى بلغوا يوسف فلما دخلوا عليه
واوى معناه ضم واظهر الحفاية بهما وفي الحديث اما
احدهم فاوى الى الله فاواه الله وقيل اراد بالابوين اباه وامه
قاله ابن اسحق والحسن وقال بعضهم اباه وخالته ام امه حكاه
الزهراوي وقيل اباه وجدته لان امه قد كانت ماتت قاله
السدي والاول اظهر بحسب اللفظ الا لو ثبت سند
ان امه قد كانت ماتت ٥ وفي مصحف ابن مسعود اوى اليه
ابويه واخوته **وقوله** ٥ ادخلوا مصر معناه تمكنوا
واسكنوا واستقروا لانهم قد كانوا دخلوا عليه وقيل
بل قال لهم ذلك في الطريق حين تلقاهم قاله السدي وهذا
الاستثنا هو الذي ندب القران اليه ان يقوله الانسان في
جميع ما ينفذه بقوله في المستقبل وقال ابن جريج هذا
موخر في اللفظ وهو متصل في المعنى بقوله سوف استغفر لكم
وفي هذا التاويل ضعف والعرش سرير الملك وكل ما عرش
فهو عريش وعرش وخصصت اللغة العرش لسرير الملك وخروا

معناه تصوبوا الى الارض واختلف في هذا السجود فقيل كان كالمعهود
عندنا من وضع الوجه بالارض وقيل بل دون ذلك كالركوع البالغ
ونحوه مما كان سنة تحياتهم للملوك في ذلك الزمان واجمع المفسرون
ان ذلك السجود على اي هيئة كان فانما كان تحية لا عبادة وقال قتادة
هذه كانت تحية الملوك عندهم واعطى الله هذه الامة السلام
تحية اهل الجنة وقال الحسن البصري الهاء في له لله عز وجل ورد على
هذا القول وحكى الطبري ان يعقوب لما بلغ مصر في جملته كلم
يوسف فرعون في تلقيه فخرج الله في خرج الملوك معه فلما
دنا يوسف من يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهوذا قال
فنظر يعقوب الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر
قال لا هو ابنك قال فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب
يوسف ليبدأ بالسلام فمنعه يعقوب من ذلك وكان يعقوب
احق بذلك منه وافضل فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان
ونحو هذا من القصص وفي هذا الوقت قال يوسف ليعقوب
ان فرعون قد احسن الينا فادخل اليه شاكرا فدخل عليه فقال
فرعون يا شيخ ما صيرك الى ما ارى قال تتابع البلاء علي قال
فما زال السدره حتى نزل الوحي يا يعقوب اتشكوني الى من لا يضرك
ولا ينفعك فقال يا رب ذنب فاغفره وقال ابو عمرو
الشيباني تقدم يوسف يعقوب في المشي في بعض المواطن فهبط
جبريل فقال اتتقدم اباك ان عقوبتك لذلك الا يخرج من نسلك
نبي **قوله عز وجل** وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من
قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم
من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء

انه هو العليم الحكيم المعنى قال يوسف ليعقوب هذا
السجود الذي كان منكم هو ما آلت اليه رؤياي قديما في
الاحد عشر كوكبا وفي الشمس والقمر **وقوله** قد جعلها ربي
حقا ابتدا تعديد نعم الله تعالى عليه **وقوله** احسن بي
اي اوقع وناط احسانه بي فهذا منحى في وصول الاحسان وقد
يقال احسن الي واحسن في وفيه قول عبد الله بن سلول
محمد احسن في موالي ومن المناحي مختلفة المعنى والفقها يوسف
قوله بي لانه احسان درج فيه دون ان يقصد هو الغاية التي
صار اليه وذكر يوسف عليه السلام اخراجه من السجن وترك
اخراجه من الجب لوجهين احدهما ان في ذكر اخراجه من الجب
تجديد فعل اخوته وخزيهم بذلك وتقليع نفوسهم وتحريك
تلك الغوائل وتخبيث النفوس والوجه الاخر انه خرج من الجب
الى الرق ومن السجن الى الملك فالنعمة هنا اوضح **وقوله**
وجاء بكم من البدو يعم جمع الشمل والنقل من الشقاوة الى
النعمة وكان منزل يعقوب عليه السلام باطراف الشام
في بادية فلسطين وكان رب ابل وغنم وبادية ونزغ معناه
فعل فعلا افسد به ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
لا يشر احدكم على اخيه بالسلاح لا ينزغ الشيطان في يده وانما
ذكر يوسف هذا القدر من امر اخوته ليبين حسن موقع النعم لان النعمة
اذا جاءت اثر شدة وبلاء هي احسن موقعا **وقوله** لما يشاء اي من الامور
ان يفعله واختلف الناس في كم كان بين رؤيا يوسف وبين
ظهورها فقالت فرقة اربعون سنة هذا قول سلمان الفارسي وعبد الله
بن شداد وقال عبد الله بن شداد ذلك اخر ما تعطى للرؤيا

وقال قوم منهم الحسن وجسر بن فرقد فصلت غايته ثمانون وقال
ابن اسحق ثمانية عشر وقيل اربعون وعشرون قاله النقاش وقيل ثلثون
وقيل خمس وثلثون قاله قتادة وقال السدي وابن جبير ستة وثلثون
سنة وقيل ان يوسف عليه السلام عمر مائة وعشرين سنة
وقيل ان يعقوب بقي عند يوسف نيفا على عشرين سنة ثم
توفي صلى الله عليه وسلم ولا وجه في ترك تعريف يوسف
اباه بحاله مذ خرج من السجن الى العز الا الوحي من الله تعالى لما اراد
ان يمتحن به يعقوب وبنيه واراد من صورة جمعهم لا اله الا هو وقال
النقاش كان ذلك الوحي في الجب وهو قوله تعالى واوحينا اليه
لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وهذا محتمل ومما روي في
اخبار يعقوب عليه السلام قال الحسن انه لما ورد البشير لم يجد
عنده شيئا يثيبه به فقال له والله ما اصبت عندنا شيئا وما
خبزنا منذ سبع ليال ولكن هون الله عليك سكرات الموت ومن اخباره
انه لما اشتد بلاؤه قال يا رب اعميت بصري وغيبت عني يوسف
افما ترحمني فاوحى الله تعالى اليه سوف ارحمك وارد عليك ولدك
وبصرك وما عاقبتك بذلك الا انك طبخت في منزلك حملا فشمه جار لك
ولم تساهمه بشيء وكان يعقوب بعد يدعو لغدائه من شاء
وحكى الطبري انه لما اجتمع شمله كلفه بنوه ان يدعو الله لهم
حتى ياتي الوحي بان الله تعالى قد غفر لهم قال وكان يعقوب يصلي
ويوسف وراءه وهم وراء يوسف ويدعو لهم فلبث كذلك عشرين سنة
ثم جاءه الوحي اني قد غفرت لهم واعطيتهم مواثيق النبوة من بعدك ومن
اخباره انه لما حضرته الوفاة اوصى الى يوسف ان يدفنه في الشام فلما
مات نفخ فيه المر وحمله الى الشام ثم مات يوسف فدفن بمصر فلما

خرج

خرج موسى بعد ذلك من ارض مصر احتمل عظام يوسف حتى دفنها
بالشام مع ابائه **قوله عز وجل** رب قد اتيتني من الملك
وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في
الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ذلك من انباء الغيب
نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
قرا ابن مسعود اتيتن وعلمتن بحذف الياء على التخفيف وقرا
ابن ذر رب اتيتني قد وذكر كثير من المفسرين ان يوسف عليه السلام
لما عدد في هذه الاية نعم الله تعالى عنده تشوق الى لقاء ربه
ولقاء الجلة وصالحي سلفه وغيرهم من المؤمنين وراى ان الدنيا كلها
قليلة فتمنى الموت في قوله توفني مسلما والحقني بالصالحين
وقال ابن عباس لم يتمن الموت نبي غير يوسف وذكر المهدوي تاويلا
اخر وهو الاقوى عندي انه ليس في الاية تمني موت وانما عدد
يوسف عليه السلام نعم الله عنده ثم دعا ان يتم عليه النعم
في باقي عمره اي توفني اذا حان اجلي على الاسلام واجعل لحاقي
بالصالحين وانما تمنى الموافاة على الاسلام لا الموت وورد عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل
به الحديث بكماله وروي عنه عليه السلام انه قال في بعض دعائه
واذا اردت بالناس فتنة فاقبضني اليك غير مفتون وروي عن عمر
ابن الخطاب انه قال اللهم قد رق عظمي وانتشرت رعيتي فتوفني
غير مقصر ولا عاجز فيشبه ان قول النبي صلى الله عليه وسلم
لضر نزل به انما يريد ضرر الدنيا كالفقر والمرض ونحو ذلك ويبقى تمني
الموت مخافة فساد الدين مباحا وقد دل على هذا قول النبي صلى
الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يمر فيه الرجل بقبر الرجل فيقو

ما لبثت مكانه لتستريح الدنيا لكي ما أرى من البلاء والعز وقوله
لطيف بالدين بعضهم إباحة ذلك لمن لو كان عن الدين وإنما ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاله الناس ليفعلون **وقوله** آتيتني من
الملك قيل من للتبعيض وقيل لبيان الجنس وكذلك في قوله من تأويل
الأحاديث والمراد بقوله الأحاديث الأحلام وقيل قصص
الأنبياء والأمم **وقوله** فاطر منادى **وقوله** أنت وليي أي
القائم بأمري الكفيل بنصري وحفظي **وقوله تعالى** ذلك من أنباء الغيب
الآية ذلك إشارة إلى ما تقدم من قصة يوسف وهذه
الآية تعريض لقريش وتنبيه على أنه صدق محمد عليه السلام
وفي ضمن ذلك الطعن على مكذبيه والضمير في لديهم عائد على إخوة
يوسف ولذلك أضمر إلى آخر الآية وأجمعوا معناه عزموا
وجزموا والأمر هنا هو إلقاء يوسف في الجب والمكر هو أن تدبر على
الإنسان تدبيرا يضره ويؤذيه والخديعة هو أن تفعل بإنسان أو
تقول له ما يوجب أن يفعل هو فعلا فيه عليه ضرر وحكى
الطبري عن أبي عمران الجوني أنه قال والله ما قص الله نبأهم ليعيرهم
بذلك إنهم لأنبياء من أهل الجنة ولكن الله قص علينا نبأهم لئلا
يقنط عبده **قوله عز وجل** وما أكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين وكأين
من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون
وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من
عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي
أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين
ما كان الإنسان يتأول أن الآية التي قبلها فيها تعريض لقريش ومعاصري محمد

عليه السلم

عليه السلام كأنه قال ولكن أخبارك بالغيوب دليل قائم على نبوتك ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون ولو حرصت وحرصك على إيمانهم أي إنما يؤمن من
يشاء الله **وقوله** ولو حرصت اعتراض فصيح **وقوله** وما تسألهم
الآية توبيخ للكفرة وإقامة للحجة عليهم أي ما أسفههم في أن يعرضوا عن
الله دون أن يبتغي منهم أجرا فيقول قائل بسبب الأجر يعوقهم وقرأ
مبشر عنه وما نسألهم بالنون ثم أخبر الله تعالى الأخبار عن كتابه
العزيز أنه ذكر وموعظة للعالم نفعنا الله به ووفر حظنا منه بعزته
وقرأ الجماعة وكأين بهمزة الألف وشد الياء قال سيبويه
هي كاف التشبيه اتصلت بأي ومعناها معنى كم في التكثير وقرأ
ابن كثير وكائن بمد الألف وهمزة الياء وهو اسم فاعل من كان فهو
كائن ولكن معناه معنى كم أيضا وقد تقدم استيعاب القراءات
في هذه الكلمة في قوله وكأين من نبي قاتل والآية هنا المخلوقات
المنصوبات للاعتبار والحوادث الدالة على الله سبحانه في مصنوعاته
ومعنى يمرون عليها الآية أي إذا جاء فيها ما يحس أو يعلم
في الجملة لم يتفطن الكافر به ولا تأمله ولا اعتبر به بحسب ما هو الله
وعمهه هو لذلك كالمعرض وفي هذا المعنى قول الشاعر
تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا ويصدع قلبي أن يهب هبوبها
وقرأ السدي والأرض بالنصب بإضمار فعل والوقف على هذا في
السموات وقرأ عكرمة وعمرو بن فائد والأرض بالرفع على الابتداء
والخبر قوله يمرون وعلى القراءة بخفض الأرض يمرون نعت للآية
وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها ○ وقوله وما
يؤمن أكثرهم الآية قال ابن عباس هي في أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله
ثم يشركون من حيث كفروا بنبيه أو من حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله

وقال عكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد هي في كفار العرب وايمانهم قولهم اقرارهم
بالخالق الرازق المميت فسماه ايمانا وان اعقبه اشراكهم بالاوثان
والاصنام فهذا الايمان لغوي فقط من حيث مطابقته ... وقيل نزلت
بسبب قول قريش في الطواف والتلبية لبيك لا شريك لك الا شريك
هو لك تملكه وما ملك ٥ وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع
احدهم يقول لبيك لا شريك لك يقول له قط قط اي قف هنا ولا تزد
الا شريك هو لك والغاشية ما يغشى ويغطي ويغمر ٥ وقرا ابو حفص مبشر
ابن عبد الله حتى تاتيهم الساعة بالتاء وبغتة معناه فجاة وذلك اصعب
وهذه الاية من قوله وكاين وان كانت في الكفار تحمل ما فيها
فان العصاة ياخذون من الفاظها بحظ ويكون الايمان حقيقة والشرك
لغويا كالرياء فقد قال عليه السلام الرياء الشرك الاصغر **وقوله تعالى**
قل هذه سبيلي السبيل المسلك وتؤنث وتذكر ولذلك الطريق والبصيرة
اسم لمعتقد الانسان في الامر من الحق واليقين والبصيرة ايضا في كلام
العرب الطريقة من الدم وفي الحديث المشهور ينظر في النصل فلا يرى
بصيرة ومنها فسر بعض الناس قول الشاعر الجعفي ٥ ٥
راحوا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأى ٥
يصف قوما تاروا بدم ولم يثاروا وكان دمه حصلت بينه طرائق على اكتافهم
اذ هم موسومون عند الناس بتبع ذلك الدم ويجوز ان يكون البصيرة في
هذا البيت الاشعر على المعتقد الحق اي جعلوا اعتقادهم طلب الثار
وتصبرهم في ذلك وراء ظهورهم كما يقول طرح فلان امري وراء ظهره
وقوله انا ومن اتبعني يحتمل ان يكون انا تاكيدا للضمير في ادعو ويحتمل ان
يكون الجملة كلها اتيان بالمعروف داعية الى الله الكريم والعصاة
وسبحان الله تنزيه لله اي وقل سبحان الله وقل متبريا من الشرك

وروى

وروى ان هذه الاية قل هذه سبيلي الاية الى اخرها كانت
من موعظة على زمان يوسف عليه السلام
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار
الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد باسنا
عن القوم المجرمين ٥ هذه الاية تتضمن الرد على مستغرب لجد ارسال
الرسل من البشر كالطائفة التي قالت ابعث الله بشرا رسولا وكالطائفة
التي اقترحت ملكا وغيرهم ٥ وقرا الجمهور يوحي اليهم بالياء وفتح الحاء
وهي قراءة عاصم في رواية ابي بكر وقرا في رواية حفص نوحي بالنون وكسر
الحاء وهي قراءة اي عاصم وطلحة والقرى المدن وخصها دون
القوم المسمون اهل العمود فانهم في كل امة اهل جفاء وجهالة
مفرطة قال ابن زيد اهل القرى اعلم واحلم من اهل العمود ٥
فانهم قلما نبليهم ولم يبعث الله منهم قط رسولا
قال الحسن لم يبعث الله رسولا قط من اهل البادية ولا من النساء
ولا من الجن والتبدي مكروه الا في الفتن وحين يفر بالدين كقوله
عليه السلام يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما وفي ذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمة بن الاكوع وقد قال صلى
الله عليه وسلم لا تعرب في الاسلام وقال من بدا جفا وروي
عن معاذ بن جبل قال الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ياخذ
الشاة القاصية فاياكم والشعاب وعليكم بالمساجد والجماعات والعامة
ولتعرض مع اسد ولعقوب ويتصل عن ذلك وجهين احدهما ان ذلك
الذي لم يجر في اهل عمود بل هو متقرر في منازل وربوع والثاني انه انما

جعله بدوا لا اضافة الى المصر كما يقال الحواضر والاضافة
الى الحواضر ثم احالهم على الاعتبار في الامم السالفة وفي
اقطار الارض الى الديار وسلبها اللحاق بما عذب الله ثم حض على
الآخرة والاستعداد والاتقاء الموبقات فيها ثم وقفهم موبخا
بقوله افلا تعقلون   ولدار الآخرة زيادة في وصف العناية
على المؤمنين عند الجهاد وهي المؤمنون ولدار الآخرة احسن لهم
واما اضافة الدار الى الآخرة قال الفراء هي اضافة الشيء الى نفسه
كما قال الشاعر   فانك لو حللت ديار عبس عرفت الذل عرفان
وفي رواية فلو اقوت عليك ديار عبس وكما يقال مسجد الجامع ونحو
هذا وقال البصريون هو على حذف مضاف تقديره ولدار
الحياة الآخرة او المدة الآخرة
ومن الاسماء التي هي للاجناس كقولك مسجد وثوب وحجر وجبل
ونحو ذلك اذا نطق بها الناطق لم يدر ما يريد بها فيضاف الى معرف
مخصص للمعنى المقصود فقد يضاف الجنس آخر كقولك ثوب
خز وحبل تراب وقد يضاف الى صفة كقولك مسجد الجامع
وحق اليقين وقد يضاف الى اسم خاص كقولك رجل اسد ونحوه وقرأ
الحسن والاعرج والاعمش وابن كثير وابو عمرو وعاصم وعلقمة
تعقلون بالتاء واختلف عن الاعمش قال ابو حاتم وقرأ العامة
افلا تعقلون بالتاء من فوق وبعضهم قوله تعالى افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ان الرسل الذين بعثهم الله
من اهل القرى دعوا اممهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزل بهم المثلات
فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته فلهذا المضمر حسن ان تدخل
حتى في قوله حتى اذا استيأس الرسل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو

وابن عامر

وابن عامر والحسن وعائشة بخلاف وعيسى وقتادة ومحمد بن كعب
والاعرج وابن رجا وابن ابي مليكة كذّبوا بتشديد الذال وضم
الكاف وقرأ الباقون بضم الكاف وكسر الذال مخففها وهي
قراءة علي بن ابي طالب وابي بن كعب وابن مسعود وابن عباس ومجاهد
وطلحة والاعمش وابن جبير ومسروق والضحاك وابن وثاب
وابي جعفر ورواها شيبة بن نصاح عن القاسم عن عائشة وقرأ مجاهد
والضحاك وابن عباس وعبد الله بن الحارث بخلاف عنهم كذبوا بفتح
الكاف والذال فأما الاولى فيحتمل ان يكون الظن بمعنى اليقين
ويكون الضمير في ظنوا وفي كذبوا للرسل ويكون المكذبون مشركي من
ارسل اليه المعنى وتيقن الرسل ان المشركين كذبوهم وصمموا على ذلك
وان لا انحراف عنه ويحتمل ان يكون الظن على بابه والضمير للرسل
والمكذبون مؤمنو من ارسل اليه اي لما طالت المواعيد حسب الرسل
ان المؤمنين اولا قد كذبوهم وارتابوا بقولهم واما القراءة الثانية
وهي ضم الكاف وكسر الذال مخففها فيحتمل ان يكون المعنى حتى
اذا استيأس الرسل من النصر او من ايمان قومهم على اختلاف تأويل المفسرين
في ذلك وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما ادعوا من النبوة او
فيما يوعدون به من العذاب لما طال الامهال واتصلت العافية
فلما كان المرسل اليهم على هذا التأويل مكذوبين بني الفعل للمفعول في
قوله كذبوا وهذا مشهور قول ابن عباس وابن جبير واسند الطبري ان مسلم
ابن يسار قال لسعيد بن جبير يا ابا عبد الله آية بلغت مني كل مبلغ
حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا فهذا هو الموت ان تظن
الرسل انهم قد كذبوا مخففة فقال له ابن جبير يا ابا عبد الرحمن انما
يئس الرسل من قومهم ان يجيبوهم وظن قومهم ان الرسل كذبتهم فحينئذ

فقام مسلم الى سعيد فاعتنقه وقال فرجت عني فرج الله عنك
فرضي الله عنهم كيف كانت حلومهم في العلم وقال بهذا التاويل في هذه
القراءة ابن مسعود ومجاهد ورجح ابو علي الفارسي هذا التاويل وقال
ان رد الضمير في ظنوا وفي كذبوا على المرسل اليهم وان كان لم يتقدم
لهم ذكر صريح جائز لوجهين احدهما ان ذكر الرسل يقتضي ذكر مرسل اليه
والاخر ان ذكرهم قد اشير اليه في قوله عاقبة الذين ويحتمل هذه
القراءة ايضا ان يكون الضمير في ظنوا وفي كذبوا عائدا على الرسل
والمعنى كذبهم من اخبرهم عن الله والظن على بابه وحكي
هذا التاويل قوم من اهل العلم والرسل بشر فضعفوا وساء ظنهم
قاله ابن عباس وابن مسعود ايضا وابن جبير وقال الم يكونوا بشرا وقال
ابن مسعود لمن ساله عن هذا هو الذي تكره وردت هذا التاويل عائشة
ام المؤمنين وجماعة من اهل العلم واعظموا ان يوصف الرسل
بهذا وقال ابو علي الفارسي هذا غير جائز على الرسل وهذا
هو الصواب وان العصمة والعلم واما القراءة الثالثة
وهي فتح الكاف والذال فالضمير في ظنوا للرسل اليهم والضمير في كذبوا
للرسل ويحتمل ان يكون الضميران للرسل اي ظن الرسل انهم قد كذبوا من حيث
نقلوا الكتب وان كانوا لم يعصوه فيرجع هذا التاويل الى المعنى
المردود الذي تقدم ذكره **وقوله** جاءهم نصرنا اي بعد ياسهم
الاية ثم وصف حال مجيء العذاب في انه ينجي الرسل واتباعهم وهم
الذين شاء رحمتهم ويحل باسه بالمجرمين الكفرة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وحمزة والكسائي فننجي بنونين من انجي وقرا الحسن فننجي النون الثانية مفتوحة
وهو من نجي ينجي وقرا ابو عمرو ايضا وقتادة فنجي بنون واحدة وشد الجيم وسكن الياء

فقال

فقال في فنجي انما كانا نونين ادغمت النون الثانية في الجيم ومنع بعضهم
ان يكون هذا موضع ادغام لتنافر النون والجيم في الصفات لا في المخارج
وقال انما حذفت النون في الكتاب لا في اللفظ وقد حكيت هذه القراءة
عن الكسائي ونافع وقرا عاصم وابن عامر فنجي بفتح الياء على وزن فعل
وقرات كذلك فنجي بنون وفتح الياء رواها هبيرة عن حفص عن عاصم وهي
غلط من هبيرة وقرا ابن محيصن ومجاهد فنجا فعل ماض بتخفيف الجيم وفي
رواية نصر عن عاصم والحسن ابن الحسن وابن السميفع وابي حيوة قال ابو عمرو
الداني وقرات لابن محيصن فنجي بشد الجيم على معنى فنجي النصر والباس من العد
وقرا ابو حيوة من يشاء بالياء وفيما الاخبار عن هلاك الكافرين بقوله ولا يرد باسنا
الاية اذ في هذه الالفاظ وعيد وتهديد لمعاصري محمد عليه السلام
وقرا الحسن باسه بالهاء **وقوله عز وجل** لقد كان في قصصهم عبرة
لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل
كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الضمير في قصصهم عام ليوسف وابويه
واخوته وسائر الرسل الذين ذكروا على الجملة ولما كان ذلك كله في القران قال عنه ما
كان حديثا يفترى واذا تاملت قصة يوسف ظهر ان في غرائبها وامتحان الله تعالى
فيها العبرة في مواضع ولطف الله في مواضع واحسانه للعبرة في مواضع معتبرا
لمن له لب واجاد النظر حتى يعلم ان كل امر من عند الله واليه وقوله
ما كان حديثا يفترى وقرينة الحال تقتضي ان المراد بعهم على ان ذلك الحديث وذلك
بادلة التي ما ذكره الجبار والحديث هنا واحد الاحاديث والذي هو
خلاف القديم فانها ما يدخل ونصب تصديق اما على اضمار معنى كان واما ان تكون
لكن بمعنى لكن المشددة وقرا عيسى الثقفي تصديق بالرفع وكذلك ما عطف
عليه وهذا على حذف المبتدا التقدير هو تصديق وقال الكوفيون اي النصب على تقدير ولكن كان

علي

والربع على الحين وسيذهب ذي الرمة بالوجهين

وما كان مالي من تراث ورثته ولا دية كانت ولا كسب مأثم

ولكن عطاء الله من كل رحلة الى كل محجوب السرادق خضرم

رفع عطاء الله والنصب اجود والذي عنده هو التوراة والانجيل والقمر

في قوله عنده علم القرآن وهو اسم كان وقوله كل شيء يعني من الاحكام

والحلال والحرام وما في الآية بين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الرعد هذه السورة مكية

قاله سعيد بن جبير وقال قتادة هي مدنية غير قوله ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال الآية حكاه الزهراوي وحكى المهدوي عن ابن عباس ان السورة
مكية الا قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا الآية وقال النقاش هي مدنية
عن ابن عباس قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او
تحل قريبا من دارهم وقوله ومن عنده علم الكتاب والظاهر عندي
ان المدني فيها كثير وكل ما نزل في شأن عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة
فهو مدني وقيل السورة مدنية حكاه مكي بن سعد الملوطي وذكره
مكي بن ابي طالب قوله عز وجل المر تلك آيات الكتاب
والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الله الذي
رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون

تقدم

تقدم القول في فواتح السور وذكر الناس وما قالوا في ذلك الا ان الذي يخص الموضع
من ذلك هو ما قال ابن عباس رضي الله عنه ان هذه الحروف هي من
قوله انا الله اعلم وارى ومن قال ان حروف اوائل السور هي مثال حروف
المعجم قال الاشارة هنا بتلك هي الى حروف المعجم ويصح على هذا
ان يكون الكتاب يراد به القرآن ويصح ان يراد به التوراة والانجيل والمر
على هذا ابتداء وتلك ابتداء ثان وآيات خبر الثاني والجملة خبر الاول
وعلى قول ابن عباس في المر يكون تلك ابتداء وآيات بدل منه ويصح
في الكتاب التأويلان اللذان تقدما وقوله والذي انزل اليك من ربك
الحق الذي رفع ابتداء والحق خبره وهذا على تأويل من يرى المر حروف المعجم
وتلك وآيات ابتداء وخبر وعلى قول ابن عباس يكون الذي عطفا على
تلك والحق خبر تلك واذا اريد بالكتاب القرآن فالمراد بالذي انزل
جميع الشريعة ما تضمنه القرآن منها وما لم يتضمنه ويصح في
الذي ان يكون في موضع خفض عطفا على الكتاب فان اريد مع ذلك
بالكتاب القرآن كانت الواو عطف صفة على صفة لشيء واحد كما تقول
جاءني الظريف والعاقل وانت تريد شخصا واحدا ومن ذلك قول
الشاعر
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وان اردت مع ذلك بالكتاب التوراة والانجيل فذلك بين فان تأولت مع
ذلك المر حروف المعجم رفع قوله الحق على اضمار مبتدأ تقديره
هو الحق وان تأولتها كما قال ابن عباس فالحق خبر تلك ومن رفع الحق باضمار
ابتداء وقف على قوله من ربك وما في الآية ظاهر ان شاء الله
تعالى وقوله عز وجل الله الذي رفع السموات بغير
عمد ترونها الآية لما تضمن قوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون توبيخ الكفار عقب

ذلك نذكر الله الذي يشعر أن يوقن به ويذكر الدلالة الداعية إلى الإيمان به
والضمير في قوله ترونها قال بن قتيبة هو عائد على السموات فترونها
على هذا في موضع الحال وقال جمهور الناس لا عمد للسموات البتة
وقالت فرقة الضمير عائد على العمد فترونها على هذا صفة للعمد
وقالت هذه الفرقة للسموات عمد غير مرئية قاله مجاهد وقتادة
وقال بن عباس وما يدريك أنها بعمد لا ترى وحكى بعضهم أن العمد
جبل قاف المحيط بالأرض والسما عليها كالقبة وهذا الله ضعيف
والحق أن لا عمد جملة إذ العمد يحتاج إلى عمد ويتسلسل فلا بد من وقوفه
على القدرة وهذا هو الظاهر من قوله تعالى ويمسك السماء أن تقع على
الأرض إلا بإذنه ونحو هذا من الآيات وقال إياس بن معاوية السموات
مقببة على الأرض مثل القبة وفي مصحف أبي ترونه فذكر
الضمير والعمد اسم جمع عمود والباب في جمعه عمد بضم الحروف
الثلاثة كرسول ورسل وشهاب وشهب وغير ذلك ومن هذه اللفظة
قول النابغة وخيس الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
وقال الطبري العمد بفتح العين جمع عمود كما جمع الأديم أدما
وليس كما قال وفي كتاب سيبويه الأدم اسم جمع وكذلك عند أبي الحسن
اللغويون على العمد نص أبو عبيدة ذلك الأمر عن شيخ تابعه الطبري
وقرا يحيى بن وثاب عمد بضم العين والميم وقوله ثم هنا لعطف
الجمل لا للترتيب لأن الاستواء على العرش قبل رفع السموات وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولم يكن
شي قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وقد تقدم
القول في كلام الناس في الاستوا واختصاره أن أبا المعالي رحمه الله
استوى بقهر وغلبة وقال القاضي أبو الطيب وغيره استوى

عن هذا الموضع

في هذا الموضع معنى استولى والاستيلاء قد يكون دون قهر فهذا موقف
ما بين القولين وكلك سفيان فعل فعله سماه استوا وقال الفرا استوى
في هذا الموضع كما تقول العرب فعل زيد كذا ثم استوى إلى يكلمني أي
أقبل وقصد وحكى لي عن أبي الفضل الجوهري أنه قال العرش في هذا الموضع
مصدر عرش وكأنه أراد جميع المخلوقات وذكر أبو منصور عن الخليل أن
العرش الملك وهذا يؤيد ما نزع إليه أبو الفضل بن الجوهري إذ قال العرش
مصدر وهذا خلاف ما مشى عليه الناس من أن العرش هو أعظم المخلوقات
وهو السرير المشهور الذي كان على الماء والذي بين يديه الكرسي والأصابع
على أبي الفضل في معنى الاستوا فيما هو على قول الشيخ ه وفي البخاري
عن مجاهد أنه قال المعنى علا على العرش والذي هو عبارة
الطبري والنطق الصحيح يدفع هذه المعاني **وقوله** وسخر معناه
على القدرة والشمس والقمر في ضمن ذكرهما ذكر الكواكب ولذلك قال
كل يجري أي كل ما هو في معنى الشمس والقمر من السخر وكل لفظة
تقتضي الإضافة ظاهرة أو مقدرة ه والأجل المسمى هو انقضا
الدنيا وفساد هذه البنية وقيل يريد بقوله لأجل مسمى الحدود التي لا
تتعداها هذه المخلوقات أي تجري على رسوم معلومة **وقوله**
يدبر معنى يبرم وينفذ وعبر بالتدبير تقريبا لأفهام الناس إذ التدبير
إنما هو النظر في أدبار الأمور وعواقبها وذلك من صفة البشر والأمر
عام في جميع الأمور وما يمضي في كل أوان في السموات والأرضين
وقال مجاهد يدبر الأمر معناه يقضيه وحده وقرأ الجمهور يفصل
وقرا الحسن نفصل بالنون والعظمة وروى أبا الخفاف وعبد الوهاب عن أبي عمرو
وهبيرة عن حفص قال المهدوي ولم يختلف في يدبر وقال أبو عمرو
الداني إن الحسن قرأ نفصل ويدبر بالنون فيهما والظاهر أن قوله يفصل

ليس على حذو قوله يدبر من تفصيل الآيات ثم لما تعددت الآيات وفي
جملتها تدبير الأمر أخبر أن تفصيلها لعل الكفرة يوقنون بالبعث والآيات
هنا إشارة إلى ما ذكر في الآية وبعدها **قوله عز وجل** وهو
الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات
جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من
أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون لما ذكرت
آيات السموات ذكرت آيات الأرض مد الأرض بسطها إنما
بسطه لا كرة وهذا الموطأ أم الشريعة والرواسي الجبال
الثابتة يقال رسا يرسو إذا ثبت **ومنه قول الشاعر**
به خالدات ما يرمن وهامد وأشعث أرسته الوليدة بالفهر
والزوج في هذه الآية الصنف والنوع وليس بالزوج المعروف
في المتلازمين الفردين من الحيوان وغيره ومنه قوله تعالى
سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما
لا يعلمون ومثل هذه الآية والأرض مددناها وألقينا فيها
رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج وهذه الآية تقتضي أن
كل ثمرة موجود منها نوعان فإن اتفق أن يوجد من ثمرة أكثر من نوعين فغير
ضار في معنى الآية وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عباس
وحفص عن عاصم يغشي بسكون الغين وتخفيف الشين وقرأ حمزة
والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بفتح الغين وشد الشين وفي
ذكر الواحد ذكر الآخر وقيل في الآية [illegible] أن الأزواج إلى
[illegible] بها الأنواع والأصناف والأجناس المسميات بذلك من حيث أنها
اثنان ويقال إن في كل ثمرة ذكرا وأنثى وجعل [illegible] أن المعنى [illegible]

[illegible] عند [illegible] الذكر والأنثى [illegible]

قوله

في قوله الثمرات ثم [illegible] أنه جعل في الأرض من كل ذكر وأنثى
وقوله تعالى وفي الأرض قطع الآية القطع جمع قطعة وهي الأجزاء
وقيد منها في هذا المثال بالتجاور وقرب بعضها من بعض لأن اختلاف
ذلك في الأكل أغرب وقرأ الجمهور وجنات بالرفع عطفا على قطع وقرأ
الحسن ابن أبي الحسن وجنات بالنصب بإضمار فعل وقيل هو عطف على
رواسي وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وزرع ونخيل صنوان
وغير بالرفع في الكل عطفا على قطع وقرأ الباقون وزرع بالخفض في
الكل عطفا على أعناب وجعل الجنة من الأعناب من رفع الزرع والجنة
حقيقة إنما هي الأرض التي فيها الأعناب وفي ذلك تجوز ومنه
قول الشاعر كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا
أي نخل جنة إذ لا يوصف بالسحق إلا النخيل ومن خفض الزرع فالجنات
من مجموع ذلك لا من الزرع وحده إذ لا يقال للمزرعة جنة إلا إذا
خالطها شجرات وصنوان جمع صنو وهو الفرع يجمعه مع الآخر
أصل واحد وربما كان أكثر من فرعين قال البراء بن عازب الصنوان
المجتمع وغير الصنوان المفترق فردا فردا ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم العم صنو الأب وروي أن عمر بن الخطاب أسرع إلى العباس في
[illegible] إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت يا رسول الله
أن أقول للعباس [illegible] فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله عمر العم صنو الأب وجمع الصنو صنوان في [illegible]
مكسرة قال أبو علي وكسرة الصاد في الواحد ليست التي في الجمع وهو جار مجرى
فلك وتقول صنو وصنوان في الجمع بنون [illegible] وقرأ عاصم في رواية
القواس عن حفص صنوان بضم الصاد قال أبو علي هو مثل ذئب وذؤبان [illegible]
ورواه ابن مصرف [illegible] إلى عبد الرحمن السلمي وهي لغة تميم وقيس وكسر الصاد لغة

امثل النخيل وقرأ الحسن وقتادة صنوان بفتح الصاد وهو اسم جمع ويطرد هذه
اللفظة قنو وقنوان وانما نص على الصنوان في هذه الآية لانهما بمثابة التجاور
في القطع يظهر فيها غرابة اختلاف الأكل وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة
والكسائي والحسن وأبو جعفر وأهل مكة يسقى بالياء وأمال حمزة والكسائي القاف
وقرأ عاصم وابن عامر يسقى بالتاء على معنى يسقى ما ذكر وقرأ الجمهور نفضل
بالنون وقرأ حمزة والكسائي ويفضل بالياء وقرأ ابن محيصن يسقى بماء واحد
ويفضل بالياء فيهما وقرأ ابي حيوة يعمر ولتوحوه ويفضل بالياء وفتح الضاد بعضها
بالرفع قال أبو حاتم وجدته كذلك في نقط يحيى بن يعمر في مصحفه
وهو أول من نقط المصاحف والأكل اسم ما يؤكل بضم الهمزة والأكل
المصدر وقرأت فرقة في الأكل بضم الهمزة والكاف وقد تقدم
هذا في البقرة وحكى الطبري عن ابن عمرو واحد ابن عباس وغيره قطع
متجاورات اي واحدة سبخة وأخرى عذبة ونحو هذا من القول وقال
قتادة المعنى قرى متجاورات وهذا وجه من العبرة كأنه قال في
الأرض قطع مختلفات بتخصيص الله لها بمعان فهي تسقى بماء واحد
ولكن تختلف في ما تخرجه والذي يظهر من وصفه لها بالتجاور انما
هو انهما من تربة واحدة ونوع واحد وموضع العبرة في هذا ابين لأنها
مع اتفاقها في التربة والماء تفضل القدرة والإرادة بعض أكلها
على بعض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن هذه
الآية فقال الدقل والفارسي والحلو والحامض وعلى المعنى الأول قال
الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض في يد الرحمن
طينة واحدة فسطحها فصارت قطعا متجاورة ينزل عليها ماء واحد
من السماء فيخرج هذه زهرة وثمرة ويخرج هذه سبخة وملحا وخبثا فكذلك
الناس خلقوا من آدم فنزل عليهم من السماء تذكرة فرقت قلوب وخشعت

وقست

وقست قلوب ولهت وجفت قال الحسن والله ما جالس احد القرآن
الا قام عنه بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ما
هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا والتفضيل في
الأكل الأذواق والألوان والملمس وغير ذلك

قوله عز وجل

وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين
كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من
قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك
لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه
إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ۞ هذه آية توبيخ للكفرة اي
وإن تعجب يا محمد من جهالتهم وإعراضهم عن الحق فهم أهل لذلك وعجب وغريب
ومنكر قولهم في العود بعد كوننا ترابا خلقا جديدا ويحتمل اللفظ منزعا
أخرى أي وإن كنت تريد عجبا فهلم فإن من أعجب العجب قولهم واختلف
القراء في قراءة قوله أئذا كنا ترابا أئنا فقرأ ابن كثير وأبو عمرو أيذا كنا ترابا أينا
لفي خلق جديد جميعا بالاستفهام غير أن أبا عمرو يمد الهمزة ثم يأتي
بالياء ساكنة وابن كثير يأتي بالياء ساكنة بعد الهمزة من غير مد وقرأ نافع أيذا
كنا مثل أبي عمرو واختلف عنه في المد وقرأ إنا لفي خلق جديد مكسورة
على الخبر ووافقه الكسائي في الاكتفاء بالاستفهام الأول من الثاني
غير أنه كان يهمز همزتين وقرأ عاصم وحمزة أئذا كنا ترابا أئنا بهمزتين
وقرأ ابن عامر إذا كنا مكسورة الألف من غير استفهام أئنا يهمز ثم يمد ثم يهمز
من قرأ بالاستفهامين فذلك للتأكيد والتحفي والاهتبال بهذا التقدير
ومن استفهم في الأول فقط فهو بين ولا حول ولا قوة الا بالله والإشارة
بذلك إلى المعنى القائلين أئذا كنا ترابا وبذلك الحالة انما هي بعدهم تصميم الجحد

[illegible]

والانكار للبعث فلذلك حكم عليهم بالكفر وقوله واولئك الاغلال يحتمل
معنيين احدهما الحقيقة وانما اخبر عن كون الاغلال في اعناقهم في
الاخرة فهو كقوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل ويحتمل ان يكون
مجازا وانما اخبر عن كونهم مغلولين عن الايمان فهي اذا كقوله من الطبع والختم
على القلوب وهو كقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى
الاذقان فهم مقمحون وثاني الاية من وقال بعض الناس الاغلال هنا
عبارة عن الاعمال اي اعمالهم الفاسدة في اعناقهم كالاغلال وتحرير
هذا هو في التاويل الثاني الذي ذكرناه وقوله تعالى ويستعجلونك
بالسيئة الاية هذه هي اية تبين خطيئتهم في ان تمنوا المصايب
وطلبوا سقوط كسف من السما او حجارة تمطر عليهم او نحو هذا مع حلول
ذلك في الامم وسواله بانا من تبع ولو كان ذلك لم تر لفظ الحاتوا اعذر
والمثلات جمع مثلة كسمرة وسمرات وصدقة وصدقات وقرا الجمهور
المثلات بفتح الميم وضم الثا وقرا مجاهد المثلات بفتح الميم والثا
وذلك جمع مثلة اي الاخذة الفذة بالعقوبة وقرا عيسى بن عمر
المثلات بضم الميم والثا وروي عن ابي عمرو وقرا الاعمش وابان
المثلات بضم الميم وسكون الثا وهما جمع مثلة وقرا طلحة بن مصرف
المثلات بفتح الميم وسكون الثا ثم رجا عز وجل بقوله وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم قال الطبري معناه في الاخرة وقال قوم المعنى
اذا تابوا وشديد العقاب اذا اصروا والظاهر من معنى المغفرة
هنا انما هو ستره في الدنيا واهماله للكفرة الا ترى التيسير في لفظ مغفرة
وانها منكرة مقللة وليس فيها مبالغة كما في قوله واني لغفار لمن تاب
وامن وعمل الاية فتعطي هذه الاية حكمه على الناس اذ لو يعجل لهم
للظالم سو تعاملهم وحسن في نفس السامع تعجبهم بالصبر سيرته في الاسم

وانه

وانه يمهل مع ظلم الكفرة ولم يرد في الشرع ان الله تعالى يغفر ظلم
العباد ثم خوف بقوله وان ربك لشديد العقاب قال ابن المسيب
لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا
عفو الله ومغفرته لما تهنى احد عيشا ولولا عقابه لاتكل كل احد
وقال ابن عباس ليس في القران ارجى من هذه الاية والمثلات هي
العقوبات المنكلات التي تجعل الانسان مثلا يتمثل به ومنه
التمثيل بالقتلى ومنه المثلة بالعبيد وقوله تعالى ويقول الذين كفروا
الاية هذه انه عض من اقتراحاتهم المستنبطة التي لم يجر الله
عادته الا للامم التي حتم بعذابها واستيصالها والاية هنا يراد بها
الاشيا التي سمتها قريش كالملك والكنز وغير ذلك ثم اخبر الله تعالى
بانه منذر وهذا الخبر قصد به لفظه والناس اجمعون بمعناه وتلطف
المتاولون في قوله ولكل قوم هاد فقال عكرمة وابو الضحى المراد بالهاد
محمد عليه السلام وهاد عطف على منذر كانه قال انما انت منذر وهاد
لكل قوم فيكون هذا المعنى يجري مع قوله عليه السلام بعثت الى
الاسود والاحمر وهاد على هذا في هذه الاية بمعنى داع الى
طريق الهدى وقال مجاهد وابن زيد المعنى انما انت منذر ولكل
امة سلفت هاد اي نبي يدعوهم والمقصد فليس امرك يا محمد بدعا ولا
منكرا وهذا يشبه غرض الاية وقالت فرقة الهادي في هذه الاية
الله عز وجل وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وهاد
على هذا معناه مخترع الرشاد والالفاظ تطلق بهذا المعنى ويعرف ان الله
تعالى هو الهادي من غير هذا الموضع وقالت فرقة الهادي علي
ابن ابي طالب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ابن عباس
انه قرا هذه الاية وعلي حاضر فاوما بيده الى منكب علي وقال

انت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي والذي يشبه ان يصح هذا
ان النبي صلى الله عليه وسلم انما خص عليا رضي الله عنه بما لامر علما،
الامة وهذا انما الى الدين كانه قال انت يا علي وصنفك فيدخل في هذا
ابو بكر وعمر وعثمن وسائر علما الصحابة ثم العلما من كل عصر فيكون المعنى على
هذا انما انت منذر يا محمد ولكل قوم في القديم والحديث دعاة وهداة
الى الحق والقولان الاولان ارجح ما تاول في الاية **قوله عز وجل**
الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شي عنده
بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سوا منكم من اسر القول ومن
جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار لما تقدم تعجب الكفار
واستعجالهم البعث من القبور وصف في هذه الايات الدالة المنبهة على
قدرة الله تعالى القاضية بتجويز البعث فمن ذلك هذه الواحدة من الخمس
التي هي مفاتح الغيب وهي ان الله تعالى انفرد بمعرفة ما تحمل به
الاناث من الاجنة من كل نوع من الحيوان وهذه البداءة دليل لا يبعد
على القادر عليها الاعادة وما في قوله ما تحمل يصح ان تكون بمعنى الذي مفعوله
بيعلم ويصح ان تكون مصدرية مفعوله ايضا بيعلم ويصح ان تكون استفهاما
في موضع رفع بالابتداء والخبر تحمل وفي هذا الوجه ضعف وفي مصحف
ابي بن كعب ما تحمل كل انثى وما تضع **وقوله** وما تغيض الارحام
معناه اي ما تنقص وذلك انه من معنى قوله وغيض الماء وهي بمعنى النقص
هي هاهنا بمعنى زوال شي عن الرحم وذهابه فلما قابله قوله وما تزداد
فسر بمعنى النقصان ثم اختلف المتاولون في صورة الزيادة والنقصان
فقال مجاهد غيض الرحم ان تهريق دما على الحمل واذا كان ذلك ضعف الولد
في البطن ونحف فاذا اكملت الحامل تسعة اشهر لم تضع وبقي الولد في
بطنها زيادة من الزمن حال تهريقها من حيضه ونقصه ما نقص بقدر انه الدم

فهذا

فهذا هو معنى قوله وما تغيض الارحام وما تزداد وجمهور المتاولين
على ان غيض الرحم الدم على الحمل وذهب بعض الناس الى ان غيضه هو
نضوب الدم فيه وامساكه بعد عادة ارساله بالحيض فيكون قوله وما
تزداد بعد ذلك جاريا مجرى تغيض على غير مقابلة بل غيض الرحم
هو بمعنى الزيادة فيه وقال الضحاك غيض الرحم ان تسقط الولد والزيادة
ان تضعه لمدة كاملة تاما في خلقه وقال قتادة الغيض السقط والزيادة
البقاء فوق تسعة اشهر **وقوله** وكل شي بمقدار لفظ عام في كل ما يدخله التقدير
والغيب ما غاب عن الادراكات والشهادة ما شوهد من الامور ووضع المصادر
موضع الاشيا التي كل واحد منها لا بد ان يتصف باحد الحالين **وقوله**
الكبير صفة تعظيم على الاطلاق والمتعال من العلو واختلف القراء
في الوقف على المتعال فاثبت ابن كثير وابو عمرو في بعض ما روي عنه
الياء في الوصل والوقف ولم يثبتها الباقون في وصل ولا وقف واثباتها هو
الوجه والباب واستسهل سيبويه حذفها في الفواصل لهذه الاية
قياسا على القوافي في الشعر ويقبح حذفها في غير فاصلة ولا قافية
ولكن وجهه انه لما كان التنوين يعاقب الالف واللام ابدا وكانت هذه الياء
تحذف مع التنوين حسن ان تحذف مع معاقبه وتفصل هذه الاية
فقه يحسن ذكره فمن ذلك اختلاف الفقها في الدم الذي تراه الحامل
فمذهب مالك رحمه الله واصحابه والشافعي واصحابه وجماعة غيرهم
انه حيض وقالت فرقة عظيمة ليس بحيض ولو كان حيضا لما صح استبراء الامة
بحيض وهو اجماع الامة وروي عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي انه ليس بحيض
ومن ذلك ان الامة مجمعة على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر وذلك منتزع
من قوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا مع قوله والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين ومن السنة المشهور ان الاهلة تسعة بزيادة اشهر الرضاعة

وكذلك قد روي في المذهب عن اصحاب مالك واظنه في كتاب ابن حارث
انه نقص من الاشهر الستة ثلثة ايام فان الولد يلحق لعلة نقص الشهور
وزيادتها وانه اتفق في الرحم فيعمل لسبعة اشهر وهذا ضعيف وقالت
عائشة وجماعة من العلماء اكثر الحمل سنتان وقال مرة ثلثة اعوام وفي
المدونة اربعة اعوام وخمسة اعوام وقال ابن شهاب وغيره سبعة
اعوام ويروى ان ابن عجلان ولدت امراته لسبعة اعوام وروي ان
الضحاك بن مزاحم بقي حولين قال وولدت وقد نبتت ثناياي وروي
ان عبد الملك بن مروان ولد لستة اشهر وقوله تعالى سواء منكم الاية
سواء مصدر وهو يطلب بعده شيئين تماثلا ورفعه على خبر الابتداء الذي
هو من والمصدر لا يكون خبرا الا باضمار كما قالت الخنساء فانما هي اقبال وادبار
اي ذات اقبال وادبار فمن اجل هذا المعنى [illegible] سواء وقال الزجاج
كثر استعمال سواء في كلام العرب حتى جرى مجرى اسم الفاعل فلا يحتاج
الى اضمار قال ابو علي الفارسي هو عندي يعدل وهو وصف وقالت
فرقة المعنى هو مستو منكم فلا يحتاج الى اضمار وضعف هذا سيبويه بانه
ابتدا بنكرة ومعنى هذه الاية معنى قوله تعالى في احاطة الله تعالى
وعلمه من اسر قوله ومن جهر به فانه لا يخفى على الله تعالى
شيء وقوله ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار معناه من هو
بالليل في غاية الاختفاء ومن هو بالنهار منصرف في [illegible] لوجهه
سواء في علم الله تعالى واحاطته بهما وذهب ابن عباس ومجاهد الى ان المعنى
مقتضاه ان المستخفي بالليل والسارب هو رجل واحد مريب بالليل ويظهر
بالنهار البراءة في التصرف مع الناس فهذا قسم واحد جعل الليل نهارا زوجة
والمعنى هذا الذي امره كله واحد بريء من الريب سواء في اطلاع الله
تعالى على الكل ويؤيد هذا التاويل عطف السارب دون تكرار من ولا

باي

باي حدهما الاخر السعة والسارب في اللغة المنصرف حيث شاء ومن ذلك
قول الشاعر اري كل يوم قالوا اعد مجلهم ونحن خلا لنا فيه فهو سارب
اي منصرف عن هده في جهة وهذا في اول المعنى بعزة قومه ومن ذلك
قول الاخر انى سربت وكنت غير سروب وتقرب الاحلام غير قريب
ويحتمل الاية ان يتضمن ثلثة اصناف فالذي يسر طرف والذي يجهر طرف
مضاد للاول والثالث متوسط متلون يعصي بالليل مستخفيا ويظهر
البراءة بالنهار والقول في الاية يطرد معناه في الافعال وقال
قطرب فيما حكى الزجاج مستخف معناه ظاهر من قولهم خفيت الشيء
اذا اظهرته قال امرؤ القيس
خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق من عشي مجلب
قال وسارب معناه متوار في سرب وهذا القول وان كان تعلقه باللغة
بينا فضعيف لان اقتران الليل بالمستخفي والنهار بالسارب يرد على هذا القول
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما
بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما
لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب
الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال
اختلف المتاولون في عود الضمير من له فقالت فرقة هو عائد على
اسم الله [illegible] والحفظة لهم ايضا قاله الحسن وروي فيه عن
ابن عفان حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد والنخعي
والضمير على هذا في قوله يديه وما بعده من الضماير عائد على العبد المذكور
في قوله مستخف ومن امر الله يحتمل ان يكون صفة للمعقبات ويحتمل
ان يكون المعنى يحفظونه من كل ما جرى من القدر بما فاعه فان ا

جا المقدور والواقع اسلم المرء اليه وقال ابن عباس ايضا الضمير في قوله له
عائد على المذكور في قوله من هو مستخف بالليل وكذلك باقي الضماير التي في الاية
قالوا والمعقبات على هذا حرس الرجل وجلاوزته الذين يحفظونه قالوا والاية
على هذا في الروسا الكافرين واختار هذا القول الطبري وهو قول عكرمة وجماعة
قال عكرمة هي المواكب خلفه وامامه ويصح على التاويل الاول الذي
قاله هذا ان يكون الضمير في له للعبد المومن على معنى جعل الله له
وهذا التاويل عندي اقوى لان غرض الاية انما هو التنبيه على قدرة الله
تعالى وذكر المستخفي والسارب وان له معقبات
من الله يحفظونه في كل حال ثم ذكر ان الله لا يغير هذه الحالة من
الحفظ للعبد حتى يغيرها بنفسه وعلى كلا التاويلين ليست الضماير
لمعين من البشر وقال عبد الرحمن ابن زيد الاية في قوله النبي صلى الله
عليه وسلم ونزلت يحفظه الله له من اربد بن ربيعة وعامر بن الطفيل
في القصة التي ستاتي بعد هذا في ذكر الصواعق وهذه الاية وان
كانت الفاظها تنطبق على معنى القصة فيضعف القول ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يتقدم له ذكر يعود الضمير في له عليه والمعقبات الجماعات
التي يعقب بعضها بعضا فعلى التاويل الاول هي الملايكة وفي طريق هذا
القول النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملايكة بالليل وملايكة
بالنهار ويجتمعون في صلاة المغرب والصبح وعلى التاويل الثاني
هي الحرس والوزعة الذين للملوك والمعقبات جمع معقبة وهي
الجماعة التي ياتي بعدها الاخرى والتعقيب بالجملة ان يجي شي في عقب
حال اخرى من نوعها وقد يكون من غير النوع ومنه معاقبة الركب
ومعقب غنيمة العدو والمعاقبة في الازدواج ومنه قول سلامة

بن جندل

بن جندل وكرنا الخيل في اثارهم رجعا كس السنابك من بدء وتعقيب
وقرا عبيد الله بن زياد على المنبر له معاقيب قال ابو الفتح هو تكسير معقب
قال القاضي ابو محمد بسكون العين وكسر القاف كمطعم ومطاعم ومقدم ومقادم
وهي قراءة ابي البرهسم فكان معقبا جمع على معاقبة ثم جعلت الياء في
معاقيب عوضا من الهاء المحذوفة في معاقبة والمعقبة ليست جمع معقب
كما ذكر الطبري وشبهه ذلك برجل ورجال ورجالات وليس الامر كما ذكر انما ذلك
كجمل وجمال وجمالات ومعقب ومعقبة ومعقبات انما هي كضارب وضاربة
وضاربات وفي قراءة ابي بن كعب من بين يديه ورقيب من خلفه وقرا ابن عباس
ورقباء من خلفه وذكر عنه ابو حاتم انه قرا معقبات من خلفه ورقيب من
بين يديه يحفظونه بامر الله **وقوله** يحفظونه يحتمل معنيين احدهما ان يكون معنى
يحوطونه ويذبون عنه فالضمير معمول ليحفظ هو والمعنى الثاني ان يكون معنى
حفظ الاقوال وتحصيلها ففي اللفظة حينئذ حذف مضاف تقديره يحفظون عليه
اعماله ويكون هذا حينئذ من باب واسال القرية وهذا هو قول ابن جريج
وقوله من امر الله من جعل يحفظونه بمعنى يحوطونه كان معنى قوله من امر الله
يراد به المعقبات فيكون في الاية تقديم وتاخير اي له معقبات
من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه قال ابو الفتح من امر الله في
موضع رفع لانه صفة لمرفوع وهي المعقبات ويحتمل هذا التاويل في قوله
امر الله مع التاويل الاول يحفظونه ومن تاول الضمير في له عائدا على
العبد وجعل المعقبات الحرس وجعل الاية في روسا الكافرين جعل
قوله من امر الله بمعنى يحفظونه بزعمه من قدر الله ويدفعونه في ظنه عنه وذلك
لجهالته بالله عز وجل وبهذا التاويل جعلها المتاول في الكافرين قال ابو
الفتح من امر الله على هذا في موضع نصب كقولك حفظته من الاسد
فمن الاسد معمول يحفظ وقالت فرقة معنى من امر الله بامر الله اي

يحفظونه بامر الله وهذا تحمله في التاويل وقال قوم المعنى الحفظ
من امر الله وقيل يتقدم يحفظونه وقرا علي بن ابي طالب وعكرمة وجعفر
بن محمد يحفظونه بامر الله ثم اخبر تعالى انه لا يغير ما بقوم بان يعذبهم
ويمتحنهم بمعاقبة حتى يقع منهم تكسب للمعاصي وتغيير ما امروا به من طاعة
وهذا موضع تامل لانه يدل ان الجزاء ما ورد في الشريعة من اجل العامة
بذنوب الخاصة ومنه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد
سئل انهلك يا رسول الله قال نعم اذا كثر الخبث الى اشيا كثيرة من هذا
فقوله تعالى في هذه الآية لا يغير ما بقوم حتى يغيروا معناه حتى يقع تغيير
اما منهم واما من الناظر لهم او ممن هو منهم بسبب كما غير الله تعالى
بالمنهزمين يوم احد بسبب تغيير الرماة ما بانفسهم الى غير هذا من امثلة
الشريعة فليس معنى الآية انه لا ينزل باحد عقوبة الا بان يتقدم منه
ذنب بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير وثم ايضا مصائب يريد الله
بها اجر المصاب فتلك ليست تغييرا ثم اخبر الله انه تعالى اذا اراد
بقوم سوءا فلا مرد له ولا حافظ منه وهذا جرى في طريق التنبيه
على قدرة الله تعالى واحاطته والسوء والخير منه له واحسنه في ابهامها
اذا اراده الله بعبد لم يرد لكنه خص السوء بالذكر ليكون في الآية
تخويف واختلف العلماء في وال فقال بعضهم ولم يقله بعضهم والوالي
الذي يلي امر الانسان كالولي من الولاية كعليم وعالم من العلم

وفينا الصالحون

وقوله هو الذي يريكم البرق الآية يعني انه ينشئه على القدرة
والبرق وروي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مخراق بيد ملك
يزجر به السحاب وهذا اصح ما روي فيه وروي عن بعض العلماء انه قال
البرق اصطكاك الاجرام وهذا عندي مردود وقال ابو الجلدي

هذه

هذه الآية البرق الماء وذكره مكي عن ابن عباس ومعنى هذا القول انه لما
كان داعية الماء وكان خوف المسافر من الماء وطمع المقيمين به عبر هنا القول
عنه بالماء وقوله خوفا وطمعا من راى ذلك في الماء هو على ما قدم والظاهر
الخوف انما هو من صواعق البرق والطمع في المطر الذي يكون معه ويقول
الحسن والسحاب جمع سحابة ولذلك جمع الصفة والثقال معناه بحمل الماء
وبذلك فسر قتادة ومجاهد والعرب تصفها بذلك ومنه قول

فما روضة من رياض القطا كان المصابيح حوذانها
باحسن منها ولا مزنة دلوح تكشف ادجانها

والدلوح المثقلة والرعد ملك يزجر السحاب بصوته وصوته هذا المسموع
تسبيح والرعد اسم الملك وقيل الرعد اسم صوت الملك وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا سمع الرعد قال اللهم لا تهلكنا بغضبك ولا تقتلنا
بعذابك وعافنا قبل ذلك وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعن [illegible] انه
كانوا اذا سمعوا الرعد قالوا سبحان من سبحت له وروي لنا ابو هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا سمع الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وقال ابن ابي
من قال اذا سمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة وقيل في الرعد
ايضا انه ريح تخنق بين السحاب وروي ذلك عن ابن عباس وهذا عندي لا
يصح لانها من نزعات الطبيعيين وغيرهم من الملحدة وروي عن [illegible] الملك
اذا اشتد زجره السحاب اضطربت من خوفه فيكون البرق وتحتك فيكون
الصواعق وقوله ويرسل الصواعق الآية قيل انه ادخلها في التنبيه
على القدرة بغير سبب وذلك وقال ابن جريج كان سبب نزولها
اربد اخو لبيد بن ربيعة لامه وعامر بن الطفيل وكان من امرهما فيما روي انهما
قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعواه الى ان يجعل الامر بعده
الى عامر بن الطفيل ويدخلا في دينه فاباه فقال عامر فهل انت على الكلا والوبر
وانا على اهل المدر فابى فقال له عامر بماذا اعطي قال له النبي صلى الله عليه

أعطيك أعنة الخيل فإنك رجل فارس فقال له عامر والله لأملأنها
عليك خيلا ورجالا حتى أخذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأبى الله ذلك وأبناء قيلة فخرجا من عنده فقال أحدهما لصاحبه
لو قتلناه ما انتطح فيها عنزان فتوامرا في الرجوع لذلك فقال عامر
لأربد أنا أشغله لك بالحديث فاضربه أنت بالسيف فجعل عامر يحدثه
وأربد لا يصنع شيئا فلما انصرفا قال له عامر والله يا أربد لا خفتك أبدا
ولو بت أخاف مثل هذا فقال له أربد والله لقد أردت إخراج السيف
فما قدرت على ذلك ولقد كنت أراك بيني وبينه أفأضربك فمضيا للحشد على
النبي صلى الله عليه وسلم فأصابت أربد صاعقة فقتلته ففي ذلك
يقول لبيد بن ربيعة أخوه

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والأسد
فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد

فنزلت الآية في ذلك وروي عن عبد الرحمن بن صحار العبدي
أنه بلغه أن جبارا من جبابرة العرب بعث إليه النبي صلى الله عليه
وسلم ليسلم فقال أخبروني عن إله محمد أمن لؤلؤ هو أو من ذهب فنزلت عليه
صاعقة ونزلت الآية فيه وقال مجاهد إن بعض اليهود جاء إلى
النبي صلى الله عليه وسلم يناظره فبينما هو كذلك إذ نزلت صاعقة
فأخذت قحف رأسه ونزلت الآية فيه قوله وهم يجادلون في
الله يجوز أن يكون إشارة إلى جدال اليهودي المذكور ويكون الواو واو حال
أو إلى جدال الجبار المذكور ويجوز إن كانت الآية على غير سبب أن
يكون قوله وهم يجادلون في الله إشارة إلى جميع الكفرة من العرب وغيرهم
الذين جلبت لهم هذه الشبهات والمحال القوة والإهلاك ومنه
قول الأعشى   فرع نبع يهتز في غصن المجد عظيم الندى شديد المحال

ومنه

ومنه قول عبد المطلب   لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
وقرأ الأعرج والضحاك المحال بفتح الميم بمعنى المحالة
وهي الحيلة ومنه قول العرب في مثل المرء يعجز لا المحالة وهذا
كالاستدراج والمكر ونحوه وهذه استعارات في ذكر الله تعالى
والمتيم إذا اشترب أصله وإذا فحت ويقال محل الرجل بالرجل إذا
مكر به واحده سعاية سوء **قوله عز وجل** له دعوة
الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه
إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في
ضلال ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم
بالغدو والآصال قل من رب السموات والأرض قل الله قل
أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل
يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا
لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء
وهو الواحد القهار   الضمير عائد على اسم الله عز وجل وقال
ابن عباس دعوة الحق لا إله إلا الله **قال القاضي أبو محمد**
وما كان من الشريعة في معناها وقال علي بن أبي طالب دعوة
الحق التوحيد ويصح أن يكون معناها أنه دعوة العباد بالحق ودعاء غيره
من الأوثان باطل   والذين يراد به ما عبد من دون الله والضمير في
يدعون للكفار قريش وغيرهم من العرب وروى اليزيدي عن أبي عمرو بن العلاء
تدعون من دونه بالتاء من فوق ويستجيبون بمعنى يجيبون ومنه
قول الشاعر   وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
ومعنى الكلام والذين يدعونهم الكفار في حوائجهم ومنافعهم لا يجيبون بشيء
ثم مثل تعالى مثالا لإجابتهم بالذي يبسط كفيه نحو الماء ويشير إليه

بالا ماسال الى فيه فلا يبلغ فيه ابدا فلذلك اجابة هولا والاصنام
لهم لا تنفع ... هو سر بدنه الماء وهو الباسط والضمير في بالغه للفم
ويجوز ان يكون هذا ارادة الفم وهو الباسط والضمير في بالغه للماء
لان الفم لا يبلغ ابدا على تلك الحال ثم اخبر تعالى عن دعاء الكفار
انه في ائتلاف وضلال لا يفيد شيئا ولا ينفعه ولله
يسجد الاية يحتمل ظاهرها من الالفاظ انه يجري في طريق التنبيه
على قدرة الله تعالى وتسخير الاشياء له فقط ويحتمل ان يعتبر في
ذلك طعن على كفار قريش وحاضري محمد عليه السلام اي ان كنتم انتم لا
تؤمنون ولا تسجدون فان جميع من في السموات والارض لهم سجود
لله تعالى والى هذا الاحتمال نحا الطبري ومن يقع على الملائكة
عموما وسجودهم طوعا بلا خلاف واما اهل الارض فالمؤمنون منهم
داخلون في من وسجودهم طوع واما سجود الكفرة فهو الكره
وذلك على نحو من هذا المعنى فان جعلنا السجود هذه الهيئة المعهودة
فالمراد من الكره من ضمه السيف الى الاسلام كما قال قتادة
فسجد كرها اما نفاقا واما ان يكون الكره اول حاله فيستمر عليه
الصفة وان صح ايمانه بعد وان جعلنا السجود الخضوع والتذلل على
حسب ما هو في اللغة كقول الشاعر بجمع تضل البلق في حجراته
يرى الاكم فيه سجدا للحوافر فيدخل الكفار اجمعون في من لانه ليس من كافر
الا ويلحقه من التذلل والاستكانة لقدرة الله انواع اكثر من ان تحصى
بحسب رزاياه واعتباراته وقال النقاش والزجاج ان الكره يكون
في سجود عصاة المؤمنين واهل الكسل منهم وان كان اللفظ يتضمن هذا فلو
من جهة المعنى المقصود لا يتسق وظلالهم بالغدو والاصال
اخبار على ان الظلال لها سجود لله تعالى بالبكر والعشيات وقال الطبري

وقيل

245

وهذا كقوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين
والشمائل سجدا لله قال وذلك هو فيئه بالعشي وقال مجاهد ظل
الكافر يسجد طوعا وهو كاره وقال ابن عباس يسجد ظل الكافر حين يفيء عن يمينه
وشماله وحكى الزجاج ان بعض الناس قال الظلال هنا يراد بها
الاشخاص وضعفه ابو اسحق والاصال جمع اصل وقرا ابو مجلز والايصال ل
قال ابو الفتح هو مصدر اصلنا اي دخلنا في الاصيل كاصبحنا وامسينا
وروي ان الكافر اذا سجد لصنمه فان ظله يسجد لله تعالى حينئذ
وقوله قل من رب السموات الاية جاء السؤال والجواب في هذه الاية من ناحية
واحدة اذ كان السؤال والتقرير عن امر واضح لا مدافعة لاحد فيه ملزم للحجة
فيه فكان السبق الى الجواب افصح في الاحتجاج واسرع في قطعهم من
انتظار الجواب منهم اذ لا جواب الا هذا الذي وقع البدار اليه وقال
مكي جهلوا الجواب وطلبوه من جهة السائل فاعلمهم به السائل فلما تقيد
من هذا كله ان الله تعالى هو رب السموات والارض وقع التوبيخ على اتخاذهم
من دونه اولياء متصفين بانهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وهذا غاية العجز
وفي ضمن هذا الكلام وتركتموه هو الذي بيده ملكوت كل شيء والمعنى من دونه
مع ذلك ثم مثل الكفار والمؤمنين بعد هذا بقوله قل هل يستوي الاعمى
والبصير وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم
تستوي الظلمات بالتاء وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يستوي
بالياء فالتاء حسن لانه مؤنث لم يفصل بينه وبين فاعله شيء والتذكير سائغ لانه
تانيث غير حقيقي والفعل مقدم وشبهت هذه الاية الكافر بالاعمى
والكفر بالظلمات وشبهت المؤمن بالبصير والايمان بالنور ثم وقفهم بعد هل راوا
خلقا لغير الله فحملهم ذلك واشتباهه بما خلق الله على ان جعلوا الها غير الله
ثم امر محمدا عليه السلام بالافصاح بصفات الله تعالى في انه خالق كل شيء

وهذا عموم في اللفظ يراد به الخصوص في كل ما هو خلق الله تعالى فخرج عن
ذلك صفات ذاته لا رب غيره ووصف نفسه بالوحدانية من حيث هو موجود
لا ثاني له ويتوحد في وجوده ممتنع عن الموجودات لا إله إلا هو العلي العظيم

قوله عز وجل أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد
مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما
ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال

صدر هذه الآية تنبيه على قدرة الله تعالى وإقامة الحجة على الكفرة
فلما فرغ ذكر ذلك جعله مثالا للحق والباطل والإيمان والكفر والشك
في الشرع والنصرة أنزل من السماء ماء يريد به المطر والأودية
ما بين الجبال والانخفاض والخنادق بقدرها يحتمل أن يريد بما قدر
لها من الماء ويحتمل أن يريد بقدر ما تحتمله على قدر صغرها وكبرها
وقرأ جمهور الناس بقدرها بفتح الدال وقرأ الأشهب العقيلي بقدرها
بسكون الدال والزبد ما يحمله السيل من غثاء ونحوه وما يرمي به ضفتيه
من الحباب الملتبك ومنه قول حسان بن ثابت
فالبحر حين تهب الريح شامية فيغطئل ويرمي العبر بالزبد
والرابي المنتفخ الذي قد ربا ومنه الربوة وقوله ومما توقدون
ابتدا والابتداء قوله زبد ومثله نعت للزبد والمعنى ومن الأشياء
التي توقدون عليها ابتغاء الحلي وهي الذهب والفضة أو ابتغاء الاستمتاع
بها في المرافق وهي الحديد والرصاص والنحاس ونحوها من الأشياء التي توقدون
عليها فأخبر تعالى أن من هذه أيضا إذا أحمي عليها يكون زبد مماثل للزبد
الذي يحمله السيل ثم ضرب تعالى ذلك مثلا للحق والباطل أي أن الماء الذي
تشربه الأرض من السيل فيقع النفع به هو كالحق والزبد الذي يجمد وينفش

هو كالباطل

هو كالباطل وكذلك ما يخلص من الذهب والفضة والحديد ونحو ذلك
هو كالحق وما يذهب في الدخان هو كالباطل وقوله في النار متعلق
بمحذوف تقديره كائنا أو ثابتا قاله أبو علي قال مكي وغيره ومنعوا أن يتعلق بقوله
يوقدون لأنهم زعموا ليس يوقد على شيء إلا وهو في النار وتعلق
حرف الجر بيوقدون يتضمن تخصيص حال من حال أخرى وذهب
أبو علي الفارسي إلى تعلقها بيوقدون وقال قد يوقد على شيء وليس
في النار كقوله تعالى فأوقد لي يا هامان على الطين فذلك البناء الذي
أمر به يوقد عليه وليس في النار لكن يصيبه لهبها وقوله
جفاء مصدر من قولهم أجفأت القدر إذا غلت حتى خرج زبدها
وذهب وقرأ رؤبة جفالا من قولهم جفلت الريح السحاب إذا حملته
وفرقته قال أبو حاتم لا تعتبر قراءة الأعراب في القرآن
وقوله ما ينفع الناس يريد الخالص من الماء ومن تلك الأحجار
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر
وأبي جعفر والأعرج وشيبة والحسن يوقدون بالياء أي الناس أيضا
الموقدون وهو صفة تجمع أنواع الناس وقرأ حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم وابن محيصن ومجاهد وطلحة ويحيى وأهل الكوفة
توقدون بالتاء على الإشارة إلى الناس جفاء مصدر في موضع الحال
وروي عن ابن عباس أنه قال قوله تعالى أنزل من السماء ماء يريد
به الشرع والدين وقوله فسالت أودية بقدرها يريد القلوب
أي أخذ النبيل بحظه والبليد بحظه وهذا قول لا يصح والله أعلم
عن ابن عباس لأنه ينحو إلى أصحاب الرموز وقد تمسك به الغزالي وأهل
ذلك الطريق ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب لغير علة
تدعو إلى ذلك والله الموفق للصواب برحمته وإن صح هذا القول

اوال م

عن ابن عباس فانما قصد ان قوله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل
معناه الحق الذي يثبت في القلوب والباطل الذي يعتريها الفساد
قوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو
ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم
سوء الحساب وماواهم جهنم وبئس المهاد افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ٥ الذين استجابوا لربهم
المؤمنون الذين دعاهم الله عز وجل على لسان رسوله فاجابوا الى ما
دعاهم اليه من اتباع دينه والحسنى هي الجنة وقد دخل فيها النصر في
الدنيا ونحو ذلك من البشارات التي تكون للمؤمن وكل ما اختص به المؤمنون من
نعم الله عز وجل والذين لم يستجيبوا لهم الكفرة وسوء الحساب هو
التدقيق على المحاسب والاستقصاء وحسابه من غير تجاوز في شيء
قاله شهر بن حوشب والنخعي وقاله ... والماوى حيث
ياوي الانسان ويسكن والمهاد ما يفترش ويلبس ...
وقوله تعالى افمن يعلم استفهام بمعنى التقرير والمعنى اسوا
من هداه الله تعالى لعلم صدق نبوتك وامن بك ومن لم يهتد ولا
يصير شيئا على كفره فمثل ذلك عز وجل بالعمى ٥ وروي ان هذه الاية نزلت
في حمزة بن عبد المطلب وابي جهل ابن هشام وقيل في عمار بن ياسر وابي
جهل ابن هشام وهي بعد هذا مثال في جميع العالم وانما يتذكر الاية
حاصرة اي انما يؤمن ويراقب الله من له لب ويحصل ثم اخذ تعالى
في وصف هؤلاء الذين يسر لهم الايمان فقال الذين يوفون بعهد الله

يذكر

وقوله

وقوله بعهد الله اسم للجنس اي بجميع عهود الله وهي اوامره
ونواهيه التي وصى بها عبيده ويدخل في هذه الالفاظ التزام
جميع الفروض وتجنب جميع المعاصي وقوله ولا ينقضون
الميثاق يحتمل ان يريد به جنس المواثيق اي اذا اعتقدوا في
طاعة الله عهدا لم ينقضوه قال قتادة وتقدم الله الى عباده
في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين اية ويحتمل ان يشير
الى ميثاق معين وهو الذي اخذه الله تعالى على عباده وقت مسحه
على ظهر ابيهم ادم عليه السلام ويصلون ما امر الله به ان يوصل
ظاهره في القرابات وهو مع ذلك يتناول جميع الطاعات
وسوء الحساب هو الذي يستقصى ولا يقع فيه مسامحة ولا تغمد
قوله عز وجل والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا
الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة
السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح
من اباءهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار الصبر لوجه الله
يدخل في الرزايا والاسقام والعبادات وعن الشهوات ونحو
ذلك وابتغاء نصب على المصدر او على المفعول من اجله والوجه
في هذه الاية ظاهره الجهة التي تقصد عنده تعالى بالحسنات
لتقع عليها المثوبة وهذا كما تقول خرج الجيش لوجه كذا وهو
اظهر ما فيه مع احتمال غيره واقامة الصلاة هو الاتيان بها على
كمالها والصلاة هنا هي المفروضة وانفقوا يريد به
مواساة المحتاج والسر هو ما انفق تطوعا والعلانية ما انفق من
الزكاة المفروضة لان التطوع كله الافضل فيه التكتم

ويدرؤون بالحسنة السيئة اي ويدفعون من راوا منه مكروها بالتي
هي احسن وقيل يدفعون بقول لا اله الا الله شركهم وقيل يدفعون
بالسلام غوائل الناس قال القاضي ابو محمد وبالجملة لا يكافئون
الشر بالشر وهذا بخلاف خلق الجاهلية وروي ان هذه الاية
نزلت في الانصار ثم هي عامة بعد ذلك في كل من اتصف بهذه الصفات
قوله عقبى الدار يحتمل ان يريد عقبى دار الدنيا ثم فسر العقبى
بقوله جنات عدن اذ العقبى تعم حالة الخير وحالة الشر ويحتمل
ان يريد عقبى دار الاخرة لدار الدنيا اي العقبى الحسنة في الدار
الاخرة هي لهم وقرا الجمهور جنات عدن وقرا النخعي جنة عدن يدخلونها
بضم اليا وفتح الخا وجنات بدل من عقبى وتفسير لها وعدن هي مدينة
الجنة ووسطها ومنها جنات الاقامة من عدن في المكان اذا اقام
فيه طويلا ومنه المعادن وجنات عدن يقال هي مسكن
الانبيا والشهدا والعلما فقط قاله عبد الله بن عمرو بن العاصي
ويروى ان لها خمسة الاف باب وقوله ومن صلح من
اباىهم اي من عمل صالحا وامن قاله مجاهد وغيره ويحتمل اي من صلح
لذلك بقدر الله تعالى وسابق علمه وحكى الطبري في صفة
دخول الملائكة احاديث لم نطول بها لضعف اسانيدها والمعنى
يقولون سلام عليكم فحذف يقولون تخفيفا وايجازا لدلالة ظاهر
الكلام عليه والمعنى هذا بما صبرتم والمعنى بهذا بما صبرتم والقول
في عقبى الدار على ما تقدم من المعنيين وقرا الجمهور فنعم بكسر النون
وسكون العين وقرا يحيى بن وثاب فنعم بفتح النون وكسر العين وقال
ثم فيه معنى عقبى الدار اي ان اعقبوا الجنة من جهنم وهذا التاويل
مبني على حديث ورد وهو ان كل رجل في الجنة فقد كان له مقعد معروف

في النار

في النار فصرفه الله عنه الى النعيم فيعرض عليه ويقال له
هذا كان مقعدك فبدلك الله منه الجنة بايمانك وطاعتك
وصبرك قوله عز وجل والذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل
من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر
الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم وحسن ماب هذه صفة حالة مضادة للمتقدمة
وقال ابن جريج في قوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل انه
روي اذا لم تمش الى ذي رحمك برجلك ولم تواسه بمالك فقد قطعته
وقال مصعب بن سعد سالت ابي عن قوله تعالى هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا اهم
الحرورية قال لا ولكن الحرورية هم الذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك
هم الفاسقون فكان سعد بن ابي وقاص رحمه الله يجعل فيهم الاية
واللعنة الابعاد من رحمة الله ومن الخير جملة وسوء الدار
ضد عقبى الدار والاظهر في الدار هنا انها دار الاخرة ويحتمل
انها الدنيا على ضعف وقوله الله يبسط الرزق لمن يشاء الاية
لما اخبر الله عمن تقدمت صفته بان لهم اللعنة ولهم سوء الدار انحى بعد
ذلك على اغنيائهم وحقر شانهم وشان اموالهم المعنى ان هذا كله
لمشيئة من الله يهب الكافر المال ليهلكه به ويقدر على المومن ليعظم

بذلك آخره وتحرره قوله ويقدر أي من القدر وهو مناقض بسط ثم
استجهلهم في قوله وفرحوا بالحياة الدنيا وما هي بالإضافة إلى الآخرة متاع
ذاهب مضمحل يستمتع به قليلا ثم يفنى والمتاع ما استمتع به مما لا
بقي وقال الشاعر تمتع يا مشعث إن شيئا سبقت به الممات هو المتاع
قوله ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه الآية
هذا رد على مقترحي الآيات من كفار قريش كسقوط السماء عليهم كسفا
ونحو ذلك من قولهم سير عنا الأخشبين واجعل لنا البطاح محارث ومغترسا
كالأردن وأحي لنا قصيا وأسلافنا فلما لم يكن ذلك بحسب أن آيات الاقتراح
لم تجر عادة الأنبياء بالإتيان بها إلا إذا أراد الله تعذيب قوم فالوجه
المقالة رد الله عليهم أن نزول الآية لا يلزم معه ضرورة إيمانكم
ولا هداكم وإنما الأمر بيد الله يضل من يشاء ويهدي إلى طاعته والإيمان
من أناب إلى الطاعة وآمن بالآية بالآيات الدالة ويحتمل العود
الضمير في إليه على القرآن الكريم ويحتمل أن يعود الضمير على محمد صلى
الله عليه وسلم والذين بدل من قوله من أناب وطمأنينة القلوب هي
الاستكانة والسرور بذكر الله والسكون به قناعة ورضى بالثواب عليه
وجودة اليقين ثم استفتح الإخبار عز وجل بأن طمأنينة القلوب بذكر
الله وفي هذا الإخبار حض وترغيب في الإيمان والمعنى أن بهذا
تقع الطمأنينة لا بالآيات المقترحة بل ربما كفر بعدها فنزل العذاب
كما سلف في بعض الأمم والذين الثاني ابتدا وخبره طوبى لهم ويصح أن يكون
الذين بدلا من الأول وطوبى ابتدا ولهم خبره وطوبى اسم مؤنث على ذلك
كونه ابتدا وهي فعلى من الطيب في قول بعضهم وذهب سيبويه
بها مذهب الدعا وقال هي في موضع رفع ويدل على [illegible] مصدر
كما رفع وحسن وقال ثعلب وقرئ وحسن بالنصب وطوبى على هذا

مصدرا

من في

مصدر كما قالوا سقيا لك ونحوه من المصادر كالرجعى والعقبى
قال ابن سيده والطوبى جمع طيبة عن كراع ونظيره الكوسى في جمع
كيسة وضوقى في جمع ضيقة قال القاضي أبو محمد والذي قرأ
وحسن بالنصب هو يحيى بن يعمر وابن أبي عبلة واختلف في معنى طوبى
فقيل معناه خير لهم وقال عكرمة معناه نعمى لهم وقال
الضحاك معناه غبطة لهم وقال ابن عباس طوبى اسم الجنة
بالحبشية وقال سعيد بن مسجوح اسم الجنة طوبى بالهندية
وقيل طوبى اسم شجرة في الجنة وبهذا تواترت الأحاديث قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة في الجنة يسير الراكب
المجد في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا إن شئتم وظل ممدود
وحكى الطبري عن أبي هريرة وعن مغيث بن سمي وعتبة بن عبد وغيره
أخبارا مقتضاها أن هذه الشجرة ليس في الجنة دار إلا وفيها من
أغصانها وأنها تثمر بثياب أهل الجنة وأنها تخرج منها الخيل بسروجها
ولجمها ونحو هذا مما لم يثبت سنده والمآب المرجع والمآب من آب
يؤوب ويقال في طوبى طيبى قوله عز وجل كذلك أرسلناك
في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون
بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به
الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة
أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد
ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف
كان عقاب الكاف في كذلك متعلقة بالمعنى الذي في قوله قل إن الله

يضل من يشا ويهدي اليه من اناب اي كما انعم الله بهذا كذلك ارسلناك
هذا قول والذي يظهر لي ان المعنى كما اجرينا العادة بان الله يضل ويهدي
لا بالايات المقترحة فلذلك ايضا فعلنا في هذه الامة ارسلناك اليهم
بوحي لا بايات مقترحة فيضل الله من يشا ويهدي من يشا **قوله**
وهم يكفرون بالرحمن قال قتادة وابن جريج نزلت في قريش حين عاهدهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم
قال قايلهم نحن لا نعرف الرحمن ولا نقر باسمه والذي اقول في هذا
ان الرحمن هنا يراد به الله تعالى وذاته ونسب اليهم الكفر به على الاطلاق
وقصة الحديبية وقصة امية بن خلف مع عبد الرحمن بن عوف انما هي
اباية الاسم فقط وهروب عن هذه العبارة التي لم يعرفوها الا من قبل
محمد عليه السلام ثم امر الله تعالى نبيه بالتصريح بالدعوة والافصاح
بالدعوة في قوله قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب
والمتاب المرجع كالمآب لان التوبة الرجوع ويحتمل قوله ولو ان قرانا الاية
ان يكون متعلقا بقوله وهم يكفرون بالرحمن فيكون معنى الاية الاخبار
عنهم انهم لا يومنون ولو نزل قران سيرت به الجبال وقطعت به الارض
هذا تاويل الفرا وفرقة من المتاولين وقالت فرقة بل جواب لو
محذوف تقديره ولو ان قرانا يكون صفته كذا لما امنوا بوجه وقال
اهل هذا التاويل ابن عباس ومجاهد وغيرهما ان الكفار قالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم ازح عنا وسير جبلي مكة فقد ضيقا علينا واجعل
لنا ارضنا قطع غراسة وحرث واحي لنا اباءنا واجدادنا وفلانا
وفلانا فنزلت الاية في ذلك معلمة انهم لا يومنون ولو كان ذلك كله
وقالت فرقة جواب لو محذوف ولكنه ليس في هذا المعنى بل تقديره
لكان هذا القران الذي يصنع هذا به ونضمر الكلام على هذا لتعظيم للقران

وهذا

وهذا قول حسن يحرز فصاحة الاية **قوله** بل لله الامر جميعا
يعضد التاويل الاخر ويترتب مع الاخر **قوله** افلم ييئس الذين امنوا
الاية ييئس معناه يعلم وهي لغة هوازن قاله القاسم بن معن وقال
ابن الكلبي هي لغة وهبيل حي من النخع ومنه قول سحيم بن وثيل الرياحي
اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيئسوا اني ابن فارس زهدم
ويحتمل ان يكون الياس في هذه الاية على بابه وذلك انه لما ابعد ايمانهم في قوله
ولو ان قرانا الاية على التاويل في المحذوف المقدر قال في هذه افلم ييئس
المومنون من ايمان هولا الكفرة علما منهم ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا
وقرا ابن كثير وابن محيصن يايس وقرا علي بن ابي طالب وابن عباس وابن ابي مليكة
وعكرمة والجحدري وعلي بن حسين ويزيد بن علي وجعفر بن محمد افلم يتبين [illegible]
اخبر تعالى عن هذه قريش والعرب انهم لا تزال تصيبهم قوارع من سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته وفي قراءة ابن مسعود ومجاهد
ولا يزال الذين ظلموا ثم قال او تحل قريبا من دارهم هذا تاويل فرقة منهم
الطبري وعزاه الى ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال الحسن بن ابي
الحسن المعنى او تحل القارعة قريبا من دارهم وقرا مجاهد وسعيد بن
جبير او يحل بالياء قريبا من ديارهم بالجمع ووعد الله على قول ابن عباس
وقوم فتح مكة وقال الحسن ابن ابي الحسن الاية عامة في الكفار
الى يوم القيامة وان حال الكفرة هكذا هي ابدا ووعد الله قيام الساعة
والقارعة الرزية التي تقرع قلب صاحبها بفظاعتها كالقتل والاسر
ونهب المال وكشف الحريم ونحوه **قوله** ولقد استهزئ برسل الاية
هذه اية تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا يضق صدرك يا محمد بما يلقى
من قومك ويلقى منهم فليس ذلك ببدع وقد تقدم هذا في الامم
واملَيت لهم اي مددت المدة واطلت والاملاء الامهال على جهة الا

وهو من الملاوة من الزمن ومنه تمليت حبيبًا العيش قوله فكيف
كان عقاب تقرير وتعجب في ضمنه وعيد الكفار المعاصرين لمحمد عليه السلم
قوله عز وجل أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله
شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول
بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في
الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة
التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى
الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار هذه الآية رافعة بالمعنى
الى قوله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو والمعنى أفمن هو
قائم على كل نفس بما كسبت أحق بالعبادة أم الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر
هذا تأويل ويظهر أن القول مرتبط بقوله وجعلوا لله شركاء كأن المعنى
أفمن له القدرة والوحدانية ويجعل له شريك أهل أن ينتقم ويعاقب
أم لا وعلى كل نفس من مخلوقاته وهو قائم على الكل أي محيط به لتقرب
الموعظة من حس السامع ثم خص من أحوال الانفس حال كسبها ليتفكر
الانسان عند نظر الآية في أعماله وكسبه قوله قل سموهم أي سموا
من له صفات يستحق بها الالوهية ثم أضرب القول وقررهم بمثل تنبئون الله
بما لا يعلمه وقرأ الحسن تنبئونه بإسكان النون وتخفيف الباء وأم في
معنى بل وألف الاستفهام هذا مذهب سيبويه وبنى لقولهم إنها
لإبل أم شاء قولهم بعد مثل يريدون تجوزون ذلك بظاهر من الأمر من
لأن ظاهر الامر له أيضا وموضع من الاحتمال وما لم يكن إلا
بظاهر القول ولا شبهة له وقرأ الجمهور زين على بناء الفعل
للمفعول مكرهم بالرفع وقرأ مجاهد زين على بنائه للفاعل مكرهم
بالنصب أي زين الله ومكرهم لفظ يعم أقوالهم وأفعالهم التي كانت بسبيل

ناقضة الشرع وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وصدوا بضم الصاد
وهذا على تعدي الفعل وقرأ الباقون بفتحها وفي حرف [illegible] وصد عنها
وذلك يحتمل أن يكون صدوا أنفسهم أو صدوا غيرهم وقرأ يحيى بن
وثاب وصِدوا بكسر الصاد وقوله لهم عذاب الآية المعنى
أي لهم عذاب في دنياهم بالقتل والأسر والحروب والبلايا في
أجسامهم وغير ذلك مما يمتحنهم الله به ثم لهم في الآخرة عذاب أشق من
هذا كله وهو الاحتراق بالنار وأشق أصعب من المشقة والواقي
الساتر على جهة الحماية من الوقاية قوله مثل الجنة الآية
قال قوم مثل معناه صفة وهذا من قولك مثلت الشيء اذا وصفته
لأحد وقربت عليه فهم أمره وليس يضرب مثل لها وهو كقوله ولله
المثل الأعلى ويظهر أن المعنى الذي يتحصل في النفس مثالا للجنة
هو جري الانهار وأن أكلها دائم وارتفاعه عند سيبويه [illegible]
قبل التقدير فيما يتلى عليكم أو يقص عليكم مثل الجنة وارتفاعه عند الفراء
بقوله تجري أي صفة الجنة أنها تجري من تحتها الانهار ونحو هذا
موجود في كلام العرب وتأول عليه قوم أن مثل مقحم وأن التقدير
الجنة التي وعد المتقون تجري وفي هذا قلق وقرأ علي بن أبي طالب وابن
مسعود أمثال الجنة وقد تقدم غير مرة معنى قوله تجري من تحتها
الانهار وقوله أكلها معناه ما يؤكل فيها والعقبى والعاقبة والعاقب
حال تتلو أخرى قبلها وتأتي في الآية من وقيل التقدير في صدر الآية
مثل الجنة جنة تجري قال الزجاج تمثيل الآية على هذا أعرض مثل الجنة
النعيم في الآخرة قوله عز وجل والذين آتيناهم الكتاب
يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد
الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن

اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان
لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء
ويثبت وعنده ام الكتاب ٥ اختلف المتأولون في من عني بقوله
الذين اتيناهم الكتاب فقال ابن زيد عني به من امن من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وشبهه والمعنى مدحهم بانهم لشدة ايمانهم يسرون بجميع
ما يرد على النبي صلى الله عليه وسلم من زيادات الشرع وقال قتادة
عني به جميع المؤمنين والكتاب هو القران وما انزل اليك يراد به جميع
الشرع وقالت فرقة المراد بالذين اتيناهم الكتاب اليهود والنصارى وذلك
انهم لهم فرح بما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم من تصديق شرائعهم
وذكر اوائلهم ويضعف هذا التاويل بان همهم به اكثر من فرحهم ولا يعتد
بفرحهم ويضعف ايضا بان اليهود والنصارى ينكرون بعضه وقد
فرق الله في هذه الاية بين الذين يفرحون بعضه وبين الذين لسانهم
الكتاب والاحزاب قال مجاهد هم اليهود والنصارى والمجوس
وقالت فرقة هم احزاب الجاهلية من العرب وامره الله تعالى ان
يطرح اختلافهم ويصدع بانه انما امر بعبادة الله وترك الاشراك والدعا
اليه واعتقاد المآب اليه وهو الرجوع عند البعث يوم القيمة
وقوله وكذلك المعنى كما يسرنا هؤلاء للفرح وهؤلاء للانكار
لبغض كذلك انزلناه حكما عربيا وتحمل للمعنى والمؤمنون
اسلموه تعرج بين لقلوبهم به وشرعه لعقلهم ثم عدد النعمة بقوله
كذلك جعلناه اي جعلنا عليهم في ذلك وجعلنا وحكما يصب على
للحال والحكم هو ما تضمنه القران من المعاني وجعله عربيا
لما كانت العبارة عنه بالعربية ثم خاطب النبي عليه السلم محذرا

من اتباع

من اتباع اهواء هذه الفرق الضالة والخطاب لمحمد عليه السلم وهو المعنى
يتناول المؤمنين الى يوم القيمة وو يقال لشر وصله على ولي وكما دي
ووالي ما اليا قال ابو علي والجمهور يقفون بغير يا وهو الوجه ويا في الاصل
من وقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الاية في صدر هذه الاية
تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم ورد على المعترضين من قريش بالملائكة
المتعجبين من بعثه الله بشرا رسولا والمعنى ان بعثك يا محمد ليس ببدع
فقد تقدم مثله في الامم ثم جا قوله وما كان لرسول الاية لفظه لفظ
النهي والزجر والمقصد به انما هو النفي المحض لكنه جي بالذي بهذه العبارة
ومتى كانت هذه العبارة عن امر واقع يجب فهي النهي نهي زجر ومتى كانت في النفع
ذلك الحكم فهي نفي محض مولد وباذن الله معناه الا ان ياذن الله في
ذلك وقوله لكل اجل كتاب لفظ عام في جميع الاشيا التي
لها اجال وذلك انه ليس منها الا وله اجل في بدئه او في خاتمته
وكل اجل مكتوب محصور فاخبر تعالى عن هذه الاجال التي للاشيا عامة
وقال الضحاك والفرا المعنى لكل كتاب اجل وهذا العكس غير لازم
ولا وجه له اذ المعنى تام في ترتيب القران بل عكس هذا قولهما ان الاشيا
التي كتبها الله تعالى ازليه باقيه كنعيم اهل الجنة وغيره يوجد بها الاجل
وقوله يمحو الله ما يشا ويثبت قرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
ويثبت بشد البا وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويثبت بسكونها وتخفيف
البا في معنى هذه الالفاظ والذي يخلص به مشكلها ان الاشيا التي
قدرها الله تعالى في الازل وعلمها بحال ما لا يصح فيها محو ولا تبديل وهي
التي ثبت في ام الكتاب وسبق بها القضا وهذا مروي عن ابن عباس وغيره
من اهل العلم واما الاشيا التي قد اخبر الله تعالى انه يبدل فيها وينقل

كعفو الذنوب بعد تقررها وكنسخ آية بعد تلاوتها واستقرار حكمها ففيها
يقع المحو والتثبيت فيما يعزه للحفظة ونحو ذلك وأما إذا رد الأمر
إلى القضاء والقدر فقد محا الله ما محا وثبت ما ثبت وجاءت
العبارة مستقبلة لمجيء الحوادث وهذه الأمور فيما يستأنف من الزمان
فينتظر البشر ما يمحو أو ما يثبت وبحسب ذلك خوفهم ورجاؤهم ودعاؤهم
وقالت فرقة منها الحسن هي في آجال بني آدم وذلك أن الله تعالى
في ليلة القدر وقيل في ليلة نصف شعبان يكتب آجال الموتى فيمحو ناسا من
ديوان الأحياء ويثبتهم في ديوان الموتى وقال قيس بن عباد العاشر
من رجب هو يوم يمحو الله ما يشاء ويثبت وهذا التخصيص في
الآجال وغيرها لا معنى له وإنما يحسن من الأقوال هنا ما كان عاما
في جميع الأشياء فمن ذلك أن يكون معنى الآية أن الله تعالى يغير
الأمور عن أحوالها أعني ما من شأنه أن يغير على ما قدمناه فيمحوه من تلك
الحالة ويثبته في التي نقلناه إليها وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وعن عبد الله بن مسعود أنهما كانا يقولان في دعائهما اللهم إن كنت
كتبتنا في ديوان الشقاوة فامحنا وأثبتنا في ديوان السعادة فإنك
تمحو ما تشاء وتثبت وهذا دعاء في غفران الذنوب على جهة التحرج
منها أي اللهم إن كنا شقينا بمعصيتك وكتبت علينا ذنوب وشقاوة
بها فامحها عنا بالمغفرة وفي لفظ عمر في بعض الروايات بعض من
هذا ولم يكن دعاؤهما البتة في تبديل سابق القضاء ولا تأول عليهما ذلك
وقيل إن هذه الآية نزلت لأن قريشا لما سمعوا قول الله تعالى وما كان لرسول
أن يأتي بآية إلا بإذن الله قالوا نرى محمدا في هذا الأمر قدرة ولا حظ فنزلت
يمحو الله ما يشاء ويثبت أي مما أذن الله من ذلك فلا حجة بعد أن الحكم له

وحكى

وحكى الطبري عن ابن عباس أنه قال معنى الآية يمحو الله ما يشاء ويثبت من
أمور عباده إلا السعادة والشقاوة والآجال فإنه لا محو فيها وهو نحو
ما أصلناه أولا في الآية وحكي عن فرقة أنها قالت يمحو الله ما يشاء
من كتاب سوى أم الكتاب الذي عنده الذي لا يغير منه شيء وقالت فرقة
معناه يمحو الله كل ما يشاء ويثبت كل ما أراد ونحو هذه الأقوال التي هي سهلة
المعارضة وأسند الطبري عن ابن عباس أن كعبا قال لعمر بن الخطاب
يا أمير المؤمنين لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلى يوم القيامة قال
وما هي قال قول الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب
وذكر أبو المعالي في التلخيص أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الذي
قال هذه المقالة المذكورة عن كعب وذلك عندي لا يصح عن علي واختلفت
أيضا عبارة المفسرين في تفسير أم الكتاب فقال ابن عباس هو الذكر وقال
كعب هو علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون وأصوب ما يفسر به
أم الكتاب أنه ديوان الأمور المحدثة التي قد سبق القضاء فيها بما هو كائن
وسبق الاستبدال ويبقى المحو والتثبيت للأمور التي سبق في القضاء أن تبدل
وتمحى وتثبت قال نحوه قتادة وقالت فرقة معنى أم الكتاب
الحلال والحرام وهذا قول الحسن بن أبي الحسن وقوله عز وجل
وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب
أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه
وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم
ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
إن شرط دخلت عليها ما مؤكدة وهي قبل الفعل فصارت في ذلك بمنزلة اللام
المؤكدة في القسم التي هي قبل الفعل في قوله والله لنخرجن فلذلك

يحسن أن تدخل النون في قوله نرينك على لغتها منا محل اللام هنالك ولو لم
تدخل ما لما جاز ذلك الا في الشعر وخص البعض بالذكر اذ مفهوم
ان الاعمار تقصر عن ادراك جميعها فلهذا الا بعد ما نوعد به الكفار
ولذلك ما اعطي الوعد الا ترى ان اكثر الفتوح انما كان بعد النبي عليه السلام
واو عاطفة   انما جواب الشرط ومعنى الاية ان نرينك يا محمد
لنري او نتوفينك فعلى الوجهين انما يلزمك البلاغ فقط
نعدهم يحتمل ان يريد به المصادر [illegible] ويحتمل ان يريد
الوعد المجرد في اهلاك الكفرة ثم اضاف الوعد اليهم لملابسة في شأنهم
والضمير في قوله يروا عائد على كفار قريش وهم المتقدم ضميرهم في
قوله نعدهم   اي معناه بالمدح والامر كما قال الله تعالى
فاتى الله بنيانهم من القواعد والارض يريد اسم الجنس وقيل
يريد ارض الكفار المذكورين وهذا بحسب الاختلاف في قوله ننقصها من
اطرافها وقرا الجمهور ننقصها وقرا الضحاك ننقصها وقوله من
اطرافها من قال انها ارض الكفار المذكورين قال معناه الم يروا
انا نأتي ارض هؤلاء بالفتح عليك فننقصها بما يدخل في دينك من
القبائل والبلاد المجاورة لهم فما يؤمنهم ان يمكنك منهم ايضا قاله
لمجاورتهم قاله ابن عباس والضحاك وهذا القول لا يتأتى الا بان
تقدر نزول هذه الاية بالمدينة ومن قال ان الارض اسم جنس
جعل الانتقاص من الاطراف بتخريب العمران الذي يحله الله بالكفرة
هذا قول ابن عباس ايضا ومجاهد وقالت فرقة الانتقاص هو بموت
البشر وهلاك الثمرات ونقص البركة قاله ابن عباس ايضا والشعبي
وعكرمة وقتادة وقالت فرقة الانتقاص بموت العلماء والاخيار
قال ذلك ابن عباس ايضا ومجاهد وكل ما ذكر يدخل في لفظ الاية

والطور

حاسم
حسيرا اي انقطع
ومنه قوله تعالى خاسئا
وهو حسير اي منقطع

والطرف من كل شيء خياره ومنه قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه العلوم
اودية في اي واد اخذت منها حسرت فخذوا من كل شيء طرفا يعني خيارا
وجملة معنى هذه الاية الموعظة وضرب المثال اي الم يروا فيقع منهم
الاتعاظ والتوقي بانتقاص لفظ الاية هو نقص الارض بالفتوح على محمد صلى
الله عليه وسلم قوله لا معقب اي لا راد ولا مناقض فيتعقب احكامه
اي ينظر في اعقابها امصيبة هي ام لا وسريع حساب الله واحاطته بها
بالاحاطة التي لا يعدها والعد لها يبين الانسان وسريع عليه علم ذلك
اولم يقام وقد مكر الله تعالى الامم التي بعثت على انبيائها كما فعلت قريش
بمحمد عليه السلام بالمكر   فلله المكر جميعا اي العقوبات التي احلها
بهم وسماها مكرا على عرف تسمية المعاقبة باسم الذنب كقوله تعالى
الله يستهزئ بهم ونحو هذا وفي قوله تعالى يعلم ما تكسب كل نفس تنبيه
وتحذير في طي اخبار ثم توعدهم تعالى بقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى
الدار وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو الكافر على الافراد وهو اسم الجنس
وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي الكفار وقرا عبد الله بن مسعود
الكافرون وقرا ابي بن كعب الذين كفروا وتقدم القول في عقبى الدار
قبل هذا وقوله تعالى ويقول الذين كفروا الاية المعنى ويجحدك
يا محمد هؤلاء الكفرة ويقولون لست مرسلا من الله وانما انت مدع
قل لهم كفى بالله شهيدا وبالله في موضع رفع التقدير كفى
الله وشهيدا بمعنى شاهد قوله ومن عنده علم الكتاب قيل يريد
اليهود والنصارى الذين عندهم الكتب الناطقة بمحض الاسلام ذكره
الله تعالى وقال قتادة يريد من اسلم منهم كعبد الله بن سلام وتميم
الداري وسلمان الفارسي الذين يشهدون بنعت محمد صلى الله عليه
وسلم وقال مجاهد يريد عبد الله بن سلام خاصة وقال هو في [illegible]

ومن عنده علم الكتاب وهذان القولان الآخران لا يستقيمان إلا أن تكون
الآية مدنية والجمهور على أنها مكية قاله سعيد بن جبير وقال
لا يصح أن تكون الآية في ابن سلام لأنها مكية وكان يقرأ ومن عنده
علم الكتاب وقيل يريد جميعا معشر وفاحكاه النقاش وهو قول شاذ
ضعيف وقيل يريد الله تعالى كأنه استشهد بالله تعالى ثم
ذكر بهذه الألفاظ التي تتضمن صفة تعظيم ويعترض هذا القول
أن فيه عطف الصفة على الموصوف وذلك لا يجوز وإنما تعطف الصفات
بعضها على بعض ويحتمل أن تكون من في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف
تقديره أعدل وأمضى قولا ونحو هذا مما يدل عليه لفظ شهيد
ويراد بذلك الله تعالى وقرأ علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن
عباس وابن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والحكم وغيرهم
ومن عنده علم الكتاب بكسر الميمين من وخفض الدال قال
أبو الفتح ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ علي بن أبي طالب
أيضا والحسن وابن السميفع ومن عنده عُلِم الكتاب بكسر الميم من من
وضم العين من عُلم على أنه مفعول لم يسم فاعله وهذه القراءة
يراد فيها الله تعالى لا يحتمل لفظها غير ذلك والله المعين برحمته

تم الجزء من كتاب تفسير القرآن العظيم لابن عطية [illegible]
بحمد الله تعالى وعونه ومنه وكرمه في [illegible]

حسبنا الله ونعم الوكيل